

غَايَةَ الْبَيَانِ
فِي
تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

المجلد السادس

تأليف
محمود محمد حمزة حسين علوان محمد محمد برانوح

أشرف على طبعه
فادرم العلم
عبدالله بن إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة
إدارة إحياء التراث الإسلامي
بدولة قطر

غاية البيان في تفسير القرآن الكريم

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
رقم الكتاب:
الرقم العام: ١٩٤٩٢
الرقم الكلي:
جهة ورود:

المجلد السادس

تأليف

محمود محمد صخره حسن علوان محمد محمد برانق

٢١٦٦

٢٢-٤

أشرف على طبعه

فادرم العام

عبدالله بن إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة

إدارة إحياء التراث الإسلامي

بدولة قطر

تفسير القرآن الكريم

الجزء السادس والعشرون

تأليف

حسن علوان

محمود محمد حمزة

محمداحمد برانق

ACA
٢٠١٢



تراجع الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى
في هذا الجزء والأجزاء التي تليه ، أن الأرقام التي في صدر
مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في المصاحف ،
وأن الأرقام التي تخلت مجموعات آيات القرآن الكريم ،
تطابق نظائرها في مجمل المعنى .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مَقَدِّمَةٌ

اللهم لك الحمد لا نحصي عليك ثناءً ، هديتنا للإسلام ، وحببت
إينا شرعة سيد الأنام ، فسبحانك لك الحمد والشكر والثناء في كل حال
من الأحوال ، ونصلي ونسلم على سيد الخلق أجمعين ، والذي اخترته
نتلقي كلامك المبين ، وأرسلته رحمة للعالمين . وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد : فحيث أن من أفضل ما يكسبه العبد في حياته هو خدمة
كتاب الله العزيز ، وإيضاح تفسيره للقاصدين ، بحثنا طويلاً ومن
نجدد أن نبحت عن غال ثمين ، ودرسنا عدداً من تفاسير كتاب الله
نحميد ، وبعد التحقيق والتدقيق وقفنا على هذا التفسير الكريم ، والذي
قد اشترك في تأليفه وخدمته إخواننا الأفاضل وهم : الشيخ محمود محمد
حمزة ، والشيخ حسن علوان ، والشيخ محمد أحمد برانق ، وحقيقة وجدناه
نعم السفر لإيضاح معاني القرآن بأسلوب سليم سهل ، ومنهج مبسط
ومعاصر للدراسات الحادثة ، واعتدال قويم في تفسير الآيات التي تبحت
في العقائد والأحكام .

استخرت الله تعالى بطبعه وإخراجه ، وقدمنا الإيضاح الكافي في
مقدمة المجلد الأول للتفسير ، ولقد انتهى المجلد الخامس بنهاية الجزء
لخامس والعشرين وآخر سورة الجاثية ، وقد بدأ هذا المجلد بأول سورة

الأحفاف بداية الجزء السادس والعشرين إلى آخره سورة الناس نهاية القرآن الكريم .

وقد جعلنا من هذا المجلد أجزاء مفردة رغبة في الاستفادة منها في المدارس والمعاهد ومراكز تحفيظ القرآن وحفاظاً على كتاب الله وإمكانية تسليم الجزء منه إلى أبنائنا الطلاب المبتدئين في مقرراتهم ومحفوظاتهم .
والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لكل خير ، وأن يرشدنا إلى العلم النافع ، والعمل الصالح ، لنتزود من تقوى الله وطاعته ، ونكرر التضرع إلى الله - تعالى - لمضاعفة الأجر والثواب لإخواننا الأفاضل مؤلفي هذا التفسير ، ومن قام بتأييدهم ومساعدتهم ، وأن يشركنا معهم وكل من ساهم بخدمة هذه الطبعة في نيل الأجر والثواب ، لنكون ممن قدم علماً ينتفع به ، للإرشاد لخيري الدنيا والآخرة ، إنه سميع مجيب وبالإجابة جدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبع هديهم إلى يوم الدين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

خادم العلم
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري
مدير عام
إدارة إحياء التراث الاسلامي
بلولة قطر

الخميس غرة ربيع الأول ١٤٠٣ هـ .
الموافق ١٦ كانون الأول ١٩٨٢ م .
الدوحة - قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحقاف

نزلت بمكة ، ماعدا الآيات ١٠ ، ١٥ ، ٢٥ فإنها نزلت بالمدينة ،
وآياتها ٣٥ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

حم ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ -١- .
مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ،
وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ -٢- . قُلْ : أَرَأَيْتُمْ
مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ؟
أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ؟ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ
أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ -٣- . وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ
يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ -٤- . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ
أَعْدَاءً ، وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ -٥- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول .	حم
{ وما بين السموات والأرض من كل العوالم : من الإنس والجن والملائكة ، ومن الأشياء الأخرى التي نعرفها ، والتي لا نعرفها . إلا خلقاً مقروناً بالحق والعدل .	وما بينهما إلا بالحق
{ وإلا بتقدير أجل معلوم ينتهي عنده وجود كل منهما ، وهو يوم القيامة . والكافرون منصرفون عن الإنذار الذي يُنذرونه ، حيث يلقون في هذا اليوم المصير الذي يستحقونه . أخبروني .	وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون أرأيتم ما تدعون من دون الله
{ ما تعبدون من دون الله ، وهو الأصنام . ما هي قدرتهم التي تجعلهم يخلقون شيئاً مما على الأرض ؟ أم شاركوا الله في خلقه السموات ؟	ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات اثتوني بكتاب من قبل هذا
{ هاتوا لي كتاباً قبل القرآن يدعو إلى الشرك . أو بقية وصلت إليكم من علم السابقين ، تدل على صدق ما تذهبون إليه . ولا أحد أشد ضللاً .	أو إثارة من علم ومن أضل

الألفاظ	شرحها
وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء	وآلهمهم لا يستجيبون لهم دعاءهم ، لأنهم لا يسمعونه . وإذا جُمع الناس وسيقوا للحساب يوم القيامة . } كانت الأصنام التي يعبدونها في الدنيا أعداء لهم } يوم القيامة .
وكانوا بعبادتهم كافرين	وكانت الأصنام متبرئة ممن عبدوهم ومن عبادتهم .

مجمل المعنى

١ - هذا القرآن المكوّن من الحاء والميم ونظائرها من حروف الهجاء ، منزل من عند الله العزيز الذي لا يقهر ، الحكيم الذي يعمل كل شيء بتقدير وتدبير ، فلا سبيل إلى تكذيبه

٢ - الله الذي نزل هذا القرآن ، هو الذي خاق السموات والأرض ، وجميع العوالم والأشياء التي بين السموات والأرض ، وأنشأ ذلك كله إنشاءً ، وأبدعه إبداعاً ، على نظام بديع دقيق ، فيه حق وعدل ؛ وسيظل هذا النظام قائماً إلى أجل محدود ، وهو يوم القيامة ، اليوم الذي تتبدل الأرض فيه غير الأرض ، والسموات غير السموات ، اليوم الذي سيحاسب فيه كلّ بما عمل ، اليوم الذي يخوف الله به الكافرين ، ومع ذلك فإنهم مع تخويفهم وإنذارهم عذاب ذلك اليوم ، لا يؤمنون بوقوعه ، ويعرضون عن الاستماع منك ، والاستجابة لك ، والإيمان بك .

٣ - يوجه الله نظر هؤلاء الكافرين الذين يعبدون الأصنام ، ويسجدون لها من دونه ، إلى أنهم يعبدون آلهة عاجزة عن كل شيء ، ويقول لهم موبخاً :

أخبروني أى شىء خلقوه فى هذه المخلوقات التى تشمل الأرض وما عليها ؟ !
إنها عاجزة عن أن تخلق حيواناً كبير أو صغير ، وعاجزة عن أن تخلق
نباتاً طال أو قصر ؛ وإنها كذلك لم يكن لها شرك فى خلق السموات ،
فإن لم تصدقوا أيها الكافرون أنها عاجزة، فأتوني بكتاب جاء به نبي قبل هذا
القرآن ، يدعو إلى عبادة هذه الأصنام ، أو يدعو إلى غير التوحيد الذى
يدعو إليه القرآن وينادى به ؛ فإن لم تستطيعوا ذلك ، فهاتوا أى أثر علمى
من علوم السابقين الصحيحة الماثورة ، تؤيد عبادة أصنامكم ، أو تدعو
إليها ، إن كان ما تدعونه صحيحاً ، ولقد قامت على بطلان عبادتها الأدلة
العقلية والنقلية .

٤ - ولا أحد أشد ضللاً من الذين يعبدون من دون الله آلهة عاجزة ضعيفة ،
لا تستجيب لهم إذا دعوها ، وتظل هكذا ضعيفة عاجزة غير قادرة على
الاستجابة ، فى الحال وفى الاستقبال إلى يوم القيامة ؛ إذ كيف
يسمع ، أو يعقل ، أو يقدر ، أو يدفع ، أو يمنع ، أو يمنح ، أو يحرم ،
هذا الصنم الذى صنعه الإنسان الضالّ من طين أو خشب ، أو نحته
من حجر ؛ فهى فى غفلة دائمة ، لأنها جمادات لا تسمع دعاء الداعين ،
ولا تعلم حاجات المحتاجين .

٥ - يوم القيامة يبعث الله الناس ، ويساقون للحشر والحساب ، فتبرأ هذه
من عبديتها ، وتنكر عليهم سجدتهم لها ، وتعظيمهم إياها .

(٢)

من الآية ٧ إلى الآية ١٤ من سورة الأحقاف

وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ : هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ -١- . أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ؟ قُلْ :
إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُفِيضُونَ فِيهِ ، كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ -٢- . قُلْ : مَا كُنتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ ، وَمَا أَدْرِي
مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ، وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ -٣- . قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ
وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ، فَأَمَنَ
وَاسْتَكْبَرْتُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ -٤- . وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا : لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ،
وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ، فَسَيَقُولُونَ : هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ -٥- . وَمِنْ قَبْلِهِ
كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ، وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ،
لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ -٦- . إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا :

رَبَّنَا اللَّهُ ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ -٧-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات لما جاءهم هذا سحر مبين افتراه	وإذا تقرأ عليهم أدلتنا ووضحت في القرآن . ساعة مجيئه لهم من غير تفكير . هذا القرآن سحر بين ، يخدع من يسمعه أو يقرؤه ، كما يخدع السحر المسحور . اختلقه .
فلا تملكون لى من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه وهو الغفور الرحيم	فلا تدفعون عنى عقاب الله إن وقع بى . الله أعلم بما تندفعون فيه من التكذيب ، وتدخوضون فيه من وصف القرآن بالسحر والكهانة وغير ذلك . والله كثير الغفران والرحمة للتائبين .
ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم	ما كنت أول رسول أرسله الله لدعوة الناس إلى التوحيد ، وما كنت مبتدعاً شريعة . ولست أعرف المخبأ لى ، ولا الخبأ لكم في مستقبل الأيام ، ولكن الله هو الذى يعرف هذا .

الألفاظ	شرحها
وشهد شاهد من بني إسرائيل	وشهد عبد الله بن سلام .
على مثله	{ على مثل ما في القرآن من الدعوة إلى التوحيد ، وهو ما جئتمكم به .
هذا إفاك قديم	هذا القرآن كذب وأساطير قديمة .
كتاب موسى إماماً	التوراة .
وهذا كتاب مصدق	قدوة يؤتم به ، كما يؤتم بالإمام .
لينذر الذين ظلموا	{ وهذا القرآن كتاب مصدق لما سبقه من الكتب السماوية .
وبشرى للمحسنين	ليهدد الكافرين ويتوعددهم .
ثم استقاموا	ويبشر المؤمنين ويطمئنهم .
	ثم استمروا على توحيدهم وتدينهم .

مجل المعنى

١ - هؤلاء الكافرون المشركون من قريش ، حينما يقرأ عليهم القرآن مبيّنة فيه الأدلة الواضحة على أن الله واحد لا شريك له ، يقولون بمجرد سماعها من غير تفكير ولا تدبر : هذا سحر ساحر ماهر ، جاء به محمد ليخدعنا ، ويصرفنا عن عبادة الأصنام .

٢ - ولا يكتفون بأن يصفوا القرآن بأنه سحر ساحر ، بل يقولون : إن محمداً صنع هذا القرآن ، ونسبه إلى الله كذباً وبهتاناً ، ويأمر الله محمداً أن يقول

لهم : إن كنت صانعه من عندى ونسبته إلى الله ، فإن الله لا بد مؤاخذي على ذلك ، وإذا ذاك لا تغنون عني من عذاب الله شيئاً ، ولا تدفعون عني عقابه ؛ فليس معقولاً أن أخلق على الله ما ليس لله ، والله هو الذي يعلم مبادرتكم إلى تكذبي ، ومبادهتكم إياي بالإنكار ؛ وحسبي أنه يعلم ما أعمل ، ويعلم ما تعملون ، وهو الذي يشهد لي بالصدق ، ويعلم ما تخوضون فيه من تكذبي ، ومع ذلك فإن الله يقبل توبة التائبين ، ويرحمهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ؛ فإن تبتم وأنبتم وآمنتم غفر لكم ورحمكم .

٣ - يأمر الله نبيه أن يقول لمشركي مكة : لست أول رسول أرسل إلى قومه ، فقد أرسل قبلي كثير من الرسل إلى أقوامهم ، ولست إلا واحداً منهم ، ولست مبتدعاً أتقول على الله ، وأنا إذ أبلغكم الآن ما أمرني الله أن أبلغكم إياه ، لا أدري ما يجري على ولا ما يجري عليكم غداً ، وعلم ذلك كله عند الله الذي لا يعلم الغيب إلا هو ، وكل ما أعلمه أن الله يوحى إليّ ، وأتبع ما أومر به ، وأنا أنذرکم وأخوفکم المصير الذي تصيرون إليه إن بقيتم على كفرکم ، ومهمتي تنتهي عند تنفيذ ما يأمر الله به .

شاهد بنى إسرائيل

لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال : يا رسول الله ، قد علمت اليهود أني من علمائهم ، وأن أبي كان من علمائهم ؛ وإني أشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة ، فأرسل إلى فلان وفلان ، ومن سماه من اليهود ، وأخبرتني في بيتك ، وسلهم عني وعن أبي ، فإنهم سيحدثونك أني أعلمهم ، وأن أبي من أعلمهم ؛ وإني سأخرج إليهم ، فأشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة ، وأنت بعثت بالهدى ودين الحق ،

ففعّل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فخبأه في بيته ، وأرسل إلى اليهود فدخلوا عليه ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايتم إن أسلمتُ سلموا ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فدعاه النبي فخرج ، ثم قال : أشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة ، وأنتك تُبعث بالهدى ودين الحق ؛ فقالت اليهود : إنه شرُّنا وابن شرنا ؛ وأخذوا يتنقصونه ، وخرجوا كفاراً ، فأنزل الله في ذلك : « قل أرايتم إن كان من عند الله . . . » إلى آخر الآية ؛ وهذه الآية نزلت بالمدينة .

٤ - يأمر الله محمداً أن يقول : إن القرآن إذا ثبت عندكم أنه من عند الله ، ثم كفرتم به بعد هذا ، فأنتم ظالمون لأنفسكم ، وهذا شاهد بنى إسرائيل يشهد أنه من عند الله ، وأن ذكره جاء في التوراة ، وهو يؤمن به ؛ ويستكبر غيره من اليهود ولا يؤمنون ؛ هؤلاء الذين لم يؤمنوا ظلموا أنفسهم ، فلا يوفقههم الله للطريق المستقيم .

٥ - الذين كفروا يقولون للمؤمنين : لو أن ما جاء في القرآن ، وما جاء به محمد من الدعوة إلى الإسلام - فيه خير - لكننا أسبق إلى التصديق والإيمان من الذين أسرعوا وأسلموا ، وحيث إنهم لم يهتدوا بما جاء به محمد ، ولم يشرح الله صدرهم للإسلام - فسيقولون : ليس هذا القرآن إلا أساطير قديمة كتبها المتقدمون ، وليس من عند الله كما يزعم محمد ، ولم يعجبهم أن تُسلم قبيلة غِفَار التي منها أبو ذرّ الغِفَارِي ، ولم يعجبهم أن تسلم زَنْبِرة الجارية الرومية ، وكانت بعد إسلامها أصيب بصرها ، فقالوا لها : أصابك اللاتُ والعُزَّى ، فرد الله عليها بصرها ؛ وقالوا : لو كان خيراً ما سبقتنا إليه

زَيْنْبَةَ ؛ ولم يُعجب قبائل بني عامر و غَطَفَان و تَمِيم و أَسَد و حَنْظَلَةَ و أَشْجَعَ ،
أَنْ تُسَلِّمَ قَبَائِلَ غِفَارٍ و أُسَلِّمَ و جُهِينَةَ و خَزْرَاعَةَ و مُزَيْنَةَ ، و سَمُوهُمْ رِعَاةَ الْبُهْمِ ،
و لم يعجب اليهود أَنْ يَسَلِّمَ عَبْدَ اللَّهِ بِنِ سَلَامٍ ، و لم يعجب مشركي
قُرَيْشٍ أَنْ يَسْبِقَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ بِلَالٍ و صُهَيْبٍ و عِمَارٍ و أمثالهم من عامة
الشَّعْبِ و عَبِيدِهِ ؛ فَرَأَى الْكُفَّارَ جَمِيعًا أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْإِسْلَامُ خَيْرًا مَا
سَبَقَهُمْ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَقَلُّ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً .

٦ - و من قبل هذا القرآن توراة موسى ، نزلت عليه لتكون إماماً لبني إسرائيل يأتون
بها ، و رحمة لهم خصهم الله بها ، و جاء القرآن بعد التوراة ، و نزل بلسان
عربي مبين ، مصداقاً لما جاء في توراة موسى من أن محمداً رسول الله ،
و هذا الكتاب ينذر الذين ظلموا أنفسهم بالاستمرار على الكفر و الإِشْرَاقِ
بالله ، و يبشر المؤمنين الذين آمنوا بمحمد و بما جاء به .

٧ - يؤكد الله سبحانه و تعالى أن الذين يؤمنون به ، و يوحدونه ، و يظلون باقين
على إيمانهم و توحيدهم - لا يخافون عقاب الله في الآخرة ، لأنهم آمنوا أنه
لا عقاب لهم ؛ و لا يحزنون على شيء فاتهم في الدنيا ، لأنهم سيلقون ما هو
خير منه ، و هؤلاء يخلدون يوم القيامة في الجنة جزاء لهم على إيمانهم ، و على
تمسكهم بهذا الإيمان ، و استمرارهم عليه .

(٣)

من الآية ١٥ إلى الآية ٢٠ من سورة الأحقاف

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ، وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا ، وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ
وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَ : رَبِّ ، أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ، وَأَصْلِحْ
لِي فِي ذُرِّيَّتِي ، إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ، وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ -١- .
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ، وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ
فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ، وَعَدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ -٢- .
وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ : أَفِ لَكُمْ ، أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ
خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ؟ وَهُمَا يَسْتَفْهِمَانِ اللَّهَ : وَيُنَاطِقُ : أَمِنْ ،
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَيَقُولُ : مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ -٣- .
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ -٤- . وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ
مِمَّا عَمِلُوا ، وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ -٥- . وَيَوْمَ

يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ، أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ
الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ، فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ -٦-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حملته أمه كرهاً	حملته أمه حملاً ذا كُره ، لما فيه من مشقة وجهد .
وفصاله	وفطامه .
بلغ أشده	استوى ونضج ، فاستحكمت قوته ، وحصف عقله .
أوزعني	ألهمني وهيئني ووفقني .
وأصلح لي في ذريتي	واجعل ذريتي صالحة في صلتهم برهيم والديهم والناس جميعاً .
وإني من المسلمين	وإني من الخاضعين لك بالطاعة .
وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة	ونصفح عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، كما نصفح عن أصحاب الجنة .
وعد الصدق الذي كانوا يوعدون	وعد الله المؤمنين أن يقبل إحسانهم ، ويغفر إساءتهم ، وعداً صادقاً في الدنيا على السنة الرسل ، ولا بد من الوفاء به .
أف لكما	التأفف : صوت يعمله الإنسان لإظهار أشد الضيق والضجر والألم .

شرحها	الألفاظ
<p>أن أبعث بعد موتي ، وأخرج من قبري بعد فنائي . وقد مضت أمم كثيرة قبلي ، ولم يبعث أحد منها . وهما يستعيذان بالله من كفره ، ويستصرخانه عليه ، ويدعوان له بالهداية .</p>	<p>أن أخرج وقد دخلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله</p>
<p>ويلك : كلمة يقولها أبواه له تعجباً من سوء موقفه منهما ، فكأنهما يقولان له : شرّاً لك ، وبعداً لك ، وهذا أسلوب يستعمله الناس ، ويستعملون أمثاله كثيراً في الحديث . استجب لما ندعوك له .</p>	<p>ويلك آمن</p>
<p>ليس الذي يقوله له والداه إلا أحاديث وخرافات كتبها السابقون .</p>	<p>ما هذا إلا أساطير الأوابين</p>
<p>وجب عليهم العذاب . مع أمم قد سبقت ولم تؤمن ، ومات أهلها على الكفر . ولكل واحد من المؤمنين والكافرين ، ومن الإنس والجن ، منزلة خاصة عند الله يوم القيامة ، يحددها عمله في الدنيا .</p>	<p>حق عليهم القول في أمم قد خلت ولكل درجات</p>
<p>وليُعطيهم أجور أعمالهم التي عملوها . وكلُّ يلقى جزاءه حسب عمله : إساءة أو إحساناً .</p>	<p>وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون</p>
<p>ويوم يقرب الكافرون من النار ، وينظرون إليها . استنفذتم في الدنيا ألوان التمتع حلاله وحرامه ، فلم تركوا للآخرة شيئاً .</p>	<p>ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا</p>

الألفاظ	شرحها
عذاب الهون	عذاب الخزي والفضيحة والإذلال .
بما كنتم تستكبرون	{ بسبب استكباركم واستعظامكم على الله ، وعلى عباد الله .
وبما كنتم تفسقون	{ وبسبب عصيانكم وتمردكم ، وخروجكم عن الطاعة .

محمل المعنى

١ - يأمر الله - سبحانه وتعالى - الولد أن يَبْرَّ أباه ، وأن يبرأه ، وأن يحسن إليهما بالطاعة في غير معصية الله ، وبالاحترام ، والإنفاق عليهما ، وإعانتها على أعباء الحياة ، ومواساتهما في الشدة ، وقضاء كل ما يحتاجان إليه ، ما دام قادراً عليه ؛ فالأم هي التي تحملت المشقات في حمله ، وفي وضعه ، وفي إرضاعه ؛ والأب هو الذي يكد ويسعى ليحصل على الرزق ، لينفق عليه وعلى أمه ؛ وهما اللذان حاطاه بعنايتهما ورعايتهما ، وكفلاه وربياه حتى صار رجلاً ؛ وكم سهرا يجانبه الليالي حين مرضه ، وكم حرما أنفسهما ليعطياه ، وكم فضلاه وقدماه له طيب الطعام ، وجديد الثياب ، وكم تعرضا للبرد وأدفاه ، . . . وكم ، وكم ، مما لا يمكن حصره ؛ فلا أقل من أن يبرهما في حدود ما أمر الله ؛ ووصى الله الولد بوالديه ، لأن العقوق أقرب إلى قلبه من الإحسان ، ولم يوص الوالدين بولدهما ، اكتفاء بما ركب في قلبهما من عاطفة الحنان نحو الابن ، فإنها عاطفة متدفقة لا يعوقها عقوق ، ولا يحد منها كفران ، وتدل الآية على أن فضل الأم أعظم ، (تراجع الفقرة السابعة من الصفحة ١٠٥ من تفسير الجزء العشرين ،

والفقرتين الثانية والثالثة من الصفحتين ٧٢ و ٧٣ من تفسير الجزء الحادى والعشرين) ، والولد البرّ إذا نضج عقله ، واستوى جسمه ، وتكامل فى سن الأربعين ، حين يكون له فى الغالب ذرية ، يذكره عطفه وحنوه عليها ، عطف والديه وحنوهما عليه ، فيسأل الله أن يلهمه الشكر على ما أنعم عليه من الهداية والتوفيق ، وعلى ما أنعم عليه من غرس عاطفة الحنان فى قلب أبويه ، حتى تحملا فى سبيله كل ما تحملا من المشاق ؛ ويسأله كذلك أن يوفقه إلى عمل صالح يرضى الله عنه ، ويثيبه عليه ؛ وأن يجعل من صُلْبِهِ ذرية صالحة تقر بها عينه ، كما أقر هو عين والديه ، ويجعلهم له خلف صدق ، كما كان هو لوالديه خلف صدق ، وهو إذ يسأل الله هذا ، يؤكد له أنه تائب من كل ذنب فرط منه ، كما يؤكد إخلاصه له ، وطاعته وتوحيده .

٢ - هؤلاء الذين يبرون آباءهم ، ويدعون الله لهم - هم الذين يقبل الله منهم الحسنات التى عملوها ، ويغفر لهم ما عسى أن يكون وقع منهم من سيئات تابوا عنها ، ويكونون فى الجنة مع من يتجاوز الله لهم عن سيئاتهم ، وهذا هو وعد الله الحق الذى وعدهم إياه فى الدنيا ، والله إذا وعد وفى .

٣ - وصّى الله الإنسان بوالديه ، ووعد من يبر والديه الجنة ؛ وهذا هو الفريق الصالح من الأبناء ؛ والفريق الثانى هو الذى يعقّبهما ، ولا يبرهما ، ولا يستمع لنصيحتهما ، ويظهر الألم والضجر مما يقدمان له من النصائح ، ويعجب من أنهما يدعوانه إلى الإيمان ، ويتوعدانه بسوء المصير إن لم يؤمن ، وينكرانه يبعث يوم القيامة ، ويحاسب على ما عمل فى الدنيا ، ويستشهد على ذلك بأن الأمم السابقة كثيرة ، قد تناولت فى القدم ، ولم يجر عليها

بعث ولا حساب ، يسمع منه والداه ذلك فيتحسران على ضلال ابنهما ، ويتألمان له ، ويلجأان إلى الله يدعوانه أن يهديه ، ويعيدان عليه الأمر بالإيمان ، ويؤكدان له أن وعد الله حق ، وأنه واقع من غير شك ، فلا يزيده ذلك إلا نفوراً واستكباراً ، ويقول لهما : إن هذا الذي تدعوانى إليه ليس إلا خرافات السابقين وصلت إليكم ، فأنتم بها ، ودعوتم إليها ؛ وليس المقصود هنا شخصاً معيناً ، وإنما المراد كل من كان موصوفاً بهذه الصفة ، بأن دعاه أبواه إلى الدين الحق ، فأباه وأنكره .

٤ - هذا الصنف العاق من الناس ، هو الذى وجب عليه عذاب الله فى جهنم يوم القيامة ، مع من سبقه من الأمم السابقة التى لم تهتد ، وكفرت بالله ، سواء أكانت هذه الأمم إنساً أم جنناً ، فإنهم قد ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وخسروا الجنة فى الآخرة .

٥ - للمؤمنين من الجن والإنس الجنة ، وهم عند الله درجات ، وللكافرين من الجن والإنس النار ، وهم عند الله درجات : كل بحسب عمله ، ينال جزاءه بمقداره : المسىء على قدر إساءته ، والمحسن على قدر إحسانه ، وإن زاد الله للمحسن جزاء إحسانه ، فهذا فضل منه ، ولكنه لا ينقص منه شيئاً .

٦ - فى الآخرة يقرب الكافرون من النار ، ويعرضون عليها ، فتتخلع قلوبهم ، فيقال لهم : أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ، واستفدتم فيها ألوان التمتع : حرامه وحلاله ، فلم تركوا للآخرة شيئاً ، وأفنيتم شبابكم فى المعاصى ، واستهلكتم قوتكم فيما يغضب الله ، ولأنكم لم تدخروا للآخرة شيئاً ، فإنكم تجزون بما فعلتم عذاباً فيه إذلال لكم ، وإهانة وتحقير ، وفيه خزي وفضيحة : فقد استكبرتم ولا حق لكم فى الاستكبار ، وتعاضتم على الله فلم تؤمنوا به ، وتعاليتم على عباد الله فاستحققتموهم : وعصيتم وتمردتم ، وخرجتم عن طاعة الله .

(٤)

من الآية ٢١ إلى الآية ٢٨ من سورة الأحقاف

وَإِذْ كُرِّهَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ، وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ : أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ -١- . قَالُوا : أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَنَا عَنْ
الْهِتِنَا ؟ فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ -٢- . قَالَ :
إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ، وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ -٣- . فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ، قَالُوا :
هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرُونَ ، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ، رِيحٌ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ -٤- . تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ، فَاصْبَحُوا لَا يُرَى
إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ -٥- . وَلَقَدْ
مَكَّنَّاهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا
وَأَفْئِدَةً ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ
مِنْ شَيْءٍ ، إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ -٦- . وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنْ
الْقُرَى ، وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ -٧- . فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ

الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ! ! بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ،
وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ ، وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ -٨-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
واذكر أخوا عاد	واذكر هوداً النبي المرسل إلى قبيلة عاد ، وهو أخوهم نسباً .
بالأحقاف	بديارهم التي كانوا يسكنونها ، وتسمى الأحقاف ، وهي بلاد واقعة جنوبي جزيرة العرب .
وقد خلت النذر	وقد مضت الرسل الذين يندرون أقوامهم .
من بين يديه	من قبله .
ومن خلفه	ومن بعده .
لأنفكنا عن آلهتنا	لتصرفنا عن آلهتنا ، وتمنعنا من عبادتها .
فأتنا بما تعدنا	فعجل لنا العذاب الذي تهددنا به .
إنما العلم عند الله	إنما الذي يعلم وقت نزول العذاب عليكم هو الله .
أراكم قوماً تجهلون	أراكم جاهلين لسبيين : الأول : استعجالكم العذاب ولست أملكه ؛ والثاني : عدم معرفتكم عمل الرسل .
فلما رأوه عارضاً مستقبلاً	فلما رأوا السحاب معرضاً الأفق ، متجهماً نحو أرضهم .
أوديتهم	هذا سحاب يمطر وادينا .
هذا عارض ممطرنا	

شرحها	الألفاظ
<p>{ بل هذا الذى ترونه ليس سبحانه كما ظننتم ، وإنما هو العذاب الذى استعجلتموه .</p>	<p>بل هو ما استعجالتهم به</p>
<p>{ تهلك بإذن الله كل ما تمر به من رجال ونساء ، وحيوان ومال وزروع .</p>	<p>{ تدمر كل شىء بأمر ربها</p>
<p>{ هلكوا جميعاً ، ولم يبق إلا أطلال ديارهم ، للعظة والاعتبار .</p>	<p>لا يرى إلا مساكنهم</p>
<p>{ يمثل هذا العقاب نعاقب الكافرين الذين لا يؤمنون .</p>	<p>{ كذلك نجزي القوم المحرمين</p>
<p>{ مكنا قوم هود فى الذى لم نمكنكم فى مثله ، فهم أكثر منكم ، وأشد قوة وآثاراً فى الأرض ، وإن هنا : نافية ، بمعنى ما .</p>	<p>{ مكناهم فيما إن مكناكم فيه</p>
<p>وخلقنا لهم وسائل الإدراك والمعرفة .</p>	<p>{ وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة</p>
<p>فما أفادهم ، وما دفع عنهم .</p>	<p>فما أغنى عنهم</p>
<p>إذ كانوا ينكرون آيات الله ويكفرون بها .</p>	<p>{ إذ كانوا يجحدون بآيات الله</p>
<p>{ وأحاط بهم عذاب الله بسبب استهزائهم بنبيه ، وعدم إيمانهم به .</p>	<p>{ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون</p>
<p>{ أهلكننا البلاد المجاورة لكم ، كقوم ثمود وقوم لوط ، بسبب تكذيبهم .</p>	<p>{ أهلكننا ما حولكم من القرى</p>
<p>وأقمنا عليهم الحجج ، ونوعناها .</p>	<p>وصرفنا الآيات</p>

الألفاظ	شرحها
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم	فهللا دفع عنهم العذاب آلهتهم التي عبدوها ، وظنوا أنهم يتقربون بعبادتها إلى الله وأنها تشفع لهم عنده . بل غابوا عنهم فلم ينصروهم .
وذلك إفكهم	وامتناع آلهتهم عن نصرتهم ، أثر كذبهم ، وثمره شركهم ، وانصرافهم عن الحق ، وافترائهم الكذب على الله .

قصة هود

سبق الحديث عن هود مع قومه عاد ، في أكثر من موضع من الأجزاء السابقة ، ولذلك نكتفي هنا بشرح النص .

مجمل المعنى

١ - واذكر يا محمد هوداً رسول قبيلة عاد ، وتأس بما جرى له مع قومه ، واذكر كذلك حديث قومه لمشركي مكة ، لعله أن يكون لهم فيه عبرة ، فإنه أرسل إلى قومه في بلادهم بالأحقاف ، ودعاهم إلى الإيمان بالله ، وإفراده دون غيره بالعبادة ، وحذرهم غضب الله عليهم ، وإنزال عقابه بهم ؛ واستمر يدعوهم إلى ما يدعو إليه الرسل الذين سبقوه ، والذين جاءوا من بعده ؛ وتقدير الآية : واذكر هوداً يا محمد ، إذ أنذر قومه : ألا تعبدوا إلا الله . . . إني أخاف عليكم عذابه في الآخرة ، وقد مضت الرسل قبل هود وبعده . وفعلوا كما فعل .

٢ - استعجب هؤلاء الناس من دعوة هود إياهم إلى الإيمان والتوحيد ، وقالوا له : أجتئنا لتصرفنا عن آلهتنا ، وتمنعنا من عبادتها ؟ إن كنت صادقاً فيما تتوعدنا به من العذاب ، فعجل لنا به .

٣ - قال هود لهم : ليس من شأنى أن أقترح على الله ، أو أن أستعجله ، فهو وحده الذى يعرف الوقت الذى يعذبكم فيه ، وعملى أنا - باعتبارى رسولا - لا يتجاوز أن أبلغكم الرسالة التى أمرنى الله أن أبلغها ، فاستعجالكم العذاب ليس إلا جهلا منكم .

٤ - أصيب هؤلاء القوم بقحط بعض الوقت ، لانقطاع المطر عنهم ، ثم رأوا سحاباً يعترض الأفق مقبلاً عليهم ، وفرحوا ، وظنوا أن هذا سحاب ممطر سيجيئهم بالماء ، ويطغى غلتهم ، ويُروى زرعهم ، ولكن الله خيب ظنهم ، فإن هذا الذى رأوه سحاباً ليس إلا ريحاً تحمل العذاب الأليم الذى استعجلوه .

٥ - هبت هذه الريح عليهم فأهلكتهم ، ولم تترك شيئاً سليماً : لا إنساناً ولا حيواناً ولا نباتاً؛ وقد قيل : إن هذه الريح كانت تحمل الرجال والمواشى كما تحمل الريشة ، فتطير بين السماء والأرض ؛ والذين اعتصموا بيوتهم ، وأغلقوا عليهم الأبواب ، اقتلعت الريح هذه الأبواب ، وهالت الرمال عليهم حتى ردمتهم ، ولم يسلم من هذا العذاب إلا هود ومن آمن به ، وإلا أطلال بيوتهم ، لتكون عبرة لمن بعدهم ؛ وهكذا يعذب الله الكافرين الذين لا يؤمنون به .

٦ - يؤكد الله لقريش أنه مكن لقوم هود فى الأرض أكثر مما مكن لهم ، من حيث القوة الجسمية ، ومن حيث العلم والمعرفة ، ومع ذلك فإن الله

حينما أراد أن يعذبهم ، لم يفدهم ذلك كله شيئاً ، فكفرهم بالله وآياته ، كان سبباً في أن عذابه نزل بهم ، وأحاط بهم ما سخروا منه ، وذاقوا وبال أمرهم ؛ ودلالة « إن » هنا على النفي أظهر ، ليناسب قوله تعالى في سورة فاطر : « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ، وكانوا أشد منهم قوة » ، (راجع الصفحة ١٣٠ من تفسير الجزء الثاني والعشرين) .

٧ - ولم يضرب الله لمشركي قريش المثل بقبيلة عاد فقط ، بل وجه نظرهم إلى البلاد التي حولهم ، القرية منهم ، كحجر ثمود ، وقري لوط ؛ وذكرهم أخبار أهلها ، مع أنهم كانوا يعرفونها ، وكانوا يمرون على هذه الديار في رحلاتهم التجارية وغيرها ، ومع ذلك لم يتعضوا بما جرى لأهلها ، ولم ينتفعوا ويتأثروا بالآيات الكثيرة التي وردت في القرآن العظيم ، وبما فيها من وعد ووعيد ، وإغراء وتهديد ، وقصص وأمثال ، وغير ذلك ؛ ولو أنهم وطّئوا أنفسهم على التأمل فيها ، لكان هناك رجاء في إقلاعهم عن غيهم ، وخرجهم من كفرهم إلى الإيمان بالله ، وتوحيده .

٨ - وهذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله ، ويزعمون أن عبادتهم لها تقربهم إليه ، هلا تنصرهم ، وتأخذ بيدهم ، وتشفع لهم ، وتنجيهم من العذاب الأليم ! لن يكون هذا ، فإنهم ضلوا عنهم ، وعجزوا عن نصرهم ، لأنها جمادات لا تفقه شيئاً مما حدث لعبديها . والعذاب الذي يقعون فيه جلبه عليهم ما زعموه أن عبادة الأصنام تقربهم إلى الله ، وكذبهم ، وافترائهم ، وادعائهم أن لله شريكاً .

(٥)

من الآية ٢٩ من سورة الأحقاف إلى آخر السورة

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوا : أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ -١- .
قَالُوا : يَا قَوْمَنَا ، إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ، مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ -٢- .
يَا قَوْمَنَا ، أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ
ذُنُوبِكُمْ ، وَيُجْرِمَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ -٣- . وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ
اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ،
أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ -٤- . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ خَلْقُهُمْ ، بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ
الْمَوْتَى ؟ بَلَى ! إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ -٥- . وَيَوْمَ يُعْرَضُ
الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ، أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا : بَلَى
وَرَبَّنَا ! قَالَ : فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ -٦- .
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ،

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ،
بَلَاغٌ ، فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ؟ -٧-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى	واذكر إذ وجهنا إليك ، وأملنا نحوك . جماعة من الجن ، والنفر : دون العشرة . فلما حضروا قراءة القرآن ، قال بعضهم لبعض : اسكتوا ، ليتمكنوا من السماع . فلما فرغ النبي من القراءة .
ولمّا إلى قومهم منذرين كتاباً لما بين يديه إلى الحق أجيبوا داعي الله وُيُحْرَمُ من عذاب أليم فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أو لم يروا	انصرفوا عائدين إلى أهلهم من الجن ، يحذرونهم أن يخالفوا القرآن ، ويدعونهم إلى الإيمان بمحمد . هو القرآن . لما قبله من الكتب . إلى دين الحق ، وإلى الله . أجيبوا محمداً . ويحفظكم من عذاب شديد . فليس بمفلس من عذاب الله . وليس له من غير الله نصراء يحمونه من ذلك العذاب . الذين لا يؤمنون في ضلال واضح . أو لم يعلموا ؟

الألفاظ	شرحها
ولم يعي بخلقهن	ولم يعجز عن خلقهن .
بلى	جواب يفيد تقرير القدرة على البعث .
بما كنتم تكفرون	بسبب كفركم .
أولو العزم من الرسل	{ ذوو الحزم والصبر والثبات والجد ، والمراد : اصبر كما صبر من قبلك من الرسل ذوى العزم .
ولا تستعجل لهم	{ ولا تستعجل العذاب لهم : ولا تدع عليهم بسرعة وقوعه .
لم يلبثوا إلا ساعة من نهار	لم يقيموا في الدنيا إلا وقتاً قصيراً ، كأنه بعض يوم .
بلاغ	هذا القرآن بلاغ ، وفيه ما يكفي لموعظة من يتعظ .

مجمل المعنى

١ - إن مشركى قريش قوم ملاءم الكبر والغرور ، فلم يعرفوا قدر رسالتك ، وأنت رسول الله إلى الناس كافة ؛ وقد استمع جماعة من الجن إليك ، وهياناهم للاستماع وأنت تتلو القرآن - وكانوا تسعة - فاستعجبوا لما سمعوا ، وأمر بعضهم بعضاً أن ينصتوا ، فلما انتهى النبي - صلى الله عليه وسلم - من التلاوة ، تأثروا بما سمعوا ، وعرفوا أن محمداً نبي ، فأمنوا به ، وعادوا إلى قومهم ، ووقفهم على ما سمعوا ، وعلى ما آمنوا ، ودعواهم إلى الإيمان ، وحذروهم وأندروهم ؛ ونظير هذا ما جاء في الصفحة ٨٠ من تفسير جزء « تبارك » ، لواضعى هذا التفسير .

٢ - قالوا لقومهم : يا قومنا . إنا سمعنا كتاباً ، هذا الكتاب أنزل بعد توراة

موسى ، — ولعلمهم كانوا يهوداً ، أو لم يسمعوا بعيسى — وهذا الكتاب فيه مثل ما فى الكتب المنزلة التى سبقته ، من حيث الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، ومن حيث ما فيه من المبادئ التى تكفل للخلق سعادة الدنيا والآخرة ، فهو يهدى إلى الله ، ويهدى إلى الدين القويم .

٣ — لذلك ندعوكم إلى الإيمان بهذا النبى الذى يدعو إلى الله ، يغفر لكم الله ذنوبكم ، ويحفظكم من عذاب أليم موجه ، تذوقونه إذا لم تؤمنوا .

٤ — ثم قال الجنى : والذى لا يستجيب للداعى الإيمان ولا يؤمن به ، فإنه لا يجد له من العذاب مهرباً ، ولا يستطيع أن يُفلت من عذاب الله ، ولا يجد أحداً ينصره ، ويأخذ بيده ، ويدفع عنه العذاب ، فلا هو ناج بنفسه ، ولا هو ناج بغيره ؛ والذين يمتنعون عن الإيمان ، ولا يجيبون الداعى إلى سواء السبيل ، هم فى ضلال بيّن واضح ، لأنهم أعرضوا عن الاستجابة لمن يدعو إلى الحق .

٥ — هؤلاء الذين ينصرفون عن الإيمان ، لو أنهم فكروا قليلا ، لعرفوا أن الذى قدر على خلق السموات والأرض ، ولم يعجزه أن ينشئن إنشاء ، وأن يتدعهن على غير مثال — لعرفوا أنه لا يعجز عن إحياء الموتى يوم القيامة ؛ ومفهوم العقل أن الإنشاء من غير شىء أعسر وأشق من إحياء شىء موجود ، فهو قادر على كل شىء ؛ إنشاء أو إعادة ، وتغييراً أو تبديلاً ، ونحو ذلك .

٦ — وحين يقرب الكافرون الذين ماتوا على كفرهم من نار جهنم ، ويرون أنفسهم فى حافاتها ، يقال لهم على سبيل التبكيت والسخرية : أليس هذا هو العذاب الذى كنتم تخوفونه فى الدنيا فتسخرؤا منه؟ فيجيبون إذ ذاك ، مقررين أنه هو ، ويؤكدون كلامهم بالقسم بالله الذى كانوا ينكرونه فى الدنيا ، فيقال لهم فى شماتة : ذوقوا الآن عذاب النار بسبب كفركم وإنكاركم .

٧ — يقول الله تعالى لنبية محمد — صلى الله عليه وسلم — : اصبر كما صبر من سبقك من الأنبياء ذوى الثبات والحزم ، والجهد والصبر ؛ فنوح صبر على أذى قومه الذين كانوا يضربونه حتى يُغشى عليه ، وإبراهيم صبر على النار وذبح ولده ، ويعقوب صبر على فقد ولده يوسف وذهاب بصره ، وأيوب صبر على ما مسه من الضر ، ولا تجزع فى مواطن الشدة والكرب ، فكل غمة إلى زوال ، وكل كرب إلى فرج ، ولا تستعجل لقومك العذاب ، فهو لا بد آتيتهم ، وأقصى أجله معهم يوم القيامة ؛ وحينما يقع عليهم العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة ، يخيل إليهم أنهم لم يعيشوا فى نعيم ورخاء إلا وقتاً قصيراً ، كأنه جزء من نهار ، وذلك لأن أوقات السرور والرخاء تمر مهما طالت وكأنها لحظات ، وأن أى نوع من أنواع الشدة يُنسى كل ما كان فيه المرء من نعيم أيام الرخاء ، وقد قالوا : إن وخزة شوكة واحدة ، تُنسى رائحة مائة وردة نَشَمَها ؛ فما بالك بعذاب من عند الله ؟ ! وأيضاً كان أمر هؤلاء الكافرين فقد بلغت ، وقد أسمعتهم القرآن ، فيما أن يتعظوا ، وإما أن يبقوا على عصيانهم فسوقهم فيهلكوا .

سورة محمد

نزلت بالمدينة ، ماعدا الآية ١٣ فإنها نزلت في الطريق في أثناء الهجرة
وآياتها ٣٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ - ١ - .
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ - وَهُوَ
أَحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ - كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ - ٢ - .
ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ، وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا
أَحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ - ٣ - .
فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ، حَتَّى إِذَا أَخِثَّتْهُمْ
فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ ، فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ، حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ، ذَلِكَ ، وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَصَّرَ مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ، وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ

أَعْمَالَهُمْ ، سَيِّئَاتِهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْفِهِمْ ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وصدوا عن سبيل الله	وأعرضوا عن الإسلام ، وصرفوا غيرهم عن الدخول فيه .
أضل أعمالهم	أبطل رسوله كيدهم ومكرهم ، ولم يقبل صالح أعمالهم .
بما نزل على محمد .	بالقرآن الذي جاء به محمد .
وهو الحق من ربهم .	وهو الحق الصادر من ربهم .
كفر عنهم سيئاتهم	ستر ذنوبهم بصالح أعمالهم ، وغفر لهم .
وأصلح بالهم	وأصلح حالهم وأمورهم في دنياهم ودينهم .
ذلك بأن . . .	الإضلال والهدى بسبب أن . . .
الباطل	الشیطان الذي دعاهم إلى الكفر والضلال .
الحق	القرآن الذي دعاهم إلى التوحيد والإيمان .
كذلك يضرب الله للناس أمثالهم	مثل الذي ذكر ، يبين الله للناس أحوال الفريقين ، فيضرب الأمثال ، لأن ذلك أبلغ في التأثير والاعتبار .
فضرب الرقاب	فاقتلوهم ، وعبر عن القتل بضرب الرقاب ، لأن القتل يكثر بحز العنق ، ولأن في هذا التعبير غلظة وشدة .

الألفاظ	شرحها
أثخنتموهم	أكثرتم فيهم القتل .
فشدُّوا الوثاق	فأسروهم وشدوا وثاقهم ، حتى لا يُفلتوا منكم ؛ والوثاق : ما يوثق به الأسير .
فإما منَّا بعدُ وإما فداء	فإمَّا أن تمنوا عليهم بعد الأسر بالإطلاق ، وإمَّا أن تقبلوا منهم الفدية .
حتى تضع الحرب أوزارها	حتى تنتهى الحرب ؛ والأوزار : الأحمال ، والآلات التي لا تقوم الحرب إلا بها .
لانتصر منهم	لانتقم منهم ، وأهلكهم بدون قتال .
ليبلو بعضكم ببعض	ليختبر المؤمنين بالكافرين ، فيعلم المجاهدين والصابرين ، ويمتحن الكافرين بالمؤمنين ، فيمحق الكافرين .
عرّفها لهم	يعرف كل منهم مرتبته ومقامه ومكانه من غير دليل يدلّه عليه ، ويجدون الجنة كما عرفوها في الدنيا موصوفة في القرآن .

المطعمون بيذر

خرجت قريش لاستخلاص تجارتهم من المسلمين ، بعد أن علموا أن
محمدًا يعترض طريقها ، وكانوا ينحرون الجزر ، وكان يتبرع بالإبل
لنحرها نفر من قريش ، ثم من بنى هاشم ، منهم : أبو جهل ، وأمّية بن
خَلَف ، وشَيْبَة بن ربيعة ، وعُتْبَة بن ربيعة ؛ وكانوا كلما حطوا في مكان
نحر لهم واحد من جزائره عشرًا أو تسعًا ، وأطعمهم ، ولذلك سمي الذين

نحروا إبلهم للذين خرجوا من قريش : « المطعمين » ، ولما شغلهم الحرب أكلوا من أزوادهم ، ثم تطورت الأحداث التي انتهت بوقعة بدر ، على نحو ما مرّ في الأجزاء السابقة ، ونزل في هؤلاء المطعمين قوله تعالى : « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم » .

مجل المعنى

١ - الكفار الذين يعرضون عن دين الله ، ويعملون على صرف غيرهم عن الإيمان به ، ويحاولون أن يفتنوا من آمنوا - لا يتنجحون في محاولاتهم ، ويبطل الله كيدهم للإسلام والمسلمين ، ولا يقبل عملهم ولو كان صالحاً .

٢ - أما الذين يؤمنون بمحمد ، وبما أنزل عليه من قرآن وتشريع وتوحيد - وهو الحق المنزل من عند ربهم - فإن الله يقبل منهم إيمانهم ، ويغفر لهم ما سبق من سيئاتهم ، ويصلح حالهم وأمورهم في الدنيا .

٣ - سبب إضلال أعمال الكافرين . وتكفير سيئات المؤمنين وإصلاح باهم ، هو أن الكافرين اتبعوا الشيطان وأطاعوه ، فكفروا وضلوا ، وأن المؤمنين اتبعوا القرآن ، ودعوة محمد ، فآمنوا بالله ووجدوه ، وهكذا يبين الله الأمثال للناس بأحوال الفريقين ، ويوضح لهم الأمور بقياسها على أشباهها . والموازنة بين سيئاتها وحسناتها ، والتمييز بين الكافر الذي اتبع الباطل ، والمؤمن الذي اتبع الحق ، فيثوب الأولون بالخيبة والخسران ، ويفوز الآخرون بالفلاح والنجاح .

٤ - يأمر الله المسلمين أنهم عند ما يلتقى جيشهم وجيش الكافرين ، لا يترددون في أنهم يهجمون على أعدائهم ويقتلونهم ، حتى إذا أكثروا فيهم القتل وهزموهم ، وانتهت الحرب ، وأسروا منهم ، جاءوا بالأسرى ، وأوثقوا كتافهم

وشددوا في التحفظ عليهم ومراقبتهم ، حتى لا يفلتوا منهم ، وبعد ذلك للمسلمين الخيار بالنسبة للأسرى : فإما أن يمنوا عليهم بالإطلاق بتبادل الأسرى ، وإما أن يُفادوهم ؛ وفي بعض الحالات يكون القتل أو الاسترقاق ، بحسب ما يرى المسلمون أن فيه صلاحهم وصلاح دينهم ، فقد قتل النبي صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبي مُعيط والنضرة بن الحارث صبراً يوم بدر وفادى سائر الأسرى بعد هذين يوم بدر ، ومنَّ على سبي هوازن ؛ وإذا لم يقتل ولم يُطلق ولم يُفد . فهو الاسترقاق ؛ هذا هو الذي أراد الله ، ولو أنه أراد أن ينتقم من الكافرين بإهلاكهم من غير قتال لفعل ، ولكن حكمته السامية ، تقتضى أن يختبر بعض الناس ببعض ، ويتلى بعضهم ببعض ؛ فالمؤمنون يُبتلون بالكافرين ، ليعلم الله المجاهدين منهم والصابرين ، والكافرون يُبتلون بالمؤمنين ، لحقهم وإذلالهم ؛ والذين يُستشهدون في سبيل الله من المؤمنين - كمن قتلوا يوم أحد - يغفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم ، ولا يُضيع عملهم في الجهاد ، ويهديهم الله إلى الجنة ، ويرفع درجاتهم فيها ، وحين يدخلونها يهتدون إلى أماكنهم ، بحيث يعرف كل واحد منزله ويهتدى إليه ، ويرون الجنة مطابقة لما عرفوا من وصفها في الدنيا ؛ أو عرفها : طيبها من العرف ، وهو طيب الرائحة .

(٢)

من الآية ٧ إلى الآية ١٤ من سورة محمد

يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ -١- . وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ، وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ،
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ -٢- .
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَاللَّكَافِرِينَ أَمْثَالَهَا ، ذَلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ -٣- .
إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
الْأَنْعَامُ ، وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ -٤- . وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ
قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ ، فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ -٥- .
أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ، وَاتَّبَعُوا
أَهْوَاءَهُمْ ؟ -٦- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إن تنصروا الله ينصركم	إن تنصروا دين الله ينصركم الله على الكافرين .
ويثبت أقدامكم	ويثبت قلوبكم على الإيمان والخير ، في السلم والحرب ، وعند القتال .
فتعسأ لهم	فشقاء لهم وخيبة .
وأضل أعمالهم	وأبطل أعمالهم : بأن يكون شرها يقع عليهم . وخيرها لا ينفعهم .
كرهوا ما أنزل الله	كرهوا ما أنزل الله على نبيه من القرآن .
فأحبط أعمالهم	فلا يجدون لما يؤدون من صالحات أثراً ولا نفعاً لهم .
دمر الله عليهم	أهلكهم واستأصلهم .
وللكافرين أمثالها	وللكافرين من مشركى قريش أمثال ما حدث للسابقين من التدمير المستأصل .
دولى الذين آمنوا	كافل الذين آمنوا وناصرهم .
يتمتعون	يتمتعون فى الدنيا تمتع الحيوانات .
والنار مشوى لهم	والنار مستقر لهم ، ومقام يوم القيامة .
وكأين من قرية	وكثير من القرى .
التي أخرجتك	التي أخرجك أهلها منها ، وهى مكة .
على بينة من ربه	على ثبات ويقين وتأيد .
كمن زين له سوء عمله	كالذى يرى عمله التبييح حسناً .
واتبعوا أهواءهم	واتبعوا ما سؤل لهم شيطانهم ، ومالت إليه نفوسهم .

مجمل المعنى

١ - يخبر الله الذين آمنوا بالله ورسوله ، أنهم إن عملوا على نصره دين الله : بالجهاد في سبيله ، وبنشره بالدعوة إليه ، وبتحمل الأذى من أجله ، وبعدم المبالاة بأعدائه ، يؤيدهم الله بالنصر والتوفيق ، وتثبيت قلوبهم على الإيمان والخير في السلم والحرب ، ثم بحسن الجزاء في الآخرة .

٢ - والكافرون الذين لا يستجيبون للرسول ، ولا يؤمنون به . متقضي عليهم بالحياة والفشل ، وسوء الحال ، وقبح المآل ، وبأن أعمالهم التي يعملونها إن تكن شراً فشرها واقع عليهم ، ولاحق بهم ، وإن تكن خيراً فإنها لا تنفعهم ، فلا ثواب لكافر يبنى مسجداً أو مستشفى أو مدرسة ، ولا فائدة له من صدقته إن تصدق ، وهكذا كل عمل صالح يؤديه لا ثواب له عليه عند الله ، لأن الكفر يمحى كل حسنة ، ويبطل كل عمل ، « وقد مننا إلى ما عملوا من عمل ، فجعلناه هباء منثوراً » (ص ٣ ج ١٩) .

٣ - وكان عليهم أن يعتبروا حين يسرون في الأرض ، ويرتحلون ، ويمرون ببلاد من سبقوهم ، ويتقنون على آثار ديارهم ، وما أصابهم من عذاب بسبب كفرهم ، فإن الله أهلكتهم ، واستأصلهم ؛ وهؤلاء إذا أصروا على كفرهم ولم يؤمنوا ، فإن لهم مثل ما لأمثالهم من السابقين من العذاب والاستئصال ، وذلك لأن الله ينصر المؤمنين ، ويأخذ بيدهم ؛ أما الكافرون فإنهم لا ينصرهم أحد ، ولا يخلصهم من عقاب الله ، وآلهم التي عبدوها لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضرراً .

الله أعلى وأجل

تحاجز جيش المسلمين وجيش الكافرين بعد وقعة أحد ، وأراد أبو سفيان الانصراف ؛ ولكنه قبل أن ينصرف أقبل على فرس ، حتى أشرف على المسلمين في عرض الجبل وهم في الشعب ، فنادى بأعلى صوته : أفي القوم محمد ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجيبوه » ، حتى قالها ثلاثاً ؛ ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة - ثلاثاً - ؟ فقال رسول الله : « لا تجيبوه » ، ثم قال : أفي القوم عمر - ثلاثاً ؟ - فقال الرسول : « لا تجيبوه » ؛ فقال أبو سفيان : أما هؤلاء فقد قتلوا ؛ فلم يملك عمر أن قال : كذبت ياعدو الله ، أبقى الله لك من يُخزيك بهم ، وإن من زعمتهم من قَتلاك يسمعون كلامك ؛ فقال أبو سفيان : « أعلُّ هُبَلٌ ؛ فقال رسول الله : « أجيبوه » ؛ قالوا : ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجل » ؛ فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عُزَى لكم ؛ فقال رسول الله : « أجيبوه » ، قالوا : ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : « الله مولانا ولا مولى لكم » ؛ قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، أما إنكم ستجدون في القوم مُثلة لم أمر بها ولم تُسَوِّف ، والأيام دُول ؛ فقال عمر : لا سِوَاء : قتلانا في الجنة أحياء ، عند ربهم يرزقون ، وقتلاكم في النار يعذبون .

٤ - يؤكد الله - سبحانه وتعالى ، أن الذين يؤمنون به ، ويوحّدونه ، ويؤدّون الأعمال الصالحة على وجهها الصحيح ، يبتغون بها وجه الله ، بلا رياء ولا ابتغاء شهرة - هؤلاء يدخلهم الله جنات يتمتعون فيها بأرقى أنواع

الترف ، وأجمل ألوان النعيم : ماء وظل وأنهار وأشجار ! أما الكافرون فيتمتعون في الدنيا كما تتمتع الأنعام ، غافلين عن عواقبهم ، ولا هم لهم إلا إشباع بطونهم ، ومتاع الدنيا إلى زوال ، ومهما طال فأجله قصير ، ينتهى بانتها الأعمار ، ولا يساوى ما يتمتعون به شيئاً بجانب نعيم الآخرة ، من حيث إن نعيم الآخرة خالد . ومن حيث إن المتعة به أرقى أنواع المتع ، والكافرون الذين آثروا نعيم الدنيا نهايتهم إلى النار التي يخلدون فيها .

حب الوطن من الإيمان

- ٥ -

خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة مهاجراً ، وكان عزيزاً عليه أن يترك وطنه الذي نشأ فيه : فلما بلغ الغار، نظر إلى مكة وقال : اللهم أنت أحب البلاد إلى الله ، وأنت أحب البلاد إلىّ ، ولولا المشركون أهلك أخرجوني لما خرجت منك . فنزل قوله تعالى : « وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك .. » إلى آخر الآية . والمعنى : أن كثيراً من المدن كان أهلها أشد قوة من أهل مكة الذين ضايقوك وآذوك ، وألحثوك إلى الخروج منها لتمام رسالتك ، عذبهم الله وأهلكهم : فلم ينصرهم منه ناصر ، ولم يدفع عنهم العذاب دافع ، فلا تحزن لخروجك ، ولا تأمن على عدم إيمانهم : وفي هذا إشارة إلى أن الله سيستقم لهم منهم .

٦ - والفرق بينك وبين أهل مكة كبير . فإنك نبي تبشرهم وتنذرهم . وتقيم لهم الحجج قوية واضحة على صدق ما تدعو إليه ، أما هم فهم مشركون ، زين لهم الشيطان شركهم . وأغراهم بمعاداتك . واتبعوا أهواء أنفسهم ، ولم يرجعوا إلى عقولهم . ولم يفكروا في مصيرهم . فأنتما فريقان لا يستويان : ففريق في الجنة . وفريق في السعير .

(٣)

من الآية ١٥ إلى الآية ١٩ من سورة محمد

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ
آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ
لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَسُقُوا
مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ -١- . وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ،
حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ، قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : مَاذَا قَالَ
آدَمُ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ،
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ، وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ -٢- . فَهَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ، فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ،
فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ؟ -٣- . فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ
وَمَثْوَاكُمْ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
غير آسن	غير متغير طعماً ولا لوناً ولا رائحة .
لم يتغير طعمه	لم يجر عليه ما يجرى على لبن الدنيا ، فلم يخر : (يَرُبُّ) فيصير غليظاً ، ولم يحمّض بطول المكث .
من غسل مُصَفَّى	من غسل لم يكدر بأى شائبة مهما صغرت ، كفضلات النحل .
كمن هو خالد في النار	أفمن يخلد في هذا النعيم ، كمن هو خالد في النار ؟
ماء حميا	ماء حارّاً ، متناهي الشدة في الحرارة .
ومنهم	ومن المنافقين .
للذين أوتوا العلم	للذين وَعَوْا حديثك .
ماذا قال آنفاً ؟	ماذا قال الساعة ؟
طبع الله على قلوبهم	ختم الله على قلوبهم ، فلم ينتفعوا بما سمعوا .
واتبعوا أهواءهم	واتبعوا ما دعتهم إليه نفوسهم وشياطينهم .
زادهم هدى	زادهم الله هداية وتوفيقاً .
وآتاهم تقواهم	بيّن لهم سبيل التقوى ، ويسر لهم أسبابها ، فاتقوا ، فأثابهم عليها .
ينظرون	ينتظرون .
بغته	فجأة .
أشراطها .	علاماتها وأماراتها . مفردتها : شرّط ، وهو العلامة .

الألفاظ	شرحها
فأنتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم	} فن أين لهم التذكر والاعتبار والاعتناظ ، إذا فجأتهم الساعة ؟ والله يعلم تصرفاتكم في حياتكم ، ومستقركم بعد وفاتكم .

محمل المعنى

١ - أعلى ما يتصوره الإنسان لنفسه من نعيم ، أن يتوافر له ألوان الترف في مأكله ومشربه ومسكنه ، فيكون له منزل أنيق في وسط الحدائق ذات الأشجار المختلفة ، تجرى بينها المياه رقراقة سلسلة ؛ وأن يتوافر له من طعامه أنواع الفواكه كلها ، وأن يتوافر له من شرابه ماء صاف ، ولبن طيب ، وعسل رائق ؛ إذا توافر للإنسان هذا كله في حياته الدنيا ، عدّ نفسه سعيداً ؛ فما بالك إذا كان المنزل تجرى أنهار الماء من تحته ، وإذا كان اللبن الطيب يجرى عنده أنهاراً ، وإذا كانت الحمر اللذيذة التي لا تسكر تجرى عنده أنهاراً ، وإذا كان العسل المصنفي يجرى عنده أنهاراً ، وإذا كانت جميع الثمرات في متناول يده ؟!!!! إنها السعادة التي يتخيلها الإنسان مثلاً أعلى للسعادة ، إنها السعادة التي صورها الله للإنسان في الجنة في أسنى صورة يسمو إليها شعوره ، ويمكن أن يدركها حسه ؛ أما حقيقة السعادة في الجنة ، ووسيلة التمتع فيها ، فهي عند الله ، وحسب الإنسان سعادةً في الآخرة ، أن تهياً له ألوان من الترف والنعيم فوق ما يتصوره إدراكه ، مصحوبة بمغفرة من الله ورضوان ، وأى بؤس شاسع بين دسّن هذه حالته .

وبين حالة الخلد في النار ، الذي لا يجد ما يطعمه ، ولا يجد ما يشربه
إلا ماء حاراً ، متناهياً في الحرارة ، يشربه فتتمزق به أمعاؤه ؟ !

٢ - يحضر في مجلسك أيها الرسول صنفان من الناس : صنف يسمع منك ،
 ويفهم ويعى ، وهم أصحابك ، والمؤمنون إيماناً صحيحاً ، وصنف يسمع
ولا يفهم ولا يعى ، وهم المنافقون ؛ فإذا انصرفوا جميعاً من مجلسك ، سأل
المنافقون أولى العلم من أصحاب محمد ، على سبيل الاستهزاء : ماذا كان
يقول محمد الآن في مجلسه ؟ ! لأنهم لم يلقوا إليه بالا ، ولم يهتموا بما سمعوا ؛
وهؤلاء المنافقون قلوبهم مغلقة ، فلم يتأثروا بما قاله النبي ، ولم يكن إيمانهم
صحيحاً ، ولم يتبعوا إلا أهواءهم ، وما سولته لهم نفوسهم ، وما قادهم إليه
شيطانهم ؛ أما الذين آمنوا بمحمد ، فإنهم يستمعون ويفقهون ، فيزدادون
هدى على هداهم ، ويقوى يقينهم بالله ، فيعلمون ويعملون ، ويحشون الله
ويتقونه ، فيجزئهم الله أحسن الجزاء على تقواهم .

٣ - والكفار والمنافقون لا ينتظرون إلا أن تفاجئهم القيامة ؛ على أنهم إذا كانوا
لا يؤمنون إلا عند قيام الساعة ، فقد ظهرت علاماتها ، وهى بعث محمد
الذى تدل الكتب السماوية على أنه خاتم الأنبياء ، فكان ينبغى أن يؤمنوا ،
إذ لا مجال للهداية من بعد قيام الساعة . ولن تنفعهم الذكرى ، أو يفيدهم
الاعتاظ والاعتبار بعد قيام الساعة ؛ وكيف ينفعهم الإيمان وقد فات
حينه ، وانقضى إبانته ؟ وفي هذا إشعار بخطئهم ، وفساد رأيهم بتأخير
التذكر ، واستحالة نفع التذكر حينئذ ، ونظير هذا قوله تعالى : « أنى
لهم الذكرى وقد جاءهم رسول كريم ؟ (تراجع الفقرة الثالثة من الصفحة ٩٤
من تفسير الجزء الخامس والعشرين) .

٤ — يأمر الله محمداً أن يثبت على ما هو عليه من الإيمان الذي يقتضى التوحيد بالله ، والاستغفار مما قد يفرط منه من الذنب ، والله وحده هو الذى يعلم تصرفات الناس فى الحياة ، وتقلباتهم فى معاشهم ، وما يلحقهم من خير وشر ، ويسر وعسر ! ويعلم كذلك مستقرهم فى آخرتهم : جنة أو ناراً ؛ ومن كان هذا شأنه ، فهو حقيق بأن يوحد ويُسْتَغْفِر .

(٤)

من الآية ٢٠ إلى الآية ٣١ من سورة محمد

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا : لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ! فَإِذَا أُنزِلَتْ
سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ، رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَأُولَئِ
لَهُمْ ، طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ، فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ، فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ -١- . فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ -٢- . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ،
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ -٣- . أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ
عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ -٤- . إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ، الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ
لَهُمْ -٥- . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ :
سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ -٦- .
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ؟
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ، فَأَحْبَطَ

أَعْمَالَهُمْ -٧- . أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ؟ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ ، فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ؛ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ -٨- .
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ، وَنَبْلُوَنَّكُمْ
أَخْبَارَكُمْ -٩- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لولا نزلت سورة سورة محكمة وذكر فيها القتال في قلوبهم مرض نظر المغشى عليه من الموت	هلا نزلت على محمد سورة فيها ذكر الجهاد! سورة ليس بها متشابه يقبل تأويلاً . وفرض فيها الجهاد . في قلوبهم نفاق . نظراً فيه تحديق ، كتحديق من تصيبه غشية الموت . أسلوب يستعمل للتهديد والوعيد ، والمراد : أنهم قاربوا أن ينزل بهم ما يهلكهم ويتلفهم . طاعة مخلصنة وقول معروف أليق بهم ، وأفضل لهم ، وكانوا يصطنعونها قبل آيات الجهاد .
فأولى لهم طاعة وقول معروف	فإذا جد الجد في الحرب . فلو ثبتوا على نية الصدق . لكان صدقهم خيراً لهم من المخالفة . فلعلكم إن أعرضتم عن الإسلام وأحكامه ،
فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم فهل عسيتم إن توليتم	

الآفاظ	شرحها
وتقطعوا أرحامكم	وتعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية ، من التنابد وقطع الرحم .
لعنهم الله	طردهم الله من رحمته .
فأصمهم وأعمى أبصارهم	فصرفهم عن الحق ، فكأنهم لم يسمعوا ولم يروا .
أفلا يتدبرون القرآن	أفلا يتفهمون القرآن ، ويتدبرون معانيه ، ويقفون على مرامييه ؟
أم على قلوب أقفالها	بل قلوبهم مغلقة فلا تفهمه ، كأن عليها أقفالا تحول دون وصول القرآن إليها .
ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى	ارتدوا عن الإسلام بعد ما ثبت لهم بالدليل القاطع أنه الحق .
الشیطان سول لهم	الشیطان زين لهم خطاياهم .
وأملی لهم	ومد لهم في الآماني الكاذبة ، والآمال الزائفة .
بأنهم	بأن المنافقين .
قالوا للذین کرهوا ما نزل الله	قالوا للمشركين واليهود .
فی بعض الأمر	فی مخالفة محمد باطنا ، مع موافقته ظاهراً ، وفي الإعانة على معاداته ، وفي القعود عن الجهاد معه ، والفت في عضد أتباعه .
فكيف إذا توفتهم الملائكة	فكيف يكون حالهم عند ما يجيئهم الموت .
ما أسخط الله	ما أغضب الله عليهم .
وكرهوا رضوانه	وكرهوا ما يجلب رضاه فلم يعملوه ، وهو الإيمان .
فأحبط أعمالهم	فأبطل أثر كل عمل صالح عملوه ، لأنه لا فائدة فيه من غير إيمان .

الألفاظ	شرحها
في قلوبهم مرض أضعفانهم لأرينا كهم بسيماهم في لحن القول ولنبلونكم ونبلو أخباركم	في قلوبهم شك ونفاق . أحقادهم ، وما تحمله قلوبهم من بغض وكره وحسد . لعرفناك إياهم ، ودللناك عليهم . بعلاماتهم التي تميزهم . في معنى الكلام وأسلوبه . ولنختبرنكم بالقتال والجهاد . ونقف على أسراركم .

مجل المعنى

١ - المؤمنون بالله ورسوله يقولون : هلا نزلت سورة من عند الله يأمرنا فيها بالجهاد ، لنقاتل أعدائنا من الكفار ! فإذا أنزلت سورة صريحة في الأمر بالجهاد لا تقبل تأويلاً ، انخلعت قلوب المنافقين ، لأن القتال هو المحك الذي يكشف عن نفاقهم ، فإما أن يقاتلوا ويعرضوا أنفسهم للموت ، وإما أن يتخلفوا وينكشف أمرهم ، ولذلك تراهم حين نزول هذه الآيات الآمرة بالقتال ، ينظرون إلى محمد نظراً كله جبن وهلع ، وغيظ وحنق ، وتحديق واستغراب ، فكأنه نظر المغشى عليه من الموت ، لشدة ما يملكهم من الخوف والفرع ؛ هؤلاء المنافقون قد قاربوا أن ينزل بهم ما يهلكهم ، لانكشاف سرهم ، فإنهم كانوا إذا ندبوا لأمر من أمور الإسلام غير القتال ، قالوا : سمعاً وطاعة ، وكانوا إذا تحدثوا جاء حديثهم رطباً عذباً ، لا يبسن

منهم شيئاً مما يكونونه في صدورهم من حقد وموجدة على المسلمين ، فلما جد الجدد ، ونزلت آيات القتال ، كرهوا القتال ، وشق عليهم ؛ فلو أنهم صدقوا الله فيما طلبوا ، وفيما وعدوا قبل نزول آيات القتال ، لكان ذلك خيراً لهم في دنياهم بانضوائهم تحت لواء المسلمين ، وفي آخرتهم بدخول الجنة .

٢ — فلعلكم إن أعرضتم عن الإسلام ، وعمّا جاء به القرآن ، أن تفسدوا في الأرض بعصيان الله ، وسفك الدماء ، وقطع الأرحام ، والرجوع إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من فساد وإفساد .

٣ — هؤلاء الذين يفسدون الأرض ، ويقطعون الأرحام ، هم الذين يلعنهم الله ، ويطردهم من رحمته ، لأنهم لم يستجيبوا إلى دعوة ، ولم ينتفعوا بموعظة ، فكأن آذانهم لم تسمع ، فهي صماء ، وكأن قلوبهم لم تعقل ، فهي مقفلة ؛ وكان عيونهم لم تبصر ، فهي عمياء .

٤ — أفلا يفكر هؤلاء المنافقون في القرآن ، ويتدبرون معانيه وأغراضه ، فلا يقنعوا فيما هم فيه من إفساد في الأرض ، وقطع للرحم ، وانصراف عن الإيمان ؟ إنهم لو تدبروا لوجدوا فيه زاجراً عن معصية الله ، وعاصماً من مخالفة دين الله ، لكن قلوبهم مغلقة فلا تفكر ولا تفهم ، ولا تعقل فلا تعمل ، كأن لها أبواباً أغلقت عليها . وأحكام الإغلاق بالأقفال ، فلم تصل إليها مواعظ القرآن وغيره .

٥ — إن الذين آمنوا بالله ، ثم ارتدوا عن الإيمان . وعادوا إلى الكفر ، من بعد أن تبين لهم أنهم كانوا على الحق ، فأثروا الضلال على الهدى ، والكفر على الإيمان ، والغى على الرشاد . وخالفوا وناقضوا ، ولم يعترفوا بما جاء في كتبهم من وصف محمد — هؤلاء سؤل لهم الشيطان ارتدادهم ، وزين لهم كفرهم ، ومد لهم في الأماني الكاذبة ، والآمال الزائفة .

٦ - ذلك لأن هؤلاء المرتدين قالوا للذين كرهوا ما أمر الله به - كاليهود والمشركين - من قتال الكافرين : ستطيعكم في بعض الأمر الذي فيه مخالفة لمحمد ، فنبطن عداوته ، ونظهر مسالته ، فإذا جد الجدد ، ووقعت الحرب ، خذلناه ولم نخرج معه ، فيضعف من معه ؛ والله - سبحانه وتعالى - لا يخفى عليه ما يتأمر عليه هؤلاء الناس : منافقوهم ومشركوهم ، مهما بالغوا في المسارعة والإخفاء .

٧ - وكيف لا يعلم الله حالهم ، أو يخفى عليه شيء من أمرهم ؟ وهم حينما تتوفاهم الملائكة يضربونهم على وجوههم ، ويضربونهم على أفتيتهم وأعجازهم ، وذلك لأنهم حين ارتدادهم أغضبوا الله عليهم ، وكرهوا ما يرضيه عنهم : من قتال مفروض عليهم وعلى المؤمنين ، فأبطل ثواب ما عملوا في الدنيا من الصالحات أيّاً كان نوعها ، وأيّاً كانت النية في عملها ، لأن أساس القبول غير موجود ، وهو الإيمان بالله .

٨ - أظنّ هؤلاء المنافقون الذين ارتدوا عن دينهم ، أن الله لا يظهر حقدهم ، وما تحمله قلوبهم من بغض وكره للمؤمنين ؟ ولو أراد الله أن يرى رسوله هؤلاء المنافقين ، لأراه إياهم ، فعرفهم من لهجتهم في الكلام ، فإن كلامهم يدل على عدم إخلاص للدعوة المحمدية ، ويمكن استشفاف ما في قلوبهم من غل وحقد على المؤمنين . والله لا يخفى عليه إخلاص المخلص ، وطاعة المطيع ، ونفاق المنافق ، وشرك المشرك ، ويجازى كلّاً بعمله .

٩ - يقول الله سبحانه وتعالى للمؤمنين المخلصين في إيمانهم : لنختبرنكم بفرض الجهاد عليكم . فإن في الجهاد مخاطرة ، وفيه يجود الإنسان بروحه ، وليس ذلك حيناً عليه ، إلا إذا كان الدافع قوياً ، والإيمان الصحيح أقوى الدوافع على إرخاص النفس وبدلها ، والتضحية بها في سبيل العقيدة - والجلود بالنفس أقصى غاية الجود - فالقتال هو المحك الذي يظهر فيه صدق اليقين ، وخلص النية ؛ والصبر على شدته دليل على صفاء الروح ، والاتصال بالله .

(٥)

من الآية ٣٢ من سورة محمد إلى آخر السورة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَشَاقُوا الرَّسُولَ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ، لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيُحِطُّ
أَعْمَالَهُمْ -١- . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ،
وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ -٢- . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ -٣- .
فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ،
وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ -٤- . إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ، وَإِنْ
تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ ، وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، إِنْ
يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ -٥- . هَآئِنْتُمْ
هُؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفُوقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ،
وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ
الْفُقَرَاءُ ، وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْثَالَكُمْ -٦- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وشاققوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى وسيحبط أعمالهم	وخالفوا الرسول وعادوه . من بعد ما وضح لهم أن محمداً نبي . وسيبطل في الآخرة ثواب ما عملوا من حسن في الدنيا .
أطيعوا الله ولا تبطلوا أعمالكم فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ولن يتيروكم أعمالكم ولا يسألكم أموالكم فيحفكم ويخرج أضغانكم	استمروا على طاعة الله . ولا تبطلوا ثواب حسناتكم بارتكاب المعاصي . فلا تضعفوا عن القتال . وتدعوا إلى السلام والصلح . وأنتم الفائزون الغالبون . ولن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم ولا يأمركم بإخراج جميع ما تملكون للزكاة . فيُسلح عليكم . ويظهر البخل أحقادكم .
يبخل عن نفسه يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم	يبخل على نفسه بجرمانها الثواب . يأت بقوم آخريين أحب للخير منكم . ثم لا يكونوا مثلكم في البخل وترك الإنفاق في سبيل الله .

مجل المعنى

١ - يؤكد الله - سبحانه وتعالى - أن الذين يستمرون على كفرهم بالله ، وعلى صد غيرهم عن الدخول في دين الله ، وعلى فتنة الذين آمنوا ، وإغرائهم

بالتخلف عن الجهاد ، ومعاداة محمد ، ووضع العراقيل في سبيل الدعوة -
الذين يستمرون على هذا كله ، بعد أن يتضح لهم تمام الوضوح أن محمداً
على حق ، وأن دعوته صحيحة ، وأنه رسول من عند الله، لن يضروا الله
شيئاً ، فإن الدعوة مستمرة ، وإن محمداً ناجح فيها، وإن الإسلام مكتوب
له الانتشار ؛ وهؤلاء المقاومون للدعوة، يبطل الله أعمالهم التي يحاولون بها
تعويقها ، والحد من انتشار الإسلام ، كما يُبطل كل خير يفعلونه ،
ما دام الأساس الذي يُقبل عليه فعل الخير غير موجود ، وهو الإسلام .

٢ - يأمر الله المؤمنين أن يستمروا على إطاعتهم لله، ولرسول الله، فيما يأمران به .
وفما ينهيان عنه ، وبيناهم أن يرتكبوا المعاصي التي تبطل ثواب الطاعات ،
وآلا يعودوا إلى الكفر ، لأن الارتداد عن دين الله ، يبطل كل عمل
صالح سابق ، وإن الخير والشر يتناسخان، أيهما تأخر ينسخ المتقدم .

٣ - يؤكد الله - سبحانه وتعالى - أن الذين يستمرون على كفرهم ، وعلى صد
غيرهم عن الدخول في دين الله ، ويظنون كذلك حتى يموتوا ، لا يغفر
لهم ذنوبهم التي ارتكبوها في الدنيا .

٤ - ينهى الله المؤمنين أن يضعفوا عند محاربة المشركين ، أو يجبنوا ، أو يدعوا
أعداءهم للصلح ، ما دامت كفتهم في الحرب راجحة ؛ والله كافل لكم
النصر عليهم ! وما دام الله مع المؤمنين ، فلا يليق بهم أن يكونوا أولى
الطائفتين دعوة إلى المهادنة ؛ والله لا ينقص المؤمنين ثوابهم ، وعلى قدر
جهادهم وثباتهم . يكون أجرهم وثوابهم . من غير أن ينقص شيئاً .

د - يحض الله المسلمين على الجهاد ، وبذل النفس والمال في سبيل الله ،
فأكد لهم أن الحياة الدنيا ليست ذات قيمة كبيرة . تجعل الإنسان يحرص
عليها . ويستمسك بها . فهي ليست إلا لعباً وطهواً . وأياماً تمر . وآمالاً

تسر ، وأعماراً تنقضى ؛ ولا ينتفع بها إلا من عرفها على حقيقتها ، فلم يغير بها واستصغرها ، فبذل في سبيل الله ماله ، وأنفقه في وجوه النفقة التي أوجبها الله ، وبذل نفسه فأرخصها في الجهاد والذب عن دين الله ، واتيى الله في كل تصرف يتصرفه ، ليخافه ويخشاه ! ومثل هؤلاء يعطيهم الله ثواب ما عملوا في الدنيا من خير ؛ والله إذ يأمر الناس أن يؤمنوا به ويوحدوه ، لا يسألهم أن يعطوه ما لهم ، فإنه لو سألهم ما لهم ، وألح عليهم في السؤال ، ضنّوا به ، وظهر حقدهم بسبب الأموال ، وشحّ الأنفس بها .

٦ - يخاطب الله المؤمنين ، فيقول لهم : أتم تدعون للإنفاق في سبيل الله ، ومنكم من يستجيب ويجود ، ومنكم من لا يستجيب ويبخل ، وهؤلاء الذين يبخلون ، إنما بخلوا لأن البخل متأصل في نفوسهم ، مستمکن من قلوبهم ، والذي يبخل بالإنفاق في سبيل الله ، هو في الوقت نفسه بخل على نفسه أيضاً ، فإنه حرّمها الثواب ! والله إذ يدعو للإنفاق ، ليس في حاجة إلى أن تنفقوا ، فهو غنيّ عن الناس جميعاً ، والناس هم المحتاجون إليه ؛ وإن يُصرّ الناس الذين جاء لهم محمد بدينه على عدم طاعته ، وعدم طاعة رسوله ، وعدم الإنفاق في سبيل الله ، يهلكهم الله كما أهلك غيرهم ممن سبقوهم ، ويستبدل بهم شعباً آخر كالفرس أو الروم ، أو أهل الجنوب في بلاد العرب ، يؤمنون به ويوحدونه ؛ ثم لا يكونون مثل هؤلاء الباخلين بما أمرهم به من النفقة والجهاد .

سورة الفتح

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية
وأياتها ٢٩ آية

— الحُدَيْبِيَّة —

١ - انتشر الإسلام في السنوات الست الأولى بعد الهجرة، وولى المسلمون وجههم نحو الكعبة في أثناء صلاتهم ، وكان العرب على اختلاف قبائلهم يحجون إلى البيت ، وكان من تقاليد العرب أن من دخل مكة في الأشهر الحرم دخلها آمناً على نفسه وماله .

ب - لم تسمح قريش للمسلمين أن يحجوا إلى الكعبة كما كان يحج غيرهم من قبائل العرب الأخرى ، ولكن النبي رأى في منامه أنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، محلقين رؤوسهم ومقصرين ، لا يخافون ، فاستنفر الصحابة للعمرة ، فأسرعوا وتهبثوا للخروج - وأبطأ عنه أكثر الأعراب الذين حول المدينة - وأعدوا هديهم ، وخرجوا وسيوفهم مُغمدة في قُرْبها في شهر ذى القعدة ، لا يريدون حرباً ، وهديتهم مسوق معهم ، وكانوا نحو أربعمئة وألف ؛ ورأى بعض الصحابة أن يحملوا سلاحهم معهم ، ولكن النبي أبى ، وأعلن «أنه لم يخرج من المدينة غازياً ، وإنما خرج زائراً للبيت الحرام ، مؤدياً فرض ربه » .

ج - بلغ أهل مكة خروج محمد ، فخافوا وفرعوا ، وأرسلوا إليه فرقة من فرسانهم ، واستنفرُوا بعض الأحابيش - وهم فرق مجتمعة من قبائل شتى ، حلفاء لقريش - ورصدوا على الجبال عشرة أرصدة متباعدة ، يوحى بعضهم إلى بعض بالصوت عما يرونه من محمد وأصحابه ، ويتناقلون خبره وتحركاته . وكان آخر رصد عند قريش .

د - علم محمد أن قريشاً استعدت لقتاله، فاستشار أصحابه فيما يفعل ، فأشاروا عليه أن يقاتل ، فقال : « إنا لم نخرج لقتال أحد » ، وسار المسلمون حتى نزلوا بالحدبية ، - وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة واحدة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، سميت باسم بئر هناك عند مسجد الشجرة ، التي بايع الرسول تحتها - وقد وقفت في وجهه قريش ومن معها ، لا يُخَلُّون بينه وبين مكة أبداً ، وتواصوا ألا يدخلها عليهم عامه هذا ، ما بقي منهم رجل ، ثم جرت السفارة بين محمد وقريش ، وكان ممن بعث محمد إلى قريش: عثمان بن عفان ، فذهب إليهم ، وقال لهم : إنا لم نأت لقتال أحد ، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت ، معظمين لحرمة ، ومعنا الهدى ننحره ونصرف ؛ فلم ترض قريش أن يدخل محمد مكة ، وحدثت مناوشات ، وتخلف عثمان بمكة ثلاثة أيام ، وبلغ محمداً أن قريشاً قتلت عثمان ، وقتلت عشرة رجال من المسلمين دخلوا مكة بإذن محمد ، لزيارة أهلهم .

هـ - أعلن محمد - صلى الله عليه وسلم - في المسلمين أن الله أمره بالبيعة ، فأقبل الناس يبايعونه ، وتزاحموا من حوله يمدون إليه أيديهم ، تاركين وراءهم وتحت أرجلهم أمتعتهم ، ولبسوا سلاحهم - وإن كان قليلاً - وبايعوا على الموت ، لا على الجهاد وحده ، وهي بيعة الرضوان التي نزل فيها قوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . . . » .

و - علمت قريش ذلك ، فبعثت إلى محمد وفداً ، على رأسه سهيل بن عمرو لمفاوضته ، فلما وصل الوفد ، قال سهيل : يا محمد ، إن هذا الذي كان : من حبس أصحابك ، وما كان من قتال من قاتلك ، لم يكن من رأى ذوى رأينا ، بل كنا له كارهين حين بلغنا ، ولم نعلم به ، وكان من سمهاثنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت ، - وكانوا نحو خمسين رجلاً ، يخرجون ليلاً ، ويرمون جيش النبي بالحجارة - قال : « إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي » ، قال سهيل : أنصفتنا ، ثم بعث

إلى قريش ، واستحضر عثمانَ والعشرة الذين كانوا دخلوا مكة من المهاجرين ، وأرسل رسول الله أصحابهم الذين أسروا .

ز - وكانت المبايعات تحت شجرة خضراء ، وقد نادى عمر بن الخطاب : إن روح القدس قد نزل على رسول الله ، وأمره بالبيعة ، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا ؛ فلما رأى سهيل ومن معه ، ورأت عيون قريش مسارعة الناس إلى البيعة ، ونشيدهم للحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم ، واشتدت رغبتهم في الصلح ؛ ولما جاء عثمان بايع تحت الشجرة .

ح - رجع وفد قريش وعلى رأسه سهيل إلى قريش ، وأخبروا بما رأوا : من تحمس المسلمين للبيعة ، وميلهم إلى الحرب ، وفرحهم ببيع نفوسهم وأرواحهم لله ولرسول الله ، فأشار أهل الرأي منهم بالصلح ، على أن يرجع محمد وأصحابه في عامهم هذا ، ثم يعودوا من قبيل ، ويقيموا ثلاثاً ؛ وأعادوا وفد سهيل ليفاوض محمداً ، ليوافق على هذا ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أراد القوم الصلح» ؛ ودار الحديث بين محمد وسهيل ، وطال الكلام ، وحميت المناقشة ، وارتفعت الأصوات ، وكان النبي جالساً متربعا ، وعلى رأسه حارسان متمنعان بالحديد . فلما رفع سهيل صوته قالوا : اخفض من صوتك عند رسول الله .

ط - فلما اصطلحوا ولم يبق إلا أن يكتبوا المعاهدة ، وثب عمر فقال : يا رسول الله ؛ ألسنا بالمسلمين ؟ ! قال : «بلى ما قال عمر : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ ! قال : «أنا عبد الله ورسوله ، ولن أخالف أمره ، وإن يضيعني» ، فهال ذلك عمر ، وناقش فيه أبا بكر ، وأعاد الكلام على النبي ، وكرره ، ورسول الله يكرر عليه : «أنا رسول الله ، وإن يضيعني» ، فعتب أبو عبيدة بن الجراح على عمر ، وقال له : ألا تسمع يا بن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ؟ ! ! تعوذ بالله من الشيطان ، واتهم رأيتك ، فجعل عمر يتعوذ بالله من الشيطان ، وكان المسلمون يكرهون الصلح ،

لأنهم خرجوا لا يشكّون في دخول البيت الحرام، لرؤيا رسول الله أنه حلق رأسه، وأنه دخل البيت، وأخذ مفتاح الكعبة، وأنه وقف بعرفة؛ فلما رأوا الصلح داخلهم من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون، فجعل الله عاقبة الغضبة خيراً، فأسلم في فترة الهدنة أكثر ممن أسلم من بدء الدعوة إلى يوم الحديبية. وما كان في الإسلام فتح أعظم من الحديبية.

ي - ولما وقف رسول الله بعرفة في حجة الوداع، قال: «أى عمر، هذا الذي قلت لكم»، قال عمر: أى رسول الله! ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية، وكان أبو بكر يقول: ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند النحر، يقرب إلى رسول الله بدنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرفها بيده، ودعا الحلاق فحلق رأسه! فأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره، ويضعه على عينيه، وأنظر إياه أن يُقر يوم الحديبية، بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وإياه أن يكتب أن محمداً رسول الله، فحمدت الله الذي هدانا للإسلام، فصلوات الله وبركاته على نبي الله الذي هدانا به، وأنقذنا به من الهلكة.

ك - بعد أن اتفق النبي وسهيل على شروط الصلح، دعا رسول الله علياً، وقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: لا أعرف الرحمن الرحيم، اكتب ما نكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكتب: باسمك اللهم، هذا ما اصطلى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله ما خالفتك، واتبعتك، أفترغب عن اسمك واسم أبيك: محمد ابن عبد الله؟! فضج المسلمون من ذلك ضجة شديدة، حتى ارتفعت الأصوات، وقام رجال يقولون: لا نكتب إلا: محمد رسول الله، وأخذ بعضهم بيد عليّ وأمسكها، وقال: لا تكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا، علام نعطي هذه الدنية في ديننا؟! فجعل رسول الله يخفضهم، ويومئ إليهم بيده:

«أن اسكتوا»، وجعل أعضاء وفد قريش يتعجبون مما يصنع هؤلاء، وقال أحدهم :
ما رأيت قوماً أحوط لدينهم من هؤلاء ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«أنا محمد بن عبد الله، فاكتب»، وكتب العهد ، وكان من شروطه أن محمداً
يرجع عامه هذا بأصحابه ، ويعود في العام التالي ، ويدخل مكة معتمراً ، ويقيم
ثلاثاً ، ولما انتهوا أمر النبي أصحابه أن ينحروا ويحلقوا ؛ وانصرف رسول الله من
الحديبية ، ونزل عليه وهو في طريقه إلى المدينة : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ،
إلى آخر سورة الفتح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السابعة من سورة الفتح

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ،
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا -١- . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي
قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ، وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا -٢- . لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ،
وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا -٣- .
وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ،
الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ، وَغَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا ! -٤- . وَاللَّهُ
جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا -٥- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>قضينا لك بالظفر على أهل مكة ، بما حدث في الحديبية ، وأظهرناك عليهم . جميع ما فرط أو يفرط منك . ويجعل نعمته لك كاملة بالفتح والمغفرة . ويثبتك على دينك الصحيح . نصراً قوياً</p>	<p>فتحنا لك فتحاً مبيناً ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً نصراً عزيزاً</p>
<p>أنزل الهدوء والاطمئنان على المؤمنين ، وألهمهم الصبر .</p>	<p>أنزل السكينة</p>
<p>ليزداد ثباتهم على دينهم ، ويقوى تمسكهم به . الملائكة والإنس والجن والشياطين في قبضة الله .</p>	<p>ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم جنود السموات والأرض</p>
<p>الظن السيئ : وهو أن الله لن يأخذ بيد نبيه ، فلا يفتح عليه ما وعده ، ولا يغفر له .</p>	<p>ظن السوء</p>
<p>الظن السيئ واقع عليهم لا على غيرهم ، بالقتل والسبي والأسر .</p>	<p>عليهم دائرة السوء</p>
<p>وقبحت جهنم مرجعاً يرجع إليه الإنسان .</p>	<p>وساءت مصيراً</p>

محمل المعنى

١ - يؤكد الله لمحمد أنه فتح عليه بالحديبية فتحاً عظيماً ، وقد خشى المشركون المسلمين ، وبأدءوهم المفاوضة في الصلح ، ورجعوا إليهم في الأمان ، واتفقوا

على أن يعودوا للاعتبار مسالمين في قابل ، واعتذروا له عما حدث من سفهائهم ، ودخل في الإسلام بسببها خلق كثير ، وكانت محكماً للمسلمين : يختلفون في الرأي ، ويتناقشون ، ويتحمسون إلى أعلى درجات الحماسة ، ثم يعودون إلى ما يراه محمد ، فيكون فيه خيرهم ! وقعت فيها بيعة الرضوان ، وكانت مقدمة لفتح الفتوح ، وهو فتح مكة ، وجمع الله فيها لمحمد بين الفتح والمغفرة المطلقة ، فقرت عينه في الدنيا والآخرة ، وهي مغفرة مطلقة غير مقيدة بزمن ولا ذنب بعينه ، وإنما ذكرت للتكريم ، لأن محمداً معصوم من الخطأ ، شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء ؛ وإذا بدرت من واحد منهم صغيرة فهي مغفورة عند الله ؛ وجمع الله لمحمد مع الفتح المبين والمغفرة المطلقة ، إتمام النعمة بفتوح أخرى ، تحدث في وقت قريب ، وقد بشره بها قبل أن تكون ، وذلك مثل فتح مكة والطائف ، وكذلك إتمام النعمة بدخول الناس في دين الله أفواجاً ، طائعين مختارين ، لمجرد اقتناعهم بأنه هو الدين الصحيح ؛ وكذلك بلغ الله محمداً أنه ثابت على طريق الهدى لن يتزعزع عنه ، وأنه منصور نصراً قوياً عزيزاً بنشر الدين ، وفتح الأمصار .

٢ - هيا الله قلوب المسلمين ، وطمأنها ، وأعدّها لقبول أحكام الدين يتلو بعضها بعضاً ، فبدءوا بالتوحيد ، ثم الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ؛ وكمل إيمانهم ، وازدادوا تصديقاً بشرائع الإيمان ، وقوى يقينهم بالله ؛ والله هو المتصرف في جميع خلقه ، وكل من في السموات والأرض من إنس وجن وملائكة ، ومن غيرهم من العوالم التي لم نعرفها - جنوده ، يصرفها كما يشاء على ما يشاء ، فهو العليم بأحوال خلقه جميعاً ، الحكيم في تدبير شئون هذه العوالم والأكوان .

٣ - هيا الله قلوب المسلمين وطمأنها ، وأعدّها لقبول أحكام الدين ، ليدخلهم الجنة يوم القيامة ، ويخلدّهم فيها ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ومن وصل إلى هذه الدرجة فإنه عند الله من المقربين ، الفائزين بالسعادة في الدارين .

٤ - أما الذين لم ينزل الله السكينة في قلوبهم ، فهم المنافقون والمنافقات ، والمشركون والمشركات ، الذين ظنوا أن محمداً وقد خرج إلى الحديبية سيهزم فيها هزيمة شديدة ، وستدور عليه الدائرة ، ولن يعود إلى المدينة هو ولا أحد من أصحابه ، فستهزمهم قريش ، وتقتلهم ، وتقضى عليهم وعلى دينهم الحديد ؛ هؤلاء الناس يخيب الله ظنهم ، وينجى محمداً وأصحابه ، ويعود إلى المدينة عزيزاً في قومه وأصحابه ، وتدور الدائرة عليهم هم : فيقتلون في الدنيا ، ويُسبّون ، ويُؤسرون ، ويُستدلون ؛ وفي الآخرة يعذبون في جهنم ، وهي بئس المَقام الذي ينتهون إليه .

٥ - وإذا كان المنافقون يهددون محمداً بعداوة فارس والروم ، إذا انتهى من عداوات العرب ، فإن الله فوق العرب ، وفوق فارس والروم ، وفوق غير هؤلاء وأولئك جميعاً ، فإن كل من السموات والأرض جنوده ، وهو عزيز في خلقه ، حكيم في تدبيره ؛ ويرى بعضهم أن المراد بجنود الله في الآية الأولى : جنود الرحمة ، وأن المراد بجنود الله هنا : جنود العذاب ، بدليل وصف الله هنا بالعزة .

(٢)

من الآية ٨ إلى الآية ١٤ من سورة الفتح

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ،
وَتَعَزَّزُوا وَتُوقِرُّوهُ ، وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا -١- إِنَّ الَّذِينَ
يُيَايَعُونَكَ إِنَّمَا يُيَايَعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ
نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ
اللَّهُ فَمِنْ أَوْفِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا -٢- . سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ
الْأَعْرَابِ : شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ، فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ، يَقُولُونَ
بِالْسِّنَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، قُلْ : فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ
اللَّهِ شَيْئًا ، إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ؟ بَلْ كَانَ
اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ؛ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ
وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ، وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَظَنَنْتُمْ
ظَنَّ السَّوْءِ ، وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا -٣- . وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، يُعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا -٤- .

شرحها	الألفاظ
<p>مبيناً لأمتك ما أرسلت به إليهم . { وتقووه بتقوية دينه ونشره ، وتعظموه بتمزيهه عن الشريك والولد .</p>	<p>شاهداً وتعزروه وتوقروه</p>
<p>صباحاً ومساءً ، والمراد : كل الأوقات . { يعاهدونك كأن كل واحد باع حياته للرسول ، وأعطاه خالصة نفسه .</p>	<p>بكرة وأصيلاً يباعونك</p>
<p>مبايعة المؤمنين محمداً بالحديبية مبايعة لله ، لأنها { لنصرة دين الله .</p>	<p>إنما يبايعون الله</p>
<p>فضل الله عليهم أعظم من طاعتهم : فتوايه أكثر { من عملهم ، وهدايته أثنى من طاعتهم ، ونعمه أعلى من عبادتهم .</p>	<p>يد الله فوق أيديهم</p>
<p>{ فمن عدل عن تنفيذ ما بايع عليه ، فإنما ضرر ذلك واقع عليه .</p>	<p>{ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه</p>
<p>{ ومن استمسك بما قطع على نفسه من العهد في تنفيذ المبايعة .</p>	<p>{ ومن أوفى بما عاهد عليه الله</p>
<p>{ هم الذين تخلفوا من الأعراب المقيمين حول المدينة ، ولم يخرجوا مع محمد عام الفتح .</p>	<p>اخلفون من الأعراب</p>
<p>{ ليس عندنا من يرعى شئون أهلنا ، ويقوم على أموالنا في أثناء غيبتنا</p>	<p>شغلتنا أموالنا وأهلونا</p>
<p>{ لا أحد يستطيع أن يغير ما يريد الله لكم من نفع أو ضرر .</p>	<p>{ فمن يملك لكم من الله شيئاً</p>

الألفاظ	شرحها
<p>لن ينقلب الرسول والمؤمنون وزين ذلك في قلوبكم وكنتم قوماً بوراً أعدنا سعيراً</p>	<p>لن يعود محمد ومن خرج معه إلى الحديبية . وحسن الشيطان ذلك لكم . وكنتم جماعة هالكين فاسدين . أعدنا وهياناً . ناراً شديدة .</p>

مجل المعنى

١ - يؤكد الله - سبحانه وتعالى - لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - أنه إنما أرسله إلى الناس ليبين لهم ما أرسل به إليهم ، ويبلغهم إياه ، ويبشر من يؤمن به بالجنة ، ويخوف من لا يؤمن به ، ويحذره عذاب النار يوم القيامة ، وقد فعل الله ذلك ، وأرسل محمداً إلى الناس ليؤمنوا به وبمحمد ، وليقروا دين الله بالنصر ، وليعظموه بتتزيهه عن الشريك والولد ، وليتزهوه عما لا يليق به في كل وقت .

٢ - ذهب رسول الله إلى منازل بنى مازن بن النجار - وكانت في ناحية من الحديبية - وجلس في رحالهم ، بعد أن شاع أن قريشاً قتلت عثمان ، ثم قال : إن الله أمرني بالبيعة ، فأقبل الناس يبايعونه حتى تداكؤا ، فما بقي لهم متاع إلا واطئوه ، ثم لبسوا السلاح - وهو معهم قليل - وقامت أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به ، فأخذته بيدها ، وشدت سكيناً في وسطها ، وكان رسول الله يبايع الناس ، وعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أخذ بيده ، فبايعهم على ألا يفرّوا ، أو يبايعهم على الموت ، - بأن يبيعوا

أنفسهم في سبيل الله - وكان رسول الله يبايع الناس تحت شجرة خضراء ، وكان عمر ينادى : إن روح القدس قد نزل على الرسول ، وأمره بالبيعة ؛ فلما رأى سهيل بن عمرو ومن معه سرعة الناس إلى البيعة ، وتشميرهم إلى الحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم ؛ وقد وصف الله هؤلاء الذين بايعوا محمداً على الجهاد أو على الموت ، بأن بيعتهم إنما كانت لله ، ولنصرة دين الله ، فالله معهم ، آخذ بيدهم ، وناصرهم ، وخاذل عدوهم ، وفضله عليهم أعظم من طاعتهم إياه ، ونصرتهم دينه : فتوا به أكثر من عملهم ، وهدايته لهم أثنى من طاعتهم ، ونعمه أعلى من جهادهم وعبادتهم ؛ والذين ينقضون العهد من هؤلاء ، ولا يفون بالبيعة ، ويعدلون عن تنفيذ ما بايعوا عليه ، إنما ضرر ذلك واقع عليهم ، أما الذين يوفون بالعهد : فجزاؤهم عند الله يوم القيامة عظيم .

٣ - يخبر الله نبيه وهو راجع من الحديبية ، وقبل أن يصل إلى المدينة ، بما سيكون حين يصل إلى المدينة : يخبره أن الذين تخلفوا عن الخروج معه ، وهم أعراب بنى بكر ومزينة وجهينة وغيرهم ، مريهم رسول الله واستنفرهم ، فتشاغلوا بأموالهم وأولادهم ، وقالوا فيما بينهم : أيريد محمد أن يغزو بنا قوماً معدين في الكراع : - الخيل - والسلاح ؛ !! وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور ، لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً ، لأنهم قوم لا سلاح معهم ولا عدد ؛ هؤلاء الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج مع محمد ، يلقونه حين رجوعه من الحديبية ، ويقولون له : استغفر لنا الله ، فإننا لم نخرج معك لأننا ليس عندنا من يرعى شئون أهلنا ، ويقوم على أموالنا في أثناء غيابنا ، وهم إذ يقولون هذا منافقون ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، لأن تخلفهم لم يكن إلا لشكهم في نجاح محمد ،

وانتصاره على قريش؛ ويأمر الله محمداً أن يقول لهم : لا يستطيع محمد أن يجلب لكم شيئاً أراد الله منعه عنكم ، ولا أن يدفع شيئاً أراد الله أن يقع عليكم ، وما كان في نيتكم- إذ لم تخرجوا معي إلى الحديبية- يعلمه الله ، وسيحاسبكم عليه ، وهو أنكم رجّحتم أني لن أعود من سفرى هذا وأنا ومن معي ، وزين لكم الشيطان ذلك ، واعتقدتم أن الدائرة دائرة علينا ، وأن الله متخلّ عنا ، ولسنا نحن الهاالكين ، واكننكم أنتم الهاالكون بسوء ظنكم ، وسوء تقديركم .

٤ - وكل من لم يؤمن بالله ورسول الله ، فشرّ ذلك واقع عليه ، لأن الله أعد له في جهنم عذاباً شديداً ، والله مالك السموات والأرض ، ومالك الشيء يملك التصرف فيه كما يشاء ؛ فهو يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ؛ ورحمته بعباده أسبق من غضبه عليهم .

(٣)

من الآية ١٥ إلى الآية ٢٣ من سورة الفتح

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا : ذَرُونَا
نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ : لَنْ تَتَّبِعُونَا ،
كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ، فَسَيَقُولُونَ : بَلْ تَحْسُدُونَنَا ،
بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا -١- . قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ
الْأَعْرَابِ : سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، مُقَاتِلُونَهُمْ
أَوْ يُسَلِّمُونَ ، فَإِنْ طِيعُوا يَؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ، وَإِنْ
تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا -٢- . لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ
حَرْجٌ ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ يَؤْتِ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا -٣- . لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ،
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ، وَمَغَائِمَ كَثِيرَةً
يَأْخُذُونَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا -٤- . وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَائِمَ

كثيرةً تأخذونها ، فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ
عَنكُمْ ، وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا -٥-
وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرًا -٦- . وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذْبَارَ ، ثُمَّ
لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا -٧- . سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا -٨- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المخلفون إلى مغام ذرونا	الذين تخلفوا عن الحديبية . إلى غنائم غنمتوها ، والمراد : غنائم خيبر . دعونا : اتركونا .
أن يبدلوا كلام الله	أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية ، بأن يعرضهم خيراً إذ رجعوا عن مكة مواعدين .
لن تتبعونا	لن تخرجوا معنا إلى خيبر .
كذلكم قال الله من قبل	أمر الله عند العودة من الحديبية إلى المدينة ، أن تكون غنائم خيبر لأهل الحديبية دون غيرهم .
بل تحسدوننا	لم تمنعونا غنائم خيبر بإذن الله ، ولكنكم تمنعوننا حسداً منكم .

شرحها	الألفاظ
<p>{ بل كانوا لا يفهمون حقيقة كلام الله على وجهه الصحيح ، ويأخذون الكلام بظواهره ، ولا يعتقدون حدوث ما يدل عليه .</p>	<p>{ بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا</p>
<p>أصحاب قوة وجلد في الحرب .</p>	<p>أولى بأس شديد</p>
<p>{ ليس على الأعمى إثم في التخلف عن الحرب والجهاد لعدم إمكانه .</p>	<p>ليس على الأعمى حرج</p>
<p>هي بيعة الرضوان ، وقد تقدم ذكرها .</p>	<p>يباعونك تحت الشجرة</p>
<p>{ فعلم ما في قلوب المبايعين من الإخلاص ، وصدق العزم على الجهاد .</p>	<p>فعلم ما في قلوبهم</p>
<p>فطمأن قلوبهم .</p>	<p>فأنزل السكينة عليهم</p>
<p>وجازاهم وعوضهم بفتح خبير .</p>	<p>وأثابهم فتحاً قريباً</p>
<p>{ وعدكم الله أن يهيئ لكم مغام تغنمونها في الدنيا كثيرة ، وفي الآخرة تغنمون الجنة .</p>	<p>وعدكم الله مغام كثيرة</p>
<p>فعجل لكم مغام خبير .</p>	<p>فعجل لكم هذه</p>
<p>{ وكف عنكم أيدي أهل خبير وحلفائهم من أسد وغطفان ، بأن قذف الله الرعب في قلوبهم ، فانصرفوا ولم يحاربوكم .</p>	<p>{ وكف أيدي الناس عنكم</p>
<p>{ وليكون هذا الكف عنكم دليلاً للمؤمنين أمام المشركين على أن الله معهم ، وأنه كافل نصرهم ، وأخذ بيدهم .</p>	<p>ولتكون آية للمؤمنين</p>

الألفاظ	شرحها
ويهديكم صراطاً مستقيماً	{ ويزيدكم هداية وتبصيراً بنور الإيمان ، وثباتاً على طريقه المستقيم .
وأخرى لم تقدروا عليها	ومغانم أخرى ما كانت لكم اولا قدرة الله .
قد أحاط الله بها	قد أعدها الله لكم ، وحبسها عليكم .
{ واوقاتلكم الذين كفروا لوتوا الأدبار	{ ولو أنه وقع قتال بينكم وبين الكافرين في الغزوات التي انتهت بصلح - كالحديبية ومكة - لهزموا وفرّوا .
ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً	ثم لا يجدون من ينصرهم يأخذ بيدهم .
سنة الله	{ هذه سنة سنّها الله ، وهي أن يغلب أنبياءه ، وينتصروا على أعدائهم .

غزوة خيبر

كانت غزوة خيبر في صفر سنة سبع للهجرة ، خرج إليها رسول الله مع من كانوا معه في الحديبية في ألف وستائة ، بعد عودته إلى المدينة بنحو شهر ، وأراد المخلفون عنه في الذهاب إلى الحديبية أن يخرجوا معه إلى خيبر ، رجاء الغنيمة ، فقال لهم : لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد ، أما الغنيمة فلا ، وبعث منادياً ينادي : لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد ، وكان يهود خيبر من أقوى اليهود بأساً ، وأكثرهم مالا وسلاحاً ، وكانوا يظنون أن النبي لا يفكر في غزوهم ، لمنعتهم وحصونهم وعددهم ، ولكنهم لم يشعروا حتى كان

محمد وجيشه أمام حصونهم ليلاً ، وفي الصباح عدّوا إلى أعمالهم ، فلما رأوا المسلمين حول حصونهم ، قالوا : محمد والحميس !! - والحميس : الجيش - ولولا هاربين إلى حصونهم ، ورسول الله يقول : الله أكبر !! خربت خير !! إنا إذا نزلنا بساحة قوم ، فسَاءَ صباحُ المندَرين !

وأخذ المسلمون يحاربون ، ويفتحون حصونها حصناً حصناً ، وكان محمد يفرّق الرايات ؛ ولم يستعمل الرايات في الحروب قبل خير ؛ وكان القتال أمام الحصون وحولها عنيفاً جداً ؛ انتهى بانتصار المسلمين ، وأخذ غنائم كثيرة ؛ وصالح اليهود محمداً على أن يحقن دماءهم ويقيمهم على أرضهم ، ويأخذ نصف ثمارها .

محمل المعنى

١ - الذين تخلفوا من الأعراب عن الخروج معك إلى الحديبية ، سيطلبون منك يا محمد أن يخرجوا معك إلى خير ، طمعاً في الحصول على المغنم ؛ يريدون بذلك أن ينقضوا ما وعد الله به أهل الحديبية من المسلمين من الغنائم وحدهم ، فإن طلبوا هذا فلا تسمح لهم بالخروج معك إلا غازين ، ولا يكون لهم نصيب في المغنم ؛ وأبلغهم أن الله قد أمر بهذا ؛ ولن يقنعهم ذلك القول ، وسيقولون : إنكم تمنعونهم من المشاركة في الغنائم حسداً لهم ، وحقداً عليهم ؛ والواقع أنه لا حقد ولا حسد ، ولكنهم كانوا لا يفهمون من كلام الله إلا ظاهره ، ولم يتأثروا به ، ولم يعتقدوا حدوث ما يدل عليه .

٢ - أمر الله نبيه أن يقول لهؤلاء المخلفين من الأعراب : ستدعون إلى حرب شديدة في المستقبل ، تحتاج إلى بذل وتضحية - يريد بذلك أهل الردة ، لأن المرتد هو الذي لا يقبل منه إلا الإسلام ، وإلا فالحرب ؛ وأما من

عدا المرتد فلإسلام معه أحكام أخرى - فإن يطع هؤلاء المخلفون من الأعراب ، ويخرجوا إلى محاربة المرتدين ، ويصدقوا النية والعزم في محاربتهم ، يكن لهم عند الله أجر عظيم ؛ وإن يتولوا ويعرضوا كما تولوا وأعرضوا يوم الحديبية : يكن لهم عند الله يوم القيامة عذاب أليم .

٣ - لما نزل قوله تعالى : « قل للمخلفين من الأعراب . . . » ، هرع أهل الزمالة - العاهة - إلى رسول الله ، وسألوه : كيف بنا يا رسول الله ؟ فنزلت الرخصة لهم بالتخلف لعدم القدرة ؛ فالأعمى ، والأعرج ، والمريض ، لا إثم عليهم إذا تخلفوا عن المشاركة في القتال ، حتى مَن كان من المخلفين يوم الحديبية لا إثم عليه ، ما لم يكن مشيراً على غيره بالتخلف ؛ وكل من يطيع الله ويطيع رسول الله في جميع ما يؤمر به ، يرضى الله عنه ، ويدخله الجنة ، ويخلده فيها ؛ ومن يعرض عن طاعة الله ، يغضب الله عليه ، ويدخله النار ، ويعذبه فيها عذاباً أليماً .

٤ - مَن بايعوا محمداً تحت الشجرة ، وهى بيعة الرضوان ، وقد سبق الحديث عنها - فالله جل شأنه راض عنهم ، وقد أخبر رسول الله أنهم لا يدخلون النار ، وقد علم ما فى قلوبهم من الوفاء بما عاهدوا عليه ، من الدفاع حتى الموت ، وقد أنزل الله فى قلوبهم طمأنينة وهدوءاً ، وجازاهم مجازاة عاجلة بفتح خير عليهم ، وبتخصيص غنائمها لهم ، وكانت كثيرة ؛ والله فى كل حال عزيز لا يُغلب ، حكيم فى تدبيره .

٥ - وعد الله المؤمنين غنائم كثيرة ، حصلوا على شىء منها عند فتح خير ، وعلى أشياء أخرى عند فتوحهم الكثيرة التى حصلت بعد خير ، إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بعد وفاته بما فتح عليهم زمن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . ثم ما كان وما يكون بعد ذلك إلى يوم القيامة ، وكانت مغنم خير من المغنم التى عجلها لهم ، ويحصلون بعد وعده إياهم بزمن قليل ،

ثم هي تتوالى إلى يوم القيامة ، نتيجة لرضا الله عنهم ؛ ومن نعم الله على المؤمنين أنه لم تقع حرب بينهم وبين أهل مكة أيام الحديبية ، وتصالحو صلحاً مشرفاً للمؤمنين ، كان له ما بعده من نصر يتلوه نصر ؛ وكذلك لم يقع من اليهود اعتداء على المدينة زمن خروج المسلمين إلى الحديبية أولاً ، وإلى خيبر ثانياً ، وكذلك أيضاً صرف عن المسلمين عيينة بن حصن الفزاري ، وعوف بن مالك النضري ، ومن كان معهما من أسد وغطفان ، حين جاءوا لمساعدة يهود خيبر ، والنبي محاصر لهم ، فأتى الله الرعب في قلوبهم ، وصرفهم ، فعادوا من حيث أتوا ، فعل الله ذلك ليكون نصر المسلمين وهزيمة اليهود دليلاً على أن المسلمين في رعاية الله ، وعلامة على صدق رسوله فيما وعدهم به من المغنم ، فيشكروه ، ويزدادوا هدى ، وتمسكاً ببقائهم على ما هم عليه من إيمان و يقين .

٦ - ذكرنا أن الله عجل للمسلمين مغنم خيبر ، ووعدهم مغنم أخرى غيرها لا يقدرون عليها ، وإنما يأخذها من بعدهم حين غزو فارس والروم ، قد أحاط علم الله بها ، وقد حققها الأيام ؛ ولولا عناية الله ورعايته وقدرته ، لما غنمتم هذه المغنم ، فهو الذي أعدها وهبها لكم ، فلم تفتكم ؛ والله قادر على كل شيء ، فمتى أرادها كان .

٧ - ولو أنه وقع قتال بينكم وبين قريش في الحديبية ، أو بينكم وبين غطفان وأسد ، حينما جاءوا لنصرة يهود خيبر ، لكان النصر لكم أيها المسلمون حتماً ، لأن الله قدر لكم النصر ، فلا بد أن تنتصروا ، ولا بد أن يهزم مقاتلوكم ، ويفروا أمامكم ؛ وبعد أن يهزموا ويفروا لا يجدون ولياً يلي أمرهم ، ولا ناصرأ يأخذ بيدهم وينصرهم .

٨ - سن لكم الله في النصر سنته في انتصار أنبيائه ومن آمن بهم ، وهذا كله تدبيره وتقديره ؛ وكل شيء يقدره الله ويريده ، لا يمكن أن يغير فيه شيء أو يبدل .

(٤)

من الآية ٢٤ إلى الآية ٢٧ من سورة الفتح

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ، مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا -١- . هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْهَدْيِ مَنكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، لَوْ تَرَىٰ أُولَٰئِكَ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ : حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَلَزَمَهُمُ الْكَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا -٢- . لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ : لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ، مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ، لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم	تجاوزتما فلم تقع بينكما حرب .
بطن مكة	بالخديبية .
أظفركم عليهم	نصركم عليهم وسلطكم .
هم الذين كفروا	المراد : قريش .
وصدّوكم عن المسجد الحرام	ومنعوكم من دخول مكة معتمرين .
والهدى معكوفاً	{ والهدى محبوساً وموقوفاً ، والهدى : ما يهدى إلى الكعبة ، وكان سبعين بدنة .
أن يبلغ محله	من أن يصل إلى مكان نحره .
لم تعلموهم	لم تعرفوهم .
أن تطئوهم	أن تقتلوهم وتوقعوا بهم .
فتصيبكم منهم معرفة	فيلحقكم بسببهم إثم وعيب وغُرم .
بغير علم	عن غير قصد .
في رحمته	في جنته .
لو تزيلوا	لو تميزوا .
الحمية	الأنفة ، وكانت أنفة كاذبة مصطنعة .
سكينته	طمأنينته ووقاره .
بالحق	بالصدق ، فليست أضغاث أحلام .

الألفاظ	شرحها
مخلفين رءوسكم ومقصرين	{ التحليق : يكون بحلق الشعر كله ، والتقصير يكون ببعض الشعر دون بعض .
فعلم ما لم تعلموا	{ فعلم أن الخير في تأجيل فتح مكة إلى قابل ، وأنتم لا تعلمون هذا .
فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً	{ فجعل قبل فتح مكة فتحاً آخر عاجلاً ، هو فتح خيبر .

مجمل المعنى

- ١ - الله - سبحانه وتعالى - هو الذي جعلكم تتحاجزون يوم الحديبية ، بعد أن جعل كلمتكم العليا عليهم في السفارة والتصالح ؛ وهو الذي جعلكم تتنبهون لهؤلاء الذين هبطوا من جبل التنعيم عليكم ، يريدون أن يأخذوا محمداً على غرة ، فتنبه لهم وأخذهم ، ثم أعتقهم بعد أن كان متمكناً منهم .
- ٢ - كفار قريش هم الذين كفروا بالله ، وهم الذين صدوكم عن بيت الله ، ومنعوكم أن تدخلوا مكة عام الحديبية ، وصدوا الهدى ومنعوه أن يصل إلى المكان الذي يحل فيه ذبحه ، ولولا أن في مكة من المستضعفين والمستضعفات الذين يؤمنون بقلوبهم ، ولا يستطيعون أن يجهروا بإسلامهم لضعفهم وخوفهم ، وأنتم لا تعرفونهم ، ولا تميزونهم من غيرهم ، فإذا دخلتم مكة محاربين أتى هؤلاء منكم كما يأتي غيرهم من الكفار من التعذيب والقتل والتشريد ، فيلحقكم العيب والمعرة ، وترتكبون الإثم معهم من غير أن تعرفوهم ، ولو قتلتموهم لرحمهم الله وأدخلهم الجنة - لولا هؤلاء المستضعفون ،

ولولا أن في مكة من قدر الله لهم أنهم سيُسلمون ، وسيحسن إسلامهم ، ولو تميز هؤلاء المؤمنون من الكفار فعرفتموهم - لأذن الله لكم في دخول مكة ، ومحاربة أهلها ، وعذبهم بكم عذاباً شديداً ، إذ كانوا يأنفون أنفة جاهلية حمقاء ، عند ما كان يُكتب العقد الذي تصالحتم فيه على أن تعودوا وتعتمروا في قابل ، فكان رئيس وفدكم سهيل يغضب حينما أردت أن تبدأ المعاهدة باسم الله الرحمن الرحيم ، وكان يغضب حينما تُملى : محمد رسول الله ، ويُصر على أن تملى : باسمك اللهم ، ومحمد بن عبد الله ، إذ ذاك غضب أصحاب محمد ، وضافت قلوبهم ، ولكن الله أنزل السكينة عليهم جميعاً ، وظلوا ثابتين على إيمانهم وحلمهم ، وهم أحق عباد الله أن يكونوا مؤمنين متصفين بالحلم والرزانة والوقار ، وكانوا أجدر الناس باستحقاق هذه الصفات الحميدة ؛ والله عالم بكل شيء ، وبمصابير كل شيء .

٣ - رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أنه يدخل مكة ، وشاع ذلك بين المسلمين ، وعرفه المنافقون ؛ فلما كان صلح الحديبية ، وعودة محمد إلى المدينة ، ارتاب المنافقون في دخول محمد مكة ، فأنزل الله : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » ؛ وبذلك أكد الله أن رؤيا محمد صادقة ، وأنه سيدخل مكة حتماً ، وإن تأخر ذلك بعض الوقت ، وحكى الله لمحمد ما يحدث ، مؤكداً أنه يدخل مكة في قابل ، كما اتفق في صلح الحديبية ، ويدخلها آمناً من أعدائه كفار قريش وغيرهم ، ويحلّق ويقصّر كما يفعل المعتمر ، غير خائف ولا وجل ؛ وبذلك يكون محمد عرف ما لم يعرفه الناس ، من أن الخير في تأخر دخول مكة عام الحديبية ، وفي تأجيله لقابل ، وجعل الله بين صلح الحديبية وبين الاعتمار بمكة فتحاً عاجلاً ، فيه خير وبركة على المسلمين ، وهو فتح خبير .

(٥)

من الآية ٢٨ من سورة الفتح ، إلى آخر السورة

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا -١- . مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ،
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ ، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا ، يَنْتَعِنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ
مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَزَّرِيعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ ، فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ،
يُعِجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بألهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله	بدين التوحيد والهداية . والدين الحق ، وهو دين الإسلام . ليجعله فوق كل دين سبقه ، سماويًا كان أو غير سماوي .

الألفاظ	شرحها
وكنى بالله شهيداً	{ ويكنى أن الله وحده هو الذى يشهد له بصحة دينه .
أشداء على الكفار رُحماء بينهم	غلاظ شداد على الكافرين الذين لم يؤمنوا . يتعاطفون ويتوادون ويتراحمون .
تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً	يكثرون الصلاة والعبادة . يطلبون من الله الجنة ، ورضا الله عنهم .
سيماهم فى وجوههم	{ علامات الصلاح والتقوى ظاهرة فى وجوههم ، بما يبدو من الخشوع والتواضع والوقار
كزرع أخرج شطأه فأزره	هم كزرع أخرج فراخه وأولاده ، والمراد : نباته . فقوآه وأعانه .
فاستوى على سوقه مغفرة وأجرأ عظيماً	فاستقام واعتدل على سيقانه . غفراناً لذنوبهم ، وثواباً دائماً على حسناتهم .

مجمل المعنى

١ - الله - جل شأنه - هو الذى أرسل رسوله محمداً بدين التوحيد ، وهو دين الإسلام ، الدين الحق ، ايعليه على جميع ما سبقه من الأديان ، ويخصه بمنزلة عالية رفيعة ، فهو لم يكن ليقوم دون قوم ، ولا لجنس دون جنس ، شأن جميع الأديان التى سبقته ، وإنما هو دين أرسل به محمد إلى الناس كافة . بل آمن به الجن أيضاً ، ولذلك كان الإسلام أعلى من جميع الأديان : سماوية أو غير سماوية ؛ والله وحده هو الشاهد على أن دين

محمد خير الأديان وعلى أنه سيلقى كل ما وعده ربه حقاً : من فتح مكة ، وانتشار الدين في مشارق الأرض ومغاربها .

- محمد رسول الله ، أرسل إلى الناس كافة ؛ والذين آمنوا به لهم صفات خاصة ، وُصفوا بشيء منها في التوراة ، وبشيء منها في الإنجيل ؛ فوصفوا في التوراة بأنهم غلاظ شداد قساة على الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام ، وبأنهم بين بعضهم وبعض متوادون متعاطفون متراحون ، يكثرون العبادة ، لا يملونها في ليل ولا نهار ، يطلبون من الله أن يرضى عنهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ويدخلهم الجنة في الآخرة ؛ وهؤلاء المؤمنون لكثرة عبادتهم ، ترى علامات الإشراق والتقوى والصلاح ظاهرة في وجوههم ، فهم أهل خشوع وتواضع ، ووقار وعزّة ؛ أما صفتهم في الإنجيل فإن مثلهم مثل الزرع ينبت أولاً ضعيفاً ، ثم تتفرع منه وتنمو حوله فروع أخرى كثيرة ، فيتقوى بها ويظهر ، ويستقيم ، وتعتدل سوقه ، ويظهر ثمره ، فيفرح به زارعه ويسر له ، ويضيق به عدوه ، ويكتئب إذا رآه ، أما الزرع الأول : فهو محمد ، بدأ رسالته وحيداً ضعيفاً ، ولم يلبث أن آمن به الناس واحداً بعد واحد ، حتى كثروا ، فقوى بهم ، واعتز بكثرتهم ، وأعلن دعوته ، وصبر على أذى أعدائه ، وزاد نماؤه حتى ملأ الأسماع ، وعم البقاع ؛ والشطء : أصحابه الذين آمنوا تلبية لدعوته ، واستمروا على العمل الصالح ؛ كانوا قليلاً فكثروا ، وكانوا ضعفاء فقوّوا ، فعل الله هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار ، وقد وعدهم الله أن يغفر لهم ذنوبهم ، ويدخلهم جناته يوم القيامة .

سورة الحُجرات

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الخامسة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ،
وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ -١- . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ،
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ، أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ -٢- . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ،
أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ -٣- . إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ -٤- . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله ولا تجهروا له بالقول أن تحبّط أعمالكم يغضّون أصواتهم امتحن الله قلوبهم للتقوى	{ لا تقترحوا على الله وعلى رسول الله أمراً قطع فيه برأى . ولا تخاطبوه بما لا يليق أن يخاطب به . خشية أن يبطل ثواب أعمالكم . يخفضون أصواتهم . أخلص الله قلوبهم للتقوى ، واختصم بها ، فظهرها من كل قبيح . من وراء الحجرات التي اختليت بها بأهلك . يغلب عليهم الجهل ، وجفوة الجاهلية . ولو أنهم انتظروا . لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم .
من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا لكان خيراً لهم	

خبر وفد بني تميم

قدم وفد بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، في السنة التاسعة من الهجرة ، وهم سبعون رجلاً ، أتوا شفعاء في أسارى ، ودخلوا المسجد وقت القيلولة ، ورسول الله نائم في بيت عائشة ، فنادوا من وراء حجرتة : يا محمد ! اخرج إلينا ! ورفعوا أصواتهم ، فأذى رسول الله صياحهم ، فخرج عليه السلام ، فجلس ، وتقدم عطارد بن حاجب خطيب الوفد ، وخطب ، فرد عليه ثابت

ابن قيس بإذن النبي ، ثم تقدم الزُّبَيْرُ بْنُ بَدْرِ شاعر الوفد وأنشد ، فرد عليه حسان بن ثابت بإذن الرسول ؛ ثم خلا الوفد بنفسه ، فقالوا : إن هذا الرجل مؤيد مصنوع له ؛ والله خَطْبِيه أخطبُ من خطيبنا ، ولشاعرُه أشعر من شاعرنا ، ولصوته أحلى من أصواتنا ، وهو أحلم منا ! فأسلموا ، وجوزهم رسول الله فأحسن جوائزهم ، ثم قال لسَيِّرَةَ بن عمرو : « هذا يحكم بيننا وبينكم » ؛ فقالوا : عمُّه معنا ، وهو أفضل منه ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ، فحكَّم سَبْرَةَ أن يَمَن رسول الله على نصف الأسرى بإطلاق سراحهم ، وأن يفتدى بنو تميم النصف الآخر ، ففعل ، وكان عمرو بن الأَهمم قد خلفه القوم على ظهورهم - إبلهم - فلما منحهم النبي الجوائز سأهم : هل بقي منكم من لم نُجزه ؟ فقال قيس بن عاصم - وكان يكره عمراً - : يا رسول الله ! إنه قد كان رجل منا في رحالنا ، وهو غلام حدّث لا شرف له ، فقال النبي : أرسلوه نُجزه ، فأعطاه مثل ما أعطى القوم .

مجمَل المعنى

١ - ينهى الله المؤمنين عن الاختلاف في مجلس النبي ، وعن تقديم مقترحات مخالفة لما أمر به الله ونبيه ، ولا سيما إذا كان ذلك في أمر من أمور الدين ، فإذا أراد أن يستخلف رجلاً على بلد ، فيستخلف من أَراده ، وينهى أن تقدّم الطاعات عن أوقاتها التي حددها ، إلا في الأمور التي يبيحها الدين ، ويأمر بتقوى الله والخوف منه ، وفي التقديم المنهى عنه ، فإن يسمع كل ما يقال ، ويعلم كل ما يفعله كل إنسان .

٢ - وينهى الله المؤمنين عامة ألا يقعوا في مثل ما وقع فيه وفد بني تميم ، فلا يسوغ لهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي تأديباً معه ، فهو زعيم المسلمين ، وصاحب الرسالة فيهم ، وقد قالوا : إن عمر بعد أن نزلت هذه .

الآية ، كان إذا تكلم في حضرة النبي لا يُسمع كلامه حتى يُستفهمه ، وكان يذكر دائماً ما جرى بينه وبين أبي بكر من خلاف أمام النبي ، حين قدم عليه وفد بني تميم ، فأشار أحدهما أن يستعمل النبي الأقرع بن حابس على قومه - وكان الأقرع أسلم قبل مجيء الوفد - وأشار الآخر بالقعقاع بن معبد ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي ؛ فقال عمر : ما أردت خلافاً ؛ فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فلما نهى الله عن رفع الصوت ، كان عمر لا يفهم كلامه حتى يُستفهمه ؛ وكما نهى الله عن رفع الصوت في حضرة محمد تأدباً ، نهى كذلك أن يخاطبه أحد إلا بأدب ! فلا يقول له : يا محمد ، يا أحمد ، ولكنه يناديه : يا نبي الله ، يا رسول الله ، توقيراً له ، أو أن يجهر له بالقول حين حديثه معه ، كما يجهر بعضهم لبعض ، كراهة أن يبطل ثواب ما عمله من خير .

٣ - يغري الله المؤمنين أن يخفضوا أصواتهم عند الحديث أمام النبي ، ويصف من يخفضون أصواتهم بأنهم هم الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ، واختصم بها ، وطهرهم من كل قبيح ، وطم من الله مغفرة وأجر عظيم .

٤ - ندد الله بأعراب بني تميم الذين حضروا إلى المدينة ، ونادوا النبي من وراء حجراته ، بجموة الأعراب وغلظتهم ، ووصفهم بأنهم يغلب عليهم الجهل ، وخشونة البداوة ، والتجرد من الذوق وآداب الليقان .

٥ - واوأن هؤلاء الناس لم يتعجلوا بإزعاجك وبناداتك على الصورة التي حدثت معهم ، وصبروا حتى تخرج إليهم في موعد خروجك من غير استعجال - لكان ذلك التريث أصلح لهم ، وأجمل لدينهم ، وأكرم لدينهم ، لأن تشدهم جعله لا يطلق إلا نصف السبي الذي جاءوا من أجله ، ولم يطلق النصف الآخر إلا بالفدية ، ولعله كان يطلق السبي كله لو رأى منهم أدباً واحتراماً .

(٢)

من الآية ٦ إلى الآية ٨ من سورة الحجرات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ، أَنْ
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ، فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ -١- . وَاعْلَمُوا
أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ
لَعَنْتُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ،
وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ
الرَّاشِدُونَ فَضَّلَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاسق	كاذب .
فتبينوا	فتشبتوا .
بجهالة	بخطأ .
لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم	{ لو تسرع مثل تسرعكم ، وتصرف قبل التثبت ، لأصابكم مشقة وإثم .
حبب إليكم الإيمان	جعل الإسلام أحب الأديان إليكم .

الألفاظ	شرحها
وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون	وجعله في قلوبكم حسناً فاخترتموه ، وفضلتموه على غيره . وبغض إليكم كل ما خرج عن حدود الطاعة . أولئك هم المستقيمون الثابتون على طريق الحق ، الموفقون إلى الإيمان .

حديث الفاسق

أما الفاسق فهو الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَط ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق لأخذ الصدقات منهم ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ؛ ولما سمع بركوبهم إليه خافهم ، لإحنة كانت بينه وبينهم ؛ فرجع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام وأنهم قد هموا بقتله ، ومنعوا صدقاتهم ، فبعث النبي إليهم خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عيونهم ، فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ؛ فلما أصبحوا أتاهم خالد ، ورأى صحة ما ذكروه ؛ فعاد إلى النبي فأخبره ، فنزل : « يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ... » .

مجمل المعنى

١ - يأمر الله المسلمين أنهم إذا نُقل إليهم خبر من الأخبار ، لا يسارعون إلى تصديقه ، وترتيب ما ينشأ عن التصديق من أعمال قد تكون ذات عواقب سيئة ، ولكن الواجب التمهل والتريث ، حتى يتأكدوا من صدق الخبر أو كذبه ، لأنه قد يترتب على الاستعجال القيام بعمل سيء العاقبة خطأ ، وإذا تبين الخطأ بعد ذلك ندمنا على ما فعلنا .

٢ - والذين ينقلون إلى رسول الله أخباراً كاذبة ، يرتكبون خطيئتين : خطأ الكذب ، وخطأ الغفلة عن أنه يكذب عن رسول الله ، والله يُعلمه كل شيء ، فلن يخفى عنه كذب الكاذب ، ولا خطأ المخطئ ، عامداً أو غير عامد ؛ ولو أن الرسول يسارع إلى ما يريد الكاذبون ، لأصابهم وأصاب غيرهم كثير من العنت والمشقة ، ولركبهم إثم يعاقبون عليه ؛ وأخبر الله المؤمنين المخلصين في إيمانهم ، الذين لا يكذبون على رسولهم ، أنه جعل إيمان أحب الأديان إليهم ، وأدناها من قلوبهم ، فاختره وفضلوه على سائر الأديان ، وبغض إليهم الكذب ، ونفرهم من العصيان ، والخروج على الطاعة ؛ وهذا الصنف من المؤمنين هم الذين ثبتهم الله على الإيمان ، ووفقهم إليه ، فاستمسكوا به وتشددوا فيه ، ولم يتهاونوا في صغيرة ولا كبيرة بشأنه ؛ وقد فعل الله لهم ذلك فضلاً منه ، ونعمة عليهم ؛ والله عليم بما يصلح أحوال الناس ، حكيم في تصرفه وتديبره .

(٣)

من الآية ٩ إلى الآية ١٠ من سورة الحجرات

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي ، حَتَّى تَنْفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ -١- . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
طائفتان	{ جماعتان ، وتطلق الطائفة على الواحد وما فوقه ، ولذا عاد الضمير جمعاً .
{ فإن بغت إحداهما على الأخرى	{ فإن اعتدت إحدى الطائفتين على الطائفة الأخرى ، وتناولت .
حتى تنفيء إلى أمر الله	حتى ترجع إلى كتاب الله وأحكامه .
{ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا	{ فإن رجعت فاحكموا بينهما بما يأمر الله . واعدلوا .

أم زيد

أم زيد : امرأة من الأنصار ، تزوجت من رجل غير أنصاري ، ثم حدث أن تخاصمت مع زوجها ، وأرادت أن تزور أهلها ، فحبسها زوجها ، وجعلها في عُليَّة - غرفة - لا يدخل إليها أحد من أهلها ، ولا يصلون إليها ؛ فبعثت أم زيد إلى قومها تخبرهم خبرها ؛ فجاءها أهلها ، وأنزلوها من العلية ليحملوها معهم إلى منازلهم ، فخرج زوجها ، واستغاث أهله ، فجاء إليه بنو عمه ، وساعدوه على أصهاره ، وعملوا على أن يحولوا بينهم وبين أم زيد ، فتشاجر الفريقان وتدافعا وتضاربا بالنعال والحديد والأيدي ، فمزل قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين . . . » .

محمل المعنى

١ - إذا وقع خصام بين طائفتين من المسلمين لأي سبب من الأسباب ، فإن الواجب يقتضى بأن يتدخلوا بينهما بالصلح ، بما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله ؛ فإن رفضت إحدى الطائفتين الصلح ، واستمرت في المحاصمة بغير حق ، وجب على المسلمين أن ينضموا إلى الطائفة التي قبلت التحكيم ، والرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يقاتلوا الطائفة الباغية المعتدية ، حتى تثوب إلى رشدها ، وترجع إلى ما يحكم به الكتاب والسنة ؛ وينبغي ألا يكون بغى الفئة المعتدية بعد رجوعها سبباً في التشدد عليها ، بل يجب الإصلاح بالعدل ، من غير تحيز إلى طائفة دون أخرى ؛ ويؤكد الله - سبحانه - أنه يحب العادلين ، ويرضى عنهم ويجزيهم أحسن الجزاء .

٢ - يؤكد الله أن المؤمنين جميعاً إخوة في الدين والحرمة ، وهي أقوى من أخوة النسب ؛ فالمسلم أخو المسلم ، ويجب على الإخوة ألا يسكتوا على خصام وقع بين المسلمين ، بل يجب عليهم أن يسارعوا إلى المتنازعين ، ويصلحوا بينهم ، مراعين في ذلك العدل والحق ، واتقاء الله ، رجاء أن يجزيهم الله على توسطهم ، ويسط عليهم بسببه رحمته .

(٤)

من الآية ١١ إلى الآية ١٣ من سورة الحجرات

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ، عَسَىٰ أَنْ
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ ، عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا
مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ، وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ ، بِئْسَ
الِاسْمُ : الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ! وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ -١- . يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ،
إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ،
أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ؟ فَكَرِهْتُمُوهُ ،
وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ -٢- . يَأَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا
خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ،
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ -٣- .

الألفاظ	شرحها
لا يسخر قوم من قوم	{ لا يستهزئ قوم بقوم ، ويطلق القوم لغة على الرجال فقط .
ولا تلمزوا أنفسكم	ولا يعيب بعضكم بعضاً ، فتعابوا .
ولا تنازروا بالألقاب	ولا يناد أحدكم الآخر بلقب يكرهه .
بئس الاسم : الفسوق	{ بئس الخروج عن طاعة الله ، وهو : أن يسمي الرجل باسم يكرهه بعد أن أسلم .
بعد الإيمان	{ ولا يبحث أحدكم عما يكتم عنه .
ولا تعجسوا	ولا يذكر بعضكم إخوانه في غيبتهم بما يكرهون .
ولا يعتب بعضكم بعضاً	من آدم وحواء .
من ذكر وأنتي	{ الشعوب : رعوس القبائل ، فالشعب ينقسم إلى قبائل .
شعوباً وقبائل	{ قبائل .

مجمل المعنى

١ - في أذنه وقر

ثابت بن قيس بن شماس - خطيب الرسول في وفد بني تميم - كان صحابياً ، وكان في أذنه وقر ، وكان إذا ذهب إلى مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - أوسع له الناس ، حتى يجاس إلى جنب النبي ، ليستطيع أن يسمع ما يقول ؛ فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ، وأدرك ركعة ؛ وبعد أن أتم النبي صلاته أخذ مجلسه ، وأخذ أصحابه مجالسهم منه ، وحرص كل منهم على مكانه ، حتى يستطيع أن يسمع ، وازدحم المجلس ، حتى كان كثير منهم لم يجدوا لهم مكاناً ، فوقفوا في حواشي

المجلس ؛ ولما أتم ثابت صلاته ، تخطى رقاب الناس ، ليجلس بجانب النبي ، وهو يقول : تفسحوا ؛ ففسحوا له حتى انتهى إلى النبي ، وبينه وبينه رجل واحد ، فقال له : تفسح ، فقال له الرجل : قد وجدت مجلساً فاجلس ، فجلس ثابت من خلفه مُغضباً ، ثم قال : من هذا ؟ قالوا : فلان ، فقال ثابت : ابن فلانة ؟ ! ! يعيره إياها - يعني أمًّا له في الجاهلية - فاستحيا الرجل ، فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ، عسى أن يكونوا خيراً منهم » ؛ فلا يجوز أن يعير رجل رجلاً أمه ولا أباه ، ولا فقره ولا دينه السابق ، ولا عاهة فيه ، فقد يكون المستهزأ به خيراً عند الله من المستهزئ ، لتقواه أو علمه ؛ وكان السابقون يتصنون ويبالغون في التصون ، حتى لقد قال أحدهم : لو رأيت رجلاً يرضع عتراً فضحكت منه ، لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع ؛ ويطلق العرب القوم عن الرجال خاصة ، قال زهير بن أبي سلمى :
وما أدري ولست إخال أدري أقوم آل حيصن أم نساء

ب - لسان كلب

ربطت أم سلمة إحدى زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - خصصريها بسبية - والسبية : ثوب أبيض - وسدلت طرفيها خلفها ، فكانت تجرهما وراءها إذا مشت ؛ ورأتها عائشة فقالت لحفصة - رضي الله عنهما - : انظري ما تجر خلفها ! كأنه لسان كلب ؛ وسخرتا منها ، فنهى الله عن سخرية النساء بالنساء ، كما نهى عن سخرية الرجال بالرجال ؛ فلا يجوز أن تعير المرأة المرأة القصر أو الغلظ الكثير ، أو الهزال ، أو الدّين ؛ فقد كانت أم سلمة تشكو إلى رسول الله أنها تعير القصر ؛ وكانت صفة بنت

حُيَّيَّ بن أخطبَ تشكو إلى رسول الله أنها تعير يهودية أبيها ؛ فنهى النبي عن ذلك ، وقال : « إن الله لا ينظر إلى صُوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ؛ ومن يدرى !؟ لعل من تسخر منه هو عند الله أعلى منزلة ، وأرفع شأنًا ! وينهى الله المسلمين أن يعيب بعضهم بعضاً باليد أو بالعين أو اللسان أو الإشارة ، أو يطعن بعضهم على بعض ، أو يكون من الذين يصدق فيهم قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يُبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ، ويدعُ الحِذعُ في عينه » ، والقذاة : ما يقع في العين من تراب ؛ فن عاب غيره استحق الكشف عن عيوبه ، ونشر سيئاته ، فيكون هو الذي تسبب في عيب نفسه .

ح - مَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ

قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بني سلمة ، وليس منهم رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : يا فلان ، فيقولون : مَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إنه يغضب من هذا الاسم ، فنزل قوله تعالى : ولا تنازروا بالألقاب ؛ والمعنى : لا يدعُ أحدكم أخاه باسم يكرهه ، فلا يناده إلا بأحب أسمائه إليه ، ولا يصح أن يعير الرجل اسماً كان يُعرف به قبل أن يُسلم ، فكرهه بعد إسلامه ؛ فلا يقال له : يا يهودي ، ولا يا نصراني ، فإن هذا اسم بثس الاسم ، بعد أن خلع الرجل ما كان فيه ، ودخل في الإسلام ؛ ومن يفعل شيئاً مما مضى من السخرية والهمز والنبز ، فإنه فاسق عاص ، خارج عن طاعة الله ؛ ومن لم يتب عن هذه الألقاب التي يتأذى بها المسلمون ، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم ، لارتكابهم ما نهى الله عنه .

خُضْرَةُ اللَّحْمِ

- ٢ -

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما ، فضم سلمان إلى رجلين ، فتقدم سلمان إلى المنزل ، فغلبته عيناه ، فنام ، ولم يهبي لهما شيئاً ، فجاء فلم يجد طعاماً وإداماً ، فقالا له : انطلق فاطلب لنا من النبي - صلى الله عليه وسلم - طعاماً وإداماً ؛ فذهب فقال له النبي : « اذهب إلى أسامة بن زيد ، فقل له : إن كان عندك فضل من طعام فليعطك » - وكان أسامة خازن النبي - فذهب إليه ، فقال له أسامة : ما عندي شيء ، فرجع إليهما فأخبرهما ، فقالا : قد كان عنده ، ولكنه بخل ؛ ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة ، فلم يجد عندهم شيئاً ، فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة - وهي بئر بالمدينة غزيرة بالماء - لغار ماؤها ؛ ثم انطلقا يتجسسان : هل عند أسامة شيء ؟ فرآهما النبي فقال : « مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما ؟ ! » فقالا : يا نبي الله ، والله ما أكلنا في يومنا هذا لحماً ولا غيره ، فقال : « ولكنكما ظلمتما تأكلان لحم سلمان وأسامه » ، فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن... » ؛ وفي هذه الآية ينهى الله - سبحانه وتعالى - عن إساءة الظن بالناس ، فإن الظن قد يأثم به صاحبه ، وليس معنى هذا أننا نحسن الظن إلى درجة الغفلة ، ولكن الغرض أن نحمل الأمور على المحمل الحسن ، مع التنبيه إلى المحمل السيئ إن كان ، وألا نتهم بدون سبب موجب للتهمة ؛ فعلى الإنسان إذا سمع ما يدعو إلى سوء الظن ألا يسرع إليه ؛ ولكن عليه أن يبحث ويفحص من غير تحسس ولا تجسس ، وألا يتتبع عورات الناس ، فإذا ثبت لديه ثبوتاً

يقينياً ما يوجب سوء الظن ، فعل ما يجب عليه ، ونهى الله عن تتبع عورات الناس ، ومحاولة كشف المستور ، لمجرد الكشف والفضيحة ، وإشاعة القالة في الناس ، ونهى عن الغيبة ، فلا يجوز أن يُذكر إنسان في غيبته بشيء يكرهه إن هو سمعه ، فالغيبة : ذكر العيب في الغيب ؛ وقد مثل الله الغيبة بأكل الميتة ، فكلا الميت والمغتتاب في وضع واحد ، لا يحس أحدهما ما يجري له ولا يدريه ، فالميت يؤكل لحمه ولا يحس ، والمغتتاب يُنهب عرضه ولا يحس ؛ وأكل لحم الميت حرام ، والغيبة حرام ، وهي كما قالوا : إدام كلاب الناس ، ويجب على المسلمين أن يتقوا الله ويخافوه ، فإذا تابوا عما فرط منهم من غيبة أو تجسس أو ظن سيئ ، فإن الله يتوب عليهم ويرحمهم .

الغراب الأسود

- ٣ -

لما كان يوم فتح مكة ، أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بلالا أن يعلو على ظهر الكعبة ، ويؤذن في الناس ، فصعد بلال على ظهر الكعبة وأذن . فساء ذلك بعض سادة قريش ، فتكلموا ؛ وكان ممن تكلم عتاب ابن أسيد . قال : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم ، والحارث بن هشام ، قال : أما وجد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً !!؟ وسهيل بن عمرو . قال : إن يُرد الله شيئاً يغيّره ؛ وأبوسفيان ، قال : إني لا أقول شيئاً أخاف أن يُنخبّر به ربُّ السماء ؛ فأتى جبريل النبي وأخبره بما قالوا . فدعاهم وسألهم عما قالوا . فأقروا ، فأنزل الله : « يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ... » . وزجرهم الرسول عن التفاخر بالأنساب ، والتكاثر بالأموال ، والإزدراء بالفقراء ؛ وفيها يؤكد الله للناس أنهم جميعاً

عند الله سواء ، لا فرق بين أبيضهم وأحمرهم وأسودهم ، ولا فرق بين السامى والآرى والحمى ، فكلهم من أب واحد وأم واحدة ، ثم تناسلوا وتكاثروا ، فصاروا على الأجيال أمماً كبيرة؛ والأمم الكبيرة تنقسم إلى فروع صغيرة ، ايعرف بعض الناس بعضاً ، ويأنس بعضهم إلى بعض ، ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ؛ فلا تفاخر بالأحساب والأنساب ، ولا تكاثر بالأموال؛ ويوم القيامة يقول الله تعالى : « إني جعلت نسباً ، وجعلت نسباً ، فجعلت أكرمكم أتقاكم ، وأبيتم إلا أن تقولوا : فلان ابن فلان ، وأنا اليوم أرفع نسبي ، وأضع أنسابكم ، أين المتقون ؟! أين المتقون ؟! »

(٥)

من الآية ١٤ من سورة الحجرات إلى آخر السورة

قَالَتِ الْأَعْرَابُ : آمَنَّا ، قُلْ : لَمْ تُوْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا :
 أَسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ -١- . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ،
 وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ،
 قُلْ : أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ -٢- . يَمُنُونَ عَلَيْكَ
 أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ : لَا تَتَمَنَّوْا عَلَى إِسْلَامِكُمْ ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ
 أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ -٣- . إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
 غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الأعراب	المراد : أعراب بنى أسد .
آمنا	آمنا بمحمد إيماناً صادقاً باللسان وبالقلب .
أسلمنا	استسلمنا خوف القتل والسبي .

الألقاظ	شرحها
لا يلتكم من أعمالكم شيئاً	لا ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم .
إن الله غفور رحيم	إن الله يسر ذنوب المذنب إذا تاب ، ويرحمه بهدايته إلى التوبة . لم يشكوا .
لم يرتابوا	لم يشكوا .
أتعلمون الله بدينكم	أتخبرون الله بتصديق قلوبكم ؟
يؤمنون عليك أن أسلموا	يظهرون تفضلهم عليك بدخولهم في الإسلام .
الله يمن عليكم	الله صاحب الفضل عليكم .

الأعراب

قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعراب من بني أسد، في سنة مجدبة ، وأظهروا الشهادتين أمام النبي ، وادَّعوا أنهم آمنوا - وكانوا في الحقيقة غير مؤمنين - وأقاموا بالمدينة، وكانوا أعراباً جفاة غلاظاً: أفسدوا جو المدينة بغائطهم ، وأغلوا الأسعار فيها ؛ وكانوا يقولون للنبي : أتيناك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ، فأعطنا من الصدقات ؛ وجعلوا يمينون عليه ، فأنزل الله فيهم : « قالت الأعراب آمنا . . . » .

مجل المعنى

١ - إن هؤلاء الأعراب يدَّعون أنهم دخلوا في الإيمان طواعية واختياراً ، ولم يحاربوه كما حاربه غيرهم من قبائل العرب ، ولذلك يجب عليه أن يفضلهم على غيرهم ، ويقدمهم في توزيع الصدقات ؛ فكشف الله أمرهم ، وأبان حقيقتهم ، وأظهر لنبيه أنهم لم يؤمنوا بقلوبهم ، ولكنهم هبطوا من البادية

وآثروا السلام على الحرب ، فنطقوا بالشهادتين ، وأظهروا الإسلام ، ولكن إسلامهم لم يتجاوز ألسنتهم ؛ وكانوا إلى حين إخبار النبي بحقيقتهم على هذا الوضع ، لم يكن منهم إلا إيمان باللسان ، ولم يتجاوزوه إلى القلب ؛ على أنهم إن يخلصوا في إيمانهم ، لا ينقص الله من أجورهم شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة ، والله يستر على التائب ذنبه ، ويرحمه ويغفر له .

٢ - يؤكد الله أن المؤمنين إيماناً صادقاً خالصاً لوجه الله ، هم الذين يؤمنون بقلوبهم ، ولا يتطرق إليها شك ، ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ؛ هؤلاء هم الصادقون في إيمانهم ، لا الذين يُسلمون طمعاً في صدقة ، أو فراراً من قتل ؛ وحينما أنزل الله هذا على نبيه ، وكشف به سر الأعراب ، أرادوا أن يداروا أنفسهم ، فأقسموا أنهم مؤمنون بقلوبهم ، فبيّن الله لهم أنه ليس في حاجة إلى أن يُخبروه بحقيقة أمرهم ، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فهو عالم علم إحاطة بما تظنون وبما لا تظنون .

٣ - عجباً هؤلاء الأعراب ! يمتنون على النبي أنهم دخلوا في الإسلام ، كأنهم أسلموا له ومن أجله ولمنفعته ؛ فأمر الله النبي أن ينهأهم عن إظهار التفضل عليه ، وأن يبين لهم ألا يُعدوا إسلامهم منة عليه ، وأن الله هو الجدير بأن يمتن عليهم بسبب هدايتهم إلى الإيمان ، إن كانوا صادقين فيما يدعونه من إسلام باللسان ، وإيمان بالقلب .

٤ - والله يعلم كل شيء عظيم أو صغر ، ظهر أو خفى ، في هذا العالم وفي جميع العوالم الأخرى ، وما يعمله هؤلاء الأعراب في المدينة ، وما يمتنون به على محمد وحقيقة إيمانهم ، يعلمه الله كله ، ويحاسب عليه يوم القيامة

سورة ق

نزلت بمكة ، ماعدا الآية ٣٨ فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٤٥ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١١

ق ، وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ -١- . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ
مِنْهُمْ ، فَقَالَ الْكَافِرُونَ : هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ -٢- . أَئِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا ؟ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ -٣- . قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
الْأَرْضُ مِنْهُمْ ، وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ -٤- . بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ ، فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ -٥- . أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ
فَوْقَهُمْ : كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ، وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ -٦-
وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ بَهِيجٍ ، تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ -٧- . وَنَزَّلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا ، فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ،
وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ، رِزْقًا لِلْعِبَادِ ، وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً
مَيِّتًا ؟ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ -٨- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>تراجع الصفحة ١٣ من تفسير الجزء الأول . صاحب المجد والشرف ، والمنزلة الأولى على غيره من الكتب السماوية وغير السماوية . رسول من جنسهم ، يخوفهم عواقب أعمالهم . إعادتنا بعد الموت أمر مستبعد ، يستحيل وقوعه . ما تأكل الأرض من أجسادهم بعد الموت . علم شامل ، محيط بكل أجزائهم ، بحيث لا يغيب عنا شيء منها . كذبوا بالنبوة وبيعت محمد وبالقرآن ، مع إقامة الدلائل على أن هذا كله صدق ؟ . فهم في حالة اضطراب واختلاف ، لا يميزون بين الحق والباطل . كيف رفعناها بغير عمد ، وسويناها سقفاً محفوظاً ، على نظام خاص ؟ . وجعلناها في زينة عجيبة ، بما فيها من نجوم وكواكب . وليس فيها خلل ولا اضطراب ، فلا تفتق ولا تشقق ولا تصدع . والأرض بسطناها لتكون صالحة للسير عليها .</p>	<p>ق المجيد منذر منهم ذلك رجوع بعيد ما تنقص الأرض منهم كتاب حفيظ كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريب كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها</p>

شرحها	الألفاظ
<p>{ وجعلنا فيها جبالا ثوابت ، تحفظها أن تميد وتضطرب .</p>	<p>وألقينا فيها رواسي</p>
<p>{ من كل صنف من النبات يُبهِج ، ويسر بحسنه وجمال منظره .</p>	<p>من كل زوج بهيج</p>
<p>لنبصر به قدرة الله ، ونتذكر عظمته .</p>	<p>تبصرة وذكري</p>
<p>{ لكل إنسان يفكر في خلق الله وبديع صنعته ، ويرجع إليه بقلبه .</p>	<p>لكل عبد منيب</p>
<p>ماء كثير النفع .</p>	<p>ماء مباركاً</p>
<p>بساتين من أشجار وثمار .</p>	<p>جنات</p>
<p>{ وحب الزرع الذي يحصد ، كالقمح والبقول والشعير وغيرها .</p>	<p>وحب الحصيد</p>
<p>وأنبت الله بالماء النخل طويلات ضاربات في الجو .</p>	<p>والنخل باسقات</p>
<p>لها نتاج منظم على ترتيب بديع .</p>	<p>لها طلع نضيد</p>
<p>قوتاً للعباد .</p>	<p>رزقاً للعباد</p>
<p>{ وأحيا الله بالماء بلدة كانت أرضها جدبة ، فصارت خصبة .</p>	<p>وأحيينا به بلدة ميتاً</p>
<p>{ كإحياء الله البلدة الميتة بالماء ، يكون إحياء الموتى</p>	<p>كذلك الخروج</p>
<p>{ يوم القيامة .</p>	<p></p>

مجل المعنى

- ١ - هذا الحرف الذى بدأنا به هذه السورة - وهو القاف - قد ركبت منه وما يماثله من حروف الهجاء ألفاظ القرآن ، وأنتم أيها الكفار المعاندون ، قادرون على أن تصوغوا من هذه الحروف ما شئتم من الأساليب ، ولكنكم عاجزون عن مجارة أساليب القرآن فى فصاحتها وبلاغتها ، والجرى فى مضارها ؛ أقسم بالقرآن ذى الشرف العظيم ، والقدر العالى الرفيع ، إنه لكلام معجز ؛ فإن كنتم فى ريب من هذا فأتوا بسورة من مثله ، واستعينوا بمن شئتم ، إن كنتم صادقين فيما زعمتم . من أن القرآن صنعه محمد .
- ٢ - ينكر الله على كفار قريش عجبهم من أن الله يرسل إليهم واحداً منهم ، ينذرهم ويخوفهم هذه الأمور العظيمة التى يجدونها يوم القيامة إن ماتوا على الكفر ، ومن أن الله يرسل إليهم قرشيّاً منهم ، وأدمياً مثلهم ، ليس ملكاً ولا جنياً ؟
- ٣ - ولم يكتفوا بإظهار العجب من أنهم يبعثون ويحاسبون ، ولم يقتنعوا بهذا ، ولم يصدقوا أن الذى يموت ويصير تراباً يبعثه الله يوم القيامة ، واستبعدوا ذلك واستنكروه .
- ٤ - رد الله عليهم ، مؤكداً أنه ليس ذلك بعيداً عليه ، فهو يعلم ما تأكل الأرض من أجساد الناس بعد موتهم ؛ وذلك أن الإنسان إذا مات تحلل جسمه ، وصار عناصر مختلفة ، ودخلت هذه العناصر فى أشياء أخرى ، تكون حيوانية أو نباتية أو جمادية ؛ والله يعلم ما يصيب الأجسام من التحلل ، وما يجرى على عناصرها بعد ذلك فى تكوين أجسام أخرى ؛ فعلمه شامل ، محيط بكل ذرة من أجزاء أجسامهم . وما تأكل الأرض من لحومهم

وعظامهم ؛ إنه يعلمه ، فإنه محفوظ عنده ، يجري على نظام إلهي ثابت مرسوم ؛ والذي يعرف كل هذا ، ويحيط به تلك الإحاطة ، لا يعجز عن بعث الموتى ، وإعادتهم يوم القيامة لمحاسبتهم .

٥ - هؤلاء الكافرون أنكروا الحق الذي جاءهم به محمد وكذبوه ، فلم يعترفوا بنبوته ، ولا برسالته ، ولم يصدقوا القرآن الذي نزل عليه ؛ وهم مضطربون في كلامهم ، والتبس عليهم أمرهم ، فوصفوا محمداً مرة بأنه شاعر ، ومرة بأنه كاهن ، ومرة بأنه ساحر ؛ ورموه بالجنون .

٦ - وجه الله نظرهم إلى الدليل الحى القائم ، الناطق بأن الله واحد ، وهو أنهم ينظرون في آثار قدرة الله سبحانه وتعالى ، ينظرون إلى هذه السماء القائمة فوقهم ، كيف قامت على غير عمد ، وخلقت على نظام خاص ؟ والنجوم في السماء منتشرة هنا وهناك ، لامعة متألثة ، فيها رونق ، وفيها جمال ، وكيف أن هذه السماء قامت على هذا الوضع منذ خلقت ، ولم يطرأ عليها تصدع ولا تشقق ، ولا تفتق ، ولا اضطراب ؛ الحق أن الإنسان يرى سقفاً مرفوعاً فيسميه سماء ، ويرى نجوماً مضيئة هي زينة السماء ؛ وذلك نظام بديع لا يستطيع أن ينشئه ويقوم عليه ويحفظه إلا الله وحده ، وهو قائم على قانون يسمى قانون الجذب العام ، وهذا القانون يقضى بأن جميع الأجسام بينها تجاذب ، وبأن جميع الكواكب بينها تجاذب ، هذا التجاذب جعلها تبقى في وضعها وعلى نظامها إلى أن يريد الله تغييره ؛ وقد وصل الإنسان بعقله وعلمه إلى أن هناك جاذبية ، وإلى أن هذه الجاذبية لها أثرها في نظام هذا الكون ، ووصل إلى أنه لولا الجاذبية لما تماسكت أجزاء الأرض على سطحها ، ولما كان للأجسام على الأرض ثقل ولا وزن ولا بقاء ، ولما بقي ماء في محيط ولا بحر ولا نهر ، ولما بقي هواء حول الأرض

تعيش عليه الكائنات الحية كلها ، ولما سقط مطر على سطح الأرض ؛ وعلى الجملة لولا الجاذبية لانعدمت الحياة على سطح الأرض ؛ وليست الجاذبية بين الأرض وما عليها ، بل هي أيضاً بين الأرض وغيرها من الكواكب الأخرى ، وبين الكواكب نفسها ؛ فجميع الكواكب في ملكوت الله بينها جميعها تجاذب على نظام خاص ، ونتيجة هذا التجاذب أن كل كوكب متخذ له وضعاً خاصاً بين غيره من الكواكب ؛ وهذه الجاذبية التي وصل الإنسان بعقله إلى نتيجتها وأثرها ، لم يعرفها الإنسان قبل قرنين ونصف قرن ، أى قبل أواخر القرن السابع عشر الميلادي ، وقد دل القرآن على وجودها منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، فما هي حقيقة الجاذبية ؟ وما سرها ؟ هذا شيء انفرد الله بعلمه ، لا يعرفه إلا هو .

٧ - ومن الأدلة على قدرة الله أيضاً ، أنه خلق هذه الأرض وبسطها ، وأعدّها إعداداً يجعلها صالحة للسير عليها ، والانتفاع بها ، وجعل هذه الأرض ثابتة لا تتضرب ولا تميد ، بما خلق لها من جبال وزعها عليها توزيعاً منتظماً ، جعلها كأنها أعمدة فقريّة للأرض ، متلازمة متماسكة ؛ فجبال الدنيا القديمة : آسيا وإفريقية وأوربا ، متصلة بجبال الدنيا الجديدة : الأمريكتين وأستراليا ، وهذا الاتصال ناشئ عن أن المحاور الجبلية تسير أصولها في أعماق المحيطات ، ويتصل بعضها ببعض ؛ فهي إطارات طوقت الأرض من كل جانب ، وحفظتها من الاضطراب والميدان ، وزين الله الأرض وجعلها جميلة ، بما أثبت فيها من زرع نصير ، مختلف الأشكال والألوان والثمار ؛ جعل الله ذلك كله ليتبصر فيه الإنسان ، ويتعظ به ، ويعتبر ؛ وإنما يتعظ ويعتبر الإنسان الذي يرجع إلى الله ، ويفكر دائماً في بديع صنعته .

٨ - ومن الأدلة على قدرة الله أيضاً ، أنه أنزل من السماء ماء فيه منافع كثيرة لولاه لما كانت حياة على وجه الأرض ؛ ومن أثر وجود الماء الحدائق الناضرة ، والزرع الكثيرة المختلفة ، الذي يزرعها الإنسان ، ويتعهد بها ؛ فإذا نضجت حصدها ، وأخذ حبها ، وعاش عليها هو وحيوانه : كالقمح والشعير والبقول وغيرها ؛ وكذلك نزرع النخل ، ونرُويه بالماء ، فيطول ويمتد في السماء ، ويخرج ثمراً حسن النظام والترتيب ، قد تراكم بعضه فوق بعض ؛ وهذا كله رزقنا الله به لتغذى منه ، ونعيش عليه ؛ والماء إذا نزل في بلدة أرضها قحلة ميتة ، فإنه يحييها ، ويخرج منها زرعاً نأكله وتأكل منه أنعامنا ؛ والذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها ، قادر على إحياء الإنسان بعد موته ، والأمران متشابهان ، فليس عجباً إذن أن يحيينا الله يوم القيامة ، ليحاسبنا على أعمالنا في الدنيا .

(٢)

من الآية ١٢ إلى الآية ٢٢ من سورة ق

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ، وَعَادُ
وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ، كُلٌّ
كَذَّبَ الرُّسُلَ ، فَحَقَّ وَعِيدِ -١- . أَفَعَيِّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ؟
بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ -٢- . وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ،
وَنَعَلِمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ،
إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ
مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ -٣- . وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ
بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ -٤- . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ،
ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ -٥- .
لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ، فَبَصَرُكَ
الْيَوْمَ حَدِيدٌ -٦- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>قبل قریش . أصحاب البئر ، ونبيهم : شعيب . قوم شعيب أيضا .</p>	<p>قبلهم وأصحاب الرّسّ وأصحاب الأيكة</p>
<p>تبّع : ملك في اليمن آمن بالله ، ودعا قومه إلى الإيمان بما آمن به ، واسمه : أسعد ، وكنيته : أبو كسّاب . هؤلاء الأمم جميعاً كذبوا رسل الله . فوجب عليهم عقابي . أفعمجنا عن أن نخلق الناس في المرة الأولى ؟ (في حيرة من البعث بعد الموت ؛ فبعضهم يصدق ، وبعضهم يكذب . ما يدور في ضميره ، ولا يمكن أن يعرفه أحد .</p>	<p>وقوم تبّع كلّ كذب الرسل فحقّ وعيد أفعمينا بالخلق الأول في لبس من خلق جديد ما توسوس به نفسه</p>
<p>الحبل : العرق ، والوريدان : عرقان يكتنفان صفتحي العنق ، وحبل الوريد أقرب شيء إلى موضع الحس من الإنسان .</p>	<p>من حبل الوريد</p>
<p>إذ يسجل الملكان الموكلان بالإنسان كل ما يعمل (ملازمان ، والمراد : قعيد عن يمين الإنسان ، وقعيد عن شماله . ما يخرج من فمه من حديث . ملك مراقب أعماله ، حاضر أقواله وأفعاله . شدة الموت التي تذهب العقل .</p>	<p>إذ يتلقى المتلقيان قعيد ما يلفظ من قول رقيب عتيد سكرة الموت</p>

الألفاظ	شرحها
بالحق	{ بما يفهم منه الإنسان أنه مقبل على حق ، كان يبلغ به فيشك فيه .
ذلك ما كنت منه تعيد ونفخ في الصور	ذلك ما كنت تهرب منه ، وتروغ عنه . وأعلم الناس بيوم البعث ، والصور : البوق .
ذلك يوم الوعيد	{ هذا هو اليوم الذي وعد الله الكافرين أن يعذبهم فيه .
سائق وشهيد	{ ملك يسوقها إلى الحساب . وملك يشهد لها أو عليها بما عملت .
لقد كنت في غفلة من هذا	{ لقد كنت أيها الإنسان غافلاً لا هياً عما تلقاه في هذا اليوم ، من الأهوال والشدائد .
فكشفتنا عنك غطاءك	فأوضحنا لك ما كان مخفياً عنك ، وأزلنا غفلتك .
فبصرك اليوم حديد	{ فأنت اليوم نافذ البصر ، عالم بما كنت غافلاً عنه في الدنيا .

بجمل المعنى

١ - هال محمداً - عليه الصلاة والسلام - أن قريشاً لا تؤمن به ، فأراد الله أن يسرى عنه ، فأخبره أنه لم يكن يدعاً بين الرسل ، فإن من سبقه منهم كذبهم قومهم ، فوجب تعذيب الله لهم ؛ ومثل له بقوم نوح ، وأصحاب الرسّ وثمود قوم صالح . وعاد قوم هود ، وقوم فرعون أصحاب موسى ، وقوم لوط ، وقوم شعيب ، وقوم تبع ، وقد ذكرنا قصة أصحاب الرسّ في الفقرة ٣ من الصفحة ١٤ من تفسير الجزء ١٩ ؛ وذكرنا قصة قوم تبع في الفقرة ١١ من الصفحة ١٠١ من تفسير الجزء ٢٥ ؛ فإنه إذا ذكر هؤلاء ، وما

جرى بينهم وبين أقوامهم ، وما أصاب الأقسام نتيجة تكذيبهم ، هان عليه أمر قومه ، وتكذيبهم إياه .

٢ - ينكر الله على الكفار شكهم في بعثهم بعد الموت ، فبيّن أن من لم يعجز عن إيجاد العوالم ابتداءً ، ومن قدر على الإنشاء والابتداع ، لا يعجز عن الإعادة ؛ فإذا كان المعاندون لا ينكرون أن الله هو الذى أنشأ وابتدع في الإيجاد أول مرة ، فكيف ينكرون أنه قادر على البعث والإعادة ، ويقولون : أئذا متنا وكنا تراباً نعود إلى الحياة ؟ !! ذلك رجع بعيد ؛ إنهم في اعترافهم أولاً ، وإنكارهم ثانياً ، يخلطون ، ولا يحسنون التفكير والتمييز : استولى عليهم الشيطان وحبرّهم وأربكهم .

٣ - الله - سبحانه وتعالى - هو الذى خلق الإنسان ، ويعلم كل ما يأتي وما يدع ، لا تخفى عليه خافية ، حتى طرفة العين ، وحديث النفس ، وخلجة الضمير ، فالله أقرب إلى قلب الإنسان وعقله من مجارى الدم في جسمه ، ويحصى كل ما يجرى منه : له أو عليه ، حساً أو معنى ، ظاهراً أو خفياً ، نية أو فعلاً ؛ وصور الله لنا ذلك بأقوى ما يمكن أن يتصوره إدراك الإنسان ، من التحفظ والتمكّن والإحصاء ، بحيث لا تفوته واردة ولا شاردة ؛ وما ظنك بإنسان عن يمينه وعن شماله ملكان ملازمان له ، لا يتركانه في يقظة ولا في نوم ، يعدان عليه كل ما يأتي من خير أو شر ، فعلاً أو قولاً ؟ !! هذان الملكان يقيدان في صحائفه جميع ما يتلقيانه عنه ، فلا يلفظ من قول ، ولا يأتي بعمل ، إلا قيد من على يمينه حسناته ، ومن على شماله سيئاته . وهما رقيبان لا يغيبان ، وأمينان لا يخونان ؛ وإذا كان الإنسان يعلم علم اليقين أنه مُحصى عليه كل شيء : صغر أو كبر ، عظم أو حقير ، في خير أو شر - فإنه ينأى عن الشر ، ويقبل على الخير ، مطمئن النفس ، مرتاح الضمير .

٤ - نبه الله الناس إلى أنهم مبعوثون يوم القيامة ، وإلى أنه يُحصي عليهم كل ما يفعلون ؛ فإن ينكروا فسيأتهم الموت قريباً ، ويلقون شدة الموت وسكراته ، وقسوة نزع الروح ، فينتهبون إلى ما كانوا عنه غافلين ، ويعرفون أن ما دُعوا إليه من الإيمان كان لمنفعتهم ، فجادوا عنه ، ونفروا منه .

٥ - وفي يوم القيامة يأذن الله ببعث الناس فيبعثون ، ويعرفون أن هذا هو اليوم الذي وعدهم الله أن يبعثوا فيه ، ليحاسبوا على ما قدموا في الدنيا من خير وشر ، ويساق الناس للحساب ، لا مفر لهم منه ، ويأتى كل إنسان - سواء أكان مطيعاً أم عاصياً - ومعه الملكان اللذان كانا موكلين به في الدنيا . وصحيفة أعماله التي قيدت فيها حسناته وسيئاته ، فيسوقانه إلى موقف الحساب ، ويشهدان على ما فعله في الدنيا من خير أو شر ، فلا يستطيع إنكارها ، ولا يحاول ذلك ، لقيام الحجة القوية التي لا تقبل جدلاً ولا نقاشاً .

٦ - يرى العاصون ما ينتظرهم من حساب ، ويرون أعمالهم حاضرة أمامهم ، فيقال لهم على سبيل التبكيت : هذا هو الذي كنتم غافلين عنه ، وكنتم تنهبون إليه فلا تنتهبون ، ألهتكم زخارف الدنيا وشهواتها ، وأعماكم ما كنتم فيه من مال وولد ، وجاه وسلطان ، فاتبعتم هواكم ، وخالفتم مولاكم ؛ أما الآن فقد وضحت الحقيقة أمامكم ، وانكشف الغطاء عن أعينكم ، ورأيتم أن ما أنكرتموه بالأمس ، هو حقيقة واقعة اليوم .

(٣)

من الآية ٢٣ إلى الآية ٣٥ من سورة ق

وَقَالَ قَرِينُهُ : هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ، أَتَقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ، مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ -١- الَّذِي جَعَلَ مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ -٢- قَالَ قَرِينُهُ :
رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ ، وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ، قَالَ : لَا تَخْتَصِمُوا
لَدَىٰ ، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ ،
وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ -٣- . يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّامٍ : هَلِ امْتَلَأْتِ ؟
وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ -٤- . وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ،
هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ
بِالْغَيْبِ ، وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ -٥- ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ، ذَلِكَ يَوْمُ
الْخُلُودِ ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ، وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ -٦- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
وقال الملك الموكل بسيئات العاصي . هذا الذي عندي من عمله حاضر معدّ . أمر من الله للسائق والشهيد .	وقال قرينه هذا ما لدىّ عتيد ألقيا
كل مصر على العصيان في الدنيا ، جحود لنعم الله عليه ، معاند للحق .	كل كفار عتيد
لا يعمل الخير ، ولا يترك غيره يعمله . ظالم لغيره ، شاكّ فيما يُعده الله للعصاة من العذاب . قرين السوء الذي حرضه على العصيان . ما حملته أنا على الطغيان والمعصية .	مناع للخير معتد مريب قرينه ما أطفئته
طغى اختياراً ، لأنه كان غارقاً في الضلال ، فما كان في حاجة إلى غواية مُغو .	كان في ضلال بعيد
لا تختصموا أمامي يوم القيامة ، فليس هذا وقت الاختصام	لا تختصموا لدىّ
وقد سبق أن أندرتم في الدنيا بالعذاب ، إن استمررتم على عصيانكم .	وقد قدمت إليكم بالوعيد
لا يغير ما بينته لكم في الدنيا ، من مكافأة المطيعين ، وعقاب العاصين .	ما يبديل القول لدىّ
هل من عصاة لم أستوعبهم بعد؟ إن كانوا موجودين ، فأنا مستعدة لاستقبالهم .	هل من مزيد

الألفاظ	شرحها
وأزلفت الجنة للمتقين هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ بالغيب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ولدينا مزيد	وقربت الجنة من المتقين ، فهي في متناولهم . هذا هو الذى وعدكم الله إياه فى الدنيا . لكل كثير الرجوع عن المعاصى ، كثير التسبيح لله ، كثير التذكر لذنوبه ، حتى لا يعود إليها . مع أنه لا يراه . مقبل على الطاعة ، راجع إلى الله . ادخلوا الجنة سالمين آمنين . هذا هو اليوم الذى وعدتم أن تدخلوا فيه فى الجنة . وعند الله لهم أكثر مما يشاءون ويطلبون .

مجمع المعنى

- ١ - وإذ يقَدِّم العاصي للعذاب يجد عمله كله : خيره وشره ، نفعه وضره -
حاضراً أمامه ، يراه رأى العين ، ويقول الملك الذى يسجل عليه سيئاته :
هذا كتابه ينطق عايه بالحق ، وهو حاضر مهياً ، قد استقصى كل أقواله
وأعماله ، وليس له إلا قدر ضئيل من الحسنات ، فيأمر الله السائق والشهيد أن
يلقي فى النار كل عاص جحود لنعم الله ، معاند للحق ، حائد عن طريق الصواب ،
مناع للخير عن الناس ، أياً كان ذلك الخير ، سواء أكان فى زكاة يؤديها ،
أم صدقة يتصدق بها ، أم كلمة طيبة ، أم عمل نافع ؛ أم كان قد صدَّ غيره عن
خير كان يريد أداءه ، فإن مانع غيره كمانع نفسه ؛ وكان يعتدى على الناس
ويؤذيهم بيده أو لسانه ، ويشك فيما يعده الله للعصاة من النار فى الآخرة .
- ٢ - ويأمر الله كذلك أن يلقي فى أشد أماكن جهنم وأقساها ، الذى يجعل مع

الله إلهاً آخر؛ وذلك أن جهنم دركات ، وأسفل هذه الدركات للمشركين الذين يعبدون آلهة أخرى من دون الله .

٣ - الإنسان الذي اتصف بهذه الصفات المتقدمة : العصيان ، والإشراك ، والعناد ، ومنع الخير ، والاعتداء ، والشك - يُتهم قرينُ السوء بأنه هو الذي أطغاه ، وحاد به عن الطريق المستقيم ، وأنه لولاه ما عصى الله ، فيتبرأ منه قرينه . ويقول لله سبحانه وتعالى : ربنا ، لست أنا الذى أضلته ، ولكنه هو الذى كان قلبه مغلقاً عن الإيمان ، نافرأ من دعوة الداعى ، فلا تسمع لها أذنه ، ولا يفتح لها قلبه ، ولا يتأثر عقله ؛ هو الذى كان فى ضلال بعيد عن الحق ، وكان ميالاً إلى المعاصى ؛ فيجيبهم الله : لا فائدة من الجدال والخصام فى موقف الحساب ، فقد أرسلت إليكم رسلى فى الدنيا ، وحذرتكم عواقب أعمالكم السيئة ، ولا يغير ما بينته لكم فى الدنيا ، من مكافأة المطيعين ، وعقاب العاصين ، فلا تطمعوا فى تغيير ما بينته لكم ، فن عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما أنا بظلام للعبيد .

٤ - فى يوم القيامة ، تكون جهنم فاتحة أفواهها تستقبل العصاة فوجاً بعد فوج ، وتلتهمهم التهاماً ؛ وقد صور الله ذلك فى صورة سؤال وجواب ، لتحويل أمر النار ، وفى الحديث عن رسول الله : « لا تزال جهنم يُلقى فيها ، وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها ، فينزوى بعضها على بعض ، وتقول : قط قط ، بعزتك وكرمك » ؛ ومعنى تنزوى : تنقبض على من فيها وتشتغل بعذابهم ، وتكف عن طلب المزيد ؛ وقط : حسبي .

٥ - أما الجنة فإنها تكون قريبة جداً من المتقين الذين خافوا الله فى الدنيا ، وأطاعوا رسله . وآمنوا به وعبدوه ، ويقال لهم : هذا هو الذى وعدكم الله إياه فى الدنيا ؛ وجعله جزاء لكل من غالب شيطانه ، ورجع عن قبح المعصية

إلى جمال الطاعة ، كما رجع عن شر الذنب إلى خير التوبة ، وحافظ على ما ائتمنه الله عليه من نعمة ، فعرف فضله ، فأدى له حقه من الطاعة والعبادة ، وخاف الله في الدنيا قبل أن يلقاه في الآخرة ؛ فلما لقيه لقيه بقلب تائب من الذنب ، راجع عما كان يدفع إلى المعصية ، معتصم برضا الله ورحمته .

٦ - يقال للمؤمنين يوم القيامة في حنان ورفق : ادخلوا الجنة سالمين آمنين ، فالله راض عنكم ، وملائكته يحفون بكم ، فلا يصيبكم عذاب ، ولا يدنو منكم شرّ ، وهذا هو اليوم الذي تخلدون فيه ، وتظلون في الجنة ، تعيشون أنعم عيش ، وتتقلبون في أرغد نعيم ، كل ما تشهونه تجدونه ، وعند الله أكثر مما تطلبون .

(٤)

من الآية ٣٦ من سورة ق ، إلى آخر السورة

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ، فَنَقَّبُوا
فِي الْبِلَادِ ، هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ؟ -١- . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ
كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ -٢- . وَاقْدُرْ خَلْقَنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَمَا مَسَّنَا مِنْ
لُغُوبٍ ، فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ، وَأَذْبَارَ
السُّجُودِ -٣- . وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ :
يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ : ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ -٤- . إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ، وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ، يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ
سِرَاعًا ، ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ -٥- . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ،
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ، فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ -٦- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من قرن بطشاً	من أمة تأتي بعد أخرى . قوة .
فنقبوا في البلاد	فساروا في البلاد ، وطوفوا بها ، وتصرفوا فيها .
هل من محيص	هل من الموت مفر ومهرب ؟
إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب	{ إن فيما تقدم ذكره لموعظة يتعظ بها العقلاء الذين يفكرون ويتدبرون .
أو ألقى السمع وهو شheid	{ أو أحسن الاستماع للقرآن ، ولما يقدم له من مواعظ ، وكان عقله حاضراً يحسن استقبال ما يسمعه وتلقّيه ، ثم يعيه .
في ستة أيام	في ست فترات .
وما مسنا من لغوب	وما أصابنا تعب ولا إعياء
على ما يقولون	{ على ما يقوله المشركون وغير المشركين ، مما لا يليق أن ينسب إلى الله وإليك .
سبح بحمد ربك	اذكر ربك واشكره على نعمه .
قبل طلوع الشمس	عند صلاة الصبح .
وقبل الغروب	وعند صلاة الظهر والعصر .
ومن الليل فسبحه	{ وسبحه بعض الليل : وذلك عند صلاة المغرب والعشاء .
وأدبار السجود	وأعقاب السجود ، وآخر الصلوات .

الألفاظ	شرحها
واستمع	{واستمع لما أخبرك به يا محمد من أحوال يوم القيامة وأهواله .
يوم يناد المناد من مكان قريب	يوم إعلان الناس بيوم البعث . بحيث يسمعون صوت المنادى كأنه في آذانهم .
ذلك يوم الخروج الصبيحة .	{ذلك يوم الخروج من القبور ، والبعث للحساب والجزاء . النفخة الثانية .
{يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً حشر علينا يسير وما أنت عليهم يجبار من يخاف وعيد	{يوم تتصدع الأرض ، ويخرج الموتى من صدوعها مسرعين . جمع للخلائق سهل علينا . . لست مسلطاً عليهم ، ترغمهم على اتباعك . من يخاف عذابي ، وما أعددت من العذاب لمن عصاني .

مجمل المعنى

١ - لقد أهلكنا كثيراً من الأمم التي كذبت أنبياءها ، وكانت هذه الأمم أقوى من قريش قوة . وأعظم بأساً . وأشد بطشاً ؛ فطوفوا في البلاد ما شاءوا أن يطوفوا . وترددوا في أرجائها ما استطاعوا أن يترددوا ، وتصرفوا فيها ما أرادوا أن يتصرفوا ؛ فهل استطاعوا مع قوتهم وتجاهلهم وثرانهم ، أن يفروا من عذاب الله . وأن يجدوا لهم مهرباً من وعيد الله ، ومنجى من قضاء الله ؟

٢ - إن فيما ذكره الله من إهلاك أمم كثيرة قبل قريش - لأنها كذبت رسلها - لموعظة لكل إنسان له عقل سليم ، يتلقى الدعوة فيفكر فيها ، فيؤمن بها ؛ وكل إنسان له أذن تسمع ، وله عقل حاضر ، ينحدر إليه ما يتلقاه سمعه ، فيستقبل استقبال المفكر المتبصر ، فينتفع ويعتبر ، فعليه أن يتأمل ما أصاب هذه الأمم ، ويتعظ به .

٣ - زعمت اليهود أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، واستراح في اليوم السابع ، وهو يوم السبت ، وواجهوا بذلك محمداً ، فغضب غضباً شديداً ؛ فأنزل الله عليه مؤكداً أنه خلق السموات وما فيها من كواكب ، وخلق الأرض وما فيها من مياه وجبال ، ونجاد ووهاد ، وما بينهما من هواء ، في ستة أزمنة ، ولم يلحقه تعب حتى يحتاج إلى الراحة ؛ وأمر النبي أن يصبر على افتيات اليهود على الله ، وكذبهم عليه أنه يلحقه تعب ، وأنه يحتاج إلى الراحة ، فإن هذا لا يجوز عليه - سبحانه - ؛ وأمر الله نبيه أن يؤدي الصلاة له في أوقاتها ، وأن يسبح ربه في أعقابها ، فإن ذلك خير ما يلجأ إليه الإنسان إذا غضب أو استغضب ، فضاق صدره ، فإن في تسبيح الله فرجاً من كل كرب ، ومتسعاً من كل ضيق ؛ وهذه الآية نزلت بالمدينة .

٤ - واستمع يا محمد يوم ينادى المنادى ، فتسمعه الخلائق جميعها ، كأنما هو يلقى صوته في آذانها ، فيسمعون صيحة البعث الذي لا ريب فيه ، فيخرج الناس من قبورهم ، كأنهم جراد منتشر .

٥ - يؤكد الله أنه هو الذي يحيي الخلائق ، وأنه هو الذي يميتها ، ولا يقدر على الإحياء والإماتة أحد غيره ، ومرجع الخلق كلهم إليه في يوم القيامة ، وهو اليوم الذي تتشقق فيه الأرض وتتصدع ، فيخرجون من بين شقوقها

مسرعين ؛ وجمع هؤلاء الخلق جميعاً ، وسوقهم إلى الموقف للحساب والثواب والعقاب ، أمر هين على الله ، فإن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ؛ ولا تأبه يا محمد لقول الكفار : أئذا متنا وكنا تراباً ، ذلك رجع بعيد؟ .

٦ - يخبر الله نبيه محمداً بأنه هو الذى يعلم ما يقوله هؤلاء الكافرون ، من مثل إنكارهم البعث والحساب ، ومن تكذيبه فى الدعوة إلى التوحيد ، ومن إصرارهم على عبادة الأصنام ، وغير ذلك ، ويذكر له أنه ليس مسلطاً عليهم ، وليس مكلفاً أن يرغمهم على طاعته والإيمان به ، وإنما هو مذكر ، يدعو إلى الإيمان ، ويُقيم الدليل على صحة ما يدعو إليه ، وأن يُذكر بالقرآن من يخاف الوعيد الذى هدد الله به من كذب وعصى ؛ فمن أصر على المخالفة عذب عذاباً شديداً ؛ ومن استجاب وآمن رضى الله عنه ، وأدخله الجنة يتمتع بنعيمها ، ويخلد فيها ، وحسبه رضا الله .

سورة الذَّارِيَاتِ

نزلت بمكة ، وآياتها ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ٢٣

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ، فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ، فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ،
فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا ، إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّ الدِّينَ
لَوَاقِعٌ -١- . وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُوبِ ، إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ،
يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ، قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ
سَاهُونَ ، يَسْأَلُونَ : أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ : يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ
يُفْتَنُونَ ؟ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ، هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ -٢- .
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ، فِيهَا
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ،
وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ، وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ -٣- .
وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ -٤- . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ -٥-

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ -٦- . فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ -٧- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا فَالْحَامِلَاتِ وُقُورًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا	أقسم بالرياح التي تفرق الأشياء تفريقاً . فالسحاب الحاملات ثقلاً من الماء . فالسفن التي تجرى ميسرة في الماء جرياً سهلاً . فالملائكة التي تقسم أمر الله بين خلقه كما أمرت به . } إن ما وعدكم الله من قيام الساعة لحق لا مرية فيه ، ووعدهم لا شك فيه .
إِنَّمَا تُوَاعَدُونَ لِصَادِقٍ وإن الدين لواقع	وإن الحساب والجزاء لكائن وحاصل لا محالة . } ذات الزينة بما فيها من الكواكب ، مفردتها : حَبِيكَةٌ .
ذات الحبك	{ قول باطل متناقض ، ومذاهب مختلفة ، يكذب بعضها بعضاً في حق محمد .
قول مختلف	{ يُصْرَفُ بِسَبَبِ هَذَا الْقَوْلِ الْمُخْتَلَفِ مِنْ صَرْفٍ عَنِ القرآن .
يؤفك عنه	لعن الكذابون الذين يقولون ما لا يعلمون . في غفلة وجهالة ساهون لاهون عن أمر يوم القيامة . متى يوم الحساب ؟
قتل الحراصون في غمرة ساهون أيان يوم الدين	

الألفاظ	شرحها
يُفتنون ذوقوا فتنتكم كنتم به تستعجلون ما يهجعون	يحرقون ويعذبون . يقال لهم : ذوقوا عذابكم ، جزاء تكذيبكم . كنتم تستعجلونه في الدنيا . ينامون ، وما : زائدة .
وبالأسخار هم يستغفرون	يصلون ويستغفرون ربهم وقت السحر ؛ والسحر : قبيل الصبح .
حق للسائل والمحروم	زكاة ونصيب للمحتاج الذي يسأل الناس لفاقته ، وللمحتاج المحروم الذي لا يسأل تعذفاً .
وفي السماء رزقكم وما تواعدون	أسباب رزقكم بالمطر في الدنيا ، وسعادتكم وشقاؤكم في الآخرة .
لحق مثل ما أنكم تنطقون	لحق ثابت مثل نطقكم .

مجل المعنى

١ - أقسم الله سبحانه وتعالى بالرياح التي تفرق الأشياء من تراب وغيره ، وتنشرها نشرًا ، وتذروها ذرًا ، وتسوقها سوقًا ، وأقسم بما فوقها من السحب الحاملات حملا ثقيلًا من الماء ، تُزجيهما الرياح إلى حيث تسقط أمطاراً على الأرض ؛ وأقسم بالسفن التي تجرى على الماء جرياً ذا يسر وسهولة ؛ وأقسم بالملائكة التي تقسم أمر الله في تصريف الكون على حسب إرادته وتدييره ، كما تقضى مشيئته ؛ وقد أقسم سبحانه وتعالى بهذه الأمور الأربعة لعظمتها وشرفها ، وجليل منافعها ، ومكان العبرة فيها ، ولدالتها على قدرة خالقها ،

وربوبيته ووحدانيته ، ففي الرياح عبرة لمن يعتبر ، وذكرى لمن يتذكر :
في هبوبها وسكونها ، ولينها وشدتها ، واختلاف طبائعها وصفاتها ، ومهابها
وتصرفها ، وتنوع منافعها ؛ فالرياح تنشر السحاب وتؤلفه وتسوقه ،
وتلقح النبات ، وتسوق السفن ؛ وهي تارة رخاء ، وتارة عاصفة ، وتارة
رحمة ، وتارة عذاباً ؛ وتحيي الزرع تارة ، وتميته تارة أخرى ، وتنجي السفن
تارة ، وتهلكها تارة أخرى ؛ والسحاب آية من آيات الله ، مسخر بين
السماء والأرض ، يحمل أرزاق العباد إلى حيث يشاء الله ، فينزل ومعه حياة
الأرض وخصبها ؛ والسفن موضع تفكير وتأمل ، وبرهان ظاهر على
قدرة الله ، أمسكها على ظهر الماء ، وسخر لها البحر ، وجعل الرياح
تسوقها على الماء سوق السحاب في السماء ، وحفظها في مجراها وهرساها
من طغيان الماء ، وعلم الإنسان الضعيف صنعة هذا الفلك العظيم ، يمشي
على الماء ، ويقطع المسافات إلى بلاد لولاه ما بلغها ، فترتبط جوانب
الأرض بالمعرفة والتعاون ؛ وجعل الملائكة تصرف كما يشاء أمره ، وتنفذ
كما يريد حكمه ، وتدبر ما يرى وما لا يرى من أمر هذا العالم : أعلاه
وأدناه ؛ وقد أقسم سبحانه وتعالى بهذه الأربعة الجليلة العظيمة ، على أن
ما وعد به العباد من أمر الساعة والحساب ، والثواب والعقاب ، لهو وعد
صدق وحق ، لا ريب فيه ، وأن جزاء الناس على ما عملوا في الدنيا بالخير
خيراً ، وبالشر شراً - لأمر واقع لا محالة ، وكائن لا مفر منه .

٢ - وأقسم بالسماء التي بناها ، ورفع سمكها وسواها ، وجبك بناءها ، وأحسن
خلقها . وأحكم نسجها ، وأبدع نظامها ، وزينها بالكواكب ، وبيّن
طرائق النجوم فيها ، على أن المشركين يخوضون في حديث باطل ، ويقولون
قولاً متناقضاً مختلفاً ، فضلوا عن الحق بطرائق متناقضة ، ومذاهب

متعددة ، فقالوا في محمد : إنه ساحر ، بل شاعر ، وقالوا : إنه افتري القرآن ، وقالوا : إنه أساطير الأولين ؛ وقالوا : إنه كاهن ، بل مجنون ، فضلوا وأضلوا عن سبيل الله ، وصُرف بسبب هذا القول المختلف من صُرف عن الدين والقرآن ، وإن هم إلا يخُصّصون ويكذّبون فيما يقولون ؛ لعن الخرّاصون الكذّابون الذين يفترون على الله وعلى نبيه ما لا يعلمون ، الذين انغمروا في الغفلة والجهالة ، وغرقوا في الكفر والضلالة ، فسهبوا وتاهوا عن الحق ، وعن أمر يوم القيامة ، وصاروا يسألون سخرية : متى يوم الجزاء ؟ متى نقوم من قبورنا ، ونبعث للحساب ، ونساق إلى العذاب ؟ ختم الله على قلوبهم فقالوا ذلك إمعاناً في الجحود ، واستهزاء بما وعد الله ، فقل لهم : إن يوم الساعة هو اليوم الذي تُحرقون فيه بنار جهنم ، وتلاقون فيه العذاب الأليم ، ويقال فيه لكم : قاسوا العذاب ، وذوقوا العقاب الذي كنتم تُنكرونه في الدنيا ، وتستعجلون وقوعه استخفافاً واستهزاء .

٣ - وبعد أن ذكر الله الكفار وأحوالهم وعذابهم ، ذكر حال المتقين الذين آمنوا بربهم في الدنيا ، وزادهم هدى ، فبيّن أنهم في الآخرة سينعمون بحياة طيبة ، ويقومون في بساتين وحدائق ، فيها عيون جارية ، استتماماً لنعمتهم ، واستكمالاً لراحتهم وهناءتهم ، متقبلين ما أعطاهم الله من الخير والكرامة ، راضين به . لأنهم كانوا في الدنيا لا يصدر عنهم إلا الإحسان في أعمالهم ، وأقوالهم وإيمانهم ، وكانوا يعبدون الله حق عبادته ، ويُخلصون كل الإخلاص في أداء الحقوق والفرائض والمعاملات ، وكانوا يقضون الليل إلا أقله في العبادة ، ولا ينامون إلا قليلاً منه ، وكانوا يستغفرون الله آخر الليل عند السحر ، فباتوا لربهم سجداً وقياماً ، ثم تابوا إليه واستغفروه عند انقضاء الليل ؛ ومع إحسانهم بالإخلاص في عبادتهم لربهم ، فقد كانوا محسنين

إلى الخلق ، فأنفقوا على الناس من أموالهم ، وجعلوا منها نصيباً وحقاً للمحتاجين ، من السائل الذي يسأل الناس أن يعطوه ما يمسك رmqه ، والمحروم الذي حرم الرزق ، ولا يسأل الناس شيئاً ، ولا يطلعهم على حاجته ، فيحسبه الجاهل غنياً من تعففه .

٤ - وقد حث الله الإنسان على النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض ، وأن تكون آثار قدرة الله فيهما التي يراها بالمشاهدة والتأمل ، هي طريق إيمانه واعتقاده ؛ ففي الأرض آيات وعلامات تدل على قدرة الله ، وتهدى إلى الاعتقاد بأن من قدر على خلقها وخلق الإنسان فيها ، قادر على أن يحييه بعد الموت ، وأن يبعثه للحساب يوم القيامة ؛ كما أن الأرض تنبت الزرع الذي يخرج حباً متراكباً ، والشجر الذي يثمر ثمراً جنياً ، وقد قدر الله فيها أقوات الحيوان ، وذلها للإنسان ، يمشى في مناكبها ويأكل من رزق الله ؛ إن في ذلك كله لآيات لمن يؤمنون بالله إيماناً مبعثه اليقين ، ويعترفون بوحداية الله ، وصدق نبوة محمد ، بما انتفعوا من تدبر آيات الله ، ومطالعة عظمتة وقدرته فيها ؛ تعالت قدرته ، وتجلت حكمته ؛ جعلها فراشاً وقراراً ومهاداً ، لتكون مقر الإنسان وسكنه ، وذلها لعبيده ، فأثاروها وعمروها ، واستخرجوا ماءها ، وجواهرها وزيتها ، وجعلها موئل الأحياء ، تحملهم على ظهرها ، وملجأ الأموات ، تضمهم في بطنها ، ونوع في معادنها ، فجعل منها التراب والحجر ، والذهب والفضة ، والياقوت والزمرد ، والحديد والنحاس والرصاص ، والألمنيوم والأورانيوم ، والراديوم ؛ واقتضت حكمته أن يكون التراب أو الحجر - وهما أقلها قيمة - أعظم نفعاً للناس ، واو كانت الأرض كلها من الجواهر الكريمة ، والمعادن النفيسة ، لتعطلت المنافع المقصودة منها .

٥ - وقد حض الله على أن يفكر الإنسان في نفسه ، فإنه يرى فيها آيات وعبراً ، وتستبين له فيها دلائل القدرة ، ويسطع له منها نور اليقين ، وتنشع ظلمة الجهل والشك ، إذ يجد أنه كونه من عظام مركبة ، يكسوها لحم وعضلات منضدة ، وأوصال متعددة ، مشدودة بعروق وأعصاب ، وقد جعل له منافذ للسمع والبصر والشم والطعام والشراب والتنفس ، والخروج الفضلات التي يؤذى الجسم احتباسها ، وجعل إفراز الأذن مُرّاً ، وإفراز العين ملحاً ، لصيانة كل منهما بما يناسبه ، كما جعل الإفراز في الفم حلواً ، ليستسبغ به ما يأكل وما يشرب ، ولكيلا يتقرّز منه إن كان مُرّاً أو ملحاً ، كما جعل في وجهه مصباحين يُضيئان له ، وغشاهما بطبقات ورطوبات حماية لهما وصيانة ، وجعل على كل منهما بابين: أعلى وأسفل ، وركب لهما أهداباً من الشعر ، وقاية لهما وجمالاً ؛ وجعل فوقهما حاجبين من الشعر يحجبان عنهما العرق النازل ، وينهانهما إلى ما ينصب من فوقهما ، فينطبقان ويتقيان الأذى ، كما جعل الحفنين ينطبقان وينفتحان ، لتبقى مرآة العين نقية صافية ، وقد خلقت العينان بغطاء ، والأذنان بغير غطاء ، لحكمة عظيمة . إذ لو كان للأذنين غطاء ، لمنع الغطاء إدراك الصوت ، فلا يحصل إلا بعد ارتفاع الغطاء ؛ والهواء الصالح يدخل إلى الرئتين ، ثم يصير فاسداً ، فيخرج كما تخرج الفضلات الفاسدة ؛ ثم إنه سبحانه - جعل الحناجر مختلفة لتختلف الأصوات ، فلا يتشابه صوتان ، كما لا تتشابه صورتان ، وأودع اللسان قدرة الكلام وقدرة الذوق ، وجعله دليلاً على الصحة والاعتلال ، بما يبدو عليه من إفراز وألوان ؛ وفوق هذا فإن الحواس تؤدي ما ترى وما تحس ، وما تلمس وما تذوق إلى العقل ، فيتصرف على حسب ما يؤدي إليه أعوانه من الحواس من الصور والمحسوسات ؛

هذا نزر قليل من عجائب قدرة الله في نفس الإنسان ، وفي تكوينه وخلقه ، ولولا التزامنا القصد لأفضنا في بيان قدرة الله في خلق الإنسان .

٦ - وكما أن الأرض مستقركم ، ومسعاكم إلى كسب رزقكم ، فإن الله قد جعل لكم في السماء أسباب الرزق في الدنيا والآخرة أما في الدنيا ففي المطر ، الذي لا شك أنه رحمة للعباد ، وسبب الأقوات ، وأما في الآخرة فلأن في السماء أسباب دخول الجنة والنار ، وانقسام الناس إلى شقيّ وسعيد ، وذلك بقضاء الله المثبت في صحف الملائكة في اللوح المحفوظ ، وفي السماء كتب الله ما وعد عباده من الثواب والعقاب ، وأمر الساعة ، أى كل ما يرزق الناس في الدنيا ، وما يوعدونه في الآخرة ، من جنة ونار ، في السماء .

٧ - قسما برب السماء والأرض ، وخالق الكون ومدبر أمره ، إن تقدير أرزاقكم ، وما وعدكم ربكم من الثواب والعقاب وأمر الساعة ، والخير والشر ، لحق ثابت لا مرية فيه ، ثبوت نطقكم وكلامكم الذي تلقونه بألسنتكم ، وتسمعونه بأذانكم ، وتفهمونه بعقولكم .

قصة للأصمعي مع أعرابي

قال الأصمعي : أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة ، إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له ، متقلداً سيفه ، وبيده قوسه ، فدنا وسلم ، وقال : ممن الرجل ؟ قلت : من بني أصمعي ، قال : أنت الأصمعي ؟ قلت : نعم ؛ قال : ومن أين أقبلت ؟ قلت : من موضع يُتلى فيه كلامُ الرحمن ؛ قال : وللرحمن كلام يتلوه الآدميون ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأتل على شيئاً منه ؛ فقرأت : « والذاريات ذرواً » ، إلى قوله : « وفي السماء رزقكم » ؛ فقال : يا أصمعي ، حسبك ؛ ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها ، وقال : أعني على توزيعها ؛ ففرقناها على من

أقبل وأدبر ؛ ثم عمد إلى قوسه وسيفه فكسرها ، ووضعهما تحت الرَّحْل ، وولى نحو البادية وهو يقول : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » ، فقَتَّتْ نَفْسِي وَلِئَهَا ؛ ثم حججت مع الرشيد ، فبينما أنا أطوف بالبيت ، إذا أنا بصوت رقيق ، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي ، وهو ناحل مُصْفَرٌّ ، فسلم عليّ ، وأخذ بيدي ، وقال : اتلْ عليّ كلام الرحمن ، وأجلسني من وراء المقام ، فقرأت : « والذرايات » ، حتى وصلت إلى قوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » ، فقال الأعرابي : لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقاً ، وهل غيرُ هذا ؟ قلت : نعم ، يقول الله تبارك وتعالى : « فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » ؛ قال : فصاح الأعرابيّ : يا سبحان الله ! ! مَنْ الذي أغضب الجليل حتى حلف ؟ ألم يصدقوه في قوله ، حتى أبلثوه إلى اليمين ، قالها ثلاثاً ، وخرجت بها نفسه ، وذهب في رحمة الله .

(٢)

من الآية ٢٤ إلى الآية ٣٠ من سورة الذاريات

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرَمِينَ ؟ إِذْ دَخَلُوا
عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : سَلَامًا ، قَالَ : سَلَامٌ ، قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ؛ فَرَاغَ
إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ؛ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ، قَالَ : أَلَا تَأْكُلُونَ ؟
فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا : لَا تَخَفْ ، وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ .
فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ ، فَاصْتَوَتْ وَجْهَهَا ، وَقَالَتْ : عَجُوزٌ عَقِيمٌ .
قَالُوا : كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ، إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حديث ضيف إبراهيم	{ قصة الملائكة الذين نزلوا ضيوفاً على إبراهيم ، وتطلق « ضيف » على المفرد والجمع
قوم منكرون	قوم غرباء لا نعرفكم .
فراغ إلى أهله	فذهب إلى أهله في خفية من ضيوفه .
فقربه إليهم	فوضعه بين أيديهم .
فأوجس منهم خيفة	{ فلما امتنعوا عن الأكل من طعامه ، أحس منهم في نفسه خوفاً .

الألفاظ	شرحها
في صرة فصكت وجهها عجوز عقيم	في صيحة وضجة واستغراب . فضربت وجهها بيدها متعجبة من قولهم . أألد وأنا عجوز عاقر ؟

مجل المعنى

بعد أن بيّن الله آيات قدرته في خلق السموات والأرض ، التي تدل على وحدانيته ، وأقسم على أن وعده بقيام الساعة وثواب الناس وعقابهم حق ، ذكر قصة إهلاك قوم لوط الذين كذبوه ، وارتكبوا أقبح أنواع المعاصي والفجور ، لينبه المشركين على أن الله قادر على أن يهلكهم ، كما أهلك قوم لوط من قبلهم ، فسأل رسوله : ألم يأتك يا محمد نبأ الرسل ، وقصة الملائكة المكرمين عند الله تعالى ، وعند إبراهيم ؟ حيث قام على خدمتهم هو وزوجه ، حين دخلوا على إبراهيم ، وقالوا له : سلام عليك ، فرد عليهم السلام بأحسن منه ، وتفرس في وجوههم فلم يعرفهم ، وقال لهم : من القوم ؟ أنا لا أعرفكم من قبل ، فعرفوني بأنفسكم ، ثم أجلسهم وحياهم ، وانسلّ خفية منهم إلى زوجه ، حتى لا يعرفوا أنه ذاهب لإحضار طعامهم فيمتنعوا ، وذلك من آداب الضيافة التي كان يتحلى بها إبراهيم الكريم المضيف ، فأخبرها بنبيهم ، وأحضر عجلاً سمياً لهم ، وقامت زوجته فشوته لهم ، وأعدت لهم مائدة شهية ، ورحب بهم إبراهيم ، ودعاهم إلى تناول الطعام فلم يلبوا ؛ وكان من العادات المألوفة أن من أكل طعامك أمنت شره ، ومن امتنع من تناول طعامك توقعت الشر منه ، لذلك أحس

إبراهيم الخوف ، وتوقع الشر من القوم الذين نزلوا به ، ولم يأكلوا طعامه ؛ فلما رأوا ما ظهر على إبراهيم من الخوف ، أرادوا أن يحففوا من روعه ويطمئنوه ؛ فقالوا له : لا تخف منا ، ولا تتوقع شرًّا من جانبنا ، فإننا ملائكة الله ورسله ، إلى أنبيائه ورسله ، وبشروه بأن الله سيرزقه بولد يؤتیه العلم صبياً ، من زوجه سارة ، فلما سمعت امرأته سارة هذا النبأ ، وقد بلغت حد الكبر ، وجاوزت سن الحمل ، وانقطع حيضها ، وقد كانت في صباها عاقراً لا تلد ، عجبت من أمرهم ، وبدأت منها ضجة وصيحة احتجاج واستبعاد لما قالوا ، وضربت وجهها على عادة النساء عند التعجب ، مبدية تعجبها واستغرابها ، وقالت : أألد وأنا عجوز في سن اليأس ، عقيم عاقر في صباي ؟ وإذا كنت لم ألد في سن الصبا ، فكيف ألد في سن الكبر ؟ قالت لها الملائكة : مثل ما قلنا لك قال ربك ، وإذا قال الله قولاً وأبلغته الملائكة ، وجب أن يكون ، ووجب أن تؤمنى به وتصدقى ؛ وقد نفذ ما أراد الله ، فولدت غلامها إسحاق ، وهى بنت تسع وتسعين كما قيل ؛ إن الله هو الحكيم فيما يفعله ، العليم بمصالح عباده .

وستأتى بقية قصة إبراهيم مع الملائكة ،
في أول تفسير الجزء السابع والعشرين

فهرس الجزء السادس والعشرين من تفسير القرآن الكريم

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٣ - ٦	من ١ - ٦	الأحقاف	١
٧ - ١٢	٧ - ١٤	»	٢
١٣ - ١٨	١٥ - ٢٠	»	٣
١٩ - ٢٤	٢١ - ٢٨	»	٤
٢٥ - ٢٩	» ٢٩ إلى آخر السورة	»	٥
٣٠ - ٣٤	١ - ٦	محمد	١
٣٥ - ٣٩	٧ - ١٤	»	٢
٤٠ - ٤٤	١٥ - ١٩	»	٣
٤٥ - ٥٠	٢٠ - ٣١	»	٤
٥١ - ٥٤	» ٣٢ إلى آخر السورة	»	٥
٦٠ - ٦٣	١ - ٧	الفتح	١
٦٤ - ٦٨	٨ - ١٤	»	٢
٦٩ - ٧٥	١٥ - ٢٣	»	٣
٧٦ - ٧٩	٢٤ - ٢٧	»	٤
٨٠ - ٨٢	» ٢٨ إلى آخر السورة	»	٥
٨٢ - ٨٦	١ - ٥	الحجرات	١
٨٧ - ٨٩	٦ - ٨	»	٢
٩٠ - ٩١	٩ - ١٠	»	٣
٩٢ - ٩٨	١١ - ١٣	»	٤
٩٩ - ١٠١	» ١٤ إلى آخر السورة	»	٥
١٠٢ - ١٠٨	١ - ١١	ق	١
١٠٩ - ١١٣	١٢ - ٢٢	»	٢
١١٤ - ١١٨	٢٣ - ٣٥	»	٣
١١٩ - ١٢٣	» ٣٦ إلى آخر السورة	»	٤
١٢٤ - ١٣٢	١ - ٢٣	الذاريات	١
١٣٣ - ١٣٥	٢٤ - ٣٠	»	٢

تفسير القرآن الكريم

٢٧

تأليف

حسن علوان

محمود محمد حمزة

محمد أحمد برانق

طبع على نفقة

إدارة إحياء التّراث الإسلامي

بِدَوْلَةِ قَطْر

تراجع الخطبة التي في صدر تفسير الجزء الأول ، ونرجو أن يراعى
في هذا الجزء والأجزاء التي تليه ، أن الأرقام التي في صدر
مجموعات آيات القرآن الكريم ، تطابق نظائرها في المصاحف ،
وأن الأرقام التي تخللت مجموعات آيات القرآن الكريم ،
تطابق نظائرها في مجمل المعنى .

سورة الذّاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية ٣١ إلى الآية ٣٧

قَالَ : فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ؟ - ١ - . قَالُوا :
 إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ
 طِينٍ ، مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُشْرَفِينَ - ٢ - . فَأَخْرَجْنَا مَنْ
 كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ - ٣ - . وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
 الْعَذَابَ الْأَلِيمَ - ٤ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فما خطبكم أيها المرسلون	فما حقيقة الأمر الذي جئتم من أجله ، أيها الملائكة المرسلون من عند الله ؟ قوم لوط الذين أجزموا بارتكاب أشنع الآثام.
قوم مجرمين	

الألفاظ	شرحها
لرسل عليهم حجارة مسومة عند ربك للمسرفين من المؤمنين المسلمين آية	لترجمهم ونهلكهم بحجارة . معلمة عند الله ، معدة لإهلاك هؤلاء القوم . للمجاوزين الحد في الفجور والفسق . ممن آمن بلوط . المنقادين المستسلمين . علامة وعبرة لمن يأتي بعدهم .

ملاحظة : فيما سيأتى بقية قصة إبراهيم مع الملائكة ، التي ذكرنا شيئاً منها في آخر تفسير الجزء السادس والعشرين .

مجمل المعنى

١ — لما تحقق إبراهيم من أمر الملائكة ، وعلم أنهم رسل الله إليه ، قال لهم :
فما قصتكم ؟ وما شأنكم ؟ وما الأمر الذي جئتم من أجله إلينا ، أيها الملائكة
المرسلون إلينا من عند الله ؟

٢ — قال له الملائكة : لقد أرسلنا الله لإهلاك قوم أجزموا بارتكاب أشنع الآثام ،
وهو اللواط ، وجاوزوا الحد في الكفر والعصيان ، واقتربوا أقبح أنواع الفجور ،
وهم قوم ابن أخيك لوط في قرية سدوم ، جئنا لنهلكهم بحجارة صنعت
من طين ، وأحرقت حتى صارت آجرًا ، وقد أعدت لهؤلاء القوم خاصة ،
وعلمها الله بعلامات لإهلاك هؤلاء الذين أسرفوا في الكفر والفسوق والعصيان .

٣ — ولما أردنا إهلاك قوم لوط ، أخبرنا لوطاً أن يخرج من هذه القرية الظالم أهلها

هو ومن آمن به من قومه ، قبل أن يقع العذاب على هؤلاء المجرمين ، فما وجدنا فيها غير أهل بيت واحد من المسلمين ، وهم لوط وابنتاه وأهل بيته - ما عدا امرأته - وكانوا جميعاً ثلاثة عشر ، والمؤمنون والمسلمون هنا سواء ، وغُيِّرَ اللفظ لكيلا يتكرر .

٤ -- وخرج لوط ومن آمن به ، فأسقط الله على القرية صاعقة من السماء ، جعلت عاليها سافلها ، ورماها بحجارة من سجيل ، فهلك أهلها ، ودمرت دورها ومصانعها ، وصارت أثراً بعد عين ، وتركنا ما حصل لهذه القرية عظة وعبرة لمن يأتي بعدهم ، ممن يخافون أن يحل بهم ما حل بقوم لوط ، من العذاب الأليم ؛ فهل تعتبر قريش وتتعظ حينما تمر بهذه القرية ، وترى آثار من كذبوا رسلهم ؟

(٢)

من الآية ٣٨ إلى الآية ٤٦ من سورة الذاريات

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ،
فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ ، وَقَالَ : سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، فَأَخَذْنَاهُ
وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ - ١ - . وَفِي عَادٍ إِذْ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ، مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ
إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ - ٢ - . وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ :
تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ، فَعْتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، فَأَخَذْتَهُمُ
الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ ، وَمَا كَانُوا
مُنتَصِرِينَ - ٣ - . وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ - ٤ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بسلطان مُبين فتولى بركنه فنبذناهم في اليم	بحجة بيّنة ، وهي العصا وغيرها . فأعرض عن الإيمان ، واغتر بقوته من قومه وجنوده . فتركناهم في البحر ينطبق عليهم ، فغرقوا .

الألفاظ	شرحها
وهو مُلِيمٌ الريح العقيم	وقد أتى ما يلام عليه من الكفر والطغيان . التي لا تسوق سحاباً ، ولا تلقح شجراً .
ما تذر من شيء أنت عليه	ما تترك شيئاً تمر عليه .
جعلته كالريم تمتعوا حتى حين	جعلته جافاً متفتتاً كالنبات الهشيم . عيشوا متمتعين في دياركم إلى وقت هلاككم .
فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة	فخالفوا أمر الله ، واستكبروا عن أمثاله . فوقعت بهم صيحة العذاب ، وفاجأهم الهلاك .
وهم ينظرون	وهم ينظرون مبهورين نظر المعشى عليه من الموت .
فما استطاعوا من قيام	{ فَمَا اسْتَطَاعُوا نَهْوضاً ، بَأَن يَفِرُوا وَيَهْرُبُوا مِنْ الْعَذَابِ .
وما كانوا منتصرين فاسقين	وما كان لهم ناصر من العذاب . كافرين .

مجمل المعنى

١ - وتركنا في قصة موسى عبرة لمن يعتبر ، وذكرى لمن يتدبر ، حين أرسلناه إلى فرعون وقومه ، وأيدناه بالبراهين والآيات البينة ، والحجج والمعجزات الظاهرة ، فقد أبى فرعون واستكبر أن يؤمن بموسى ، وأعرض عنه مع جموعه وجنوده الذين يركن إليهم ، ويتقوى بهم ، وقال عنه : إنه ساحر وليس رسولا ، ومجنون يقول ما لا يعقل ؛ فأخذناه وجنوده الذين كان يعتز بهم ، لكفرهم وعتوهم ، فطرحناهم في البحر ، وأطبقتناهم عليهم ، وأهلكناهم بالغرق ،

وهلك فرعون لإصراره على ما يلام عليه من الكفر والطغيان .

٢ - وفي قصة عاد عبرة لمن تأمل ، فقد أرسلنا إليهم هوداً ، فجحداوا بآيات الله ، وعصوا نبيهم ، فأرسل الله عليهم ريحاً عقيماً لا منفعة فيها ، فلاتسوق سحاباً ولا تُلَقح شجراً ، لكنها حارة عاصفة ، لا تمر على شيء إلا أتلفته وأفسدته ، وجعلته بالياً هشيماً متفتتاً ، لا نفع منه ، ولا خير فيه .

٣ - وفي قصة ثمود آية للمكاذبين المشركين ، كذبوا صالحاً ، وأصروا على عبادة الأصنام . واستكبروا عن الامتثال لصالح ، وعقروا الناقة ، فأنذرهم بأنهم سيتركون ثلاثة أيام يتمتعون فيها ، ثم أرسل الله عليهم صاعقة أهلكتهم ، وهم ينظرون إليها مبهوتين ، لا يستطيعون منها فراراً أو هرباً ، ولم يستطيعوا أن يدفعوا العذاب الذي حل بهم .

٤ - وفي قوم نوح من قبلهم عبرة للمشركين من قريش ، لأنهم كانوا قوماً كافرين خارجين عن طاعة الله ، فأغرقهم بالطوفان .

(٣)

من الآية ٤٧ من سورة الذاريات ، إلى آخر السورة

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ، وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ -١- . وَالْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا ، فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ! -٢- . وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا
زَوْجَيْنِ ، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ -٣- . فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ، إِنِّي لَكُمْ
مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، إِنِّي لَكُمْ
مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ -٤- . كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا : سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، أَتَوَاصَوْا بِهِ ؟ بَلْ هُمْ
قَوْمٌ طَآغُونَ -٥- . فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ، فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ، وَذَكَرْ ،
فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ -٦- . وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ، وَمَا أُرِيدُ
أَنْ يُطْعَمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ، ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ -٧- .
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ، فَلَا
يَسْتَعْجِلُونَ -٨- . فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ -٩- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
أنشأناها بقوة .	بنيناها بأيدي
وإنا لقادرون ، من الوُسع ، وهو الطاقة ، ومنه :	وإنا لموسعون
« لا يكاف الله نفساً إلا وسعها » .	والأرض فرشناها
والأرض مهدناها لتستقروا عليها .	فنعم الماهدون
فنعم الماهدون المصلحون نحن !	زوجين
صنفين ونوعين مختلفين .	لعلكم تذكرون
لتتذكروا وتتعضوا بما خلق الله .	فصبروا إلى الله
ففروا من معصية الله إلى طاعته والتوبة إليه .	منه نذير مبين
من عذابه المعد لمن أشرك به، منذراً بالمعجزات ،	
مبين ما يجب أن تحذروه .	أتواصوا به
هل أوصى المتقدمون المتأخرين بالكذب ،	
وتواطئوا عليه ؟	
بل لم يتواصوا على الكذب ، لكنهم مشتركون	بل هم قوم طاغون
في الطغيان .	فتولّ عنهم
فأعرض عنهم .	
فلمست ملوماً على كفرهم ، لأنك أدبت ما يجب	فما أنت بملوم
عليك من تبليغهم .	
شديد القوة .	المتين
حظاً ونصيلاً من العذاب .	دَتُوباً

الألفاظ	شرحها
فويل ^١ من يومهم الذي يوعدون	فعداب وهلاك لهم . من يوم القيامة الذي أوعدهم الله به .

مجمل المعنى

١ - ولقد خلقنا السماء وأنشأناها بترتيب ونظام ، يدل على قوتنا وقدرتنا ، وإنا لقادرون على أن نخلقها ونخلق غيرها ، وقد جعلنا الأرض التي تعيشون عليها ، وتعصون الذي خلقها ، كنقطة صغيرة وسط آلاف الآلاف من كواكب أكبر منها حجماً ، وأعظم منها خلقاً ، للدلالة على قدرتنا !

٢ - وقد بسطنا الأرض كالفرش ، ومهدناها ، وذللتها لكم ، لتحيا فيها ، وتستقروا على ظهرها ، وتمشوا في مناكبها ، وتأكلوا من رزق الله فيها ، وإنا لنعم الماهدون ، الموجودون لها على أحسن حال ، وأعظم إنشاء !

٣ - ومن كل جنس وكل شيء خلقنا صنفين ، ونوعين مختلفين ، حتى تتم الفائدة منهما ، أو يتأتى النمو بوجودهما ، فخلقنا الذكر والأنثى ، والسماء والأرض ، والليل والنهار ، والنور والظلام ، والجن والإنس ، والموجب والسالب ، وجعلنا هذا الخلق المختلف ، دليلاً على قدرتنا التي ليس كمثليها شيء ، ودليل على وحدانيتنا ؛ ومن قدر على خالق هذا الكون من عدم ، فهو قادر على أن يعيد خلقه - فعلنا ذلك لتتعظوا وتذكروا أن باني السماء ، وباسط الأرض ، وخالق الزوجين ، لا يعجزه حشر الأجساد ، وجمع الأرواح يوم القيامة .

٤ - قل لهم يا محمد : إن الله يأمركم - وقد بين لكم براهين قدرته - أن

تؤمنوا وتلزموا الطاعة ، وإنه ليحذرکم عذابه ، ويطلب إليكم أن تنجوا أنفسكم من عقابه ، وتبادروا إلى الهرب إلى ساحته الكريمة ، وأن تفروا من وبال المعصية ، وأدران الشرك ، إلى طاعته وثوابه ، وإني أحذرکم عاقبة المعصية ، إني أكم من قبلي منذر لكم إنذاراً بيناً ، وخوف لكم تخويف مشفق عليكم من شديد عقابه وأليم عذابه ؛ وقل لهم : إن الله ينهاكم أن تعبدوا غيره ، وأن تشركوا به شيئاً ، وأن تجعلوا معه إلهاً آخر ، وإني أحذرکم أن تظلموا في الشرك ، وأنذرکم إنذاراً بيناً أن الله سيعذبكم عليه أشد العذاب .

٥ - لست يا محمد أول من كذبه قومه ، وقالوا عنه : إنه ساحر أو مجنون ، فلا تأس لذلك ، فمثل هذا القول قالته الأمم السابقة لأنبيائهم ، لقد قيل مثل هذا القول لنوح وهود وصالح وموسى وغيرهم ، فما أعجب أمر هذه الأمم ! أوصى بعضهم بعضاً بأن يرموا أنبياءهم بالسحر والجنون ، وأن يملئوا السابح على اللاحق هذا الذي كله كذب وافتراء ؟ كلا ! إنهم لم يتواصوا بذلك ، بل اتصفوا جميعاً بصفة واحدة ، هي صفة الطغيان ، ومجازة الحد في الكفر ، فافتنوا في الضلال والبهتان .

٦ - فأعرض عنهم ، ولا تشغل بالك بهم ، فلست مكلفاً أن يكونوا مؤمنين ، ولن يكونوا - ولو حرصت - بمؤمنين ، ولست مملوماً على كفرهم وضلالهم ، لأنك أدبت ما عليك من تبليغ الرسالة ، وليس عليك إلا البلاغ ، وعليك أن تذكر ، وأن تعظ ، وليس الوعظ والتذكير بنافع غير الذين شرح الله صدورهم للإسلام ، وهداهم للإيمان . أما من اقتضت إرادة الله لهم أن يموتوا كفاراً مشركين ، فلن يؤمنوا مهما ذكرت ووعظت .

٧ - وما خلقت الجن والإنس إلا وقد هيأتهم لعبادتي ، وبينت لهم من آيات قدرتي وألوهيتي ما يجعلهم يؤمنون بي ويعبدوني ، وقد برهنت مظاهر هذا

الكون ودلت عظمته ، على أنه قد خلقه رب واحد ، وأنه هو وجميع من فيه من إنس وجن ، عبيد لهذا الرب الواحد ؛ فهذه الدلائل الواضحة في هذا الكون ، تأمرهم بعبادتي ، « وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو » ، وليس شأن هذا الرب مع عباده كشأن السادة مع عبيدهم ، فهؤلاء يملكون عبيدهم ليستعينوا بهم في أمورهم ، وتهيئة أرزاقهم ، لكن الله غنى عن العالمين ، لا يريد أن يصرف عبيده في تحصيل الأرزاق ، وجلب الأقوات له ، لأنه هو رازقهم ، والمتفضل عليهم بما يقوم بمعيشتهم ، وهو القوى الشديد القوة ، فعليهم أن يقبلوا على عبادة من هذا شأنه ، ويلتزموا طاعته .

٨ - إن للذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب ، بسبب تكذيبك يا محمد ، والشرك بالله ، نصيباً من عذاب الله يوم القيامة ، مثل نصيب الذين كذبوا أنبياءهم ، وأشركوا بالله من قبلهم ، فلا يستعجلوني في نزول العذاب بهم ، بقولهم : إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو اتتنا بعذاب أليم ، فإنه سيأتي قريباً ، وإنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً .

٩ - فالويل والعذاب الشديد في نار جهنم للذين كفروا بالله وكذبوا الأنبياء ! الويل لهم في اليوم الذي توعدهم الله أن يعذبهم فيه ، ويحاسبهم على ما كانوا يعملون !

سورة الطُّور

نزلت بمكة، وآياتها ٤٩ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٦

وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ، وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ، وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ، وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ، إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ، مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ -١- . يَوْمَ تَمُورُ
السَّمَاءُ مَوْرًا ، وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا -٢- . فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ : الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ، يَوْمَ يُدْعُونَ
إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً : هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ،
أَفَسِحْرٌ هَذَا ، أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ؟ -٣- . أَصْلَوْهَا ،
فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والطور وكتاب مسطور	والجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام . والقرآن المسطور المكتوب الذى أنزله الله على محمد .
فى رق منشور	فى رقوق منشورة ، وأصل الرق : الجلد الذى يكتب فيه ، استعير للصحيفة التى يكتب فيها الكتاب .
والبيت المعمور والسقف المرفوع	والبيت الحرام . والسواء المرفوعة بلا عمد .
المسجور	المملوء ، المحبوس من أن يفيض على الأرض فيفرقها .
تمور	تتحرك فى اضطراب ، جيئة وذهاباً .
تسير الجبال	تنتقل من مكان إلى مكان ، لتشق الأرض وتصدعها .
فويل يومئذ فى خوض يلعبون	فالعذاب والويل لهم يوم يقع ذلك ! فى باطل يتشاغلون .
يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً	يوم يدفعون إلى نار جهنم بعنف وشدة .
هذه النار كنتم بها تكذبون	يقال لهم : هذه النار . كنتم تنكرون حقيقتها ، وتكذبون من أخبر بها .
أفسح هذا	كنتم تقولون عن الوحي : إنه سحر ، أفهذا العذاب أيضاً سحر ؟

الألفاظ	شرحها
اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا	قاسوا عذاب النار ، فلن يخفف عنكم منه شيء ، صبرتم أو جزعتم .

مجمل المعنى

١ - تضمن هذا القسم خمسة أشياء ، هي من أعظم الدلالات على قدرة الله تعالى ، وربوبيته ووجدانيته :

أ - فأقسم الله بالطور ، وهو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى عليه السلام ، تشرiffاً له وتكريماً .

ب - وأقسم بالقرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم آيات بينات ، وهدى للمتقين ، المكتوب في صحف منشورة ؛ وعلى هذا ، فيكون القسم بخير الجبال ، وخير الكتب المنزلة .

ج - وأقسم بالبيت المعمور ، الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً ، تحج إليه الناس من كل فج عميق ، يتعارفون ويتعاونون ، ويولون وجوههم شطره مصليين ملبيين ، متجهين إليه بقلوب خالصة أن يرشدهم إلى سعادة الدارين ، في بيته المعمور بالطائفين والقائمين والركع والسجود .

د ، هـ - ثم أقسم بمخلوقين عظيمين من بعض مخلوقاته ، ومن أظهر آياته ، وأعجب صنعه ، وهما السقف المرفوع بقدرته وعظمته ، المسك بقوته أن يزول ، وهو السماء المرفوعة بلا عمد ، والبحر المملوء المحبوس من أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فوجه الذي يعلو كالجبال يأتي الشاطئ فيتكسر ويتراجع ؛ ولا ريب أن السماء والبحر آيتان من أعظم آيات الله ، فالسما في سعتها وسمكها ، وحركة كواكبها ، وشروقها وغروبها ، وفي تعاقب الليل والنهار ، والنور والظلام ، والسنون

والشهور والأيام ، والصيف والشتاء ، والربيع والخريف ، والبحر في
عظمه وبعد أقطاره ، وارتفاع أمواجه تارة ، واستواء صفحته تارة أخرى ،
يحمل على ظهره المواخر والفلك ، وتعيش في جوفه الأحياء المائة المختلفة ،
والأصداف والمعادن ، واللؤلؤ والمرجان - تتحدثان في صمت عميق عن
قدرة الله ، وإبداع صنعته جل شأنه ! أقسم الله - سبحانه - بهذه الأشياء
الخمسة العظيمة ، على أن المعاد والجزاء والحساب والعذاب ، الذي أنذر به
الخلق ، واقع لا محالة ، لا دافع لوقوعه ، ولا مانع من مجيئه ووجوده ،
وأنه إذا وقع بالفعل فلا راد له ولا دافع .

٢ - ويكون الحساب والجزاء ، والعذاب الذي توعد الله به الكفار ، يوم
يأمر الساعة أن تقوم ، فتضطرب الكواكب اضطراباً ، وتتحرك
من غير انتظام ، ويذهب التجاذب بينها ، ويختل نظام دورانها ،
فتتصادم وتتساقط ، وترى الجبال تتشقق وتقع ، وتنقل من هنا إلى هناك ،
وتفقد ثباتها ورسوخها واتزانها ، والويل والعذاب ، والفرع الأكبر والشقاء
في هذا اليوم ، للمشركين الذين كانوا به يكذبون ، ويقولون : ما هي
إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وما نحن بمبعوثين ،
وكانوا يخوضون في هذا الباطل خوفاً ، وليس لهم حجة أو برهان عليه ،
بل كانوا يلعبون ويتشاغلون عن النظر والتأمل لمعرفة الله تعالى بآثار صنعته ،
وإبداع خلقه .

٣ - الويل لهؤلاء الأشقياء في هذا اليوم ، إذ يساقون إلى جهنم سوقاً ، ويدفعون
إليها دفعاً ، مقيدة أرجلهم ، مغلولة أيديهم ، فيقومون ويقعون ، ويؤخذون
أخذاً لا هوادة فيه ولا رحمة ، ويقال لهم : هذه هي النار التي كنتم تخبرون

بها في الدنيا فتكذبونها وتسخرون من محمد، انظروا إليها بأعينكم، وأنضجوا بلهيبها جلودكم، وقطعوا بحميمها بطونكم؛ هذه هي النار التي أخبركم بها محمد في القرآن، فقلتم: إن القرآن الذي جاء به محمد سحر ساحر، أفحق ما جاءكم به محمد، وصدق ما وعدكم به في الكتاب الذي أنزله الله عليه، أم هو سحر كما كنتم تفترون؟ وهل ما ترونه من هذه النار الموقدة، وهذا السعير الملتهب سحر أيضاً؟ أو أنكم قد عميت أبصاركم، كما عميت في الدنيا على زعمكم، حين كنتم تقولون: إنما سُكِّرت أبصارنا، بل نحن قوم مسحورون.

٤ - ذوقوا عذاب هذه النار، وقاسوا لظاها صابرين أو جزعين، راجين أو قانطين، كل هذا سواء، ولن يخفف عنكم من عذاب الله شيئاً، ولن تُزَحِّزِحوا قَيد أئمة عن النار، لأن عدل الله قائم، وأمره مبرم، وهذه النار هي جزاء حق لكم، وقضاء عدل لما كنتم تعملون في الدنيا من أعمال سيئة، طالما حذرناكم ونحيم عاقبتها، وسوء مصيرها، واعلموا أن الله تعالى لم يظلمكم بذلك، وإنما هي نفوسكم الخبيثة، وعقائدكم الفاسدة، هي التي صيرتكم هذا المصير.

(٢)

من الآية ١٧ إلى الآية ٢١ من سورة الطور

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ، فَكَيْهِنَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ، وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ -١- . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ -٢- . مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ، وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ -٣- . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ -٤- . وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ -٥- . يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ -٦- . وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ ، كَانَهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ -٧- . وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ : قَالُوا : إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ، فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ -٨- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاكهين	ناعمين متلذذين .
بما آتاهم ربهم	بما أعطاهم ربهم .
وزوجناهم بحور عين	{ قرناهم بنساء ملاح العيون ، بيض البشرة ، حسان الوجوه ؛ وعين : جمع عيناء ، وهي النجلاء ، الواسعة العينين .
التناهم	نقصناهم .
رهين	{ مقيد بعمله ، مأخوذ به ، لا ينقص شيئاً من ثواب عمله .
يتنازعون	يتناووا بعضهم من بعض .
لا لغو فيها ولا تأثيم	{ لا يجرى بينهم وهم يشربونها باطل من القول ، وما فيه إثم .
مشفقين	خائفين من لقاء الله .
السموم	{ الريح الحارة التي تخترق المسام ، ويراد بها : العذاب الشديد .
البر الرحيم	اللطيف العميم الخير ، الواسع الرحمة بعباده المؤمنين .

مجمل المعنى

١ - ثم ذكر سبحانه وتعالى أرباب الاعتقادات الصحيحة ، والأعمال الصالحة ، وهم المتقون ، وما أعد لهم في الآخرة من مساكن طيبة ، وما أفاض عليهم

من طمأنينة النفس ، وراحة القلب في الدار الآخرة ، ووصفهم بأنهم يعيشون فيها في جنات وحدائق ، ينعمون فيها بما يشاءون من طعام وشراب ، ومناظر حسنة ، وفرح وسرور ، واغتباط وحبور ، متمتعين متلذذين بما أعطاهم ربهم من نعيم مقيم ، راضين به ؛ شاكرين عليه ، طيبة نفوسهم بما جمع الله لهم من نعيم البدن ، بالطعام والشراب وجمال المكان ، ومن نعيم القلب ، بالرضا والاطمئنان ، وقد وفقهم ربهم فوقاهم عذاب الجحيم ، لأنهم تركوا ما يكره ، وأتوا ما يحب ، فكان جزاؤهم مطابقاً لأعمالهم ، فوقاهم مما يكرهون ، وأعطاهم ما يحبون ، جزاء وفاقاً .

٢ - وقد شاء ربك أن يجمع لعباده المتقين كل أطراف النعيم ، فأراد أن يلذذ أسماعهم ، ويؤمنهم على نعيمهم ، فأمر أن يقال لهم وهم في الجنة : كلوا أكلاً هنيئاً ، واشربوا شرباً مريئاً ، لا انقطاع فيه ولا تنغيص ، ولا خوف من زواله .

٣ - ولم يجعل سبحانه وتعالى نعيم الجنة مقصوراً على الطعام والشراب ، والغبطة والاطمئنان ، بل أتمه بالأنس والسرور للمتقين بمن يحبون ، فوصف مجالسهم بأنهم يجلسون مصطفين متقابلين ، جلوساً فيه راحة واستقرار ، يطالع كل منهم في وجه أخيه نضرة النعيم ، وبهجة القلب ، وبشاشة الوجه ، وقرّة العين ، ويجاذبه حسن الحديث ، وأطيب الذكريات ؛ وإن من تمام اللذة والنعيم ، أن يكون مع الإنسان في بستانه ومنزله ومجلسه من يحب معاشرته ، ويؤثر قربه ، ولا يكون بعيداً عنه ؛ وقد قرن الله إليهم الحور العين من نساء الجنة يؤنسهم ، ويسررن قلوبهم ، بما أتم الله عليهن من الحسن والجمال : من بياض البشرة ، ورشاقة القوام ، ووضاعة الوجه ، وحلاوة العينين ، وعذوبة الحديث .

٤ - ومن تمام نعمة الله على المتقين المؤمنين في الجنة ، أنه يجمع بهم في النعيم ذريتهم المؤمنين إكراماً لهم ، وتحقيقاً لفضل الله عليهم ، ومهما كانوا دونهم في العمل في الدنيا ، فإن الله سبحانه وتعالى يُلحقهم بأبائهم في الجنة ، ويمتتعهم جميعاً بنعيم تام ؛ فلا ينقص من نعم الآباء شيئاً مما تفضل به على الأبناء ، بل يرفع الأبناء إلى درجة الآباء ، تفضلاً منه على عباده ، وبراً بأوليائه ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « يرفع الله ذرية المؤمن في درجته في الجنة لتقربهم عينه ، وإن كانوا دونه » ، لأن الله يعطى من فضله ما يشاء ، ولا ينقص شيئاً من ثواب عبده ؛ كل امرئ مرتين بعمله ، مأخوذ به وحده ، فلا ينقص من ثواب عمله شيئاً ، فأما الزيادة على ثواب العمل ، فتفضل من الله .

٥ - ولم نجعل طعام أهل الجنة وشرابهم ثابتاً في ألوانه ومقاديره ومذاقه ، وإنما نزيدهم وقتاً بعد وقت ، بما تشبهه نفوسهم من أنواع اللحم والفاكهة ، وإن لم يقترحوه ويطلبوه ، وإنما نحيط برغباتهم ، وما تشبهه نفوسهم ، فنمدهم به .

٦ - وجعلناهم يتناولون كئوس الشراب ، ويتعاطونها بينهم ، فيشرب أحدهم ويتناول صاحبه ، ليتم بذلك فرحهم وسرورهم ، بالشراب الخالص المنزه عن آفات اللغو والإثم ، فلا يكون منه ما يكون من شراب الدنيا من هراء القول ، والسباب والتخاصم ، والهجر والفحش والعريضة ، والإثم بالبغى والكذب والضلال والباطل ، لأنها خمر لا تذهب بالعقول ، فهم مع تعاطيها يتكلمون بأحسن الكلام ، ويفعلون الفعل الحميد .

٧ - ثم وصف سبحانه وتعالى القائم على خدمة المتقين في الجنة ، بأنهم غلمان صغار السن ، صباح الوجوه ، كاللؤلؤ الصافي المصون في أصدافه ، لم تلمسه يد ، ولم يقع عليه غبار ، ولم تذهب الخدمة بمحاسنهم ، ولم تؤثر في رونقهم وصفاتهم وبهجتهم .

٨ - وذكر سبحانه وتعالى ما يكون بين أهل الجنة من حديث وهم هانثون وادعون ،
فيسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله ، وما استحق به نعيم الله ورضوانه ،
فتكون إجابتهم : أننا كنا في الدنيا بين أهلنا وأولادنا خائفين مشفقين من
عذاب الله في الآخرة ، قائمين بطاعته ، متقين معصيته ، فأوصلنا ذلك
الخوف والإشفاق إلى أن من الله علينا بالرحمة ، والتوفيق للهدى والحق ،
فوقانا عذاب النار التي تنفذ في المسام نفوذ الريح السموم ، وهذا غير
حال الشقى الذي كان في أهله مسروراً ، إنه ظن أن لن يحور ويرجع
إلى الحياة والحساب بعد الموت ، فهذا كان مسروراً مع الإساءة ، وكنا
مشفقين وخائفين مع الطاعة والإحسان ، فبدّلنا الله بالإشفاق أمناً ،
وبدل الأشقياء بسرورهم عذاباً وخوفاً ، إننا كنا من قبل أن نبعث للحساب ،
ونحن نعيش على ظهر الأرض ، نعبد الله حق العبادة ، ونسأله السلامة
والوقاية من عذاب النار ، فشمّلنا إحسانه ولطفه ، وعمنا كرمه ورحمته ،
لأنه هو البرّ المحسن المتفضل ، الكثير الرحمة ، الذي إذا عبّد أثاب ،
وإذا سُئل أجاب .

(٣)

من الآية ٢٩ من سورة الطور ، إلى آخر السورة

- فَذَكِّرْ ، فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ-١- .
أَمْ يَقُولُونَ : شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ؟ -٢- . قُلْ :
تَرَبَّصُوا ، فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمْتَرَبِّصِينَ -٣- . أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ؟ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ -٤- . أَمْ يَقُولُونَ :
تَقَوْلُهُ ؟ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا
صَادِقِينَ -٥- . أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، أَمْ هُمْ
الْخَالِقُونَ ؟ -٦- . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ بَلْ
لَا يُوقِنُونَ -٧- . أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ، أَمْ هُمْ
الْمُصِيطِرُونَ ؟ -٨- . أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ؟ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ -٩- . أَمْ لَهُ أَلْبَنَاتٌ وَلَكُمُ
الْبَنُونَ -١٠- . أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ، فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ
مُثْقَلُونَ ؟ -١١- . أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ؟ -١٢-
أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ؟ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ -١٣- .
أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ! -١٤- .
وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ، يَقُولُوا : سَحَابٌ

مَرُّكُمْ ، فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ :
 يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ-١٥-
 وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ -١٦- . وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ،
 وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ،
 وَإِدْبَارَ النُّجُومِ -١٧- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فذكر بنعمة ربك	فأثبت على تذكير الناس وموعظتهم . بإنعامه عليك بالنبوة .
شاعر تربص به ريب المنون	هو شاعر ننتظر حوادث الدهر تقع به فيهلك ، كما هلك مَنْ قبله من الشعراء ؛ والريب هنا : الحوادث ، والمنون : الدهر .
قل تربصوا	قل لهم : انتظروا ما تتمنون من هلاكى .
فإني معكم من المتربصين	فإني معكم من المنتظرين هلاككم ، وسرى من يحقق الله تربصه بغيره .
أم تأمرهم أحلامهم بهذا	هل تصدق عقولهم ما يقولون عنه : إنه ساحر وكاهن وشاعر ومجنون ؟
طاغون	مجاورون الحد في العناد، مع ظهور الحق لهم .

الآفاظ	شرحها
تقولوه	اقرأه واختلقه من تلقاء نفسه .
فليأتوا بحديث مثله	فليقولوا كلاماً مختلفاً مثل القرآن .
من غير شيء	من غير خالق .
الخالقون	الموجدون لأنفسهم من غير خالق .
لا يوقنون	لا يتدبرون في هذا الكون ، فيؤمنوا إيماناً إيقاناً بأن له خالقاً يخلقه .
خزائن ربك	النبوة والأرزاق وغيرهما .
المصيطرون	المهمنون الغالبون على هذا الكون ، حتى يدبروا أمره على حسب مشيئتهم .
يستمعون فيه	يستمعون عليه ما يُوحى ، ويصلون به إلى علم الغيب .
بسلطان مبين	بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم .
من مغرم مثقلون	من الغرامة الفادحة مبهظون مثقلون .
يريدون كيداً	يريدون الكيد وتدبير السوء لك ليهلكوك به .
المكيدون	الذين يحيق بهم كيدهم .
كسفاً	قطعة من عذاب .
سحاب مركوم	سحاب تراكم بعضه فوق بعض ، ليسقط علينا مطراً يسقينا .
يُصعقون	يُهلكون ويموتون به .
دون ذلك	غير عذاب الآخرة .
واصبر لحكم ربك	واصبر لحكم ربك ، بإمهالهم وتأخير عذابهم .
بأعيننا	محفوظ ومرعى بنا .

الألفاظ	شرحها
حين تقوم وإدبار النجوم	<p>وقت قيامك من منامك ومجلسك ولصلاتك ، ومن أى مكان تقوم منه .</p> <p>وقت اختفاء النجوم آخر الليل ، وغيبها بضوء الصبح .</p>

مجمل المعنى

١ - فاثبت يا محمد على تبليغ ما أنزل إليك ، وداوم على تذكير المشركين ووعظهم ، ولا تلق باللك إلى ما يرمونك به من الافتراءات والأباطيل ، فإن الله قد اصطفاك لرسالته ، واختصك بنبوته ، ولست بما أنعم الله عليك من النبوة ورجاحة العقل بكاهن ، يقول ما يقول عن آحادس وتخمين ، أو مجنون ينطق من غير عقل أو تدبر أو تفكير ، كما يفترون عليك .

٢ - أيقولون عنك : إنك شاعر من الشعراء الغاوين ، الذين هم في كل واد يهيمون ، ويقولون ما لا يفعلون ، وإننا ننتظر أن تدور عليه دوائر الدهر ، وتأتى عليه حوادث الزمن ، فيموت ويهلك ، كما هلك غيره من الشعراء ، كالنابغة وامرئ القيس ؟

٣ - قل لهم : ترقبوا وانتظروا أن تحل بي حوادث الدهر ، فأهلك كما تتمنون . فإنى مشاكم منتظر أن يحل بكم عذاب الله ، فهاكوا على مرأى منى إن شاء الله ، وسرى من يحقق الله له تربصه وانتظاره .

٤ - أتصدق عقولهم ما ينسبون إلى محمد من أباطيل مُخْتَلَقَة ، وأقوال باطلة ، وما يدعون عليه من أنه ساحر ، وأنه شاعر ، وأنه كاهن ، وأنه مجنون ؟

إن هذه الصفات التي نعتوه بها لا تصدقها عقولهم ، لأن ما جربوه من أخلاق محمد وسلوكه ، قاطع بأنه بعيد كل البعد عن هذه الصفات ، لكنهم تجاوزوا الحد في العناد والكفر ، فافتروا واختلقوا الباطل ، مع ظهور الحق .

٥ - بل هم يُعمنون في التخبط ، ويمضون في الافتراء والكذب ، فيقولون : إن هذا القرآن لم ينزل على محمد من عند الله ، ولكنه افتراه واختلقه من تلقاء نفسه ، ونسبه إلى الله ؛ إن كانوا صادقين فيما يدعون ، فإن هذا القرآن الذي جاء به محمد هو بلسان عربي مبين ، هو لسانهم الذي به يتكلمون ويخطبون وينظمون الشعر ، فليجربوا أن يقولوا كلاماً مثله ، ويأتوا بحديث مشابه له ، إن كانوا صادقين فيما يدعونه ؛ « قل : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

٦ - أينكرون وجود الإله الخالق؟ فهل خلُقوا هم من غير خالق؟ ووجدوا من غير صانع؟ وكيف يصح في العقل أن يوجد باب من غير نجار ، وحائط من غير بناء؟ فكيف يوجد هذا الكون من غير خالق أو صانع؟ أم يزعمون أنهم هم الخالقون لأنفسهم ، فلذلك لا يعترفون بخالق لهم؟

٧ - أم أنهم خلقوا السموات والأرض؟ لكنك إذا سألتهم : من خلق السموات والأرض؟ قالوا : خلقهن الله ؛ لكن هذا القول يصدر منهم وهم غير موقنين بوحدانيته ، مع اعترافهم بكمال قدرته .

٨ - هل عندهم مفاتيح الغيب ، وخزائن الرحمة ، فيعطوا النبوة من شاءوا ، أو يمسكوها عن شاءوا ، ويرزقوا هذا ويحرموا ذلك؟ أم أنهم الغالبون على هذا الكون ، والمسيطرون على السموات والأرض ، فيصرفوهما بإرادتهم ، ويدبروهما بمشيئتهم ، وينصبوا آلهة ، وينشئوا معبودين ، كما شاءت لهم أهواؤهم؟

٩- أم لهم سلم يصعدون فيه إلى السماء ، فيستمعوا عليه أنباء الغيب ، فيعلموا ما هو كائن من الأمور التي يتقولونها ويفترونها ؟ إن كان ذلك حقاً فليأت من صعد منهم إلى السماء ، واستمع فيها إلى أنباء الغيب ، بحجة بيّنة واضحة تثبت ما يزعم ، وتحقق ما يدعى .

١٠- أم يرون أن البنات لله ، وأن البنين لهم ، مع أنهم يكرهون البنات اللاتي جعلوهن لله ، ويحبون البنين الذين جعلوهم لأنفسهم ، فهل خلق الله لهم عقولا ، يترقون بها إلى عالم الملكوت ، ويطلعون بها على الغيب ؟

١١- بل أتسألهم أجراً على دعوتك إليهم للإيمان ، وتبليغك الرسالة يا محمد إليهم ، وقد بالغت في تقدير هذا الأجر وأعليته ، حتى أثقلتهم فداحة هذا الغرْم ، ومضاعفة هذا الأجر ، فهم لذلك لا يؤمنون بك ولا يتبعونك ؟

١٢- أم أن الله تعالى أطلعهم على الغيب ، وكشف لهم عن اللوح المحفوظ المثبت فيه كل الغيوب ، فهم يكتبون ما فيه ، ويخبرون الناس بما علموه ، ويربصون بك ريب المنون ، ويقولون عما أخبرتهم به من القيامة والجنة والنار : إنه باطل ؟ وإلا فن أنبأهم بذلك حتى أذاعوه ؟

١٣- أيريدون أن يدبروا لك الكيد ، ويأتروا عليك في دار الندوة ليقتلوك ؟ ألا فاعلم يا محمد أن الله حافظك ، وأن الذين مكروا بك ، ودبروا لك الكيد ، سيحبط الله كيدهم ، ويرد مكرمهم في نحورهم ، وسيكونون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ؟

١٤- أم لهم إله غير الله يخلق ويرزق ، ويعطي ويمنع ، فاستحق عبادتهم دون الله ؟ تنزه الله سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في الملك ، أو يكون معه إله غيره !!

١٥- لقد جاوزوا الحد في العناد والإصرار على الضلال ، فلو أنا أنزلنا عليهم

عذاباً من السماء ، أو أريناهم كَيْسَفاً ساقطاً عليهم ، لأنكروا ذلك ،
وما صدقوا أن الله سيستقم منهم لكفرهم ، بل قالوا : إن هذا سحاب يجتمع
بعضه فوق بعض ، ويركب بعضه فوق بعض ، حتى يتراكم ويتناقل ،
ويسقط مطراً يَسْقِينا ، وغيثاً يُروينا ؛ فدعهم حتى يأتي يوم القيامة ،
ويروا بأعينهم ما كذبوه ، ويحل بهم العذاب الذى يهلكهم ويصعقهم ؛
وفى هذا اليوم لا ينفعهم الكيد الذى كادوه لك ، والتدبير الذى دبروه
لك ، ولن يجدوا من ينصرهم من الله ، أو يمنعهم من عذابه .

١٦- وإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وظلموك بالتكذيب ، عذاباً فى الدنيا
غير العذاب الذى سيلاقونه فى الآخرة ، فسيغلبون ويُقهرُونَ ويقتلون ، ولكن
أكثرهم غلب عليهم العناد ، والإصرار ، على الكفر ، فلا يعلمون مصيرهم .

١٧- واصبر لحكم ربك بإرجاء عذابهم ، وتأخير عقابهم ، وإبائلك بينهم
تقاسى الأذى والمعارضة والاضطهاد ، فإنك فى حفظنا ورعايتنا ، ونزه
ربك حامداً له على نعمائه التى لا تعد ولا تحصى ، فى كل مكان تقوم
منه ، وفى كل حركة تتحركها ، فقل : سبحانك اللهم وبمحمدك حين
تقوم من نومك ، وحين تقوم من مجلسك ، وحين تقوم إلى صلاتك ،
وحين تنتقل من مكانك ، وفى كل حركة تتحركها ، أو عمل تعمله ؛
وسبحه واحمده فى بعض أوقات الليل حينما يهدأ الكون ، وتسكن النفس ،
ويخضع القلب ، وينام الناس ، صلّ لله وسبحه ، وتهجد له ، وحينما يوشك
الليل أن ينقضى ، وتدبر النجوم وتختفى بضوء الصباح ، قم صلّ لله
وسبحه ، واجعل وقتك مشغولاً ، وقلبك عامراً على الدوام ، بالنسبج
والذكر والصلاة ، فإن ذلك يقوى إيمانك ، ويذهب خوفك ، ويؤدى إلى
نصرتك على عدوك .

سورة النجم

نزلت بمكة ، ماعدا الآية ٣٢ فلما نزلت بالمدينة ، وآياتها ٦٢ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٨

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ، وَمَا
يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ
الْقُوَىٰ ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ، ثُمَّ دَنَا
فَتَدَلَّىٰ ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ، فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ
مَا أَوْحَىٰ -١- . مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ -٢- . أَفْتُمَارُونَهُ
عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ؟ -٣- . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ، عِنْدَ سِدْرَةِ
الْمُنْتَهَىٰ ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ، إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ
مَا يَغْشَى -٤- . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ، لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى	أقسم بالنجوم إذا تهاوت وتساقطت على الشياطين. ما ضل محمد عن الحق ، وما جاد عنه . { وما صار غاوباً ، وما تكلم بالباطل ، وما جاوز الرشاد . وما ينطق بما يأتيكم به عن هوى نفسه . { ما الذى ينطق به من القرآن إلا وحى من الله يوحى إليه . ملك قواه شديدة ، وهو جبريل . { ذو منظر حسن ، وجلال عظيم ، وحصافة فى عقله ، ومثانة فى دينه . { فاستقام جبريل فى خلقه ، وظهر له فى صورته الحقيقية ، وهى غير الصورة التى كان يتمثل بها عند ما ينزل بالوحى . وظهر جبريل فى مطلع الشمس . { قرب جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى ، ثم نزل على النبي بالوحى . { فكانت المسافة بين جبريل وبين النبي مقدار طول قوسين أو أقل .
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يُوحى شديد القوى	
ذو مرّة	
فاستوى	
وهو بالأفق الأعلى	
دنا فتدلى	
فكان قاب قوسين أو أدنى	

شرحها	الألفاظ
{ فأوحى الله تعالى بوساطة جبريل ما أوحى من الأمور العظيمة إلى نبيه .	{ فأوحى إلى عبده ما أوحى
{ ما كذب فؤاد النبي وقلبه ، ما رآه ببصره من صورة جبريل ؛ والمراد : أنه رآه بعينه ، وعرفه بقلبه ؛	{ ما كذب الفؤاد ما رأى
{ أفتكذبونه فتجادلوه في أمر رآه هو ببصره ، وعرفه بقلبه ؟	{ أفهارونه على ما يرى
{ مرة أخرى .	{ نزلة أخرى
{ شجرة في السماء ، ثمراها : السدر ، وهو النبق ، لا يتجاوزها أحد من خلق الله .	{ سدرة المنتهى
{ الجنة التي يأوى إليها المتقون ويصيرون إليها ، عند سدرة المنتهى .	{ عندها جنة المأوى
{ إذ يأتي هذه الشجرة ما يأتي من الملائكة ، ويسطع فيها نور ذى العزة والملكوت .	{ إذ يغشى السدرة ما يغشى
{ ما مال البصر يمينا ولا شمالا ، بل كان متجهاً إلى المرئى .	{ ما زاغ البصر
{ ما جاوز المرئى إلى غيره ، بل وقع عليه وقوعاً لم يتحول عنه .	{ وما طغى
{ لقد رأى حين رقى إلى السماء الآيات الكبرى ، وهي بعض آيات ربه .	{ لقد رأى من آيات ربه الكبرى

مجمل المعنى

١ - أقسم الله سبحانه وتعالى بالنجوم إذا تهاوت وتساقطت في إثر الشياطين ، إذا حاولت استراق السمع من السماء ، أو حين انقضاء العالم ، ليبين بهذه الآية الظاهرة المشاهدة ، أن الله قد حفظ الوحي من استراق الشياطين له ، وأن ما أتى به رسوله حق وصدق ، لا سبيل للشياطين إليه - أقسم الله أن محمداً صاحبكم الذى عاشتموه منذ درج وشب ، وخبرتم صدقه ، ما ضل عن الحق ، وما حاد عنه ، وما تكلم بالباطل ، أو جاوز سبيل الهدى والرشاد فيما جاءكم به من الوحي ، وأنه لم ينطق به عن هوى نفسه ، ولم يقل لكم قولاً من عنده هو . وما نطقه إلا وحي أوحى الله به إليه . نزل به عليه ، وعامه إياه ، ملك قوى متين ، حصيف العقل ، شديد الرأى ، حسن الصورة ، ذو جلال وهيبة ، وقد رغب محمد إلى ربه أن يريه هذا الملك - وهو جبريل الذى ينزل إليه بالوحي من عنده - فى صورته الحقيقية ، حتى يملأ عينه برؤيته ، ويطمئن قلبه برسول الوحي ، وسفير التنزيل الحكيم ، فاستجاب إليه ربه ، ونزل جبريل بصورته الملائكية النورانية ، فبدأ له فى هذه الصورة ، وظهر فى أعلى الأفق ، - وهو أفق الشمس - ثم أخذ يدنو منه شيئاً فشيئاً ، حتى صارت المسافة بينهما لا تزيد عن مقدار طول قوسين ، بل هى أدنى من ذلك وأقل ، فأوحى الله عن طريق هذا الملك العظيم ، إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم . ما أوحى إليه من القرآن ، وأنزل عليه ما أنزل من الآيات العظيمة ، والحدود والأحكام ، والبيئات والنذر .

٢ - ولقد رأى محمد جبريل فى صورته الحقيقية بعينيه ، وعرفه بقلبه ، وصدق القلب ما شاهد النظر ، وتحقق من الصورة التى خلق الله عليها جبريل

الروح الأمين ، فلم يكذب فؤاده ، ولم يشك قلبه ، فيما رأت العين ، وشاهد البصر .

٣ - أفيلغ بكم الجحود والكفران أيها المشركون ، أن تكذبوا محمداً فيما رآه بعينه ، وعرفه ببصيرته وبصره؟ أتجادلونه فيما حققه النظر، واطمأن إليه القلب ، وتقولون : إن جبريل لم ينزل إليه ، وإن الوحي لم يأته ؟

٤ - وكما رأى محمد وهو على الأرض جبريل رؤية عين وقلب ، فكذلك رآه مرة أخرى في السماء ليلة المعراج ، عند الشجرة التي ينتهي عندها جميع الخلائق ولا يتجاوزونها ، ولا يعلم ما وراءها من الغيب وأسرار الملكوت غير الله جل شأنه ، وعندها جنة المأوى التي يصير إليها المتقون ، وتأوى إليها أرواح المؤمنين ، يتنعمون بنعيمها ، ويتنسمون بطيب ريحها ، لقد رأى محمد جبريل عند هذه الشجرة ، وظهرت له عجائب يحار العقل فيها ، فأنوار رب العالمين ساطعة عندها، والملائكة يرتقون إليها ، ويأتونها متبركين زائرين ، كما يزور الناس في الأرض الكعبة ، فيغشاها الجم الغفير منهم ، ويجتمعون عندها .

٥ - لقد كان نظره ممتداً ، وقلبه متجهماً لرؤية جبريل في السماء عند شجرة المنتهى ، ما زاغ بصره يميناً ولا شمالاً ، ولا جاوز ما وقع من المرثيات أمام بصره ، بل اتجه إليه اتجاهاً قصداً ، ووقع عليه وقوعاً تاماً ، ولم يتجاوز بصره ما بين يديه ، وقف أمام عظمة هذا الملكوت في ذلك المقام بكل أدب ، ولم يمد بصره إلى غير ما أرى من الآيات ، وما هناك من العجائب ، بل قام مقام العبد، الذي أوجب عليه أدبه إطراره، وإقباله على من وقف في حضرته، دون التفات إلى غيره، مع ثبات الجأش، وسكون القلب وطمأنينته؛ في هذا الموقف المليء بالعظمة والجلال ، والقوة والسلطان ، رأى محمد بعض الآيات الكبرى من آيات الرب، وعظمة الخالق، وصنع الله الحكيم، مما لا تستوعبه الأبصار ، ولا تحيط به الأفكار .

(٢)

من الآية ١٩ إلى الآية ٢٥ من سورة النجم

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ؟ أَلَكُمُ
الَّذِكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ؟ تِلْكَ إِذْ نَفَسَمَةٌ ضِيزَىٰ -١- . إِنَّ هِيَ
إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
سُلْطَانٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ، وَلَقَدْ
جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ -٢- . أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ؟ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اللات والعزى ومناة	اللات : صنم كان بالطائف لتقيف ، والعزى : لقريش وبنى كنانة ، ومناة : لهذيل وخزاعة ، وكانت أعظمها .
ألكم الذكر وله الأنثى	ألكم الذكور؟ وله هذه الإناث من الأصنام ، التي تزعمون أنها بنات الله ؟
ضيزى	ظالمة جائرة عن العدل ، خارجة عن الصواب .

الألفاظ	شرحها
إن هي إلا أسماء سميتوها سلطان وما تهوى الأنفس أم للإنسان ما تمنى	ما هذه الأصنام إلا أحجار نحتتموها، وسميتوها آلهة. حجة وبرهان . وما تميل إليه الأنفس . للإنسان ما أحب واشتهى ؟

مجمل المعنى

١ - أخبرونا عن الأصنام التي عبدتموها ، والأحجار التي قدستوها ، كالكالات والعزى ومناة ، وهل أوحينَ إليكم شيئاً كما أوحى الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهل لها مثل هذا الملكوت ، ومثل الملائكة المكرمين الذين رأهم محمد بعينه وقلبه ؟ هذه الأصنام التي أنتموها، وجعلتموها بنات الله، لماذا كانت إناثاً ؟ ومن الذى اختاركم لهذا الحكم ، فتجعلوا هذا ذكراً وذاك أنثى ؟ ومن الذى وكلكم فى القسمة ، فتجعلوا الذكور من نصيبكم ، والإناث من نصيب الله ، فترجموا أيضاً أن الملائكة بنات الله ؟ وإذا كنتم تقولون : إن هناك إلهاً معبوداً وأنتم العبيد ، فكيف تختصون أنفسكم بأنفع الصنفين ؟ ما أظلمكم ! إن قسمتكم جائرة عن شرعة العدل ، مائلة عن الحق ، إذ جعلتم لله ما تستكفون منه .

٢ - ليس لهذه الأصنام التي تعبدونها من حقيقة ، وما هي إلا أوثان نحتتموها وسميتوها آلهة ، فليس لها من معنى الألوهية شيء ، وليس لها من الدلالات التي تدل عليها الأسماء معنى ، وليس لكم من حجة أو برهان على اتخاذ هذه الأصنام آلهة ، ولا على تلك الأسماء التي أطلقتموها

عليها أنتم وآباؤكم ، — فلم يتبع المشركون في عبادة الأصنام ، وجعلها بنات الله ، وتسميتها بأسماء الإناث ، غير الظن الفاسد ، وتوهم أنهم على حق ، وإنما هم على الباطل ، وليس لهم في هذا الزعم حجة أو دليل ، وإنما هم يميلون مع هوى أنفسهم ، ويسرون على حسب شهواتهم ، ولقد جاءتهم البيئات والهدى من عند الله ، في كتابه الذي أنزله على نبيه ، بأن هذه الأصنام ليست آلهة فكذبوه ، واتبعوا هواهم ، ومالوا مع ما سولت لهم أنفسهم .

٣ — هل يتحقق للإنسان كل ما يتمناه ويشتهي من الأمور المعيبة ؟ وهل يكون له ما يحب ويرضى مما زينت له نفسه الأمانة بالسوء ، ومما يخوض فيه من الأباطيل ، كاتخاذ الأصنام آلهة ، وقوله : إنها بنات الله ، واقتراحه النبوة في شخص يختاره هو ، ومن شفاعة الأصنام له في الآخرة ؟ كلا ! إن أمور الدنيا والآخرة جميعها من شأن الله وحده ، يدبر الأمر ، ويفعل ما يشاء ، لا كما يتمنى هذا أو ذلك .

(٣)

من الآية ٢٦ إلى الآية ٣٢ من سورة النجم

وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا
إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى -١- . إِنَّ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ،
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ، إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ
لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا -٢- . فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ
ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ،
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
اهْتَدَى ، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، لِيَجْزِيَ
الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى -٣- . الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
إِلَّا اللَّمَمَ ، إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ، هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ،
فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وكم من ملك ليسمون الملائكة تسمية الأنثى	وكثير من الملائكة . ليعتقدون أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله .
إن يتبعون إلا الظن	{ لا يتبعون فيما يقولون غير الظن ، ويتوهمون أنهم على الحق .
فأعرض عن تولى	فأعرض عن انصرف عن القرآن .
ذلك مبلغهم من العلم	{ ذلك قدر عقولهم ، ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة .
ضل عن سبيله كبائر الإثم والفواحش	حاد عن دينه . الذنوب الكبيرة ، كالشرك بالله ، وعقوق الوالدين . الذنوب الشنيعة الفاحشة ، كالزنى والحمر . صغائر الذنوب .
اللحم أنشأكم من الأرض أجنّة	خلق أباكم آدم من الطين .
فلا تركوا أنفسكم اتقى	جمع جنين : وهو الولد ما دام في بطن أمه . فلا تمدحوا أنفسكم ، ولا تثنوا عليها . أخلص العمل ، واجتنب ما يغضب الله .

مجمل المعنى

١ - الله سبحانه وتعالى مالك الملك ، لا شريك له ، واحد متصرف فيه ، وفق مشيئته وإرادته ، فلا تجرى الأمور حسب التمتي أو الهوى ، فهؤلاء الملائكة وهم أهل القربى والكرامة عند الله ، الذين يعبدونه ويسبحونه ، كثير منهم لا يقبل الله شفاعتهم ، ولا ينفع بها أحداً من خلقه ، وقليل منهم يأذن الله لهم في الشفاعة ، لمن يشاء أن يشفعوا له من عبده ، إذا كان يراهم أهلاً للشفاعة ، ويرضاهم لها ؛ فهذا حال الملائكة في الشفاعة ، فما ظنكم بالأصنام ؟ كيف يقبل الله أن يكونوا شفعاء يوم القيامة لمن يعبدونهم من دونه ؟

٢ - إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ، ولا يعتقدون بالبعث والحساب ، والجنة والنار ، ليقولون ما تشبهى نفوسهم من الضلال والباطل ، من غير حجة أو برهان ، فهم يقولون : إن الملائكة بنات الله ، ويزعمون أنه صاهر الجن ، وأن بينه وبينهم نسباً ، فوُلد له بنات ، هن الملائكة ، دون أن يكون لهم دليل على ما يقولون ، فلا الله أحضرهم يوم خلق الملائكة ، ولا أطلعهم على غيبه ، ولا أنزل في كتابه ، ولا قال نبيه ، ما ينبيء أن الملائكة إناث ، وليس لهم علم أصلاً بما يقولون ، وإنما هم يجرون وراء الأوهام والظنون الفاسدة ، التي مصدرها هوى النفس ، وتقليد آباءهم من غير نظر أو تفكير ، وإنما الإنسان لا يعرف الحق ، ولا يهتدى إلى حقيقة الأشياء ، بالظن والتوهم ، وإنما يعرفه بالعلم واليقين ، والتأمل والتفكير ؛ والظن لا يعتدّ به بجانب الحق .

٣ - فإذا كان هذا حال هؤلاء المشركين ، وأنهم لا يقولون ما يقولون عن علم و يقين ، ولا يبحثون عن الحق ، وإنما يتبعون الظن ويقلدون آباءهم في

الشرك تقليداً أعمى ، فلا تكثرت بهم يا محمد ، ولا تحرص على هداهم ، وأعرض عن انصرف عن ذكرنا ، وتولى عن تفهم ما أنزلنا عليك من القرآن ؛ لأنهم يريدون أن تكون اعتقاداتهم على حسب ما يظنون ، ولا يريدون اتباع الحق الذى جاء به القرآن ، بل يريدون الحياة الدنيا ، والانهماك فى شهواتها ، ولا يعتقدون أن وراء هذه الحياة حياة أخرى ؛ هذا مبلغ علمهم ، لا يحاولون أن يتجاوزوه إلى تدبر القرآن وتفهمه ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض وتأمله . فلا تتوقع منهم أن يستمعوا إليك ، أو يؤمنوا بك ، أو يهتدوا بهدى ما أنزل الله عليك ، لأن الله هو أعلم منك بمن أصر على الكفر . وضل عن الهدى لفساد فطرته ، فيقيه على ضلاله ، وبمن هو مستعد للاهتداء وقبول الحق ، فيهديه ؛ فلا تتعب نفسك فيمن يعارضك ويجادلك ، ودع لله شأنهم ، فإنه خالق السموات والأرض ، وهو الكهمل ، وصاحب الأمر فيهما ، وهو الذى يجزى المسيئين بسبب ما عملوا من الضلال ، وما ارتكبوا من السيئات ، ويجزى الذين اهتدوا وآمنوا بالحسن ، والمثوبة على أعمالهم الصالحة .

٤ - ولم يجعل الله - وسعت رحمته - الإيمان وحده غاية تستبغ استحقاق العبد لثواب الله ، لكنه بيّن أن الإيمان يستلزم العمل الصالح ، فالمؤمن إيماناً كاملاً لا يسىء أبداً ، ولهذا إذا ذكر الذين آمنوا ، أتبع ذكرهم بالعمل الصالح ، وذكر سبحانه وتعالى صفة المؤمنين الذين يجزيهم بالجزاء الحسن ، بأنهم مع العمل الصالح يجتنبون الآثام الكثيرة ، كالشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وعلى الأخص الذنوب الفاحشة منها ، كالزنى والقتل وشرب الخمر ، أما الذنوب الصغيرة ، فإن الله يغفرها لعباده المؤمنين الصالحين ، الذين يجتنبون الكبائر ؛ والله واسع المغفرة ، عظيم الصفح عن المؤمنين ، يغفر لهم ما شاء من الذنوب ، لأنه هو أعلم بحال عباده ،

والمطلع على أحوالهم ، فإنه هو الذى خلقهم من عناصر الأرض ، وهو الذى
كوّنهم ، فى بطون أمهاتهم وأتم خلقهم ؛ وإذا كان الله تعالى هو الذى
خلق العباد وأنشأهم ، من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، فهو أعلم
بالمهتدين والضالين ، والمؤمنين والعاصين منهم ، فلا يصح أن تمدحوا
أنفسكم ، بالإعلان عما تأتون من الأعمال الصالحة ، لأن هذا يدفعكم
إلى الغرور ، ويحجب عنكم نور الحق ، هذا إلى أنكم لا تقدرون الأعمال
وتضعونها فى موضعها من الصلاح والفساد ، لكن الله هو الذى يقدر ذلك ،
وهو أعلم منكم بالتقى المؤمن الذى عمل صالحاً فاستحق الثواب ، وبالكافر
والفاجر الذى عمل سيئاً فاستحق العقاب ، وأعلم بما تنطوى عليه نفوسكم
من حب الخير لذاته ، ومن التظاهر به للشهرة والرياء .

(٤)

من الآية ٣٣ من سورة النجم ، إلى آخر السورة

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ، وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْتَدَى ؟ أَعِنْدَهُ
عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ؟ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ،
وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى : أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ؟ وَأَنْ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ
يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ، وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى -٢- . وَأَنَّهُ
هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ، وَأَنَّهُ خَلَقَ
الزَّوْجَيْنِ : الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ، مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى -٣- .
وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ، وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ، وَأَنَّهُ
هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى -٤- . وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ، وَثَمُودَ فَمَا
أَبْقَى ، وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى
وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى -٥- . فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكَ تَتَمَارَى ؟ -٦- . هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى -٧- .
أَرَزَقْتِ الْأَرْزَقَ ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ -٨- .

أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ، وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ،
وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ؟ - ٩ - . فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا - ١٠ -

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تولى وأكدى صحف موسى وفى	أعرض عن اتباع الحق ، والثبات عليه . ومنع ما كان يعطيه التوراة . آتم الوفاء بما عاهد الله عليه .
أن لا تزروا زرة وزر أخرى	} ألا تعاقب نفس آثمة على ذنب نفس أخرى . } وأن هنا : هي أن الخففة ، فلا تنصب المضارع .
ما سعى يُجزاه إلى ربك المنتهى أضحك وأبكى أمات وأحيا نطفة تمنى النشأة الأخرى أقى الشعري	سعيه وعمله . يجزى على عمله . إليه ينتهي الخلق ، ويرجعون إليه . خلق قوتى الضحك والبكاء في الإنسان . لا يقدر على الإمامة والإحياء غيره . ماء الرجل : المنى . توجد في الرحم . إعادة الحياة في الأجسام بعد الموت في الآخرة . أعطاه ما يقتنى من نفائس الأشياء . نجم كانت قبيلة خزاعة تعبده .
والمؤتفكة أهوى	} وخسف وأسقط مدائن قوم لوط ، التي اثتفكت } وانقلبت بهم .

الألفاظ	شرحها
فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربك تبارى هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة سامدون	فغطى هذه المدائن بما غطاها من الأحجار الهائلة . فبأى نعم ربك تشك ؟ هذا الذى ذكرناه مما أهلكتنا به الأمم السابقة ، نذير لكم من النذر التى حلت بمن كان قبلكم . قربت الساعة . ليس لها غير الله مانع من عذابها ، ومنج من نارها . لاهون معرضون ، شاحون متكبرون .

الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى

هو الوليد بن المغيرة ، كان قد اتبع رسول الله وأسلم ، فجاء إليه بعض المشركين وَعَيْبَهُ ، قال له : لم تركت دين الأشياخ من آباءك إلى دين محمد ، فأقررت بذلك أنهم فى الضلال ، ورضيت أن يكونوا فى النار ، كما يقول كتاب محمد ؟ قال : إني اتبعت دين محمد خوفاً من عذاب الله ، فقال له : يا بن المغيرة ، أنا أضمن لك أن أتحمّل عنك عذاب النار الذى يخوفك به دين محمد ، إن رجعت عن الإسلام إلى دين آباءك ، وأعطيتنى شيئاً من مالك ، فأعطاه الوليد بعض المال ، ورجع إلى الشرك ، ثم منع ما كان يعطيه الرجل من المال بخلا وشحاً ، فنزل : « أفرأيت الذى تولى ، وأعطى قليلا وأكدى » .

مجمل المعنى

١ - أو قد علمت يا محمد الذى أعرض عن الإسلام ، ورجع إلى الكفر ، وأعطى قليلا من المال لمن ضمن له أن يتحمل عنه عذاب النار ، واشترى منه مكانه فى جهنم ، ثم غلب عليه الشحّ ففنع القليل الذى كان يعطيه ، وأمسك عن إعطاء الرجل ثمن العذاب الذى ضمن له أن يتحمّله عنه ؟ أليس هذا منه غاية الجهل والحماقة ؟ ألا يعلم أن كُلاًّ محاسب على عمله ، وأنه لا تتحمل نفس آثمة لئام نفس أخرى ؟ هل كان عند هذا الذى أعرض عن الإيمان ، ورجع إلى الشرك ، ثم منع ما كان يعطيه ، علمُ ما غاب عنه من أمر الآخرة ، التى من جملتها جواز أن يحمل صاحبه عنه العذاب يوم القيامة ، حتى يقبل ذلك ، ويسوغه له عقله وتفكيره ؟ فهو يرى أن العذاب فى الآخرة على الشرك والضلال فى الدنيا ، سلعة تباع وتشتري .

٢ - أو لم تخبره صحف موسى - وهى التوراة - وإبراهيم الذى وفى بما عاهد الله عليه ، وصبر على ما امتحنه به ، وصدق فى قوله وعمله ، فصبر على النار التى ألقى فيها ، ونجاه الله منها ، وعلى ذبح ولده إسماعيل ، وعمل بما أمر به ، وبلغ رسالات ربه ، واحتمل ما احتمل من الاضطهاد والشدائد والابتلاء ، بأن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن لا يؤاخذ أحد بذنوب غيره ، ليتخلص المذنب من العقاب ، ويعاقب غير المذنب ، وأن كل إنسان محاسب على عمله ووفى جزاءه بمقدار ما عمل ، فلا ينقص شيئاً من ثوابه ، ولا يزداد عليه شيء من العقاب ، وأن مناط كل ثواب هو الإيمان والعمل الصالح ، ومناط كل عذاب هو الكفر والعمل السيئ ، وأن عمل كل

إنسان سيعرض في صحيفته يوم القيامة ، فيلقى الثواب على الخير ، ويلقى العقاب على الشر ، ويُجزى الجزاء الكامل على الخير وعلى الشر ، لا ظلم اليوم ، وأن منتهى الخلق ومصيرهم إلى الله يوم القيامة ، وأن إليه المرجع والمآب ، هذا كله ثابت في صحف أبيهم إبراهيم ، وفي صحف موسى التي يقرؤها عليهم اليهود ، فكيف تباع الذنوب بالمال ؟ وكيف يشتري عذاب الآخرة بعرض الدنيا ؟ إن هذا لأمر عجاب !

٣ - أولم يقرءوا في هذه الصحف المنزلة ، أن النفع والضرر ، والإضحاك والإبكاء ، والسرور والحزن ، وكل ما يصيب الإنسان من خير وشر ، هو من عند الله ، وأنه هو الذى يميت من انقضى أجله ، ويحيي من يولد ويعيش على ظهر الأرض ، وأنه خلق الصنفين : الذكر والأنثى ، اللذين كان منهما النسل والعمران ، من نطفة حقيرة ، وقطرة ماء صغيرة ، تصب في الأرحام بإذنه ، وتتكون علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً يكسوها لحماً ، ثم تنبعث فيها الحياة بقدرته وإرادته ؟ فكيف يشركون بعبادة من هذه قدرته ، الأصنام والأوثان ؟

٤ - أولم يقرءوا ويعلموا من صحف إبراهيم وموسى ، أن إلى الله جل شأنه النشأة الأخرى ، وإحياء الناس بعد الموت ، فهو الذى يحيي ويميت ، ويميت ويحيي ؟ وأنه ضامن الأرزاق ، ومعطى الحقوق والحظوظ والأقوات ؟ وأنه هو الذى يعطى المال للأغنياء ، والنفائس الغالية لمن يحرزونها ويقتنونها ، ويكسبون بها عزاً وجاهة ؟ وأنه خالق هذا الكون كله ، وموجد كوكب الشعرى اللامع الوضاء ، الذى تعبدته قبيلة خزاعة ، وتزعم أنه شريك لله ، مع أنه أحد مخلوقاته الضئيلة ، إلى جانب قدرته العظيمة ، وإن كان هؤلاء المفتونون يرون الشعرى في نظرهم باهرة عجيبة ؟

٥ - أولم يعلموا وينبئوا بأن قوتهم التي يغالبونك ويخاصمونك بها ، واهنة ضعيفة أمام قوة الله ، الذي أهلك عاداً القديمة ، التي كانت تقول تحدياً وتجبراً : من أشد منا قوة ؟ وأنه أهلك ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ، ويزعمون أنهم في أمان من قوة الله ، ولم يبق أحداً منهم ؟ وأنه أهلك من قبلهم قوم نوح ، لأنهم كانوا أكثر ظلماً ، وأشد طغياناً من ثمود ، فكانوا يؤذون نوحاً ، ويضربونه حتى لا يكون به حراك ، وينفرون الناس منه ، ويضعون أطراف أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعو دعوته ، ويغضون وجوههم بشياهم حتى لا يروا وجهه ؟ كما أهلك قوم لوط بتدمير قريتهم ، فانتفكت قراهم عليهم ، وانقلبت بهم ، فأصبح عاليها سافلها ، وغطاها شيء عظيم من الصخور والأحجار المنصودة ؟

٦ - فبأى نعم الله أيها المفكر الجاحد لفضل الله عليك ، تمارى ، وتشكك فيما أولاك من النعم ، وفيما منع عنك من النقم ؟ وفي أى ألو من هذه الآلاء والنعم تتجادل وتشكك ، حتى تشك في ربوبيته ووحدانيته ؟

٧ - يا محمد ، هذا الذى بيناه وذكرناه من أنباء المشركين فى الأمم السابقة ، إنذار من بعض الإنذارات التى امتحننا بها السابقين من الأمم الأولى ، لعلها تكون عظة لمن عارضوك وكذبوك .

٨ - لقد اقتربت الساعة ، ودنا يوم القيامة ، وليس هناك قدرة تكشف عنها ، وتظهرها فى وقتها ، غير قدرة الله القادرة ، وسيحاسب فيها كل على عمله ، ويلقى فيها جزاءه .

٩ - أفن هذا القرآن الذى أنزلناه على محمد بشيراً ونذيراً ، تعجبون وتنكرون ، وتضحكون سخرية واستهزاء ، ولا تكون ندماً وخوفاً ، وأنتم غافلون لاهون لاعبون ، تصرفون الناس عن الاستماع إليه ؟ قال أبو هريرة : لما نزلت

آيات: « أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون » ، بكى أهل
الصفّة ، حتى جرت دموعهم على خدودهم ، فلما سمع النبي صلى الله عليه
وسلم بكاءهم ، بكى معهم ، فبكينا لبكائه ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا يبلغ النار آمن بكى من خشية الله ، ولا يدخل الجنة مصرّ على
معصية الله » .

١٠- فارجعوا إلى الحق أيها المشركون ، ودعوا ما أنتم فيه من الضلال ، واسجدوا
لله لا للأصنام ، وآمنوا بكتابه ، وابدؤوه وحده ، ولا تشركوا به شيئاً .

سُورَةُ الْقَمَرِ

نزلت بمكة ، ما عدا الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ فإنها نزلت بالمدينة ،
وآياتها ٥٥ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٧

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ،
وَيَقُولُوا : سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ، وَكُلُّ
أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ١- . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ،
حِكْمَةٌ بِاللِّغَةِ ، فَمَا تُغْنِي النَّذْرُ ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ
الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا ، خَشَعًا أَبْصَارُهُمْ ، يَخْرُجُونَ مِنَ
الْأَجْدَاثِ ، كَانَهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرٌ ، مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ،
يَقُولُ الْكَافِرُونَ : هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ٢- . كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ، وَقَالُوا : مَجْنُونٌ ، وَازْدَجَرَ ، فَدَعَا
رَبَّهُ : أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ٣- . فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ
مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ، فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ

قُدِرَ ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وُدُسِرٍ ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا
 جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا -٤- . وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً ، فَهَلْ
 مِنْ مُدَكِّرٍ ؟ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرٍ ؟ -٥- . وَلَقَدْ
 يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ، فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ؟ -٦- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اقتربت الساعة وانشق القمر آية يعرضوا سحر مستمر	{ قد قرب قيام الساعة ، وانشقاق الكواكب واضطرابها ، ومنها القمر ، إيداناً بانتهاء الدنيا . معجزة . يكذبوا بها . سحر قوى شديد .
واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر	{ واتبعوا ضلالتهم وأباطيلهم ، وما تهوى أنفسهم . وكل شيء إلى نهاية يستقر عندها ، ويثبت الخير لأهل الخير ، والشر لأهل الشر .
ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مُزْدَجَرٌ	{ ولقد جاء هؤلاء الكفار من أنبياء الأمم السابقة ما يزرهم عن الكفر ، ويمنعهم من الضلال لو قبلوه .
حكمة بالغة	{ القرآن حكمة بالغة .
فما تغني النذر	{ فما تنفع الآيات والأنبياء والنذر لقوم لا يؤمنون بها ، وهم معرضون عنها .

شرحها	الألفاظ
<p>فأعرض عنهم فإن الإنذار لا ينفع معهم . { وانتظر يوم ينفخ إسرافيل في الصور ، ليبعث الناس من القبور . عذاب شديد .</p>	<p>فتول عنهم يوم يدع الداع شيء نكّر</p>
<p>في حال كونهم قوماً أذلاء خاضعين ، يبدو ذلك في { نظراتهم المنخفضة المنكسرة . القبور .</p>	<p>خشعاً أبصارهم الأجداث</p>
<p>كأنهم في كثرتهم ، وعدم انتظام سيرهم واضطرابهم ، { جراد منتشر .</p>	<p>كأنهم جراد منتشر</p>
<p>مسرعين ، مادين أعناقهم في ذلة . { هذا يوم شديد ، لما يشاهدون فيه من أمارات الهول .</p>	<p>مهطعين يوم "عسر"</p>
<p>قبل قريش . هو مصاب بالجنون . وزجره ونهروه بالسب والتخويف .</p>	<p>قبلهم مجنون وازدجر</p>
<p>غلبني قومي على أمرى ، فلم يسمعوا منى ، ويثست { من تلبيتهم دعوتى . فانتقم لى منهم بعذاب ترسله إليهم .</p>	<p>أنى مغلوب فانتصر</p>
<p>فاستجبنا دعاءه ، وأمرناه باتخاذ السفينة ، وأمطرناهم { مطراً كثيراً متدفقاً . جعلنا من الأرض عيوناً متفجرة .</p>	<p>ففتحنا أبواب السماء بماء مهمم وفجرنا الأرض عيوناً</p>

الألفاظ	شرحها
فالتقى الماء على أمر قد	} فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر إهلاكهم ، بإغراقهم الذي قدره الله عليهم .
قدر	
على ذات ألواح	على سفينة ذات ألواح .
ودسر	مسامير وجبال مشدودة بها ، جمع دسار ، وهو المسمار .
تجرى بأعيننا	تجرى فوق الماء في حفظنا ورعايتنا .
جزاء لمن كان كفر	جزاء لنوح الذي كفر به قومه .
آية	عظة وعبرة .
مذكر	متذكر متعظ خائف .
يسرنا القرآن للذكر	سهلناه للحفظ .

مجمل المعنى

١ - إن قيام الساعة قريب ، وإنها إذا قامت ، تضطرب السماء ، ويختل سير الكواكب ، وتختلف دورتها ، فيصدم بعضها بعضاً ، وتمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً ، ويتصادم القمر بكونك آخر وهو في دورته حول الأرض ، فينشق ويتصدع ، والمشركون سادرون في غيهم ، لاهون في ضلالهم ، وكلما جاءهم آية ، أو ظهرت لهم معجزة ، تدل على أن وحدانية الله حق ، وأن نبوة محمد حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، أعرضوا عنها ، وصموا آذانهم عن استماعها ، وقالوا : هذا الذي جاء به محمد من الآيات نوع من السحر المحكم المتقن ، يريد به أن يحولنا عما كان يعبد آباؤنا ، وأصروا على تكذيبه ، واتبعوا أهواءهم وضلالهم ، وما تميل إليه نفوسهم ؛ وكل أمر من أمور الناس ، وحال من أحوال

الدنيا ، له غاية ينتهى عندها ، ويستقر فيها ، وحقيقة يعرف بها ، فيظهر الخير لأهل الخير ، والشر لأهل الشر ، وتتكشف الأمور عن خذلان أو نصر في الدنيا ، وشقاوة أو سعادة في الآخرة ؛ وعبر الله بالماضى فى انشقاق القمر ، لتأكيد حدوثه ، على غرار ما جرت عليه الأساليب العربية .

٢ - ولقد جاء المشركين من أنباء الأمم الخالية فى القرآن ، ومن أنواع العذاب الذى وقع عليهم لتكذيبهم أنبياءهم ، ما فيه زجر وردع لهم عن تكذيبك ، والاستمرار فى الشرك ، لو أنهم قبلوه وتدبروه ، ولقد نزل إليهم القرآن يحوى الحكمة ، والموعظة الحسنة ، وفيه نهاية الصواب ، لكن العناد والضلال ركبهم ، فما وعته قلوبهم ، وما تدبرته عقولهم ، وما أصاحت إليه أسماعهم ؛ وما تنفع العظات ، ولا تغنى الإنذارات ، ولا يجدى التنبيه والوعيد فى قوم مصرين على الضلال ، متمسكين بالشرك ، لا يبغون به بديلا ، فأعرض عنهم ، ولا تكثر بكفرهم ، ولا تحاول أن تميلهم إلى جانب الحق بما تلقيه عليهم من البيئات والنذر ، وانتظرهم يوم ينفخ إسرافيل فى الصور ، فينهضون من القبور ، ويدعوهم إلى أمر شديد ، وموقف رهيب تنكره النفوس ، لأنها لم تعهد مثله ، وهو يوم القيامة ، ويساقون إلى الموقف فيذهبون خاسئة أبصارهم ، خافضة نظرهم من الذل والخوف ، ينظرون من طرف خفى ، لا يجرون من شدة الهول على التحديق أو إدامة النظر ، وقد اضطربوا فى سيرهم ، وتخبطوا فى طريقهم ، ومضوا متكاثرين متزاحمين متخبطين كالجراد المنتشر ، مقبلين نحو الداعى ، مسرعين إليه فى ذلة وخضوع ، ماديين أعناقهم تجاهه ؛ حينئذ يعرف كل مصيره ، ويتبين

عاقبة أمره : يتبين المشركون ما هم فيه من شدة وهول ، فيقولون : هذا يوم صعب شديد ؛ أما المؤمنون فلا يتكلمون ، لأنهم غير خائفين من ربهم ، مطمئنون إلى حسن ثواب الآخرة .

٣ - ولقد سبقت قريشاً أمم كذبت رسلها ، وخذلت أنبياءها ، وكان من أقدم هذه الأمم المكذبة قوم نوح نبي الله وعبدته ورسوله ، دعاهم إلى عبادة الله وطاعته ، فأعرضوا عنه ، بل جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصرروا واستكبروا استكباراً ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل رموه بالجنون ، وزجروه وكذبوه ، وسبوه وهددوه بالقتل ، فدعا عليهم نوح ، وقال : يا رب ، إن قومي غلبوني على أمري ، وليس لي طاقة بهم ، أو قدرة عليهم ، فانتصر لي عليهم ، وانتقم لي منهم بقوتك وسلطانك ، يا أكرم الأكرمين .

٤ - فاستجاب الله دعاءه ، وأمره باتخاذ السفينة ، وفتح عليهم ميازيب السماء فصبت ماء منهمراً متدفقاً ، وجعل من الأرض عيوناً متدفقة ، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على تحقيق أمر لإغراقهم وإهلاكهم الذي قدره الله عليهم ، وأرادهم لهم في الأزل ، ونجى الله نوحاً والذين آمنوا معه ، فحملة على سفينة ذات ألواح مشدودة بجبال ، موثقة بمسامير ، وجرت وسط الطوفان المتلاطم المضطرب في موج كالجبال ، محفوظة بعناية الله ، محروسة برعايته وقوته ، وكان هذا جزاء حسناً لنوح الذي كفر به قومه وآذوه .

٥ - ولقد تركنا السفينة وآثار الهلاك الذي أوقعناه بمن كذبوا نوحاً ، آية للأمم التي جاءت بعدهم ، وعظة وعبرة لهم ، فهل من متعظ ومتذكر لما فعلنا

بہم ، فلا يفعلوا فعلہم ؟ فكيف كان وقع عذابي عليهم شديداً ، وانتقامي
منہم قاسياً ، وإنذاراتي لهم هائلة قوية محققة ؟

۶ - ولقد يسرنا القرآن للحفظ والفهم : بوضوح معانيه ، وسمو أسلوبه ، حتى
يتدبره الذين يريدون أن يهتدوا ، ويتعظوا بما فيه من آيات ، فهل من
متعظ ومتذكر بها ؟ وهل من قارئ يقرؤه ، وحافظ يحفظه ؟ ليستفيد بهديه ،
ويتبع ما فيه .

(٢)

من الآية ١٨ إلى الآية ٣٢ من سورة القمر

كَذَّبَتْ عَادٌ ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ؟ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ، تَنْزِعُ
النَّاسَ كَانْتَهُمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذْرِي ؟ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ، فَهَلْ مِنْ مُدِّكِرٍ ؟ -١-
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ، فَقَالُوا : أَبَشْرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ؟
إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ، أَوْلَقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ؟
بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ ، سَيَعْلَمُونَ غَدًا : مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشْرُ ؟
-٢- . إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ ، فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ،
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ، كُلُّ شِرْبٍ مُخْتَصِرٌ -٣-
فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ ، فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذْرِي ؟ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ، فَكَانُوا كَهَشِيمِ
الْمُحْتَضِرِ -٤- . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ، فَهَلْ مِنْ
مُدِّكِرٍ ؟ -٥- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
فكيف كان وقعُ عذابي عليهم؟ وإنذاراتي لهم؟ ريحاً شديدة البرد ، شديدة الصوت . في يوم دائم الشؤم والشر . تقلقهم من مواضعهم . { فتركهم متمددين ، كأنهم أصول نخل منقلع ، متمد على الأرض . جنون . أُنزل عليه الوحي دوننا . بَطْر متكبر . امتحاناً وابتلاء لهم . { فراقبهم وانتظرهم ، وتبصر ما هم صانعون ، واصبر على أذاهم . مقسوم بينهم . { كل نصيب من الماء يحضر لشربه صاحبه في اليوم الذي خصص له . { فاجترأ على تعاطي الأمر الخطير ، وارتكابه من غير اكتراث . صاعقة واحدة . { فهلكوا وصاروا كالشجر اليابس المتهشم ، الذي يجمعه الغنم ليقم منه حظيرة لغنمه .	فكيف كان عذابي ونذر ريحاً صرصراً في يوم نحن مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر سعر أولئك الذكرك عليه من بيننا أشْرُ فتنة لهم فارتقبهم واصطبر قسمة بينهم كل شرب محتضر فتعاطى صبيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر

مجمل المعنى

١ - كذبت قبيلة عاد نبيها هوداً عليه السلام ، فهل سمعتم ما حصل لها ؟ أو فاسمعوا كيف وقع عذاب عليهم شديداً ، وانتقامي منهم قاسياً ؛ وإنداراتي قوية محققة هائلة ؟ إنا سلطنا عليهم ريحاً قوية عاصفة شديدة البرودة ، في وقت كثير الشؤم ، شديد النحس ، وقد استمر العذاب ، ولم يستطيعوا أن يثبتوا أمامه ، أو يقفوا في طريقه ، برغم قوتهم وتماسكهم ، واعتصامهم بالكهوف والحفر ، فكانت تنزعهم من أماكنهم اللاصقين بها ، الثابتين فيها ، فترفعهم في جو السماء ، ثم تهوى بهم إلى الأرض ، فتدق أعناقهم ، وتلك أجسامهم ، وتلقيهم على الأرض طويلاً متمددين ، ضخام الجثث ، كأنهم أصول نخل منقلع من مغرسه ، ذهب فروعهم ، وطاحت رعوسه ، وسقط على الأرض ممتداً ، فهل سمعتم كيف كان بطشي شديداً ، وانتقامي عظيماً ، وإنداراتي لهم واقعة محققة ؛ ولقد سهانا القرآن للحفظ والفهم ، لتتعظوا به ، وتذكروا ما فيه من الآيات ، فهل منكم من متعظ ومتذكر ، وراجع عن الضلال إلى الحق ، قبل أن يحل بكم العذاب ، كما حل بعاد ؟

٢ - ولقد أرسلنا صالحاً إلى قبيلة ثمود ، فأنذرهم عذاب الله ، إن ظلوا على الشرك والضلال ، فكذبت بالآيات والإنذارات التي أنذرهم صالح إياها ، واستكبروا أن يطيعوه ، وأبوا أن يتبعوه ، وقالوا مستهزئين به : أنتبع فرداً واحداً من جنسنا ، وبشراً مثلنا ، يأكل مما نأكل ، ويعمل كما نعمل ، وليس من الجن أو الملائكة ؟ ولماذا نزل عليه الوحي دوننا ، وهو ليس أفضل منا ؟ إننا لا نتبعه على دينه الذي جاءنا به ، ونترك ديننا الذي يقول عنه : إنه ضلال خارج عن الحق ، وإنه ليؤدى بنا إلى عذاب النيران المستعرة ،

بل لو اتبعنا صالحاً على دينه لكننا إذن في ضلال ، وبعد عن الصواب ،
وتنكب عن الحق ، وجنون مطبق ، ومعزل عن مقتضى العقل ؟ هل اختصه
الله بالوحي دوننا ، وأنزله عليه من بيننا ، وفينا من هو أكثر منه مالا ،
وأحسن حالاً ؟ ليس الأمر كما يدعى ، وليس هو نبياً أوحى إليه كما
يزعم ، وإنما هو كذاب ، قد استغنى فأراد أن يتعاضم ، ويلتمس الرياسة
علينا من غير استحقاق ، ويفرض علينا اتباعه ، سيرون العذاب الذى
يحل بهم قريباً فى الدنيا ، والذى ينتظرهم فى الآخرة ، وحينئذ يعلمون :
أى الفريقين هو الكذاب الأشر ؟ أصلح الذى يدعوهم إلى عبادة الله
واتباع الحق ، أم ثمود التى تعبد الأصنام ، وتمعن فى الضلال ؟

٣ - إنا قد أرسلنا الناقة آية للدلالة على صدق صالح ، واختباراً وابتلاء
لهم ، فإذا خالفوا ما أمرهم الله فى شأنها ، حل بهم عذابه ، وأمرنا صالحاً أن ينظر
ماذا يفعلون ، وأن يصبر على أذاهم واستهزأهم ، وألا يعجل حتى يأتى أمر الله
فيهم ، فأخبرهم أن ماء البئر قسمة بين الناقة وبينهم ، فالناقة لها شرب
يوم ، وثمود شرب يوم ، ومقدار الماء فى يوم الناقة هو للناقة وحدها ،
لا يجوز لثمود أن ترده ، وفى يوم ثمود هو لثمود ، لا تأتى الناقة إليه ، ولا تتجه
نحوه ، فكل ماء العين يحضر صاحبه ويشربه فى يومه دون غيره .

٤ - استمروا على ذلك من قسمة الماء بينهم وبين الناقة ، حتى ملوا طريقة
القسمة ، ولم يصبروا عليها ، وعزموا على عقر الناقة وقتلها ، والتخلص
منها ، فاستدعوا صاحبهم الذى جر عليهم الشؤم والشقاء ، وهو قدار
ابن سالف ، وانفقوا معه على أن يخلصهم منها ، فاجترأ على فعلته الكبيرة ،
وخالف أمر الله فيها ، وعقرها بيده ؛ أعرفت كيف كان عقابى لهم
شديداً ، وإنذارأتى لهم قاسية عنيفة ؟ إنا أرسلنا عليهم صيحة عقاب ،

وصاعقة عذاب ، أهلكتهم ، وتركت أجسامهم خاوية جافة يابسة ،
كالهشيم المتفتت من الشجر والشوك والعشب ، الذي يجمعه صاحب الغنم ،
ليتخذ منه حظيرة لها ، تمنع عنها الوحوش الضارية وبرد الريح .

٥ - ولقد يسرنا القرآن للحفظ والفهم ، ليتعظ به من يتعظ ، ويتذكر من
يتذكر ، ويعتبر من يعتبر ، بما أصاب المكذبين المتحدّين لآيات الله ،
فهل من متعظ ومعتبر من قريش ؟

(٣)

من الآية ٣٣ إلى الآية ٤٢ من سورة القمر

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ، إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا
 إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسِحْرِ ، نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ، كَذَلِكَ
 نَجْزِي مَنْ شَكَرَ -١- . وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا ، فَتَمَارَوْا
 بِالنُّذُرِ ، وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ،
 فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ، وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ،
 فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ -٣- . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ،
 فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ -٤- . وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ،
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ، فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حاصباً إلا آل لوط سحر	ريحاً شديدة ، ترميهم بالحصى أو الحجارة . إلا من اتبع لوطاً على دينه . السحر : ما بين طلوع الفجر وآخر الليل ، حينما يختلط سواد الليل ببياض النهار .

الألفاظ	شرحها
نعمة من عندنا	إنعاماً منا على لوط ومن اتبعه من أهله .
شكر	آمن بالله وأطاعه ، وشكر له نعماءه .
بطشتنا	عذابنا الشديد .
فتماروا بالنذر	فشكروا وجادلوا فيما أنذرهم إياه لوط ، ولم يصدقوه .
راودوه عن ضيفه	أرادوا منه أن يملكهم من الملائكة الذين نزلوا عنده في هيئة الضيوف ، طلباً للفاحشة .
فطمسنا أعينهم	فأعميناهم عن رؤيتهم .
ولقد صبحهم بكرة	ولقد وقع بهم في الصباح .
عذاب مستقر	عذاب ثابت تستقر آثاره ، وتبقى إلى يوم القيامة .
النذر	موسى وهارون ، وما أرسل الله مع موسى من الآيات .
بآياتنا	بمعجزاتنا الدالة على توحيدنا ، ونبوة موسى وهرون .
عزيز مقتدر	غالب قادر على ما أراد .

مجمل المعنى

١ - وقوم لوط من الأمم التي كذبت رسولها ، واستهزأت به ، وبما هددهم به من إنذارات ، وما خوفهم به من عقاب الله ، فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفة ترميهم بالحصباء ، وتلقى عليهم حجارة من سجيل ، فقلبت بيوتهم ، وجعلت عاليها سافلها ، فأهلكهم الله ، ولم ينج من هذا العذاب إلا من اتبعه من أهله ، إذ أمرهم الله أن يتركوا القرية ليلاً قبل أن يسلط عليها العذاب ، فخرج بهم وقت السحر آخر الليل ، قبل انبلاج الصباح ،

لإنعامه عليهم بالنجاة، ورضائه عنهم، لأنهم آمنوا بربهم ، وأطاعوا نبيهم ،
ومثل هذا الجزاء الحسن ، يجزى الله كل من آمن وعمل صالحاً ، وشكر الله
على نعمه .

٢ - ولقد حذرهم لوط أخذنا لهم بالعذاب الشديد، فتشككوا في نُذُرنا ،
وتجادلوا في تحذيراتنا ، وكذبوا بها ، وأوغاوا في الضلال ، وتمادوا في
الفجور ، وجاهروا بالفحش ، وطلبوا أن يفعلوا فعلتهم القبيحة بالملائكة
الذين نزلوا ضيوفاً على لوط ، واقتحموا عليهم الباب ، فأعميناهم عنهم ،
وظمسنا على أعينهم ، وحجبنا عنهم رؤيتهم ، فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً ،
وقلنا لهم على ألسنة الملائكة : ذوقوا عذابي الشديد ، وإنذاراتي لكم بالهلاك ،
وفي الصباح الباكر ، نزل بهم العذاب والهلاك المستقر الثابت فيهم ، ولن
يفارقهم حتى يُفضى بهم إلى عذاب النار يوم القيامة ، فذوقوا أيها المجرمون
عذابي الشديد ، وإنذاراتي لكم بالهلاك .

٣ - ولقد سهلنا القرآن يا محمد لقومك ، فأنزلناه بلغتهم ، وضمنناه أنواع المواعظ
والعبر ، وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد، ويسرنا عليهم حفظه وفهمه ، ليتعظ
به من يتعظ ، ويعتبر به من يعتبر ، فهل منهم من يتعظ أو يعتبر ؟

٤ - ولقد جاءت فرعون وقومه إنذارات وآيات ، وخوفناهم كثيراً عذاب
الله ، فما آمنوا وما اتعظوا ، وكذبوا بكل الآيات والمعجزات التي جاءهم
بها موسى : من العصا ، واليد ، والسنين ، والطمس ، والطوفان ، والجراد ،
والقمل ، والصفادع ، والدم ، فبطشنا بهم بطشاً شديداً ، وأخذناهم
بذنوبهم أخذاً عنيفاً ، وما ظنك بأخذ إله عزيز لا يغالب ، مقتدر على
فعل ما يريد ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ؟

(٤)

من الآية ٤٣ من سورة القمر إلى آخر السورة

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ ؟ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي
الزُّبُرِ ؟ أَمْ يَقُولُونَ : نَحْنُ جَمِيعٌ مُتَّصِرُونَ -١- . سَيَهْزَمُ
الْجَمْعُ ، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ -٢- . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ،
وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ -٣- . إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ
يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ : ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ -٤- .
إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ، وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ
بِالْبَصَرِ -٥- . وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ، فَهَلْ مِنْ
مُدَّكِرٍ ؟ -٦- . وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ، وَكُلُّ صَغِيرٍ
وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ -٧- . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ، فِي
مَقْعَدٍ صِدْقٍ ، عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ -٨- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أكفاركم خير من أولئكم	ليس كفار قريش خيراً من كفار الأمم الحالية ، الذين أهلكوا بكفرهم .
أم لكم براءة في الزبر	أم لكم في الكتب المنزلة على أنبيائنا ما يدل على أنكم معتدون من العذاب على كفركم .
نحن جميع منتصر	نحن قوم أقوياء لا ينتصر علينا منتصر ، ولا يغلبنا غالب .
سيهزم الجمع ويولون الدبر الساعة موعدهم أدهى وأمر	ستتمزق قوة قريش ، ويتفرق جمعهم ، ويهزمون . وفرون على أعقابهم منهزمين . يوم القيامة موعد عذابهم الشديد . أشد هولا ، وأمر مذاقاً من عذاب الدنيا .
في ضلال وسعور	في ضلال وكفر في الدنيا ، وفي عذاب النيران المستعرة في الآخرة .
مس سقر بقدر واحدة	عذاب جهنم . بتقدير لأحواله وزمنه . مرة واحدة .
كلمح بالبصر أشياكم في الزبر مستطر	ينفذ أمرى بها ، أسرع من لمح البصر . أشباهكم في الكفر من الأمم الحالية . مكتوب في الكتب المنزلة . مسطور مكتوب .

الألفاظ	شرحها
نَهَرَ في مقعد صدق عند ملك مقتدر	أنهار . في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم . { في كرامة ونعيم إله مالك للدينا والآخرة ، قادر ، لا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته .}

مجمل المعنى

١ — ليس الكفار من قومك يا محمد خيراً من كفار الأمم الحالية ، التي قصصنا عليك أنباءهم ، وأهلكناهم بكفرهم ، وأخذناهم بذنوبهم ، بل هم مثلهم أو شر منهم ، وقد علموا ما لحق بهم من العذاب المتأصل ، لما كذبوا رسلهم ، وسيحقيق بهم من التنكيل والعقاب ما حاق بهذه الأمم ، أم لقريش في الكتب الإلهية التي أنزلها الله على رساله براءة من عذاب الله ، فلهذا يكفرون ويعصون ، معتمدين على أنهم لا يسألون عما يفعلون ، مع إجماع كل الكتب السماوية على وبال الكفار ، أم هم معجبون بأنفسهم ، معترنون بقوتهم ، فيحسبون أن لا غالب يغلبهم ، ولا قوة فوق قوتهم ، فيقولون : نحن قوم أمرنا مجتمع ، وجماعتنا قوية ، ويدنا واحدة ، منتصرون بقوتنا ، ممتنعون على من يريد بنا شراً .

٢ — ثق يا محمد بأن جمعهم مهزوم لا محالة ، وأن قوتهم منحلة ، وشملهم متفرق ، وقد حقق الله وعد نبيه ، فهزهم وبدد شملهم يوم بدر ، وارتدوا على أعقابهم ، وولوا الأدبار منهزمين .

٣ - بل يوم القيامة موعد عذابهم ، والعذاب الذى ينتظرهم فيها أشد عليهم من كل هزيمة وقتال ، فعذاب الساعة أشد وأفظع ، وأمر مذاقاً من عذاب الدنيا .

٤ - إن الكفار فى ضلال وتخبط وحيرة فى الدنيا ، ونيران ملتهبة متسعرة فى الآخرة ، يوم يسحبون فى النار على وجوههم ، ويقال لهم توبيخاً وتشفيماً : ذوقوا عذاب النار ، واكتوتوا بلهب جهنم ، وقاسوا حرها وألمها .

٥ - إننا خلقنا كل شىء مقدرًا مُحَكَّمًا مرتباً ، على حسب ما اقتضته الحكمة ، فلم نخلق شيئاً عبثاً ، وكل شىء يحدث فى هذا الكون بعلمنا وإرادتنا ، ومخوق بأمرنا ، وما أمرنا إلا بكلمة واحدة من حرفين ، هى قولنا للشىء : كن ، فلا بد أن يكون على الفور فى أسرع وقت ، كلمح البصر أو هو أقرب .

٦ - ولقد أهلكنا أمثالكم ، ومن كان على شاكلتكم فى الكفر والعصيان ، من الأمم الخالية ، وسنهلككم كما أهلكناهم ، فهل منكم من يتعظ ويتذكر ، ويرجع إلى الله فيؤمن به ، ويقلع عن الضلال والمعاصى ، قبل أن يفوت الوقت ، ويندم ولات حين مندم ؟

٧ - وكل شىء فعله المشركون والعصاة ، ثابت مسجل عليهم إلى يوم القيامة ، مفصّل فى دواوين الحفظة الذين يحصون على الناس أعمالهم ، وكل صغير وكبير من هذه الأعمال ، مسطر عليهم فى اللوح المحفوظ .

٨ - إن المتقين للكفر والمعاصى ، المؤمنين بالله واليوم الآخر ، لَمَقَامِهِمْ فى جنات عظيمة الشأن ، ونعيم لا يحيط به وصف ، يتمتعون بأنهار تجرى من تحتهم ، وحياة طيبة رغيدة ، وهم فى كرامة الله وضيافته فى جنته ، ينعمون بمكان مرضى ، ومجلس ما كثر فيه أبداً ، لا لغو فيه ولا تأثيم ، مقربين عند إله هو مالك الملك قادر ، ليس من شىء فى الدنيا والآخرة إلا وهو تحت تصرفه وسلطانه ، خاضع لأمره وقدرته .

سورة الرَّحْمَنِ

نزلت بمكة ، ما عدا الآية ٢٩ فإنها نزلت بالمدينة ، وآياتها ٧٨ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ٢٨

الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ -١- . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ -٢- . وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ -٣- . وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ،
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا
تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ -٤- . وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ، فِيهَا
فَاكِهَةٌ ، وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ، وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ ؛ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ -٥- . خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ
مِنْ نَارٍ ؛ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ -٦- . رَبُّ
الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ؛ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟
-٧- . مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ؛

فَبَيِّأِ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ؟ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ؛
 فَبَيِّأِ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ؟ -٨- . وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ
 فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ . فَبَيِّأِ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ؟ -٩- .
 كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ . فَبَيِّأِ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ؟ -١٠- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
علمه البيان	علمه أن يبين ويعبر عما في ضميره ، وأن يفهم بيان غيره .
بحسبان	بحسبان بحسب مقدر في بروجهما ومنازهما ، بحيث تنتظم بذلك أمور الكون ومنافع الناس .
والنجم والشجر	النجم : النبات الذي يطلع ولا ساق له ، والشجر : ما له ساق .
يسجدان	يتقادان بطبعهما لما يريد الله ، انقياد الساجدين من المكلفين إرادة وطوعاً .
والسماء رفعها	خلقها مرفوعة محلاً ورتبة ، ودلالة على علو شأنه ، وعظم ملكوته وسلطانه .
ويوضع الميزان	شرع العدل ، وأمر به ، وبين الحلال والحرام .

الألفاظ	شرحها
ألاًّ تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان	لثلا تجوروا وتتجاوزوا العدل وأحكام الشرع . قوموا ووزنكم بالعدل ، وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تنقصوا الميزان .
وضعها للأنام	مهتداً وذلكها لمنافع الخلق ، من إنس وجن وحيوان وطير .
الأكمام	جمع كيم ، وهي أوعية الطلع وغطاء النور والثمر ، وكل ما يغطى من ليفه وسعفه .
العصف والريحان آلاء	علف البهائم من التبن وورق الشجر . مطعم الناس . نعم ، مفردها : ألسو .
صلصال مارج	طين يابس ، يسمع له صلصلة . ساطع مختلف الألوان .
{ رب المشرقين ورب المغربين	{ أى رب مشرق الشمس في الصيف والشتاء ، ورب مغربها ، ورب ما بينهما .
مرج البحرين	{ أرسل البحر الملح والماء العذب ، يلتقيان ويماسان من أطرافهما ، حيث يصب أحدهما في الآخر .
برزخ لا يبغيان	حاجز . لا يبغي أحدهما على الآخر .
اللؤلؤ والمرجان	{ اللؤلؤ : الدر ، والمرجان : حجر كريم أحمر اللون .
البحوار كالأعلام	السفن . كالجبال الشاهقة .

الألفاظ	شرحها
عليها وجه ربك ذو الجلال والإكرام	{ على الأرض التي سبق ذكرها في قوله : « والأرض وضعها للأنام » . ذاته . الذي عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده . }

شجاعة المؤمن

لما نزل القرآن، كان المسلمون يتلونهُ سرّاً، خشية أن يسمعهم كفار قريش فيؤذوهم، فقال الصحابة: إن قريشاً ما سمعت هذا القرآن يُجهر به قط، وربما دخل الإيمان في قلوبهم إذا سمعوه، فمن رجلٌ يجترئ على أن يُسمعهم إياه؟ فقال ابن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشى عليك أن يضربوك إذا سمعوك، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه، فأبى، ثم قام عند مقام إبراهيم في بيت الله الحرام، فقرأ بصوت مرتفع: « بسم الله الرحمن الرحيم، الرحمن علم القرآن »، ثم تمالى رافعاً صوته في قراءة السورة، وقريش في أنديتها تسمع، فتأملوا وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟، قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه، فقاموا إليه وضربوه، حتى أدموا وجهه.

ما يقول هذا بشر

وجاء قيس بن عاصم المِنْدَقَرِي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا محمد ، اتل عليّ شيئاً مما أنزل عليك ، فتلا عليه سورة « الرحمن » ، فقال : أعدّها ، فأعادها ثلاثاً ؛ فقال : والله إن له لَطُلُوةً ، وإن عليه لحلاوة ، وأسفله مُغْدِقٌ ، وأعلاه مُشمرٌ ، وما يقول هذا بشر ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسولُ الله .

فبأي آلاء ربكما تكذبان

ذكرت هذه الآية الكريمة في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة ، ثمان منها عقب آيات عَدَّدت عجائب خلق الله ، وبدائع صنعه ، ومبدأ الخلق ومعادهم ، وسبع منها عقب آيات ذكرت فيها النار وشدائدها ، وثمان في وصف الجنّتين وأهلها من المتقين السابقين ، وثمان أخرى بعدها في وصف جنتين دونهما لأصحاب اليمين ، والخطاب في كل منها موجه إلى الثقلين من الجن والإنس ؛ والمقصود منها : شدة الإنكار على الكفار ، إذ أن المنعم بهذه الآلاء مستحق للشكر والإيمان ، لا الكفر والطغيان ، وفائدة تكرار هذه الآية : التجرد عند استماع كل طائفة من النعم للاتعاظ ، واستئناف التيقظ ، وتنبية النفوس ، لكيلا تستولى عليها الغفلة ، وقد عدد الله في هذه السورة نعماءه ، وذكر خلقه آلاءه ، وحدد العصاة المذنبين ، وبشر الطائعين المتقين ، وأتبع كُلاًّ من هذا وذاك بهذه الآية ، للتنبيه على النعم ، والتخويف من النقم ، كما تقول لمن تتابع عليه إحسانك وهو يكفره ويبحده ، ألم تكن فقيراً فأغنيتك؟! أفتنكر هذا؟

ألم تكن خاملاً فأشدت بذكرك؟ أفتنكر هذا؟ والتكرير في مثل هذا حسن، لأنه يطرد الغفلة، ويؤكد الحججة، وكان الله تعالى يقول: نعم الله يحصيها لكم، ويعددها عليكم، فبأى نعمة من هذه النعم تكذبون بها، وتكفرونها أيها الثقلان؟ وقد قدمنا ذلك عن هذه الآيات، حتى لا نعود إلى ذكره عند تكرارها في السورة.

مجمل المعنى

١ - لما بين الله سبحانه وتعالى في السورة السابقة ما نزل بالأمم السالفة من ضروب النعم، وذكر بعد كل ضرب منها أن الله قد يسر للناس تذكر القرآن والانتعاز به، ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك، عدّد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون النعم الدينية والدنيوية، وأذكر عليهم إثر كل نعمة منها إخلالهم بواجب شكرها، فذكر أن الله جل شأنه متصف بالرحمة الواسعة. ومن آثار رحمته بعباده أنه أنزل لهم القرآن على نبيه محمد بلسانهم، ليتيسر لهم حفظه وفهمه، وعلمهم ما فيه من قصص وأحكام، وآداب وعقائد، وشرائع ونظم، ورسم لهم به طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وأنه أنشأ الإنسان وسوى خلقه في أحسن تقويم، ووهب له القدرة على الإدراك والتفكير، فسخر لمنفعته الحيوان والنبات والجماد، وأنه علمه كيف يُبين عما في نفسه، ويعبر عن ضميره بلغات مختلفة، وألسنة متعددة، وكيف يفهم ما يقول غيره، وما يدور في ضميره؛ هذه نعم الله على الإنسان يحسها في نفسه، وقلبه وعقله، ولسانه وبيانه، لا يستطيع أن ينكرها، أو يرتاب فيها.

٢ - وهذه الشمس وهذا القمر ، خلقهما الله ، وهما من أجل نعمه على الإنسان ، فهما يجريان في أفلاكهما ، جرياً مقدرأ معلوماً ، ويدوران بحساب دقيق منتظم في بروجهما ومنازلهما ، فيحدث الليل والنهار ، والصيف والشتاء ، والخريف والربيع ، ويعرف الناس حساب السنين والشهور والأيام ، فتتظم بذلك أمورهم ، وتجرى أعمالهم وفق منافعهم ومطالبهم ؛ هاتان نعمتان عاويتان ظاهرتان ، يراها الإنسان بعيني رأسه كل يوم يمر ، ويحس منافعهما وآثارهما في حياته ومعيشته ، لا سبيل إلى أن يحددهما ، أو يتعاضى عنهما .

٣ - وهذا النبات الذى ينجم من الأرض زرعاً أخضر لا ساق له ، وهذا الشجر الذى يقوم على ساقه ، وتمتد فروعه وأغصانه ، من الذى أخرج هذا وله ساق ، وأخرج ذلك ولا ساق له ؟ ومن الذى جعلهما ينقادان لأمر الله فيهما ، فيظهران من تربة الأرض وينموان ، ويُسخرجان الحب والثر ، ويخضعان لإرادة الله بطبعهما ، كما ينقاد المكلفون العقلاء لإرادته هو طوعاً ؟ من الذى أودع قوة الإنبات والنمو ، والإبراق والإثمار فيهما غير الله ؟ هل من سبيل إلى تجاهل ذلك وإنكاره ؟

٤ - ومن غير الله خلق السماء مرفوعة ، وسواها خلقاً ، وجعلها منزل قضاة وأحكامه ، وجعلها مظهراً لعلو شأنه ، وعظم سلطانه ؟ ومن غير الله وضع فى الأرض ميزان العدل ، وأمر أن يأخذ كل ذى حق حقه ، وأن يقوم التعامل والمبادلة بينهم على أساس التسوية والإنصاف ، لكيلا يستبد بكم الطمع والطغيان ، فتطغوا فى الميزان ، وتتجاوزوا حد الإنصاف فى الأخذ والعطاء ، والبيع والشراء ؟ فعليكم أن تقوموا وزنكم بالعدل ، ولا تخسروا الوزن ، ولا تنقصوا منه شيئاً ؛ وفى بيان أن الله هو الذى وضع

ميزان العدل في الأحكام والأقوال والمعاملات ، وأنه نهى عن الطغيان والخسران الذي هو تظريف ونقصان ، وفي أمره الصريح بإقامة الوزن بالعدل ، وفي جعله ذلك من النعم التي يمتن بها على عباده ، ما يدل على أثر العدل ، وتوفية الحقوق ، وحسن التعامل ، في سعادة الأفراد والجماعات ، والأثم والهيات ، وإن أول انهيار للمجتمع ، أن يختل فيه ميزان العدل ، وتضيع فيه الحقوق ، ويسوء التعامل .

٥ - والرحمن جل شأنه هو الذي وضع الأرض ، وفرشها ومهدها ، وذلها وعبسها لمصلحة الخلق أجمعين ، فجعل فيها برأً وبحراً ، وسهلاً وجبلاً ، وجدباً وخصباً ، وحرراً وبرداً ، لتتعدد المنافع ، ويؤتي كل كائن ما يلائم طبعه ، ويوائم مزاجه فيها ، وجعل من شجرها فاكهة يتفكك الإنسان بها ، ويتمتع بمذاقها ، ولونها ورائحتها ، وجعل فيها النخل كثير المنافع ، بأكامه التي تغطي طلعه ، وبسعفه وليفه ، وفي ثمره غذاء حلو ، يستطيع الإنسان أن يعيش عليه حياته ، وفي الأرض الزرع الذي يخرج الحب ذا العلف الذي يطعمه الحيوان ، كالشعير والتبن والورق ، ويخرج الريحان الذي يطعمه الإنسان : كالبقول والبرّ ؛ فهل يمارى ثمار ، أو يجادل مجادل ، بأن ذلك كله من خلق الله ، ومن نعمه على عباده ؟ فبأية نعمة من هذه النعم التي تفضل عليكم بها الله ، تكذبون وتكفرون يا معشر الجن والإنس ؟ وإذا كان الجن والإنس لما يأت ذكرهما ، فإن ذكر « الأنعام » يدل عليهما ، وسيأتي ذكرهما صريحاً عند قوله : « أيها الثقلان » .

٦ - والرحمن - جل شأنه - هو الذي وهب للإنسان نعمة الوجود ، ومنحه الحياة والحركة والتفكير ، وأنشأه من مادة صامته لا حياة فيها : من طين صلصال جاف كالفضار ، وخلق الجن من لهب النار الساطع الصافي ،

فكانت قدرته وأمره وإرادته هي الباعث في الوجود ، مهما كان أصل الموجود ؛ فبقدرته هو خالق الإنسان العاقل المفكر من صلصال كالفخار ، وبقدرته هو خالق الجان القادر على التشكل والظهور والاختفاء ، من لهب النار المختلف الألوان ؛ هذا ما أفاض الله عليهما أيها الإنس والجن في تضاعيف خلقكما من سوايغ النعم ، فبأى نعم الله عليكما تكفران وتكذبان ؟

٧ - والرحمن هو رب مشرقى الشمس ورب مغربها صيفاً وشتاء ، شاءت قدرته أن يطيل الليل ويقصر النهار ، وأن يُطيل النهار ويقصر الليل ، ولكم في كل منفعة ، وله في خلقه هذا حكمة ، ولكم في ذلك فوائد لا تحصى من اختلاف الفصول ، وحدث ما يناسب وقت كل فصل من زرع وإخصاب ، ورحلة وطير وسمك ، وغير ذلك مما فيه للناس منافع ؛ فبأى نعمة من نعم الله تكذبان وتكفران أيها الثقلان ؟

٨ - ومن نعم الله ومظاهر قدرته ، ولطفه بخلقه ، أنه أرسل البحر الملح ، والنهر العذب ، فالتقيا بلا فاصل بينهما عند مصب النهر ، حيث يصب أحدهما في الآخر ، وبينهما برزخ حاجز ، فلا يبغي أحدهما على الآخر فيظل البحر ملحاً ويظل النهر عذباً ، لأن منفعة الناس أن يظل هذا ملحاً ، وهذا عذباً ؛ فبأى نعم الله هذه تكذبان ، وهي غير قابلة للتكذيب ؛ ولقد شاءت قدرة الله العجيبة أن يكون ملتقى البحرين بيئة طيبة لتكوين اللؤلؤ والمرجان ، وهما حجران كريمان ، يتخذهما الإنسان حاية وزينة ، فكأنهما يخرجان من البحرين ؛ فبأى نعمة من نعم الله تكذبان ؟

٩ - ومن نعمه - وسعت رحمته - أن جعل البحر مجرى للسفن ، التي تسير رافعة شراعها في البحار كالجبال الشامخة ، والأطواد الباذخة ، فتمخر

عُبابها ، وتنقل الناس والسلع بين أطراف المعمورة ؛ فبأى نعمة من نعم
الله هذه تكذبان ؟

١٠- هذا الذى خلقه الله لكم من أرض وفاكهة ، ونخل وحب وريحان ،
وبحار ولؤلؤ ومرجان ، وسفن كالأعلام ، وكل ما به تتمتعون ، ثم تجحدون
وتكفرون ، ذاهب فان ، ولا يبقى غير ذات الله الذى عنده الجلال
والإكرام لعباده المخلصين ؛ فبأى نعمة من نعم الله تكذبان أيها الثقلان ؟

(٢)

من الآية ٢٩ إلى الآية ٤٥ من سورة الرحمن

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
شَأْنٍ ؛ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ -١- . سَنَفْرُغُ لَكُمْ
أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ؛ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ -٢- .
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا ، لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ؛
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ -٣- . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ
مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ؛ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ؟ -٤- . فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
كَالدِّهَانِ ؛ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ -٥- . فَيَوْمَئِذٍ
لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ؛ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ؟ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ، فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
وَالْأَقْدَامِ ؛ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ؛
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ -٦- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
يحتاج إليه كل من في السموات والأرض .	يسأله من في السموات والأرض
كل وقت يمر ، يحدث أموراً ، ويجدد أحوالاً ، وينشئ خلقاً .	كل يوم هو في شأن
ستوفر على النكاية بكم ، والانتقام منكم .	سنفرغ لكم
الإنس والجن المثقلان بالذنوب ، لجحودهما نعم الله .	الثقلان
إن قدرتم .	إن استطعتم
أن تخرجوا من ملكوتي ، وتهرّبوا من قضائي ، وترحلوا خارج أقطار السموات والأرض ، فافعلوا لتخلصوا أنفسكم من عقابي .	أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا
إلا بقوة وقهر ، وأنتم عاجزون لا سلطان لكم .	إلا بسلطان
لهب أخضر مختلط بالدخان .	شواظ
وذوب النحاس يصب على رءوسكما ، فلا تتخلصان من هذا العذاب الأليم .	ونحاس فلا تنتصران
انصدعت يوم القيامة .	انشقت السماء
فصارت كلون الورد الأحمر ، وصفاء الدهان ، وهو الزيت .	فكانت وردة كالدهان
فيوم القيامة لا يسأل عن ذنبه أحد للعلم ، لأن الذنوب كلها مكتوبة معلومة .	فيومئذ لا يسأل عن ذنبه

الألفاظ	شرحها
بسيّاهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام بينها وبين حميم آن	<p>{ بعلامتهم التي يعرفون بها ، قيل : هي سواد الوجه ، وزرقة العين .</p> <p>{ فيأخذهم الملائكة من شعورهم وأرجلهم ، ويقذفون بهم في النار ، والناصية : الشعر في مقدم الرأس . بين جهنم . وبين شراب حار ، قد بلغ أقصى درجات الحرارة .</p>

مجمل المعنى

١ - كل من في السموات والأرض محتاجون إلى الله ، يدعونه أن يهب لهم الخير ،
ويمنع عنهم الشر ، ويطلبون منه أن يفتح لهم طريق السعادة ، ويصدهم
عن الضلال ، من إنس وجن وملائكة ، وما نعلم وما لا نعلم من خلقه ؛
وهو جل شأنه يحدث أموراً ويجدد أحوالاً في كل وقت ، وكل لحظة من
لحظات الدنيا والآخرة ، فهو - له الدوام - يُحيي ويميت ، ويُعطي
ويمنع ، ويغفر ذنباً ، ويفرّج كرباً ، ويرفع قوماً ، ويضع آخرين ،
فالزمان والحياة والمخلوقات تتغير وتتجدد ، وتأتي وتذهب ، ولا يبقى غير
وجه الله الكريم ؛ فبأي نعم الله تكذبان وتكفران أيها الجن والإنس ؟

قصة الملك والغلام الأسود

يحكى أن بعض الأمراء سأل وزيره عن قوله تعالى : « كل يوم هو في شأن » فلم يعرف معناها ، ولم يحضره الجواب عنها ، واستمهله إلى الغد ، فأمهله ، وانصرف الوزير من حضرة الملك كئيباً حزيناً إلى منزله ، يفكر في معنى ما سأله عنه الأمير ، فلما رآه غلام له أسود على هذه الحال ، قال له : يا مولاي ، أخبرني عما أصابك ، لعل الله يوفقني في أن أساعدك عليه ، فأخبره ؛ فقال له : اذهب بي إلى الأمير ، فإنني أفسرها له ، فذهب به ، وأعلم الملك بأمر الغلام ، فأحضره بين يديه ، وسأله عما سأل عنه الوزير ، فقال الغلام : أيها الملك ، شأنه أن يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، ويخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ويشقى سقيماً ، ويسقم سليماً ، ويبلى معافى ، ويعافى مبتلى ، ويُعز ذليلاً ، ويذل عزيزاً ، ويفقر غنياً ، ويغنى فقيراً ، فقال له الأمير : فرجت عنى فرج الله عنك ، وأمر أن تخلع عليه ثياب الوزارة ، فقال له الغلام : وهذا الذي حدث من شأن الله تعالى .

٢ - لكم أيها العصاة الكافرون بنعمة الله ، المنكرون لوحدانيته وآلائه ، من الإنس والجن ، الذين أثقلت كواهلهم ذنوبهم ، وجحدوا نعم الله عليهم - لكم يوم تحاسبون فيه على أعمالكم ، وتعاقبون فيه على ذنوبكم ، هذا اليوم هو يوم القيامة ، الذي ستوفر فيه على النكاية بكم ، والانتقام منكم ، وستتجرد لحسابكم على كل ما فعلتم ، بعد انقضاء الدنيا ، وحينئذ لا يبقى في الآخرة إلا شأن واحد ، هو إقامة الميزان ، ومجازاة كل على ما فعل ، وسؤاله عن سبب كفره بنعمة الله ، وتكذيبه لآلاء ربه ؛ وهذه

الآية صريحة في أن الجن كالإنس مكلفون مأمورون ، مثابون معاقبون ،
فيهم المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، هؤلاء كهؤلاء ، وقد جاءت آية :
« سنفرغ لكم أيها الثقلان » ، والأربع عشرة آية التالية لها ، متحدية
الكفار والعصاة من الإنس والجن ، مهددة لهم ، وذكرت فيها النار
وشدائدها ، وقانا الله عذابها .

٣ - يا معشر الجن والإنس ، أنتم في قبضتي ، وتحت سلطاني ، أنفذ فيكم
قضائي ، وأسلط عليكم بلائي ، ولن تستطيعوا أن تخرجوا من ملكي ،
أو تهربوا من سمائي وأرضي ، وأتحداكم أن تفعلوا ، ولن تفعلوا لأنكم
عبيد مقهورون ، وضعفاء عاجزون ، ولن تفروا من قدر الله ، ولن تخرجوا
من ملكوت الله إلا بقوة وسلطان ، والقوة والسلطان لله وحده ، فاحضعوا
لمشيئته ، وكونوا في طاعته ، فهذا أمثل بالخلق العاجز ، والعبد الضعيف ؛
وإذا كان الله هو القادر لا قادر غيره ، والمنعم لا منعم سواه ، فبأي نعمه
كفرتما ، وبأي آلائه كذبتما ؟

٤ - أنتم لا تستطيعون أن تخرجوا مهما حاولتم من سماء الله وأرضه ، ولن
تستطيعوا الفرار من الموت الذي هو ملائكم أيما كنتم ، ومن يوم الحساب
الذي ينتظركم مهما أنكرتم ، وحينئذ تفتح لكم أبواب جهنم ، فيرسل
عليكم أيما ذهبتم شواظها ، وهبها الذي لا يُخفف من حرارته ، أو يلطف
من شدته ، دخان يتخلله ؛ كما يصب على رؤوسكم ذوب النحاس المنصهر ،
لتذوقوا العذاب ألواناً ، وتقاسوه أشكالا ، وهناك أيضاً لا تستطيعان - مهما
حاولتما - أن تتخلصا من عذاب الله ، ولا تنجوان بحال من هذا العذاب
الأليم المقيم ، وقد أنعم الله عليكما قبل أن يأتي يومكما ، فبين لكم عاقبة ما أنتما
عليه من الكفر والمعاصي ؛ فبأي نعم الله كفرتما ، وبأي آلائه كذبتما ؟

٥ - فإذا انتهى أمر الدنيا ، وجاء يوم القيامة ، وتشققت السماء ، واختلّت دورة الفلك ، فاضطربت الكواكب وتصدعت ، واستحالت نيراناً حامية ، حمراء صافية ، فيها حمرة الورد وصفاء الزيت ، فما أشدّ الهول !! وما أعظم الخطب !! فبأى نعم الله الذى أنذركم وعيده ، وحذركم ناره ، تكفرون وتكذبون ؟

٦ - فإذا حدث هذا ، وقام الناس من قبورهم ، وسيقوا وسط هذا الهول إلى الحساب ، لا يسأل عن ذنبه أحد من الإنس والجن ، لأنّ المجرمين حين يبعثون يعرفون بسيماهم ، ولكل منهم علامة يتميز بها ، وله شارة تبين سيمته ومنزلة بين المجرمين ، فيتلقّاهم الزبانية ، ويجذبونهم من أقدامهم وشعور رؤوسهم ، ويقذفون بهم فى أماكنهم التى أعدت لهم فى جهنم ، ويقولون لهم وهم يتناولونهم بهذا العنف والشدة والمهانة : انظروا ، هذه هى جهنم التى كان يكذب بها الكافرون ، وهذه نارها ، وذاك مكانكم فيها ، هو نار حامية ، وشراب حار فى منتهى الحرارة ، فيقضون أوقاتهم فيها ، يترددون بين نار تَلْظَى ، وشراب من حميم ، وصديد فى منتهى الحرارة يقطع أمعاءهم ؛ أليس تنبيه الله لكم إلى هذا المصير ، قبل أن تصلوا إليه ، وتفقهوا فيه ، نعمة من الله عليكم ، فبأى نعم الله تكفرون ، وبأى آلائه تكذبون ؟

(٣)

من الآية ٤٦ من سورة الرحمن ، إلى آخر السورة

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا
تُكذِّبَانِ ؟ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟
فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا
مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ -١-
مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ، وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ
دَانٍ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ -٢- . فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ ، لَمْ يَطْمِشْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ
رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ كَانَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ
رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ -٣- . هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ؟
فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ -٤- . وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۖ
فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ مُدْهَمَّتَانِ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا
تُكذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا
تُكذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا
تُكذِّبَانِ ؟ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۖ فِيهَا آيٌ آلاءِ رَبِّكُمَا

تُكذِّبَانِ ؟ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ؟ - ٥ - . تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ! - ٦ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ولمن خاف مقام ربه	ولمن خاف موقفه بين يدي ربه للحساب ، فترك المعاصي حياء منه .
أفنان	أغصان .
زوجان	صنفان .
بطائنها من إستبرق	مكسوة بالديباج الغليظ ، والحريير الثمين .
وجنى الجنة دان	وما يُجنى من ثمرهما قريب منهم ، يناله القائم والقاعد والمتكئ .
فيهن قاصرات الطرف	في هذه القُرش نساء قصرن نظراتهن على أزواجهن ، فلا ينظرن لغيرهم .
لم يطمئن	أبكار لم يدخل بهن أحد من قبل ، ولم يتزوجن غير أصحاب الجنة .
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان	ليس جزاء إحسان العبد بالإيمان والعمل الصالح في الدنيا ، إلا إحسان الله إليه بنعيم الجنة في الآخرة .

الألفاظ	شرحها
ومن دونهما جنتان مدهُامَتان نضاًختان خيرات حسان	ولأصحاب اليمين جنتان غير جنتي السابقين المقربين . شديدتا الخضرة ، ضاربتان إلى السواد . فوارتان بالماء لا تنقطعان . فاضلات الأخلاق ، حسان المُخَلِّق .
حُور	{ جمع حوراء ، وهي الشديدة سواد العين ، في شدة بياض .
مقصورات في الخيام رفرف	{ مصونات محبوسات في الخيام ، لسن بالجوالات المتبذلات في الطرق . وسائد .
وعبقري حسان	وطنافس وأثواب حسنة منقوشة مُوشاة .
تبارك اسم ربك	{ تعالى اسمه الجليل ، الذي منه ما صدرت به السورة ، وهو الرحمن المنى عن آلائه ونعمه .
ذى الجلال والإكرام	الذي عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده .

مجمل المعنى

١ - ولكل من خاف الموقف بين يدي الله ، وَاخشى مناقشة الحساب ،
واستشعر الحياء منه يوم اللقاء ، فأمن وعمل صالحاً ، واجتنب المعاصي
من الجن والإنس - لكل من هؤلاء جنتان ، يتجدد فيهما نعيمه ، ويشتد
شوقه ، وتزداد رغبته ، ويتم تمتعه ، في انتقاله بينهما ، وتردده عليهما ،
لأن المُقام على حال واحدة ، ذاهب باللذة ، باعث على الملل ؛ فبأى
نعمة من نعم الله كفرتم ، وبأيها كذبتم ؟ هاتان الجنتان ، قد جمع الله فيهما

من فنون الكرامة ، وألوان النعيم ، وضروب الأنس والراحة والسعادة لعباده المقربين ما جمع ؛ أشجارها كثيرة الأغصان الوريقة ، والظلال الوريقة ، والثمار الجنية ، وفي كل منهما عين تجرى في جميع نواحيها ، وإلى حيث يشاءون من منازلهم ومجالسهم ، جرياً سهلاً ، بعذب زلال ، وماء سلسيل ، وشراب طهور ، وفيها من كل فاكهة نوعان ، نوع غض رطب لم يحن قطافه ولم يستكمل نضجه ، ونوع دنا قطافه ، واستم نضجه ، فهي دائمة الثمر ، كثيرة الجنى ، فاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ؛ فإذا تمَّ قطاف الجنى الناضج ، بدأ نضج الفسج وأينع وتأرج ، فتدلت به الأغصان ، وتناولته اليدان ، وهكذا دواليك ، فبأى آلاء ربكما تكذبان .

٢ - هؤلاء الذين اتقوا الوقوف بين يدي ربهم عاصين في الآخرة ، فاطاعوه في الدنيا ، يقيمون في الجنة بين عيونها الحارية ، وأشجارها المورقة ، آمنين مطمئنين ، متكئين على فرش نظيفة ، مكسوة بحرير الإستبرق الأبيض اللامع الثمين ، وقد تدلت الأغصان ، وتهدلت بالثمار الجنية ، حتى صارت قريبة من أيديهم ، يقطعونها قاعدين أو مضطجعين فبأى آلاء ربكما تكذبان أيها الإنس والجان ؟

٣ - وقد أتم الله عليهم كل أنواع النعيم ، وأعد لهم في دار الرضوان جميع ألوان السعادة ، فجعل لهم بين ظل ممدود ، وفاكهة كثيرة ، وفرش من حرير ، نساء من الحور العين ، يقصرن النظر عليهم ، ولا يشتغلن بغيرهم ، يقبلن عليهم بقلوبهن وعيونهن ، أبكاراً لم يتزوجن بأحد غيرهم ، ولم يمسهن إنس قبلهم ولا جان ؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟ وهن في غاية الحسن والنضارة ، صافيات البشرة حمر الوجنات كالياقوت ، ناصعات البياض ، لوامع

كالمرجان ، أو حبات الدرر ، أو اللؤلؤ المكتون ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟

٤ - هذا الجزاء الحسن ، والنعم التام ، حتى على الله لعباده المتقين ، وليس جزاء إحسان العبد في الدنيا بالإيمان والطاعة والعمل الصالح ، إلا إحسان الرب إليه بالجنة ، ومضاعفة ثوابه في الآخرة؛ فبأى آلاء ربكما تكذبان ، أيها الثقلان ؟

٥ - وللمؤمنين من أصحاب اليمين جنتان أقل درجة من جنتي المقربين بالعبادة والطاعة ، والخوف من لقاء الله ، شجرهما أخضر ، ضارب إلى السواد لشدة خضرته ، وفي كل منهما عين فوارة بالعذب الزلال ، والحمرة الحلال ، وفيهما فاكهة ذات ألوان ، وعلى الأخص النخل ، فإنه ثمرة فاكهة وغذاء ، والرمان ، فإنه فاكهة ودواء ، وبين هذا النعم نساء خيرات فاضلات الأخلاق ، حسان الوجوه ، لم يتزوجن بأحد قبل أزواجهن من أصحاب الجنة ، حور جميلات ، عيونهن حلوة ، شدة سواد في صفاء بياض ، مستورات في خيامهن ، مقصورات في حجلهن ، غير متبدلات ، كالدرر المصونات ، يتمتع الطائعون بكل هذا ، متمددين على فرش مرفوعة ، موشاة بضروب الوشي الحسن ، متكئين على وسائد موضوعة ، مزينة بأحسن الزينات ، وأبهى النقش ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يا معشر الإنس والجن ؟

٦ - تبارك اسم الله وتعالى ، وتقدست ذاته ، وارتنع عما لا يليق بشأنه الكريم ، من الأمور التي من جملتها جحود نعمائه الفائضة على عباده ، وإنكار آلائه التي عمت الأنام ، وهو صاحب الجلال والإكرام لعباده المخلصين .

إجمال بيان ، عن سورة الرحمن

أولاً : — من أول السورة إلى : « كل يوم هو في شأن » فصل الله الآلاء الدينية والدينيوية ، المستوحبة للإيمان والطاعة ، المؤدية إلى نعيم الجنة ، وهذه الآلاء داعية إلى الشكر ، والمثابرة على ما يؤدي إلى استدامتها وزيادتها .

وثانياً — عددّ فيما بين قوله تعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » ، وقوله : « يطوفون بينها وبين حميم آن » ، الأحوال الهائلة التي تقع يوم القيامة للكفار المكذبين بيوم الدين ، وهي من قبيل الآلاء والنعم ، لأن ذكرها في الدنيا والتنبية عليها ، داع إلى الارتداع ، والانزجار عن المعاصي والكفر ، وذلك إنعام وإحسان .

وثالثاً — عددّ في قوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ، إلى آخر السورة ، النعم السابعة على المتقين في الآخرة ، وفنون الكرامات التي أعدها الله لهم في الجنة .

ورابعاً — وصف الله جنتين للسابقين المقربين ، وجنتين أقل من الأوليين درجة ، لأصحاب اليمين ، وبيّن أن منازل الجنة مختلفة ، ونعيمها متفاوت ، والجزاء على قدر العمل .

سورة الواقعة

نزلت بمكة ، ما عدا الآيتين ٨١ ، ٨٢ فإنهما نزلتا بالمدينة ، وآياتها ٩٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ٢٦

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ -١- . إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ، وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا -٢- . وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً : فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ؟ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ؟ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ -٣- . ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ، عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ، مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ، وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ، إِلَّا قِيلًا : سَلَامًا سَلَامًا -٤-

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
قامت القيامة . ليس حين تقع الساعة نفس تكذب على الله ، أو تكذب بيوم القيامة . خفضت أقواماً إلى العذاب ، ورفعت أقواماً بالثواب .	وقعت الواقعة ليس لوقعها كاذبة خافضة رافعة
زلزلت الأرض زلزلاً شديداً ، وحُرِّكت تحريكاً قويّاً ، حتى ينهدم كل شيء فوقها . وتفتتت أحجار الجبال ، فصارت كالدقيق . غباراً منتشرّاً متفرقاً ؛ والهباء : ما ينتشر من الذرات عند فتح نافذة يدخل منها شعاع الشمس . أصنافاً ثلاثة ، صنفان للجنة ، وصنف للنار . هم الذين يؤتَوْنَ صحائفهم بأيمانهم يوم القيامة . ما هم ؟ وما صفاتهم ؟ وما أحوالهم في عظم شأنهم يوم القيامة ؟ هم الذين يُؤتَوْنَ صحائفهم بشمالهم يوم القيامة . مأخوذة من الشؤمى وهى اليد اليسرى . ما هم ؟ ما أسوأ حالهم ! وما أشد عذابهم ! والسابقون إلى الإيمان والطاعة والخيرات ، هم السابقون إلى منزلتهم في الجنة .	رُجَّت الأرض رَجْئاً وَبُسَّتْ الجبال بسّاً هباء منبثّاً أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون

شرحها	الألفاظ
<p>الذين رفعت درجاتهم ، وأعليت منازلهم في الجنة . { من السابقين المقربين أمة وجماعة من الأمم الماضية ، وجماعة قليلة من أمة محمد .</p>	<p>المقربون ثلة من الأولين وقليل من الآخرين</p>
<p>{ مجالسهم على سرر مصفوفة ، منسوجة بالذهب ، وقوائمها من الدر والياقوت . يجلسون ووجوههم متقابلة .</p>	<p>على سرر موضونة متقابلين</p>
<p>{ يخدمهم غلمان أحداث ، يبقون على نضارتهم ، لا يتغيرون ولا يهرمون . من عين جارية بالماء والخمر ، والعسل واللبن .</p>	<p>{ يطوف عليهم ولدان مخلدون من معين</p>
<p>{ لا يصيبهم الصداع من شربها ، كما يحدث لمن يشرب خمر الدنيا . ولا يسكرون من شربها .</p>	<p>لا يُصدَّعون عنها ولا يُنزفون عين</p>
<p>جمع عيِّناء : وهي واسعة العين في حلاوة . { هن صافيات مصونات ، كاللؤلؤ الذي لم تمسه يد ، ولم يقع عليه غبار .</p>	<p>كأمثال اللؤلؤ المكنون</p>
<p>{ كلاماً لغواً ، أى سقطاً فاحشاً ، لا فائدة منه ، ولا خير فيه .</p>	<p>لغواً</p>
<p>كلاماً باطلاً يؤدي إلى الإثم . { قولاً جميلاً مفيداً ، هو تحيات طيبات ، يتبادلها أهل الجنة .</p>	<p>تأثيماً قبيلاً : سلاماً سلاماً</p>

مجمل المعنى

١ - اذكر يا محمد إذا وقعت الواقعة ، وجاء يوم القيامة ، ورأى المكذبون الضالون بأعينهم حقيقة ما كانوا ينكرونه في الدنيا من قيام الساعة ، وبعث الناس للحساب ، لا تجد نفساً تكذب وقوعها ، أو تمارى في قيامها ، ومن ذا الذى يستطيع أن يكذب على الله حينئذ والهول مُحقق به ؟ وقد انقلبت الأوضاع ، وتغيرت الموازين أمامه ، فقد خفضت قوماً بالنكال والعذاب ، ورفعت قوماً بالنعيم والثواب .

٢ - اذكر لهم يا محمد يوم الفرع الأكبر ، حينما يتأذن الله أن تنتهى الدنيا ، وتجيء الآخرة ، فهتت الأرض اهتزازاً قوياً ، وتتحرك تحركاً شديداً ، وتضطرب اضطراباً هائلاً ، وينهدم ما فوقها من بناء وجبال ، وتفتت حتى تصير كالدهيق الناعم الذى يُبسُّ ، أو كالسراب ، أو كالغبار الذى تدرؤه الرياح ، ويطير فى الهواء ، فيملؤه قتماً منتشرأ فى كل مكان منه ، « ويسألونك عن الجبال ، فقل : ينسفها ربي نسفاً » .

٣ - ويكون الناس حينئذ أصنافاً ثلاثة ، صنفان فى الجنة وصنف فى النار : (أ) فالصنف الأول أصحاب اليمين من المؤمنين ، الذين تاب الله عليهم ، وكتب لهم جنة النعيم ، وآتاهم صحائفهم بأيمانهم ، يطالعون فيها ما وقفهم إليه ربهم ، فوقاهم عذاب الجحيم ؛ ما أحسن حالهم ، وأعظم شأنهم ، يوم يلقون ربهم !

(ب) والصنف الثانى أصحاب الشمال ، الذين غضب الله عليهم ، فأوتوا صحائفهم بشائنهم ، ورأوا فيها قبح أعمالهم ، فأدركوا سوء مصيرهم ،

والعذاب الذى أعد لهم ؛ ما أسوأ حالهم ! وما أشد عذابهم ! إذ يساقون إلى جهنم وهم لها كارهون !

(ح) والصنف الثالث : السابقون فى الدنيا إلى الإيمان والطاعات عند ظهور الحق لهم ، المسارعون إلى عمل الخير ، وهم السابقون إلى منزلتهم فى الجنة ، المقربون من رضوان الله ، الذين رفعت درجاتهم ، وأعليت منازلهم فى جنات النعيم .

٤ - وعدد كثير من أمم الأولين ، من آدم إلى محمد ، وعدد ليس بالكثير من أمة محمد ، لأن الأمم الأولى منذ قامت الخليفة من عهد آدم إلى بعثة محمد ، أكثر عدداً من الأمم المتأخرة ، التى جاءت بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأن مرتبة السبق والقربى ، لا يناها إلا القليل ممن رضى الله عنهم ، فأخلصوا لله إيمانهم ، وخافوا الوقوف أمام ربهم ، فالتزموا الطاعات ، واجتنبوا السيئات ؛ هؤلاء قد أعد الله لهم كل أنواع الكرامة ، وألوان النعيم ، فهم يجلسون على سُررٍ رُضْمٍ بعضها إلى بعض ، ووشيت بنحیوط الذهب ، ورصعت جوانبها بالدرر والياقوت ، ليستريحوا فوقها فى منظرها البهیج ، وشكلها الجميل ، متكئين عليها ، لا يشغل بالهم من أمر حياتهم ومتاعهم وغبطتهم وسرورهم شاغل ؛ وقد اكتمل أنسهم ، وعلا البشر وجوههم ، واضطجعوا متقابلة وجوههم ، ليطالع كل منهم فى وجه أخيه نضرة النعيم ، وقد قام بخدمتهم ولدان أحداث ، لا يأتى عليهم الزمن ، ولا تلحقهم شيخوخة أو هرم ، ولكنهم يبقون على حداثتهم ونضارتهم ، وبهجتهم ونشاطهم ، فيقدمون إليهم شراباً بحماونه فى أباريق ، ويصبون ما فيها فى كأس يقدمونها إليهم ، وهذه الأباريق مملوءة من عيون وأنهار تجرى بالزلال العذب ، واللبن الطازج ، والعسل المصنقى ، وخمر هو لذة للشاربين ،

لا يصيبهم منها صداع كما يحدث من خمر الدنيا ، ولا تذهب بعقولهم ،
أو يفقدون بعد تناولها رشدهم ، ولكنها تبعث الراحة والنشاط في أبدانهم ،
واللذة والبهجة في قلوبهم ، ويقدمون إليهم ما يختارون من أنواع الفواكه ،
وما يشاءون منه أواناً ورائحة وطعماً وحجماً ، في أى زمن وفي أى حال ،
ويسارعون إليهم بما يشتهون من لحم الطير ، وهو ألد اللحوم وأشهاها
للنفس ، وإذا كان لحم الطير أغلى وألد من لحوم البقر والغنم ، فإنها تقدم
إليهم إذا طلبوها ، وتلقى بين أيديهم إذا أرادوها ، ويقوم بإيئاسهم وإمتاعهم
نساء أفرغن لهم خاصة في قآب الحسن والجمال ، بيض الوجوه في حسن ،
واسعات العيون في حلاوة ، طويلات الأهداب في سواد ، فالبياض في
ألوانهن ، والحسن في وجوههن ، والملاحة في عيونهن ، والطول في أهدابهن ،
كأنهن في الصفاء والنفاسة ونصاعة البياض ، اللؤلؤ المحفوظ من لمس اللامسين ،
وعبث العابثين ، ولكن دون الوصول إليهن خرط القتاد ، إلا للمقويين
السابقين ؛ أعد الله لهم كل هذه الطيبات في الجنات ، جزاء لهم على ما قدموا
في الدنيا من حسنات ، وما عملوا من أعمال صالحات ، لا يؤذى سمعهم
فيها باطل من القول ، وفارغ من الحديث ، وسقط فاحش من الهراء
الذى يكون بين من في الدنيا في مجالسهم وعلى شراهم ، ولا يحدث بينهم
كلام يؤدى إلى مؤاخذه وإثم ، بل لا تسمع منهم إلا قولاً عفاً ليناً مفيداً ،
وإلا أن يسلم بعضهم على بعض سلاماً بعد سلام ، وتحيات مباركات .

(٢)

من الآية ٢٧ إلى الآية ٥٦ من سورة الواقعة

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ، مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ؟ فِي سِدْرٍ
مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ ، مَنْضُودٍ ، وَظِلٌّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٌ مَسْكُوبٍ ،
وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ ، لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ، وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ ؛
إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ، غُرُبًا أَتْرَابًا ،
لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ، ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ
الْآخِرِينَ - ١ - . وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ ، مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ؟
فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ ، لَا بَارِدٍ وَلَا
كَرِيمٍ - ٢ - . إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ، وَكَانُوا
يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : أَئِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ، أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ؟ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ؟
- ٣ - . قُلْ : إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ
يَوْمٍ مَعْلُومٍ - ٤ - . ثُمَّ إِنَّكُمْ - أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ -
لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ، فَمَا لَسْتُمْ مِنْهَا الْبُطُونَ ،
فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ، هَذَا
نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ - ٥ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سدر	السَّدر : شجر النبق .
مخضود	{ خَضد شوكة وقطع ، وتَشَنَّتْ أغصانه بكثرة ما حمل من الثمار .
وطلح منضود	{ وشجر موز نضدت ثمراته ، وتراكب بعضها فوق بعض .
وظل ممدود	وظل دائم باق ، لا تنسخه الشمس .
وماء مسكوب	وماء جار لا ينقطع .
وفُرش مرفوعة	{ ونساء مرتفعات القدر في الحسن والكمال ، وعبر عنهن بالفرش : لأنها محال لهن .
أنشأناهن إنشاء	{ خلقناهن خلقاً ، وأبدعناهن إبداعاً ، لأهل الجنة خاصة .
عُرباً	{ العربُ : المتحبيبات لأزواجهن بحسن الكلام ، ورقة الطبع ، وبشاشة الوجه .
أتراباً	في سن واحدة .
ثُلثة من الأولين	جماعة وأمة من الأمم الماضية .
وثلة من الآخرين	وجماعة وأمة من الأمم المتأخرة .
وأصحاب الشمال	هم أهل النار الذين يأخذون صحائفهم بشمائلهم .
سموم	السموم : الريح الحارة التي تنفذ في مسام البدن .
وحميم	وماء حار قد بلغ أقصى درجات الحرارة .

الألفاظ	شرحها
يحموم ولا كريم كانوا قبل ذلك مترفين	دخان قائم شديد السواد . وليس فيه خير أو حسن منظر . كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام . الإثم الكبير وهو الشرك ، فيحلفون أن لا بعث ولا حساب .
الحنث العظيم	وقت قيام الساعة .
ميقات يوم معلوم	المنكرون للبعث في الآخرة ، ووحداية الله .
المكذبون	بعد البعث والموقف ودخول جهنم تأكلون .
لاّكلون	الزقوم : شجر ينبت في أصل الجحيم ، ثمرة قبيح المنظر ، كرية الرائحة ، مرّ المذاق الماء الشديد الحرارة .
شجر من زقوم	فتشربون منه شرب الإبل التي اشتد بها العطش ، ولا يذهب مهما شربت .
الجحيم	منزلم يوم الجزاء .
فشاربون شرب الهيم	
نزلم يوم الدين	

مجمل المعنى

١ - فصل الله أحوال الصنف الثاني من أهل الجنة ، وهم أصحاب اليمين ، كما فصل أحوال المقرين السابقين ، فبيّن أن أصحاب اليمين حالهم حسنة ، وشأنهم عظيم ، قد تاب الله عليهم ، وغفر لهم ما تقدم من ذنبهم ، وصفح عنهم ، وأثابهم فوزاً عظيماً : مساكن طيبة في الجنة ، بين أشجار وريقة ظليلة من أشجار النبق الصغير الورق ، المتكاثر المتكاثف ، الذي يرف

في النسيم رفيفاً ليناً خفيفاً ، وقد بدا ثمره المختلف الألوان ، وطلع في جميع جهاتها وفروعها ، كورد أصفر لماً يفتح ، أو يواقيت حمر لم تُثقب ، أو درر بيض لم تُمس ، أو نجوم لامعة لم تنحدر للمغيب ، وقد تمايلت أغصانها ، وتعانقت فروعها ، وخضد شوكتها ، فلا ينال الأيدي أذى منها وهي تعبت بها ، أو تناول ثمرها ، وبين مروج من شجر الموز الذي نُضدت ثماره ، وتراص بعضها فوق بعض ، وقد امتد الظل كل وقت ، فلا تنسخه شمس ، ولا يأتي عليه زوال ، وانسكب ماء العيون زلالاً عذباً غداً ، وآتت الأشجار ثمارها كل حين بإذن ربها ، وأعطتهم فاكهة كثيرة النوع والعدد ، دائمة لا تنقطع عنهم في أى وقت ، ولا يحال بينهم وبينها ، أو يمنعون من تناولها بأى وجه من الوجوه ؛ وقد جعل الله لهم على فرشهم نساء من الحُور العين ، يقمن على إيناسهم وإمتاعهم ، وقد أنشأهن الله لإنشاء ، وأبدعهن إبداعاً ، على مثال لم يسبق له طراز في الخلق حسناً وجمالاً ، جعلهن الله أبكاراً دائماً كأنهن الدر المكنون ، يملكن قلوب أزواجهن بحسن الكلام ، وجميل العشرة ، وبشاشة الوجه ، وسحر العيون ، ورقة الطبع ، وهن في سن واحدة من الصبا ، وربعان الشباب — كل أولئك جعله الله لأصحاب اليمين ، وهم أمة كثيرة من الأمم السابقة ، وأمة مثلها كثيرة من الأمم المتأخرة ، لأن الله يغفر لكثير منهم ذنوبهم ، بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكونون في مثل كثرة الأولين .

٢ — أما الصنف الثالث فهم أهل الجحيم ، وأصحاب الشمال الذين يُعطون كتبهم بشمائلهم ، فيقرءون فيها قبح أعمالهم ، وسوء مصيرهم ، ويطول عذابهم ، ووبال أمرهم ، وشقاء حالهم ، ونكد عيشهم !!! إنهم يقيمون في ريح شديدة الحرارة ، تنفذ من مسام جلودهم ، وتتغلغل داخل أجسامهم ، وبين أوصالهم ، فيحسون منها في كل أجزاءهم وخز الإبر أو أشد ، ويشربون

ماء يغلي غلياناً شديداً ، لا يطفى ظمأهم ، ولكن يُقَطِّعُ أمعاءهم ،
ويقيمون في ظلال ، وأى ظلال ؟ إنها دخان حار قائم ، يملأ الجو قتاماً ،
والعين ظلاماً ، والصدر حرجاً وناراً ، لا هو بارد ينعش الجسم ، ويريح
النفس ، ولكنه حار يُؤلم الجسم ، ويُعنّت النفس ، ولا هو كريم حسن
المنظر ، فيه غنَاء ونفع ، لكنه كريه قبيح المنظر ، لا خير فيه ولا غنَاء .

٣ - وهذا العذاب جزاء عدل لهم ، ما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
لأنهم كانوا في الدنيا قبل أن يبعثوا لنوفهم الحساب ، لا يبالون لقاءنا في
هذا اليوم ، وكانوا يتمتعون بالمتاع الحرام ، الذي يحصلون عليه من الربا ،
والسلب ، وسفك الدماء والبغى والعدوان ، وكانوا لا يؤمنون بالله وباليوم
الآخر ، ولا يخافون يوماً يحاسبون فيه على أعمالهم ، وكانوا يخاصمون الله
ورسوله ، فإذا دُعوا إلى الإيمان بالله وحده رفضوا ، وأصروا على البقاء
على أعظم الآثام وهو الشرك ، وأقسموا أن لا بعث ولا حساب ، وظلوا يعبدون
الأوثان والأصنام ، وإذا طلب منهم أن يعملوا للآخرة ، وأن يؤمنوا بالبعث ،
كانوا ينكرون ذلك في تعجب واستهزاء ، ويقولون : أئذا فاضت أرواحنا ،
وفارقنا الدنيا ومتنا ، وصرنا جثثاً هامدة ، وطوتنا القبور ، وتحللت أجسامنا ،
واستحالت تراباً متفتتاً ، ذاهباً ذرات متفرقة في أجزاء الأرض ، وعظاماً
نخرة بالية ، نُبعث من جديد ، ويبعث آبائنا الذين ماتوا قبلنا ، وأكلتهم
الأرض ، وذهبت آثارهم وقبورهم ، وكل معالمهم ؟ أئذا حدث هذا كله ،
تعود إلينا الحياة ، وننهض من قبورنا ، ويكسو اللحم عظامنا ، ونحاسب
على ما عملنا ؟ إننا لا نصدق هذا ولا نؤمن به ، إن هي إلا حياتنا الدنيا
تموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وما نحن بمبعوثين .

٤ - قل لهم يا محمد رداً على إنكارهم ، وتحقيقاً للحق الذي لا ريب فيه ،
لستم أنتم وآباؤكم وحدكم الذين تبعثون ، وتحاسبون ولكن الأولين والآخرين من
الأمم الذين هم أوفر منكم عدداً ، مجموعون بعد البعث في وقت محدود من يوم

معلوم لنا ، لا يعلمه غيرنا ، وهو يوم القيامة ، نحاسبكم فيه حساباً شديداً على ما تقولون وما تفعلون .

٥ - وليس هذا فحسب أيها الضالون عن طريق الحق ، المكذبون بالبعث من أهل مكة ، ولكنكم ستعذبون عذاباً شديداً ، فسيكون طعامكم في جهنم شجر الزقوم ، نبت لكم خاصة في جهنم ، وهو شجر قبيح المنظر ، كريحه الرائحة ، شديد المرارة ، تأكلون منه حتى تمتلئ بطونكم ، وبعد هذا الامتلاء تحسون ظمأ شديداً ، فتشربون على ما أكلتم سائلاً من صديد ، يغلي غلياناً شديداً ، هو ماء الحميم ، ولكن العطش لا يزول ، فتعاودون الشرب منه بنهم ، لعل الظمأ أن يذهب ، وتقبلون على الشرب منه إقبالاً شديداً كما تفعل الإبل الظمأى التي يشتد بها العطش ، ولا تروى مهما شربت ! هذا هو رزقكم وطعامكم وشرابكم في منزلكم من جهنم يوم الدين ، وهذه مائدتكم التي أعدت لكم يوم الجزاء ، لتعلموا حالكم ، وتبينوا عاقبة أمركم .

(٣)

من الآية ٥٧ إلى الآية ٧٤ من سورة الواقعة

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ ، فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ! -١- . أَفَرَأَيْتُمْ مَا
تُمْنُونَ ؟ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ؟ -٢- . نَحْنُ
قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ، وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ
أَمْثَالَكُمْ ، وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ -٣- . وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ
النَّشْأَةَ الْأُولَى ، فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ! -٤- . أَفَرَأَيْتُمْ مَا
تَحْرُثُونَ ؟ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ
لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ، فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ، إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ، بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ -٥- . أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ؟ أَأَنْتُمْ
أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ
أُجَاجًا ، فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ! -٦- . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي
تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ؟ نَحْنُ
جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا ، وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الْعَظِيمِ -٧- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فلولا تصدقون تُمنون تخلقونه	فهلا تصدقون أنا خلقناكم فتؤمنوا ! تَقْدِرُونَ من منى في الأرحام . تصورون منه الإنسان ، وتبعثون فيه الحياة .
نحن قدرنا بينكم الموت	{ كما خلقناكم وصورناكم في بطون أمهاتكم ، نحن قدرنا موت كل أحد منكم ، ووقتناه بوقت محدد .
{ وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون	{ لا يسبقنا أحد ولا يغلينا ، على أن نذهبكم ، ونأتي بأمثالكم ، إن أردنا . ونخلقكم خلقاً آخر على غير صوركم .
علمتم النشأة الأولى	{ علمتم خلقنا لكم من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغة .
فلولا تذكرون	{ فهلا تتعظون وتؤمنون بأنا قادرون على أن نعيدكم مرة أخرى !
أفرأيت ما تحرثون	{ أخبروني عما تحرثون من أرضكم ، وتلقون فيها من البدور .
أأنتم تزرعونه حطاماً	{ أأنتم تنبتونه في الأرض ، وتجعلونه زرعاً يخرج حباً . هشياً مفتتاً متكسراً ؟
فظلمت تفكهنون	{ فظلمتم تتبادلون الحديث عن حاله وهو في نصرته ، وتندمون على جفافه ، وتتعجبون مما حل به .

الألفاظ	شرحها
إنا لمغرمون	وتقولون : إنا لخاسرون هالكون ، لأننا غرمننا الحب الذى بذرناه ، والجهد الذى بذلناه ، من غير فائدة .
نحن محرومون المزن أجاجاً	حرمننا رزقنا الذى ننتظره . السحاب . ملحاً شديداً الملوحة .
فلولا تشكرون	فهلأ تشكرون الله الذى جعل ماءكم الذى تشربون عذباً ، ولم يجعله ملحاً !
تورون جعلناها تذكرة	تظهرون النار وتستخرجونها من الشجر والزناد . جعلنا نار الدنيا تذكرة لكم بنار جهنم .
ومتاعاً للمقوين	ومنفعة للمسافرين الذين ينزلون الأماكن الخالية ، فلا يجدون غير النار تدفئهم ، وتنضج طعامهم ، وتنبير الطريق لهم ، يقال : أقوت الدار ، إذا خلت من أهلها .
فسبح باسم ربك العظيم	فنزّه الله تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته ، الكافرون بنعمته ، مع عظمتها وكثرتها .

مجمل المعنى

١ - كيف تنكرون أننا قادرون على أن نحْييكم بعد الموت ، وعلى أن نبعثكم للحساب ، ونحن الذين خلقناكم أول مرة ، وأوجدناكم من العدم ؟ ومن قدر على الابتداء ، قدر على الإعادة ، فهلأ تؤمنون بأننا قادرون على

إعادتكم ، وتصدقون بأننا سنبعثكم ، كما أقررتم بأننا أنشأناكم ، وابتدأنا خلقكم !

٢ - وقد ساق الله الأدلة الموجبة للتصديق بالبعث ، والإيمان بيوم الحساب ، فوجه إلى المنكرين الخطاب بما معناه : أخبروني عن النطف التي تصبونها في الأرحام ، وتستودعونها بطون النساء ، أنتم الذين تخلقونها ، وتقدرونها وتصورونها بشراً سوياً ؟ كلا ! أنتم لا تخلقونها ولا تصورونها ، ولا تعلمون من أمرها شيئاً ، وهي في ظلمات الأرحام ، بل نحن المقدرون لها ، نحن الذين جعلنا النطفة علقة ، والعلقة مضغة ، ثم جعلنا المضغة عظماً ، ثم كسونا العظام لحماً ، ثم صيرناها إنساناً سوى الخلق ؛ فكيف لا نكون قادرين على البعث والنشور ، وإخراجكم من القبور ؟

٣ - نحن الذين وقتنا موت كل واحد منكم بوقت ، وجعلنا لكل منكم أجلاً مسمى ، لا يتأخر عنه ولا يتقدم إلا بإرادتنا ومشيئتنا ، ونحن لا يسبقنا أحد ولا يغلبنا ، إن أردنا أن نميتكم ، ونأتي مكانكم بأشباهكم من الخلق ، ونحن قادرون على أن نخلقكم خلقاً آخر على غير صوركم وهيئاتكم ، فنجعلكم كالقردة والخنازير .

٤ - ولقد علمتم نشأتكم الأولى ، وأنا خلقناكم أول مرة ، من نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، فهلا تتذكرون بأن الذي قدر على بدئكم ، يقدر على إعادتكم حتماً ! لأن النشأة الأخرى أيسر من الأولى ، لأنها أقل صنْعاً ، وأخف جهداً ، لحصول المواد التي منها تخلقون ، وسبق النموذج الذي على غراره تُعادون .

٥ - أخبروني عن الأرض التي تحرثونها ، وتُلقون فيها البذر ، أنتم الذين تنبتونه في الأرض ، وتخرجونه زرعاً أخضر يخرج منه الحب ، أم نحن

الذين نفعل ذلك ؟ أنتم تعلمون أنه ليس لكم إلا مجرد إلقاء البذر ، وشق الأرض ، فإذا أقررتم أنكم لا تفعلون شيئاً غير البذر وشق الأرض ، وأنا نحن الذين نخرج الزرع ، ونجعل فيه السنبل والحب ، فكيف تنكرون قدرتنا على إخراج الأموات من القبور ، وإعادة الحياة إليهم ؟ إننا لو أردنا أن نُذبله ونجففه حتى يصير حُطاماً ممتفتاً ، وهشياً متكسراً ، بعد ما أخرجناه زرعاً أخضر ، وأبرزنا ثماره ، وبعد أن طمعتم في جنّيته ، والحصول على غلته ، لفعلنا ذلك ، وما حال بيننا وبين ما نريد أحد ؛ فوقتم عليه تعجبون وتندمون ، وتتحدثون عما كان عليه من الحضرة والنضرة ، وما صار إليه من الذبول والجفاف ، والتّهشيم والتّحطيم ، وتقولون : إننا لقد خسرنا ما أنفقنا في حرثه وبذره وسقيه ، وهالكون لفقده غلته ، وقد غرمتنا الحب الذي بذرناه ، والجهد الذي بذلناه ، بل نحن حُرمتنا الرزق الذي ننتظره ، والخير الذي نرتقبه ، لأننا مشغومون ، لا حظ لنا ولا بخت .

٦ - أخبروني عن الماء الذي تشربونه ؟ أنتم الذين أرسلتم إليه الحرارة التي صعّدته بخاراً في الهواء ، أنتم الذين جعلتم طبقات الهواء باردة في السماء ؟ أنتم الذين جمعتموه سحاباً ثقلاً في الجو ؛ أنتم الذين أنزلتم من هذا السحاب ماء عذباً ، وهو خارج من بحر أجاج ، فتشربوه زلالاً سائغاً ، وتُحسبوا به أرضكم ؟ إنكم لم تفعلوا شيئاً من هذا ، ولستم بقادرين عليه ؛ إننا لو أردنا أن نبخره من البحر أجاجاً ، وننزله عليكم من السماء ملحاً ، لما منعنا من ذلك أحد ، وما حال بيننا وبينه حائل ، فهلا تشكرون الله على ما أولاكم من فضله ، وما أسبغ عليكم من نعمه !

٧ - أخبروني عن النار التي توقدونها من الشجر ، بحك عود بعود ، حتى

تُورى ، فتوقدوا وتستضيئوا وتستدفئوا ، وتهتدوا فى ظلمات البر والبحر ،
أأنتم الذين أخرجتم من الأرض شجرتها التى يؤخذ منها الزناد للقدح
والاشتعال ؟ أأنتم الذين أودعتم قوة هذه النار فى الشجر ؟ كلا ! أنتم لم
تفعلوا من ذلك شيئاً ! ولن تفعلوا . بل نحن المنشئون للشجر ، والمودعون
النار بقدرتنا فيها ، وقد جعلنا النار تذكرة لكم فى الدنيا ، لتذكروا بها نار
الآخرة ، التى أنذرناكم إياها ، وخوفناكم عذابها ، لتنظروا إليها ، وتتعضوا
بها ، وتعلموا أن الذى خلق لكم النار ، وعلق بها أسباب معاشكم ، قادر
على خلق نار أشد وأقوى ، لتعذبوا بها فى جهنم ، كما جعلناها منفعة
بينة النفع للمسافرين فى القفر ، الجوّابين للصحراء ، حيث يضلّون المسالك ،
 ويفقدون المعالم ، فلا شىء يهدهم ، ولا طعام يغذيهم ، ولا قوة تحميهم ،
إلا النار يوقدونها ، فيهتدون ويختبزون ويشتون ، ويردون المقتصر والكاسر ،
ويدفعون عن أنفسهم عادية الجوع والبرد والفتك والضلال ؛ والمجتابون
المفاوز أشد الناس إدراكاً لمنافع النار ؛ إذا كانت هذه النعم التى
سقناها جمّة الفوائد للناس أجمعين ، فترّه أيها الغافل ربك المنعم بهذه النعم
عما لا يليق به من الشريك والولد ، وعدم القدرة على البعث والحساب .

(٤)

من الآية ٧٥ من سورة الواقعة ، إلى آخر السورة

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ - وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ
عَظِيمٌ - : إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا
يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ - ١ - .
أَفْبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ، وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ
تُكذِّبُونَ؟ - ٢ - . فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ، وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ
تَنْظُرُونَ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ! ،
فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ، تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ! - ٣ - . فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ، فَارُوحٌ
وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ،
فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةٌ جَعِيمٍ ،
إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ - ٤ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فلا أقسم بمواقع النجوم في كتاب مكنون	أقسم بالكواكب في مواقعها عند طلوعها وسيرها وغيرها ، ولا : زائدة للتوكيد . مثبت في كتاب ، وهو اللوح المحفوظ . مَصْنُونٌ محفوظ عن الباطل .
لا يمسه إلا المطهرون مدهنون وتجعلون رزقكم بلغت الحلقوم	لا يصل إلى القرآن ولا يمسه ، ولا يتنزل به إلا الملائكة المطهرون . مكذبون منافقون كافرون . وتجعلون شكركم لله على رزقكم الكفر والتكذيب . فارقت الروح البدن ، ووصلت إلى الخلق ، وكادت تخرج من الجسم كله .
وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم لا تبصرون	وأنتم أيها الأحياء حين موته جلوس حوله ، تنظرون ما يقاسى من غمرات الموت . ونحن بعلامنا وقدرتنا وتصرفنا أقرب إليه منكم . لا تدركون ذلك لجهلكم بشئون الله .
غير مدّينين ترجعونها فأما إن كان	غير مملوكين لرب ديّان ، ولا مجزيين ومحاسبين على أعمالكم . تعيدون الروح إلى الجسد ، ولا تدعونها تخرج . فأما إن كان الذي بلغت روحه الحلقوم ، ثم خرجت إلى بارئها .

الألفاظ	شرحها
المقربين	السابقين في الإيمان والطاعات وعمل الخيرات .
فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ	{ فجزاؤه رحمة ورفقة وراحة، وابتهاج وفرح وسرور ، ورزق طيب ، وجنة نعيم ، ومنزل طيب .
أصحاب اليمين	المؤمنين الذين غفر الله لهم ذنوبهم .
فسلام لك	{ فأنت سالم من الاغتمام من حالهم ، لأنك لا تؤد لهم إلا ما تحب .
فَنَنْزُلُ مِنْ حَمِيمٍ	فرزق من ماء مغلى شديد الحرارة .
وتصلية جحيم	وإقامة في النار ، ومقاساة لعذابها .
هو حق اليقين	هو حقيقة الخبر الثابت عن علم ويقين .
فسبح باسم ربك العظيم	{ فنزهه تعالى عما لا يليق به من الشرك، والتكذيب بآياته ، والكفر به وبنعمه العظيمة .

مجمل المعنى

١ - أقسم سبحانه وتعالى بمواقع النجوم عند طلوعها وغروبها، وعند جريانها في أفلاكها، حيث يظهر فيها آيات العبرة والقدرة - على أن القرآن كتاب كريم ، ليس بسحر ولا كهانة ، ولا بمفترى كما يزعم المشركون المكذبون ، لو يعلمون علم تبصر وتفكر ، ولكنه قرآن كريم محمود ، جعله الله معجزة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهداية للناس أجمعين ، وهو كريم على الله ، كريم على المؤمنين ، كريم على الملائكة ، لأنه يشتمل على كريم الأخلاق ، وأقوم التشريعات ، وهو هدى وبيئات للناس في الدنيا والآخرة ،

جامع للبيان والعلم والحكمة ، مكنون في كتاب السماء ، مكتوب في اللوح المحفوظ ، لا تصل إليه الشياطين ولا تنزل به ، ولا تمسه ، ولا يمسه أو يصل إليه أو ينتزل به إلا الملائكة المطهرون ، وإذا كانت صحف القرآن التي في السماء لا يمسه إلا المطهرون ، فكذلك مصحف القرآن الذي بأيدينا لا يمسه إلا طاهر ؛ وكما أن القرآن كريم ، في كتاب مكنون ، فهو منزل من رب العالمين ، وإله الخلق أجمعين .

٢ - أفبهذا القرآن الذي يؤيد الحق، ويهدم الباطل، ويدعو إلى الرشاد ، وينهى عن الفساد، ويصحح الاعتقاد، وينقذ العقول من الضلال، أنتم تكذبون وتُدْهِنُون أيها المشركون؟ ولقد رزقكم الله القرآن وهو مادة الإيمان ، وغذاء الروح والقلب والعقل للإنسان ، كما أن الزرع والماء غذاء الأبدان ، وكان الواجب عليكم أن تشكروه على ما رزقكم ، ولكنكم وضعمتم التكذيب موضع الشكر ، والكفر في موضع الإيمان .

٣ - وقد ختمت السورة ببيان أحوال الناس عند الموت ، وعند ما يقومون للبعث ، ويقفون في الحشر ، وتلك هي القيامة الصغرى ، فقيل في بيان حالهم عند الموت : فهلا إذا أخذَ أحد منكم يعالج سكرات الموت ، وبلغت روحه الحلقوم ، ولما تخرج منه وكادت ، وأنتم في هذه الحال جلوس حوله تنظرون إليه ، لا تقدرين على شيء ! هلا أمسكتم عليه روحه ، وأرجعتموها إلى بدنه ، ولم تسلموه للموت ، مع حرصكم على امتداد عمره ، وحبكم لبقائه ! ونحن - وأنتم حوله في المكان الذي تنتزع منه الروح ، وتلامسونه وتتحمسونه وهو يعالج سكرات الموت - أقرب إليه منكم بعلمنا بأحواله ، وقدرتنا على التصرف في أمره ، ولكنكم لا تبصرون ذلك ولا تدركونه، لجهلكم بشئونا ، وقصوركم عن إدراك علمنا ! فهلا إن كنتم لستم تحت قدرة

أحد ، وليس لكم إله يملك أمركم ، ويتصرف في شأنكم ، ترجعون الروح إلى البدن ، وتحفظونها في الجسم ، إن كنتم صادقين فيما تزعمون ! وإن كان الأمر كما تزعمون : أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ، ولا إله ولا رب يقوم بذلك ، فهلا تردون رُوح من يعز عليكم إذا بلغت الخلقوم ! فإذا لم يكن لكم في ذلك حيلة بوجه من الوجوه ، فهلا يدللكم ذلك على أن الأمر إلى ملك قادر قاهر ، متصرف فيكم ، وهو الله الذي لا إله إلا هو !

٤ - فلما قام الدليل ووضح السبيل ، وتم البرهان على أنهم مملوكون تحت سلطان الله وقهره ، مجزيون محاسبون ، ذكر طبقاتهم عند الحشر الأول ، والقيامة الصغرى ، وهى طبقة المقربين ، وطبقة أصحاب اليمين ، وطبقة المكذبين ، فجعل للمقربين الرحمة والراحة ، والفرح والسرور والابتهاج ، والرزق الكريم ، والعيشة الراضية ، وجنة النعيم ، والمنزل الطيب فى دار السعادة والرضوان ؛ وجعل لأصحاب اليمين - وهم دون المقربين فى المرتبة - السلامة من الآفات ، والشور التى تحصل للمكذبين الضالين ؛ والخطاب فى سلام لك لمحمد صلى الله عليه وسلم ، أى أنت سالم من الاغتمام لحالهم ، لأنهم سالمون مما يضيرهم ، ولا تراهم إلا كما تحب لهم ؛ وجعل للطبقة الثالثة - وهم المكذبون بالبعث ، الضالون عن الهدى وطريق الحق - رزقاً من حميم ، ومقاساة الجحيم ؛ وإن هذا الذى أنزله الله فى هذه السورة هو الحق الثابت عن علم ويقين ، فتره يا محمد ربك عما لا يليق به ، من الشرك والتكذيب بآياته ، والكفر به وبنعمه العظيمة ، ولا عليك إن صدقوك أو كذبوك ، فما عليك إلا البلاغ .

سورة الحديد

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٢٩ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ١- . لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يُخَيِّ وَيُمِيتُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢- . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ،
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣- . هُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ ، يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا
يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا
كُنْتُمْ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤- . لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٤- . يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ ، وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبح لله	أبعد الله ، ونزّهه عما لا يليق به ، ومجّده .
العزیز الحكيم	{ القوى الذي تستوجب قدرة خاقه تمجيدته ، الذي خلق كل شيء بحكمة .
له ملك السموات والأرض	{ هو المنفرد بملك السموات والأرض ، وصاحب الأمر والنهي والنفوذ فيهما .
يحيي ويميت	يميت الأحياء في الدنيا ، ويحيي الأموات للبعث .
قدير	لا يعجزه شيء .
الأول	{ الذي ليس قبله شيء ، السابق على سائر الموجودات ، ومبدئها ومُبدعها .
الآخر	{ الذي ليس بعده شيء ، الباقي بعد هلاك كل شيء .
الظاهر	الذي ليس فوقه شيء ، الغالب على كل شيء .
الباطن	{ الذي لا يراه أحد ، وهو يرى كل أحد ، ويعلم ما بطن وخبى .
وهو بكل شيء عليم	لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخبى .
استوى على العرش	{ استولى على ملكوت السموات والأرض بالتدبير والتصرف .
ما يلج في الأرض	{ ما يدخل فيها من البنور والمعادن والمياه الجوفية ، والكنوز والآثار والقبور .

الألفاظ	شرحها
وما يخرج منها	ما يخرج من نبات ومعادن وغيرهما .
وما يعرج فيها	وما يصعد إليها من الملائكة ، وأعمال العباد ، ومن أبخرة وأدخنة .
والله بما تعملون بصير	والله مطلع على أعمالكم ، فيجازيكم بحسبها .
يولج الليل في النهار	يدخل وقت الليل في وقت النهار ، ويدخل وقت النهار في وقت الليل ، بأن يكون ظلام في جهة ، وضياء في جهة أخرى ، وبالعكس .
ويولج النهار في الليل	
وهو عليم بذات الصدور	وهو يعلم علماً شاملاً بكل ما تخفى الضمائر .

مجمل المعنى

١ - كل ما استقر في السموات والأرض ، وما اتصل بهما على أى وجه ، من جميع الموجودات العلوية والسفلية ، يُنزّه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه ، ويدل على أنه واحد في ذاته وصفاته ، متصف بجميع صفات الكمال ، منزّه عن جميع سمات النقص ، وتدل آياته بدقة صنعها ، وحكمة وضعها ، وباهر أسرارها على أنه منزّه عن النقص ؛ وهذه الدلالة هي التسبيح المشار إليه في الآية ، وهو العزيز القاهر فوق عباده ، الغالب الذى لا يغلب ، الذى أوجد جميع الأشياء على مقتضى الحكمة ، وفي غاية الإحكام .

٢ - الله هو المنفرد بملك السموات والأرض ، والمتصرف فيهما على حسب إرادته ومشئته ، أحسن صنعهما بحكمته ، وأوجد كل شىء فيهما بقدرته ،

لا ينازعه فيها منازع ، ولا يغالبه مغالب ؛ ومن أظهر آثاره فيهما : أنه خلق الموت والحياة ، فسميت الأحياء بعد أن يستوفوا آجالهم التي قدرها لهم ، ويحیی الموقف يوم يجمعهم للبعث من قبورهم ، وهو مبسوط القدرة والسلطان على كل شيء ، فلا يعجزه شيء ، ولا يفتل من سلطانه شيء .

٣ - ومن صفاته التي انفرد بها ، أنه الأول الذي لم يسبقه في الوجود شيء ، وأنه الآخر الباقي بعد أن يفنى كل شيء - ثم ينصب الميزان ، ويقيم الجنة والنار ، وهو الظاهر الغالب فوق كل شيء ، المعروف المستبين بالأدلة الدالة عليه في خلقه وصنعه ، والباطن الذي لا يراه أحد ، وهو يرى كل أحد ، ويعلم ما خفي وما بطن ، ولا يغيب عن علمه أي شيء ، ومن هذا شأنه ، لا بد أن يكون محيطاً بما في ملكوته ، عليمًا بكل شيء فيه .

٤ - وقد بين الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض وأبدع صنعهما ، ودبر أمرهما ، في ستة أيام ؛ وليس المقصود بالأيام الأيام الزمنية ، التي يستوعب كل منها ليلاً ونهاراً ، لأن الأرض التي يحصل من دورانها حول مركزها أمام الشمس الليل والنهار ، لم تكن وجدت بعد - والتعبير بالأيام : الغرض منه أن يقرب الله إلى مداركنا ما يمكن أن نتصور به قدرته ، وأن يُيسّرهُ على عقولنا بما نستطيع أن تفهمه - فالمقصود بالأيام : الأطوار الستة التي مرّ فيها خلق السموات والأرض ، حتى صارت كما نراها في وضعها المحكم ، وصنعها المتقن ، صنع الله الذي أتقن كل شيء ؛ فالأطوار التي مرت بالأرض كانت مع كل الملكوت دخاناً ، ثم كانت جزءاً متصلاً بالشمس ، ثم كانت رتقاً متماسكاً بها ، ثم تفتقت الأرض منها ، وانفصلت عنها ، « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » (تراجع الفقرة الثانية من الصفحة ١٦ من تفسير الجزء

السابع عشر) ، ثم كَوّن فيها اليابس والماء ؛ وبعد ذلك جعلها صالحة للحياة ، وقدر فيها الأقوات ، ثم استخلف الإنسان عليها فسكنها وعمّرَها ، يدل على هذه الأطوار التي مر بها خلق الأرض ، حتى صارت على هذا النحو ، قوله تعالى : «ثم استوى إلى السماء وهي دُخانٌ ، فقال لها وللأرض : اثبتا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين» ، (تراجع الفقرة الثانية من الصفحة ۹۰ من تفسير الجزء الرابع والعشرين) ، ثم استولى على ملكوت السموات والأرض ، يتصرف فيهما على حسب ما تقتضيه مشيئته ، وهو محيط بخفايا الأمور وظواهرها ، فيعلم ما يدخل في الأرض من بذور ، وما ينطوى في باطنها من معادن وكنوز ، وعيون وزيت ، ويعلم ما يخرج منها من زرع وحب ، وشجر وفاكهة ، وما يستخرج منها من حديد ونحاس وذهب ، ويعلم ما ينزل من السماء من ملك ومطر وصواعق ، وما يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد ، ومن بخار ودخان ، وعامه محيط بجميع المخلوقات أينما كانوا ، وفي كل لحظة ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو بصير بأعمال العباد ، وله السلطان المطلق ، والحكم النافذ في السموات والأرض ، وإليه ترجع الأمور ، وبصير الخلق ، فيقضى وحده بينهم بحكمه .

هـ - ومن الدلائل على أن زمام الملكوت مُصَرَّف بقدرته : ومرجع الأمور كلها إليه ، أنه يدخل وقت الليل في وقت النهار ، ووقت النهار في وقت الليل ، فتكون بعض الجهات في ظلام دامس ، وبعضها في ضياء ساطع في نفس الوقت ، كما يبدو هذا في مصر وأمريكا مثلاً ، فتى يكون الوقت ليلاً في مصر ، يكون نهراً في أمريكا ، لأن الله جعل الأرض مكورة ، تدور على محورها المائل حول نفسها دورة يومية ، وحول الشمس دورة سنوية ، وكذلك يدخل ما نقص من ساعات الليل في النهار ، فيصير

النهار زائداً في ساعاته ، ويدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل ،
فيصير الليل زائداً في ساعاته ، ويطرد حساب اختلاف الليل والنهار في
البلدان والأقطار، وهو إلى جانب قدرته وسيطرته على السموات والأرض ،
وتدبير أمرهما، عليم بما تُكِنُّ الصدور ، وبكل ما يهجس فيها من الخواطر.

(٢)

من الآية ٧ إلى الآية ٩ من سورة الحديد

آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ -١- .
 وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ؟ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ، وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ -٢- . هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه	{ وأنفقوا من الأموال التي أوجدها الله ، وجعلكم خلفاءه في التصرف فيها ، ووكلاء في إنفاقها .
وما لكم لا تؤمنون بالله	{ وأي عذر لكم في عدم الإيمان بالله ؟
وقد أخذ ميثاقكم	{ وقد أخذ الله عايكم عهداً وميثاقاً ، بما وهب لكم من العقول ، وما أظهر لكم من الأدلة والآيات .
إن كنتم مؤمنين	{ إن كنتم مؤمنين بالحجج والدلائل ، مصدقين لما تهدي إليه العقول .

الألفاظ	شرحها
عبده آيات بينات من الظلمات إلى النور	محمد صلى الله عليه وسلم . القرآن الواضحة آياته . من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .

مجمل المعنى

١ - بعد أن بين الله أن علمه محيط بكل الأشياء ، وأن مرجع كل أمر ظاهر ونخفي إليه ، وأنه صاحب السلطان المطلق على الملكوت ، وأنه لا يمانله شيء ، أمر العباد أن يؤمنوا به وبرسوله الذى أرسله إليهم ، وأن ينفقوا في سبيل البر والجهاد من الأموال التى جعلهم الله خلفاءه ووكلاءه عليها ، فكسبهم من التصرف فيها ، وجعل لهم حق الاستمتاع بها ، وبذلها في سبيل الخير ، ونههم على أن هذه الأموال ليست باقية لهم ، أو ليسوا باقين لها ، وإنما تنتقل منهم إلى غيرهم ، كما انتقلت إليهم ، وبين أن المؤمنين الذين يفهمون حقيقة المال على هذا الوجه ، فينفقون منه على أنفسهم في وجوه الاستمتاع الحلال دون إسراف ، وينفقون منه في منافع الناس ، لهم أجر كبير على ذلك من الله .

٢ - وأى عذر لكم فى ألا تؤمنوا بالله ؟ وقد أرسل إليكم رسوله بالبينات ، ليدعوكم إلى الإيمان ، كما أنه قطع عليكم العهد والميثاق بأن تؤمنوا به ، بما ركب فيكم من العقول التى من شأنها أن تفكروا بها ، وتعرفوا الحق من الباطل ، وتميزوا الحبيث من الطيب ، وبما بين لكم من الآيات الكونية على وجوده وإنشائه للخلق ، وقدرته و وحدانيته ؛ ليس لكم عذر بعد هذا

في ترك الإيمان ، فإن كنتم مستعدين أن تنظروا في ملكوت السموات والأرض ، وتفكروا فتؤمنوا ، فهذا وقت الإيمان ، وقد وجب عليكم لأن أسبابه متوافرة ، ودواعيه ظاهرة .

٣ - لقد أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ، وفيه الآيات البينات المفصلات الواضحات ، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والضلال ، إلى نور العلم والإيمان والحق ، وفي ذلك منتهى رأفة الله ، ورحمته بعباده ، حيث يهديهم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول ، وإنزال الآيات مفصلات ، بعد أن أقام لهم الحجج العقلية ، والآيات الكونية ، التي تستوجب منهم الإيمان .

(٣)

من الآية ١٠ إلى الآية ١٩ من سورة الحديد

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ
الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ
بَعْدُ وَقَاتَلُوا ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ١- . مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ
لَهُ؟ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ٢- . يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ، بُشْرًا كُمْ الْيَوْمَ :
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ . خَالِدِينَ فِيهَا ، ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٣- . يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا : أَنْظَرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ، قِيلَ :
أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ، فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ
بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ،
يُنَادُونَهُمْ : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا : بَلَى ! وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ
أَنْفُسَكُمْ ، وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ ، وَغَرَّتْكُمْ الْآمَانِيُّ ، حَتَّى
جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ، وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ

فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، مَاؤَاكُمُ النَّارُ ، هِيَ مَوْلَاكُمْ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ -٤-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله	{ وأى غرض لكم في عدم الإنفاق في سبيل الله ، والجهاد في إعلاء كلمته ، ونشر دينه ؟
ولله ميراث السموات والأرض	{ والله يرث كل شيء في السموات والأرض ، فلا يبقى فيهما باق لأحد ، من مال أو غيره .
من قبل الفتح وقاتل وكلاً وعد الله الحسنى	{ من قبل فتح مكة ، وقاتل جهاداً في سبيل الله . وقد وعد الله كلا منهما أحسن المثوبة ، ونعيم الجنة ، مع تفاوت بينهما ، ووعده النصر والغنيمة في الدنيا . ينفق عن طيب نفس في الجهاد والصدقات والبر ، ابتغاء مرضاة الله ، من مال حلال .
يقرض الله قرضاً حسناً	{ فيعطيه الأجر على إنفاقه أضعافاً مضاعفة ، تفضيلاً منه .
فيضاعفه له	{ وله مع مضاعفة الأجر على إنفاقه أجر كريم من عند الله ، هو أفضل الأجر وأحسنه .
وله أجر كريم	{ يمضي ويذهب نور إيمانهم وطاعتهم وتوحيدهم من أممهم ومن حرلم .
يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم	

الألفاظ	شرحها
بشراكم اليوم جنات	{ تقول لهم الملائكة : اليوم لكم البشرى ، وهى دخول الجنات .
{ انظرونا نقتبس من نوركم	{ انظروا نحونا ، لنصيب من نوركم قبساً ، نستضيء به فى الظلمات التى تحيط بنا .
{ ارجعوا وراءكم فالتسوا نوراً	{ ارجعوا إلى الموقف الذى أوتينا فيه صحائف أعمالنا ، فاطلبوا النور منه .
{ فضرب بينهم بسور له باب	فأقيم بين المؤمنين والكافرين حاجز .
باطنه فيه الرحمة	ما يلى المؤمنين منه هو الجنة .
وظاهره من قبله العذاب	والجانب الذى يلى أهل النار ، فيه جهنم .
فنتم أنفسكم وتربصتم	أهلكتموها بالكفر والمعاصى والشهوات . ودبرتم ، وارتقبتم أن تحل بالمؤمنين المصائب .
وغرتكم الأمانى	{ وخذعكم طول الأمل والأباطيل ، وتوقعكم خذلان المؤمنين .
وغرکم بالله الغرور	وخذعكم الشيطان بأن الله عفوٌ كريم لا يعذبكم .
لا يؤخذ منكم فدية	لا يُقبِلُ أن تخرجوا من النار بأى ثمن .
سأواكم النار	مقامكم ومنزلكم النار .
هى مولاكم	هى أولى بكم .

مجمل المعنى

١ - ولماذا لا تنفقون أيها الناس فى سبيل الله ؟ وأى غرض لكم فى عدم بذل المال فى وجوه البر والخير والجهاد ، لنشر دين الله وإعلاء كلمته ؟ والله

خالقكم وخالق أموالكم ، وستنتهي آجالكم ، وتنقضي أعماركم ، وتركون أموالكم التي جمعتموها ، فيرثها الله بعدكم ، لأن الله يرث كل ما في السموات والأرض ، وإليه مرجع كل شيء فيهما ، فإن أنفقتموها في الخير ربحتم ، وإن بذلتموها في سبيله أثابكم أجراً عظيماً ، وإن لم تنفقوها في سبيله ذهبت منكم بعد موتكم دون مقابل ، فلم تنتفعوا بشيء منها ، ولا يقبل عاقل أن يترك الإنفاق الذي فيه خير له ، إلى عدم الإنفاق الذي لا خير له فيه ؛ والمنفقون المال في سبيل الله ، والمقاتلون دفاعاً عن دين الله ، لهم جزاؤهم عند ربهم : جنة وأجر عظيم ، لكن درجاتهم في الجنة ، وأجورهم عند الله ، متفاوتة ، فهناك قتال أفضل من قتال ، وإنفاق خير من إنفاق ، فالذين قاتلوا وعرضوا أنفسهم للموت ، ودماءهم للسفك ، وبذلوا المال وأنفقوه عن طيب نفس به قبل فتح مكة ، حيث المسلمون في ضعف وخوف ، وقلة عدد وجوع وفقير ، فلا حماية ترتجى ، لمن آمن منهم ، ولا توقع لانتصارهم ، ولا مطمع في غنائم ينالونها ، وإذا لا يبعث على الإنفاق في سبيلهم إلا الإيمان القوى ، والإخلاص الكريم - هؤلاء درجاتهم في الجنة ، ونصيبهم من الأجر ، أعظم من درجات الذين قاتلوا وأنفقوا المال في الخيرات بعد فتح مكة ، حين قويت شوكة المسلمين ، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم ودينهم ، وكثر عددهم ، وظفروا بالغنائم ؛ لقد نبي الله استواء الفريقتين في الأجر ، ولكنه أثبت الحسنى لكل منهما ، وكتب له المثوبة والجنة ، ورضوان الله في الآخرة ، والنصر والغنيمة في الدنيا ؛ والله خبير بأعمال العباد ظاهرها وباطنها ، عليم بأحوالهم ، وسيجازي كلا على حسب ما قدم من عمل ، وما فعل من خير .

— أى إنسان لا يسارع إلى إنفاق المال في سبيل الله ؟ وأى عاقل لا يسابق إلى بذل المال في وجوه الخير والبر والإحسان والجهاد ؟ وكل ما ينفق من

مال في هذه الوجوه لا يضيع ولا يذهب ، ولكنه مدخر له عند الله ،
وقرض حسن عنده ، يرده إليه أجراً عظيماً ، ويضاعف له هذا الأجر
أضعافاً ، فيمنحه الثواب عليه في الآخرة ، والثمنا والبركة في الدنيا عشرة
أمثاله ، وله مع ذلك أجر كريم من الله ، خالص من شوائب المن والأذى ،
ومن عنت الجهد والمشقة ، فيه سهولة ويسر وكثرة ؛ والقرض الحسن :
هو المال الذي يُبذل عن صدق نية ، وطيب نفس ، يُقصد به وجه الله ،
لا الرباء ولا السمعة ، وأن يكون من خير المال لا من رديئه ، وأن يكون
من حلال طيب ، وألا يُتبع المنفق إنفاقه بالمن والأذى ، وألا يتعالى
بعزة الغنى ، ويشعر الفقير بذلة الفقر ، وأن يعطيه وهو قوى الأمل
في الحياة ، وأن يُخشي صدقته حتى لا يؤدي بها نفس المتصدق عليه .

٣ - وهذا الأجر الكريم أعده الله يوم القيامة للمؤمنين الذين أنفقوا وقاتلوا ،
حين ترى نور الهداية والطاعة والإيمان يضيء لهم بقدر أعمالهم ، وما يُسجل
منها في كتبهم التي بأيامهم ، فينفذ إلى جميع ما حولهم ، ويهديهم الطريق
المستقيم إلى دار الرضوان ، وتقول لهم الملائكة : البشرى التي نسركم بها
اليوم ، هي جنات تجري من تحتها الأنهار ، أعدت لكم ، لا تتحولون
عنها ، ولا تخرجون منها ، ولكم فيها نعيم مقيم ، وفوز عظيم .

٤ - وفي هذا اليوم يسخبُ المنافقون والمنافقات الذين كانوا في الظاهر مع المسلمين ،
وفي الباطن مع الكافرين ، في ظلمة الضلال والمعصية والكفر ، لا يدرون
أين يتجهون ، فيطلبون من المؤمنين أن يرشدوهم إلى الطريق ، ويأخذوا
بأيديهم إلى الجادة ، ويقولون لهم : انظروا نحونا ، لعل قبساً من النور
المنبعث من قلوبكم ، المضيء من صحائف أعمالكم التي بأيامكم ، يهدينا
الطريق المستقيم ، فيقول لهم المؤمنون : إن نورنا لنا ، يهدينا ويشع من

قلوبنا ومن كتبنا، فلا يهدى غيرنا، فارجعوا وراءكم حيث أحرزنا هذا النور ،
فاطلبوه واتمسوه في الدنيا بالإيمان وصالح الأعمال ، ولن ترجعوا ، فلن
تجدوا إذن نوراً ، ولن تهتدوا ، وحيل بينهم وبين ما يطلبون ، فأقيم بينهم
وبين المؤمنين حاجز ، من جهة جانبه الظاهر للمنافقين جهنم ، يلاقون
فيها العذاب ، ومن وراء هذا الجانب - حيث لا يراه المنافقون - الرحمة
والجنة التي ينعم بها المؤمنون ؛ حينئذ ينادى المنافقون الذين دخلوا في الإسلام
من باب ، وخرجوا منه من باب آخر، ينادون المؤمنين : يقولون لهم : ألم نكن معكم
في الدنيا نصلي ونصوم ، ونقيم شعائر الدين كما كنتم تصلون وتصومون ،
وتقيمون شعائر الدين ؟ فلماذا كتبت علينا النار ، وكتبت لكم الجنة ؟ فيقول
لهم المؤمنون : ليس الأمر مجرد صلاة وصوم ، وإقامة شعائر الدين ،
إذ لا بد أن يصاحبهما الإيمان ، وحقاً لقد كنتم معنا ، لكنكم كنتم
غير صادقين في عبادتكم ، غير مخلصين في إيمانكم ، ففتنتم أنفسكم ،
وأوقعتموها في البلاء ، وعلمتم ما سبب لكم دخول النار ، وانتظرتم أن تدور
الدوائر علينا ، فيهزمننا المشركون ، ويتنصر علينا الكافرون ، وكنتم في
شك وريب من الدعوة إلى الإسلام ، فلم تصدقوا في الإيمان ، وخذعكم
طول الأمل ، والأباطيل التي تُقَدِّرونها ، وتمنون أنفسكم بها ، من زوال
الإسلام وانتكاس أمر المسلمين ؛ لقد ظلتم على هذه الحال حتى جاء
أمر الله ، وهلكتم وفارقتم الدنيا ، وعجزتم عن اكتساب صالحات الأعمال ،
وخذعكم الشيطان ، وزين لكم النفاق بما وسوس في صدوركم من الأمانى
الكاذبة ؛ واليوم لا سبيل إلى النجاة ؛ ولا يقبل منكم ولا من الكافرين
أى فداء ، لتخرجوا من النار ؛ لقد ذهب الوقت ؛ وضاعت الفرصة ،
والنار أولى بكم وأحق ، وهى بشس المصير الذى انتهيتم إليه !

(٤)

من الآية ١٦ إلى الآية ١٩ من سورة الحديد

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ، وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ، فَكَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ، أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ -١- . إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، يُضَاعَفُ لَهُمْ ، وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ -٢- . وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ -٣- . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألم يأن أن تخشع قلوبهم وما نزل من الحق	ألم يأت الوقت . أن ترق قلوبهم وتذل وتلين . والقرآن .

الألفاظ	شرحها
طال عليهم الأمد	{ طال عليهم الأجل ، والوقت الذي جاء بعد نزول التوراة .
فقسّت قلوبهم	{ فلم تتعظ بالتوراة ، فتركوا الطاعات ، واتبعوا الشهوات .
فاسقون	خارجون عن دينهم .
إن المصدّقين	إن الذين تصدّقوا .
قرضاً حسناً	{ القرض الحسن : أن يتصدق الإنسان من خير المال عن طيب نفس من مال حلال ، على المستحق للصدقة .
الصدّيقون	المؤمنون إيماناً صادقاً ، وهم أصدقاء الله وأحباؤه .
والشهداء عند ربهم	{ والذين قتلوا في الجهاد شهداء عند ربهم ، يوم الحساب على أعمال العباد ، وهم العدول الذين تقبل شهادتهم .
أصحاب الجحيم	يلازمونها كما يلازم الصاحب الصاحب .

إن القلوب القاسية بعيدة من الله

روى أن المسلمين كانوا مجديين بمكة ، فلما هاجروا أصابهم الرزق والنعمة ، وشغلهم شواغل الدنيا ، وفتروا عما كانوا عليه من عبادة الله ، ورقة القلب ، والحشية والانقياد لذكر الله ، فعوتبوا على ذلك ونُهبوا على أن الاشتغال بالدنيا . وتعلّق النفس بها ، يميت القلب ، ويصرفه عن الطاعة ، ومراقبة الله في عمله . ونزل قوله تعالى : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل

مِنَ الْحَقِّ » ، وهذه الآية تنبه على ظاهرة اجتماعية شائعة بين الأمم ، وهي أن انقطاع الناس عن التذكير بالمدين ، وتركهم العلم والمعرفة ، يؤدي بهم إلى قسوة القلوب ، وعدم تأثيرها بالموعظة ، وذهاب خوفها من الله ، وعودتها إلى الجهل والضلال ؛ ولهذا ينبغي أن يقوم بين الجماعات دائماً من يذكّرهم بأمر الدين ، ويحيي قلوبها بالموعظة ، ويعيد إلى عقولها العلم والمعرفة ، وإلى نفوسها اليقين والهداية .

مجمل المعنى

١ - لقد نعى الله على المؤمنين تناقلهم عن أمور الدين ، وتعلق نفوسهم بأمر الدنيا ، ونهبهم على أن ذلك يُقَسِّى القلب ، ويصرفه عن الطاعة والخوف من الله ، وهذا يؤدي إلى المعصية ، وشيوع الشر بين الناس ، فقال : ألم يحن الوقت للذين آمنوا بالله ، وانشرحت صدورهم بالهدى ودين الحق ، أن تخشع قلوبهم حين يذكرون الله ، ويسمعون ما أنزل إليهم من كتابه الحق ، فتطمئن به نفوسهم ، ويسارعوا إلى طاعة الله بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، من غير توان ولا فتور . ولا يكون شأنهم كشأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، حين كان كلٌّ من التوراة والإنجيل في أول عهدهم به ، يحول بينهم وبين شهواتهم ، ويمنعهم من المعاصي والضلال ، فلما قدم عهدهم به ، وألفته نفوسهم ، ولم تتدبر مواعظه ، قست قلوبهم ، وغلبهم الجفاء ، وذهبت عنهم الروعة والخشية التي كانوا يستشعرونها من ذكر الله ، ولم يبق منهم على خوفه وإيمانه إلا قليل دخلوا في الإسلام لما جاءهم به محمد ، وكثير منهم خارجون عن دينهم ، مائلون عما نزلت به كتبهم ؛ ألا فاعلموا أن الله يحيي القلوب الميتة ، ويبعث فيها الرقة واللين

والخوف بتذكره سبحانه وتعالى ، وبتلاوة آياته ، وتدبر ما فيها من هدى وموعظة ، كما يحيى الأرض الموات ، فتنبت الزرع ، وتخرج الثمر ؛ ولقد بين الله لكم الآيات البينات ، والحجج الواضحات ، وضربنا لكم الأمثال ، لعلكم تعقلون فتفكروا وتتدبروا ، وتأخذوا بما فيها من تكاليف وأحكام .

٢ - إن المتصدقين والمتصدقات ، الذين ينفقون الأموال في مساعدة المحتاجين ، ودفع الضر عن الناس . ونخفيف آلامهم وويلاتهم ، وكشف الجهل عن عقولهم ، والذين أقرضوا الله قرضاً حسناً بالأعمال الصالحة ، والإنفاق عن سعة وسماحة في خفية ، سيضاعف الله لهم أجرهم على ما تصدقوا وما أقرضوا ، وهذا الأجر الذى يعطيه الله إياهم ، هو أجر كريم في نفسه ، محمود كل الحمد ، نقي من شوائب المن والعنت ، فكيف إذا كان يعطيه إياهم أضعافاً مضاعفة ؟

٣ - والذين آمنوا بالله حتى الإيمان ، واتبعوا رسله فيما جاءوهم به من الآيات والأحكام ، أولئك هم الصديقون الذين يرفع الله مكانتهم في الآخرة ، ويعلى منزلتهم في الجنة ، لأنهم بالغوا في تصديق كل ما جاءهم به الرسل ، وجميع ما جاءهم من عند الله ، وسيخصهم الله بالكرامة ، فيجعلهم شهداء على أنفسهم وعلى غيرهم ، لأنهم مقربون عند الله ، مستحقون لحسن الثقة ، ولهم أجرهم وثواب أعمالهم ، ونورهم الذى يهتدون به إلى الجنة ؛

٤ - والذين كفروا بالله ، وكذبوا بآياته ، أولئك أعداء الله ، المسئولون بين يديه عما فعلوا ، وأولئك هم أصحاب الجحيم ، يلازمونها كما يلازم صاحب صاحبه ، لا يفارقونها ، بل يخلدون فيها أبداً .

(٥)

من الآية ٢٠ إلى الآية ٢١ من سورة الحديد

أَعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ ، وَتَفَاخُرٌ
 بَيْنَكُمْ ، وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ
 أَغْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَاهُ مُصْفِرًا ، ثُمَّ يَكُونُ
 حُطَامًا ، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ
 وَرِضْوَانٌ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ -١- . سَابِقُوا
 إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ ، أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، ذَلِكَ فَضْلُ
 اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لعِبٌ	اللعِبُ : ما رَغِبَ فِي الدُّنْيَا .
وَلَهُوَ	اللَّهُوُ : مَا أُلْهِى عَنِ الْآخِرَةِ .
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ	{ يَفْخَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِأُمُورِ الدُّنْيَا ، بِسَبَبِ قُوَّةِ أَوْ مَالِهِ أَوْ نَسَبِهِ .

الألفاظ	شرحها
الكُفَّار	{ الزُّرَّاع ، لأنهم يكفُّرون البذور في الأرض ، أى يغطونها ويسترونها .
يبيع حطاماً	يحف بعد خضرته . فُتَاتاً متهشماً متكسراً كالتبن .
وفي الآخرة عذاب ومغفرة	وللكافرين في الآخرة عذاب . وللمؤمنين مغفرة .
متاع الغرور	متاع يَغُرُّ ويُلْهِى عن الآخرة .
سابقوا إلى مغفرة من ربكم	{ سارعوا بالأعمال الصالحة التى توجب المغفرة لكم من ربكم .
عرضها كعرض السماء والأرض	{ تمثيل للعباد بسعة الجنة بأوسع شىء يقع في عقولهم ، وتصورهم ، وهو السماء والأرض .
ذلك فضل الله	{ ذلك النعيم استحقوه بفضل الله ، الذى ربط نعيم الجنة بالأعمال الصالحة .

مجمل المعنى

١ - نفرَّ الله سبحانه وتعالى من التعلق بالدنيا بتهوين شأنها ، وتحقير أمرها ،
فذكر الله مخاطباً عباده أن الحياة الدنيا التى تشغل بالكم ، وتسهرى
نفوسكم ، ما هى إلا عبث ، ولعب كلعب الصبيان ، ليس فيه جدوى ،
ولامن ورائه طائل ، بل يعقبه خمود وهمود ، وانقباض وسكون ، وهى
لهو يصرف الإنسان عن الجهد ، ويشغله عن الآخرة ، ويلهيه عن الصواب ،
وهى زينة مصيرها إلى زوال ، ومآلها إلى تغيير ، وهى مفاخرة بالأحساب

أو الأنساب—وكل الناس لآدم، وآدم من تراب وإلى تراب— وتكاثروا وبهاة
بالأموال والأولاد— والأموال عَرَضٌ يجيء ويذهب، والأولاد ودائع الله
تُعطى وتؤخذ— فما قيمة دنيا قوامها أمور فانية، وأعراض زائلة، ومظاهر
مستعارة، ما أعطت إلا لتأخذ، وما أحلت إلا لتُمِر، وما أضحكت
إلا لتُبكي، وما زهت إلا لتجِف، وإنما مثلها كمثل مطر يصيب الأرض
فيروها، فتنبت الزرع ويخضر، ويربو ويترعرع، فيقف الزرع
عليه معجبين بنباته وخضرته، متوقعين الخير من الحب والثمر، معلقين
عليه الرجاء والأمل، ثم تصيبه آفة، أو ينقطع المطر، فيذبل الزرع،
ويصفّر ورقه، وتجف أعواده، ويفتت ويتكسر، ويصبح هشيمًا
حطامًا كالتبين، ويذهب رواؤه وحسنه، وتذروه الرياح، ويصير كأن
لم يغن بالأمس، وكأن لم يكن حسنًا بهيجاً يُقر العين، ويشرح
الصدر؛ فن غرته الدنيا فضى في ركابها، وتلهي عن الآخرة، فله
فيها عذاب شديد، ومن تذكر الآخرة، وسعى لها سعيها وهو مؤمن،
فله مغفرة من الله ورضوان؛ وليست الحياة الدنيا لمن اطمأنوا لها، وانغمسوا
في شهواتها، وأضلّتهم عن سواء السبيل، ولم يجعلوها ذريعة للآخرة،
إلّامتاع المغرور الغافل عن الآخرة؛ قال سعيد بن جبّير: الدنيا متاع
الغرور، إن أهلك عن طلب الآخرة، أما إذا دعيتك إلى رضوان الله
تعالى فنعم المتاع، ونعم الوسيلة!

٢- تسابقوا وسارعوا مسارعة المتسابقين لأقرانهم في مضمار الخير، للحصول
على مغفرة الله واكتساب رضوانه، بالإيمان والطاعة، وللوصول إلى مكانكم
في الجنة العريضة كعرض السماء والأرض، الوسيعة في ملكوت الله جل
وعلا؛ ووصف الله الجنة بالعرض والطول، تمثيلًا لما تدركه عقولنا، وتقريب

لما يقع في حدود أفكارنا ؛ وقد أعدّها للذين آمنوا بالله ورسوله ؛ ومعنى ذلك : أن الإيمان الصادق ، والاعتقاد الصحيح ، يؤدي إلى دخول الجنة ؛ فاللهم هب لنا إيماناً صادقاً ، واعتقاداً صحيحاً ؛ والإيمان الصادق يقتضي أن نتّبع ما أمر الله به ، ونجتنب ما نهى عنه - وهذا الإيمان الذي يقتضي ثواب الجنة فضل من الله ، يهدي إليه من يشاء من عباده ، ويؤتيه من أراد من خلقه ، والله صاحب الفضل العظيم ، ومن كان فضله عظيماً فتوابه أعظم ، ورحمة الله له أوسع .

(٦)

من الآية ٢٢ إلى الآية ٢٤ من سورة الحديد

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ -١- . لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ -٢- . الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
من مصيبة	مما يصيبكم من خير أو شر .
في كتاب	مكتوبة مثبتة في علم الله .
من قبل أن نبرأها	من قبل أن نخلقها .
لكيلا تأسوا	لكيلا تحزنوا ، ولا تتبعوا ما فاتكم بالغم .
مُختال	متكبر ، لتخياه اختصاص نفسه بالفضائل .
فخور	شديد المباهاة بالأشياء التي تدعو إلى المفاخرة : كالمال والجاه .

مجمل المعنى

١ - كل ما يصيب وما أصاب الأرض والناس من خير أو شر ، وكل ما يقع أو وقع فيها من نفع أو ضرر ، ثابت في علم الله ، هو يحيط به ، وهو يعلمه علماً تاماً من قبل أن يخلق الأرض ، ويوجد الناس عليها ، فالحقحط والجدب ، والزلازل وآفات الزروع والثمار ، وغلاء الأسعار ، والسيول الجارفة ، والحصب والعيون المتفجرة ، والأنهار الجارية ، والرشاء ، وآبار الزيت والمناجم ، والكنوز وغيرها ، ثابت في علم الله ، لا يعزب عنه مثقال ذرة ؛ وكل ما يصيب النفوس من أمراض وعلل ، وجوع وخوف ، وفقد أهل وولد ، وكفر وعصيان ، وصحة وشيخ ، وأمن وقرّة عين ، وهدى وإيمان ، ثابت في علم الله ، لا يغيب عنه قبل خلقه السموات والأرض ؛ والله سبحانه وتعالى الذى أوجد هذا الكون ، وأبدع خلق السموات والأرض ، يسير عليه أن يعلم ما يجرى فيهما قبل أن يخلقهما .

٢ - وقد أخبر الله أن ما يصيب الأرض والأنفس ثابت مكتوب ؛ لكيلا يشتد حزن الناس على ما فاتهم من خيرات ، ولا يشتد فرحهم بما أعطوا منها ، وليس المقصود أن الله يطلب منا ألا يكون منا مجرد فرح على ما يُعطى من خير . ومجرد حزن على ما يفوتنا منه . فإن الفرح والحزن من أمور الدنيا التى لا بد أن تحدث ، وهما مركوزان في طبيعة الإنسان ، بل يطلب منا ألا يطغى الفرح على نفوسنا ، وألا يتملكنا الأشر والبطر إذا أوتينا المال أو القوة ، أو الجاه والنفوذ ، وألا يشتد حزننا على ما يصيبنا من شر . وألا يكون معه جزع وضعف إيمان ؛ وفي التسليم بأن كل شيء من عند الله

تسليّة للنفوس إذا أصابها ضر ، وتقوية لإيمانها إذا نالها خير ، وفيه نزوع وحفز إلى طلب الآخرة ؛ وبعد عن شدة الحرص على الدنيا ، وعدم المشاحة في التعامل ، وترك للحسد والحقد ؛ والله سبحانه وتعالى لا يحب المتكبرين ، الذين يفاخرون الناس ويباهونهم بما عندهم ، لأن الفخر والكبر يبعدان عن تذكّر نعمة الله ، ويؤذيان عباده .

٣ — وقد ذكر الله من الصفات الذميمة للمتكبرين الفخورين ، أنهم يبخلون ، ويأمرون الناس بالبخل ، ذلك بأن المختال الذي يطغيه المال ، ويرى فيه سبب عزه وجاهه ، يحرص عليه كل الحرص ، ويمسكه فلا ينفق منه في منافع العباد شيئاً ، وبصير الحرص لازماً له ، وطبيعة فيه ، بل يراه فضيلة يأمر الناس بها ، ويحثمهم عليها ، لكن الله غنى عن الإنفاق ، لا يضره إعراض الناس عنه ، والناس هم الذين يضرّون أنفسهم بحرصهم ويخلّهم ؛ ومن يتولّى ويعرض عما أمر الله به ، فقد ظلم نفسه ، وحرّمها الثواب والأجر ، وساقها إلى العقاب . وجلب عليها الحرمان ، والله هو الغنى عن عباده ، المحمود في كل أفعاله .

(٧)

من الآية ٢٥ إلى الآية ٢٧ من سورة الحديد

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ -١- . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَإِبْرَاهِيمَ ، وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ، فَمِنْهُمْ
مُهْتَدٍ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ -٢- . ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ
بِرُسُلِنَا ، وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ،
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً
أَبْتَدَعُوهَا ، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ، إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ
فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ،
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بالبينات	بالأدلة والمعجزات .
والميزان	مقاييس العدل وحدوده بين الناس ، وسلوكهم وفق ما فى الكتب .
بالقسط	بالعدل .
وأنزلنا الحديد فيه بأس	وخلقنا الحديد فيه شدة فيما خلق له .
قَفَيْتِنَا عَلَى آثَارِهِمْ	جئنا بعدهم وعلى إثرهم برسلانا متتابعين ، نبياً بعد نبي .
ورهبانية ابتدعوها	الرهبانية : رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن ، والتعبد فى الأديرة ؛ وابتدعوها : أحدثوها من عند أنفسهم .
ما كتبناها عليهم	ما أمرناهم بها ، ولا فرضناها عليهم .
إلا ابتغاء رضوان الله	لكم أحدثوها بغية التقرب إلى الله ، والفوز برضوانه .
فما رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا	فما قام بها منَّ جاء بعدهم حق القيام .

مجمل المعنى

١ - يؤكد الله أنه أرسل رسله ومعهم الحجج الواضحة ، والبراهين القاطعة ،
التي تدل على أنهم رسله إلى عباده ، اصطفاهم ليهدوهم ويرشدوهم إلى
الإيمان . واتباع أحكام الدين التي تكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة ، وأنه

أنزل معهم الكتب السماوية ، متضمنة للعقائد والأخلاق ، ونظام الأسرة
والمجتمع ، وأصول التعامل بين الأفراد والجماعات ، ليدعوا الناس إلى
اتباعها ، والسير على هديها ، وأنزل في هذه الكتب مقاييس العدل وحدوده ،
بما بيّن فيها من شرائع وأحكام ، وهذه المقاييس والحدود التي وضعت
للعادل بين الناس ، هي الميزان ، وذلك ليقوم الناس باتباع ما جاء في
هذه الكتب ، وتنفيذ ما وضع فيها من حدود وأحكام بالقسط والعدل ،
فيأخذ كل حقه مستوفى غير منقوص ، وفق أحكام الله المنزلة ، وكما
بعث الله الرسل إلى العباد ، وأنزل معهم الكتب ، ورسم لهم الحدود
والشرائع ليعملوا بها ، وفق النصفّة والعدل والقيام بالقسط ، قد خلق
الحديد ، وجعل فيه بأساً وشدة ، وسيلة للقوة والرهبة ، والقتل والتنكيل
والأسر ، كما أودع فيه للناس منافع كثيرة ، ليستعملوه فيما خلق له ،
من دفع بغى وعدوان ، وفي النكاية بأعداء الله الظالمين عباده ؛ وقد أنزل
الله الكتاب والميزان والحديد ، ليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء والحساب ،
من ينصره وينصر رسله بالحجج والبراهين المنتزعة من الكتاب المنزل ،
وبإقامة العدل ، ووضع الميزان ، واتباع الحدود ، وتنفيذ الأحكام ،
وبإعلاء كلمة الله ، والجهاد في سبيله كآلات الحرب والقتال ، وهو
غائب عنهم لم يروه بأعينهم ، ولكنهم عرفوه بالأدلة القائمة فيما خلق لهم ،
وأنزل عليهم ، ولم يخلق الله الحديد ذا البأس والقوة رغبة في أن ينصره العباد ،
فإنه قوى قاهر غنى عن نصرتهم بقدرته وعزته ، إنما خلق الحديد ،
وكلفهم الجهاد ، لمنفعة أنفسهم ، وتحصيل ما يترتب لهم من الثواب ؛
وقد ذكر الله للحديد فائدتين :

الأولى : أن فيه البأس والشدة والنكاية ، فألات الحرب جميعها منه ، خصوصاً إذا أريد بالحديد جنس المعادن كما قال بعض المفسرين ، فنه البنادق والمدافع ، والسيارات والمصفحات والدبابات ، والغواصات والطرادات والبوارج ، كما كان منه قديماً السيوف والرماح ، والدروع والخناجر .

والثانية : أن فيه منافع للناس ، وذلك واضح ، فما من شيء من ضروريات الحياة أو كمالياتها ، إلا وللحديد دخل فيه ، فسفن الملاحة ، والسكة الحديدية ، والقُطُر ، وأدوات الحرث والزرع والحصد ، والدرس والطحن ، والغزل والنسج ، وآلات البناء ومواده ، وآلات الطباعة ، وأدوات الزينة ، كل ذلك من الحديد أراجع إليه .

ولقد امتنَّ الله على عباده بالحديد ، ولم يمتنَّ عليهم بما هو أغلى منه قيمة كالذهب والفضة ، لأنه أعم وجوداً وأكثر فائدة ، وأسهل تناولاً ، وأرخص ثمناً ؛ ومن نعم الله على عبده ، أنه سهَّل وأكثر كل ما تشتد حاجة الناس إليه ، وجعله أعظم الأشياء قيمة في الحياة ، وأكثرها وأسهلها تناولاً ، وإلا فما فائدة الناس من الجواهر إذا قيست بالهواء والماء ، والبُرِّ والشعير ؛ وإذا نظرنا إلى الأطعمة ، وجدنا ما هو لازم وضروري منها ، أرخص ثمناً ، مما هو غير لازم .

٢ - ويؤكد الله تعالى أنه أرسل نوحاً إلى قومه ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وأرسل إليهم إبراهيم وهو من ذرية نوح ، ومن ذرية إبراهيم الأنبياء الذين جاءوا بالكتب الأربعة : التوراة والزيبور والإنجيل والقرآن ، فالنبوة والكتاب لا يخرجان عن ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام ، ولذلك خصهما الله بالذكر ، فمن ذراريهم من اهتدى بكتب الأنبياء واتبعها ، ومنهم من فسق عن أمر ربه ، وضل السبيل ، وخرج على الدين وكفر به ، أو بقي فيه ، لكنه ارتكب الإثم والفسوق والعصيان ، وهم كثيرون .

٣ - ثم أرسل الله عقب نوح وإبراهيم رسلاً متتابعين ، رسولا بعد رسول ، حتى انتهى الأمر إلى عيسى بن مريم ، فأتاه الإنجيل ، وجعل الله في قلوب الذين اتبعوه وآمنوا به رافة ورحمة على عباده ، كما جعلهم رحماء فيما بينهم ؛ لكنهم لما اشتد إيذاء بعض الجبابرة من الملوك بهم ، أحدثوا الرهينة وابتدعوها ، طلباً لرضوان الله ، وابتغاء ثوابه ، ولبسوا المسوح ، والحشيش من الثياب ، وتعبدوا في الأديرة والكهوف والمغارات ؛ ولم يكتب الله هذه الرهينة ، ولم يفرضها على أتباع عيسى عليه السلام ، لكنهم هم الذين أحدثوها ، فرعاها الأولون المخلصون حتى رعايتها ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يرعوا الرهينة حتى رعايتها ، فاتخذوها للرياء والشهرة ، وضموا إلى الرهينة التثليث ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمن به بعضهم ، فآتينا الذين آمنوا منهم نصيبهم من الأجر والثوبة ، وكثير منهم فسق عن أمر ربه ، وظل على كفره وإلحاده .

(٨) :

من الآية ٢٨ من سورة الحديد إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ، يُؤْتِكُمْ
 كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ،
 وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ -١- . لئلا يعلم أهل
 الكتاب أن لا يقدرُونَ على شيءٍ من فضلِ الله ، وأنَّ
 الفضلَ بيدِ الله ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
 الْعَظِيمِ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كفلين	نصييين .
لئلا يعلم	ليعلم ، ولا : زائدة للتوكيد .
أهل الكتاب	{ الذين لم يُسلموا من أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى .
ألا يقدرُونَ على شيءٍ	{ أنهم لا ينالون شيئاً مما ذُكر من فضلِ الله ، من
من فضلِ الله	{ الكفلين والنور والمغفرة .
بيدِ الله	بقدرته وتصرفه .

مجمل المعنى

١ - خاطب الله المؤمنين من أهل الكتاب ، وطلب إليهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم نصيبين من الأجر ، نصيباً للإيمان بالأنبياء السابقين ، ونصيباً لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم أن يجعل لهم النور الذى يسعى بين أيدي المؤمنين وبأيمانهم يوم القيامة ، هادياً لهم إلى الجنة ، ووعدهم أن يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم ، وهو واسع المغفرة لمن رجع إليه من عباده ، كثير الرحمة لمن اهتدى واتبع سبيل الرشاد .

٢ - وهذا الخطاب وجهه الله إلى من كانوا مؤمنين بموسى وعيسى ، وطلب إليهم فيه الإيمان بمحمد ، ووعدهم أن يضاعف الأجر على ذلك مرتين ، زيادة على النور والمغفرة ، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أنهم لا يقلرون على شيء مما ذكر من فضل الله ، وأنهم لا ينالون ثوابه ومغفرته ، إلا بالإيمان بمحمد ، وأن إيمانهم السابق بموسى وعيسى لا ينفعهم ، ولا يكسبهم فضلاً ، إلا إذا أتبعوه بالإيمان بمحمد ، وأن الفضل والثواب بيد الله ، يؤتية من يشاء من عباده ؛ والله صاحب الفضل العظيم على الناس أجمعين ، ليس لفرد من الناس ، ولا لأمة من الخلق .

فهرس الجزء السابع والعشرين من تفسير القرآن الكريم

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٣ - ٥	من ٣١ - ٣٧	الذاريات	١
٨ - ٦ »	٤٦ - ٣٨ »	»	٢
١٣ - ٩ »	٤٧ » إلى آخر السورة	»	٣
١٨ - ١٤ »	١٦ - ١ »	الطور	١
٢٣ - ١٩ »	٢٨ - ١٧ »	»	٢
٣٠ - ٢٤ »	٢٩ » إلى آخر السورة	»	٣
٣٥ - ٣١ »	١٨ - ١ »	النجم	١
٣٨ - ٣٦ »	٢٥ - ١٩ »	»	٢
٤٣ - ٣٩ »	٣٢ - ٢٦ »	»	٣
٥٠ - ٤٤ »	٣٣ » إلى آخر السورة	»	٤
٥٧ - ٥١ »	١٧ - ١ »	القمر	١
٦٢ - ٥٨ »	٣٢ - ١٨ »	»	٢
٦٥ - ٦٣ »	٤٢ - ٣٣ »	»	٣
٦٩ - ٦٦ »	٤٣ » إلى آخر السورة	»	٤
٧٩ - ٧٠ »	٢٨ - ١ »	الرحمن	١
٨٥ - ٨٠ »	٤٥ - ٢٩ »	»	٢
٩١ - ٨٦ »	٤٦ » إلى آخر السورة	»	٣
٩٧ - ٩٢ »	٢٦ - ١ »	الواقعة	١
١٠٣ - ٩٨ »	٥٦ - ٢٧ »	»	٢
١٠٩ - ١٠٤ »	٧٤ - ٥٧ »	»	٣
١١٤ - ١١٠ »	٧٥ » إلى آخر السورة	»	٤
١٢٠ - ١١٥ »	٦ - ١ »	الحديد	١
١٢٣ - ١٢١ »	٩ - ٧ »	»	٢
١٢٩ - ١٢٤ »	١٥ - ١٠ »	»	٣
١٣٣ - ١٣٠ »	١٩ - ١٦ »	»	٤
١٣٧ - ١٣٤ »	٢١ - ٢٠ »	»	٥
١٤٠ - ١٣٨ »	٢٤ - ٢٢ »	»	٦
١٤٥ - ١٤١ »	٢٧ - ٢٥ »	»	٧
١٤٧ - ١٤٦ »	٢٨ » إلى آخر السورة	»	٨

تفسير القرآن الكريم

الجزء الثامن والعشرون

تأليف

محمود محمد حمزة محمد أحمد دبر النوق حسن علوان

عني بطبعه ونشره

خادم العام والعلماء

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة

إدارة إحياء التراث الإسلامي

بِدَوْلَةِ قَطَر

سورة المجادلة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٢٢ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ① الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ
مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمِهْتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ
الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ② وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ
ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَ لَكُمْ تَعَطُّونَ بِهِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ③ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ④ إِنْ الَّذِينَ يُجَادُونَ

اللَّهُ وَرَسُولَهُ رَكِبُوا كَمَا كَتَبْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ
 وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ⑤ يَوْمَ يُعْتَبِرُ اللَّهُ جَمِيعًا فَبَيِّنَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
 أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑥

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قد سمع الله قول	استجاب الله دعاء .
تجادلك في زوجها	تحاورك وتراجعك الكلام في شأن زوجها .
وتشتكى إلى الله	وتظهر إلى الله ما بها من مكروه .
يسمع تحاوركما	يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما .
إن الله سميعٌ بصيرٌ	إن الله لا يخفى عليه شيء من الأصوات ، عليمٌ بأحوال جميع الناس .
الذين يظاهرون منكم	الذين يقولون لزوجاتهم : أنتن علينا كظهور
من نسائهم	أمهاتنا ، أى : محرمات علينا .
ما هن أمهاتهم	ليس نسائهم أمهات لهم في الحقيقة .
إن أمهاتهم إلا اللاتي	ليست أمهاتهم في الحقيقة إلا اللاتي ولدتهن من
وآلدتهن	بطونهن .
منكراً من القول	كلاماً فظيماً يخالف الشرع .
زوراً	كذباً وباطلاً

الألفاظ	شرحها
إن الله لعفوٌ غفورٌ يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يماسا ذلكم توعظون به متتابعين	إن الله كثير العفو والمغفرة لمن ارتكب إثم الظهار . يرجعون عن قولهم ، ويرغبون في الاستمتاع بزوجاتهم . فعليه أن يمنح عبداً حرته . من قبل أن يستمتع كل منهما بالآخر . الحكم بالكفارة . تُزجرون بهذه الكفارة ، لارتكابكم هذا المنكر . لا يفصل يومٌ عن يوم ، ولا شهرٌ عن شهر بفطر . لتصدقوا بما جاء به الرسول ، وتعملوا بما أمركم به الله ، وتتركوا ما كنتم عليه في الجاهلية . شرائعه وأحكامه التي لا يجوزُ تعديها . وللجاهدين المتعدين حدودَ الله عذابٌ مؤلمٌ . يعادون اللهَ ورسوله ، فيتخذون لهم شرائع غير الشرائع التي أنزلها الله على رسوله . أذلوا وأخزوا . حججاً وأدلة واضحة من القرآن . بينهم ويخزيهم . يحييهم بعد الموت ، ليحاسبهم على أعمالهم في الدنيا . فيخبرهم .
لتؤمنوا بالله ورسوله حدودُ الله وللكافرين عذابٌ أليم يحادون اللهَ ورسوله كُتبتوا آيات بينات مهنٌ ييعنهم فينبئهم	

قصة هذه الآيات

كانت خولةُ بنتُ ثعلبةَ الأنصاريةَ، زوجةَ لأوس بن الصامت، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وكان أوسٌ رجلاً سريعَ الغضبِ ؛ وقد طلبَ من زوجته أمراً فلم تجبهُ إليه ، فغضب منها ، وقال لها : أنت على كظهر أمي . وكان من عادة أهل الجاهلية ، أن الرجل إذا قال لامرأته هذا الكلام ، طلقت منه ، وحرمت عليه ؛ وسمى هذا الكلام ظهاراً ، فحزنت المرأةُ ، وندمَ زوجها على ما حصلَ ، وقال لها : ما أراك إلا قد حرمت عليّ ؛ وكان هذا أول ظهار حدثَ في عهد النبي ، ولا يعرف الناسُ حكمَ الإسلام فيه .

فذهبت المرأةُ ، وقصت على رسول الله ما حصلَ من زوجها ، لعله يفتيها بشيء ، ويجمعُ بينهما ، وتعودُ حلالاً إليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أمرنا في شأنك بشيء » : أي لم ينزل على الوحي في أمرك هذا بشيء ، فقالت المرأةُ : أشكو إلى الله حالي وفقري ، وأنه زوجي وابن عمي ، ولى منه صبية صغار ، إن ضممتهم إلى جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا ، تزوجني وأنا شابة ذات مال وأهل ، فلما ذهب شبابي ، وأنفق مالي ، وتفرق أهلي - ظاهر مني وتركتني ، فاستجاب الله دعاء هذه المرأة ، وأنزل في أمرها هذه الآيات الكريمة ، وحرّم على الرجال الظهار ، ولم يجعله طلاقاً ، كما كان متبعاً في الجاهلية .

مجل المعنى

١ - قد استجاب الله دعاء المرأة التي جاءت إليك يا محمد لتستفتيك في أمر زواجها ، وتراجعك الكلام في شأنه ، والله يسمع الحديث الذي حصل بينكما ، لأنه سبحانه وتعالى يسمع كل من يناديه ، ويُنصف كل من يتضرع إليه .

٢ - والله - سبحانه وتعالى - قد استنكر الظهار من الرجال في الإسلام ، وحرمه عليهم ، وزجر المظاهرين من نساءهم ، لأنهم يشبهون الزوجات بالأمهات ، والزوجة لا تكون أمًا ، لأن الأم محرمة على ابنها ، والزوجة حلال لزوجها ، وأم الرجل هي التي ولدته ، وزوجته لم تلده ، فكيف تكون زوجته كأمه ؟ ! وهؤلاء الذين يظاهرون من نساءهم ، ويجعلون زوجاتهم كأمهاتهم - يقولون كلاماً منكراً يخالف الشرع ، وكذباً باطلاً في الحقيقة ، والله يعفو عن المذنبين ، ويغفر لهم إذا كفروا عن خطاياهم ، ولم يعودوا إلى ذنوبهم .

٣ - ٤ - وقد أوجب الله على المظاهرين إذا أرادوا أن يعودوا إلى زوجاتهم ، ويتداركوا ما سبق إليه لسانهم - أن يكفروا قبل الاستمتاع بهن ؛ وكفارة الظهار على ثلاثة أنواع ، وهي مرتبة ، فلا يجوز أن ينتقل المظاهر إلى النوع الثاني حتى يعجز عن الأول ، ولا ينتقل إلى النوع الثالث حتى يعجز عن الثاني :

الأول : تحرير رقية ، أي عتق عبد من الرق وجعله حراً ، سواء أكانت هذه الرقية ذكراً أم أنثى .

والثانى : صيام شهرين متتابعين : أى متوالية أيامهما بالصوم : فلا يُفصل
بالفطر يومٌ عن يوم ، أو شهرٌ عن شهر .

والثالث : إطعامُ ستين مسكيناً مرة واحدة ، طعاماً من غالب قوت البلد .
هذا حكمُ الله فى الظهار بيّنه لكم ، لتؤمنوا بما شرّعه الله لرسوله ، فتصدقوه
وتعملوا به ، وهذه حدود الله وشرائعه ، يجب أن تتبعوها ، وللكافرين
الذين يخحدون شرائعَ الله ويخالفونها عذابٌ أليمٌ .

٥ - ٦ - والذين يعادون اللهَ ورسوله ، مع ما أنزلَ على الرسول من الحجج
الدالة على صدقه ، وصحة ما جاء به ، فيخالفون شرائعهُ - لهم الذل والهلاك فى
الدنيا ، كما أذل الله من سبقوهم من كفار الأمم السالفة وأهلكهم ، وهم
فى الآخرة عذابٌ مهينٌ يومَ يبعثهم الله من الموت ، فيحاسبهم فى الآخرة
على أعمالهم فى الدنيا ، التى يعددها عليهم واحدة واحدة على رؤوس الأشهاد ،
تشهيراً بهم ، وتوبيخاً لهم ، لا يترك منها كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها الله عليهم ،
وإن كانوا قد نسوها ، والله على كل شىء شهيدٌ ، يسعُ علمه كل ما فى
السموات وما فى الأرض .

من الآية السابعة إلى الآية العاشرة من سورة المجادلة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا
خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ
أَيُّ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ الْغَوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَبَّجُونَ
بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
يُصَلُّونَهَا فَيَنسُ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْغَوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَلِيَبْضَاغَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
<p>ألم ترَ أن الله يعلمُ ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا أدنى من ذلك أينما كانوا ينبئهم بما عملوا يوم القيامة نهوا عن النجوى ويتناجون بالإثم والعدوان ويقولون في أنفسهم لو لا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصيرُ تناجيتم بالبرِّ والتقوى تحشرون</p>	<p>ألم تعلم أن الله يحيطُ علمه بكل شيء ؟ لا يحصلُ سرٌّ بين ثلاثة إلا علمه الله ، كأنه رابعٌ معهم . ولا أقل من هذا العدد في أى مكان كانوا يخبرهم يوم القيامة بالذى عملوه في الدنيا ، إظهاراً لقبائحهم طلب منهم أن يكفوا عن المسارعة التى تؤذى المؤمنين . يتسارعون بالذنب والظلم والجور يقولون فيما بينهم إن كان محمدٌ نبياً كما يزعم ، فلماذا لا يعذبنا الله بدعائنا عليه . تكفيم جهنم يدخلونها ويقاسون عذابها فبئس المرجعُ والمآلُ : جهنم ! تحدثتم حديثاً سراً فيما بينكم بالخير والخوف من الله تجمعون أمامه يوم القيامة ليحاسبكم على أعمالكم .</p>

الألفاظ	شرحها
إنما النجوى من الشيطان ليحزنَ الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً	المسارّة التي تكون في الإثم والعدوان من عمل الشيطان. ليؤدّي هذا إلى حزن المؤمنين ، لتوهمهم أن المسارّة بسبب نكبة أصابهم ولا يضر المؤمنين أن يتحدث المنافقون عنهم في السرّ.

قصة هذه الآيات

كان قومٌ من اليهود والمنافقين يجتمعون ويتحدثون في السر بما يؤذي المؤمنين ، ويوصى بعضهم بعضاً بمعصية الرسول ومخالفته .

وكان المؤمنون إذا مروا بهم يتغامزون بأعينهم ، وتتحرك ألسنتهم وشفاهم بكلام خافت لا يفهمه المؤمنون ، فيحسبون أنهم يتحدثون عن أبنائهم وإخوانهم وأقربائهم الذين خرجوا للجهاد والقتال في سبيل الله ، ويظنون أن اليهود والمنافقين بلغهم عنهم أنهم قتلوا أو هزموا ، فيحزنون لذلك أشد الحزن .

فلما طال ذلك ، واستمر هذا الحال من اليهود والمنافقين ، شكوا المؤمنون أمرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر النبي هؤلاء المنافقين واليهود أن يكفوا عن المناجاة بشأن المسلمين ، أى يتركوا الحديث الذى يتحدثون فيه سرّاً فيما بينهم ولا يسمعه المؤمنون ، حتى لا يحزنوا ، لكن المنافقين واليهود لم ينتهوا ، واستمروا فيما يغيظ المؤمنين ويحزنهم من أمر هذه المناجاة .

لم يقتصر المنافقون واليهود على هذا الكيد للمسلمين ، لكنهم كانوا يجيئون إلى النبي فيقولون له : السّامُ عليك يا محمد : ومعنى السام : الموت ، فكأنهم بدلا من أن يحيوا النبي بكلمة طيبة ، يدعون عليه بالموت ، وهم يوهمون الناس أنهم

يقولون : السلامُ عليك يا محمدُ ، وللنبي صلى الله عليه وسلم يسمعُ حقيقة ما يقولون ، فيرد عليهم بقوله : « عليكم » .
وفي ذات مرة سمعتهمُ السيدةُ عائشةُ وهم يقولون للنبي : السامُ عليك يا محمدُ ، فغضبت وقالت : بلُ عليكم السامُ واللعنةُ ، فلم يرضَ النبي أن تستعملَ ألفاظاً مثل ألفاظهم ، وأراد لها أن يعتاد لسانها أدبَ الخطاب ، حتى مع الأعداء والسفهاء ، فقال لها : « مهلاً يا عائشة ، إن الله يكرهُ فاحشَ الكلام ، بل قولي لهم مثل ما قلتُ : عليكم ، واسكتي » ؛ نعم ما أدب اللهُ به نبيهُ عليه الصلاة والسلام ! وفي هذه القصة نزلت الآياتُ الكريمةُ السابقةُ .

مجمل المعنى

٧ - ألم تعلمُ يا محمدُ أن اللهَ مطلعٌ على كل شيء في السموات وفي الأرض ، ما ظهرَ منه وما بطنَ ؟ وأنه يعلمُ السر الذي يقعُ بين أي عدد من الناس ، فيعلمُ السر الذي يقعُ بين ثلاثة أشخاص ، كأنه رابعٌ بينهم ، وبين خمسة أشخاص . كأنه سادسٌ معهم ، ويعلمُ السر الذي يقعُ بين عددٍ أقل من ذلك أو أكثر ، في أي مكان كان هذا السر : في داخل بناء أو في خلاء ، بعيداً عن أعين الناس أو تحت أعينهم ؟ وسيخبر اللهُ هؤلاء الناسَ يومَ القيامة بما عملوا في الدنيا ، لأنه بكل شيء عليمٌ .

٨ - ألم تعلمُ يا محمدُ حالَ أولئك اليهود والمنافقين ، الذين طلبت منهم أن يتركو المناجاةَ وإسرارَ الحديث في أذى المؤمنين ، ومعصية الرسول ، فكانوا يعودون إلى ارتكاب ما نهيتهم عنه ؟ وإذا جاءوك حيوك بسفاهة ودُعاء عليك ؛ واللهُ سبحانه وتعالى يدعوك بخير دُعاء ، فيقول لك : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ، ويحييك بأطيب تحية فيقول : « وسلامٌ على عباده الذين اصطفى » ؛ وكانوا

يقولون : ماله إن كان نبياً لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فيه ؟ !
يكفيهم عذاب جهنم الذي ينتظرهم ، وجهنم بثس المآل والمصير !

٩-١٠ - وقد نهى الله المؤمنين أن يفعلوا مثل ما فعله اليهود ، فقال لهم : إذا
تناجيتم وتساررتنم ، فلا تتناجوا بالشر والمعصية ، ولكن تناجوا في أفعال الخير
والطاعة والخوف من عذاب الله ، الذي يحاسب الناس يوم القيامة على أعمالهم ، لأن
المناجاة في الشر والعدوان ومعصية الرسول ، من وساوس الشيطان ، ليحزن بها
المؤمنين ؛ وإذا كان يُقصدُ بها ضررُ المؤمنين ، فإن المؤمنين لا يضرهم شيءٌ
إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته ؛ والمؤمنون يجب أن يتوكلوا على الله في جميع
أمرهم ، ولا يخشوا من إنسان ضرراً ، ولا يترقبوا منه نفعاً إلا بإذن الله .

(٣)

من الآية ١١ إلى الآية ١٣ من سورة المجادلة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ
وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمْ
الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ
تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
نَجْوَىكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ يُخَيِّرُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ *

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ	توسَّعوا فِي الْمَجَالِسِ ، ولا يضايق بعضكم بعضاً فيها . فليوسع كلُّ منكم لغيره ، يوسع الله لكم في رحمته ، ومنازل جنته .

الألفاظ	شرحها
انشزوا	انهضوا لتوسعوا للمقبلين عليكم .
يرفع الله الذين آمنوا	{ فإن نهضوا ويرفعهم الله بالنصر وحسن الذكر في الدنيا ، ويؤوهم في غرف الجنات في الآخرة .
والذين أتوا العلم درجات	{ ويختص العلماء لعلو شأنهم بدرجات فوق درجات المؤمنين .
إذا ناجيتُ الرسولَ	إذا أسررتُم إليه حديثاً .
{ فقدموا بين يديّ	فتصدقوا قبل مناجاة الرسول .
نجواكم صدقة	تقدم الصدقة قبل المناجاة .
ذلك	أزكى لنفوسكم .
وأطهرُ	{ أخفتم ذهابَ المال في الصدقة ، وبخلتُم أن تقدموه قبل مناجاتكم ؟
أأشفقتُم أن تقدموا	{ فإذا لم تقدموا الصدقة قبل المناجاة عجزاً منكم ، أو بخلاً بما لكم .
بين يديّ نجواكم	{ خففَ الله عليكم ، وأزال عنكم المؤاخدة ببرككم تقديم الصدقة قبل المناجاة
فإذا لم تفعلوا	
وتابَ اللهُ عليكم	

الصفة

الصفة من البنيان : شبه البهو الواسع ، الطويل السمك ، وتطلق الصفة أيضاً على موضع مظلل في مسجد المدينة ، كان يأوي إليه فقراء المهاجرين ، ممن لم يكن له منزل يسكنه .

مجمل المعنى

١١ - كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس في الصُفَّة يوم الجمعة، فتضيقُ بالجالسين ، لأن كل قادم إلى المسجد كان يريد أن يأخذ مكانهُ بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكان عليه الصلاة والسلامُ يكرمُ أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء أناسٌ من أهل بدر فيهم ثابتُ بن قيس ، وكان في أذنيه وقر (ثقل في السمع) ، وقد سُبِّقوا إلى المحل القريب من النبي ، فقاموا حيال النبي على أرجلهم ، ينتظرون أن يوسَّع لهم ، فلم يفسحْ لهم أحدٌ ؛ فشق ذلك على النبي ، وقال لمن حوله من غير أهل بدر : قم يا فلانُ ، وأنت يا فلانُ ، بعدد القائمين من أهل بدر ، فشق ذلك على من أقيمَ ، وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهيةَ في وجوههم ، وغمزَ المنافقون ، وقالوا : ما أنصِف هؤلاء ، وقد أحبُّوا القربَ من نبيهم ، فسبقوا إلى المكان ، فأنزل الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِذَا قِيلَ لَكُمْ : تَفْسَحُوا . . . »

وفي هذه الآيات أمرَ الله تعالى المؤمنين بما يكون سبباً للمودة والتآلف ، وسبيلاً إلى التراحم والتعاطف ، فحثهم على ألا يتزاحموا في المجالس ، وأن يوسع بعضهم لبعض ، وإذا طلبَ منهم أن ينهضوا من مجالسهم ، ويتركوها لمن هم أحق بالراحة أو الإكرام منهم : لتقدمهم في السن ، أولرُسوخهم في علم أو دين ، فليمثلوا بلا ملل أو ضجر ، فيوسَّع اللهُ لهم في رحمته وفضله ؛ وإن المؤمنين الذين يتحلَّون بمثل هذه الآداب ، يرفعُ اللهُ شأنهم في الدنيا بالنصر وحسن الذكر ، وينزلهم في الآخرةَ غرَفَ جنات النعيم ، ويختص العلماء منهم بدرجات فوق درجات المؤمنين ؛ وتشيرُ هذه الآيةُ إلى أمور ثلاثة يجدرُ بنا تبيانها :

الأول : أن كل من وسع على الناس أبواب الخير والراحة ، وآثر بالإكرام والاستقرار من

هم أحق بذلك ، لسنهم أو فضلهم ، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة .

والثاني : التنويهُ بشأن العلماء ، وتفضيل الله المؤمنَ العالمَ على المؤمن الجاهل :
« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والثالث : أن الرفعةَ عند الله إنما تكون بالعلم والتقوى ، لا بالمال والجاه ، والسبق إلى تصدُر المجالس ؛ وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأغنياء يقبضُ ثوبهُ نفوراً من رجل فقير ، أرادَ أن يجلسَ بجواره ، فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم على الغنى ذلك وقال :
« يا فلانُ ، خشيتُ أن يتعدى غناكَ إليهِ ، أو فقره إليك ؟ » .

١٢ - وكان بعضُ المسلمين قد أكثرُوا من الانفراد برسول الله صلى الله عليه وسلم ومناجاته ، والإسرار إليه بالحديث ، وكان منهم من لا يقصدون بتلك المناجاة مجردَ تلقى الإرشاد من النبي ، وإنما كان قصدُهم منها أن يُظهروا أن لهم منزلة عند النبي ، وأن يوقعوا في رُوع غيرهم من المؤمنين ، أنه صلى الله عليه وسلم يختصهم بالإيثار والتقريب ، ويجعلهم دُونَ غيرهم موضعَ سره ومناجاته . ثقةً بهم ، وإكباراً لشأنهم ، كما نرى من تقرب بعض الناس في هذا الزمان من ذوى الجاه والسلطان . لغرض الدنيا وابتغاء الظهور ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم سمحاً لا يرد من يريدونَ مناجاته . والإسرار إليه بما شاءوا من حديث ، حتى شقُّوا عليه ، فأراد الله أن يخففَ عنه مشقةَ المناجاة ، ففرضَ على كل من يريدُ مناجاة النبي أن يتصدقَ قبلَ نجواه ، فكفَّ كثيرٌ من الناس عما كانوا قد تعودُوا من مناجاته ، خوفاً على المال أن يذهبَ في الصدقة . أو عجزاً عن الحصول على ما يتصدقون به .

وتقديم الصدقة خيراً لكم أيها المؤمنون وأطهرُ ، لأنكم إذا كنتم

تريدون أن تستأثروا بالإفضاء إلى النبي بأسراركم ، وتحرموا غيركم من المؤمنين ،
فعلیکم أن تصدقوا جزاء ما تحملون نبيکم من مشقة ، وما تفوتون على غيرکم
من فرصة الاستفادة من التحدث إليه ، وهذه الصدقة قبل المناجاة لن تضيع
عليکم ، بل ستألون بها ثواب الله ، وتطهرون بها نفوسکم مما يكون قد شابها
من قصد التظاهر بمناجاة النبي ، أو بما ارتکبتم من عناء المشقة على النبي بکثرة
مناجاتکم له ، وإذا كان فيکم فقراء يريدون مناجاة النبي ، وعجزوا عن
تقديم ما فرض عليهم من الصدقة ، فإن الله لا يؤأخذهم على المناجاة بغير
صدقة ، ويفرهم عدم القيام بها ، ويشملهم برحمته ورضوانه .

١٢ - ولما نزلت هذه الآية ، وصار مفروضاً على كل من أراد مناجاة النبي
أن يقدم صدقة ، ظهرت مشقة ذلك على الناس ، لأنهم يحبون مناجاة
النبي ، والإفضاء إليه بذات نفوسهم ، ولكنهم أشفقوا وخافوا أن يذهب ما لهم
في الصدقات ، أو يعجزوا عن تقديم ما به يتصدقون ، فخفف الله عن
عباده ، ورخص لهم في المناجاة مع ترك الصدقة ، وعفا عن من لم يتصدق قبل
النجوى ، اكتفاء بما فرض الله على الناس من الصلاة والزكاة ، وبما أوجب
عليهم من طاعة الله ، باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وطاعة رسوله ،
بالاقتداء بسنته والأخذ بشريعته .

(٤)

من الآية ١٤ من سورة المجادلة ، إلى آخر السورة

الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى الَّذِينَ

تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَجْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٥
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٦
لَنْ تَغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٧ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٨ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ
الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ١٩ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ٢٠
كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢١ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ
أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمُ

بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَكَلِّمُهُمُ الْجَنَّةُ تَجْرِى مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الذين تولّوا قوماً غضبَ الله عليهم	هم المنافقون الذين تولّوا اليهودَ ، واتخذوهم أولياءَ وأصدقاءَ مع غضب الله عليهم .
ما هم منكم ولا منهم	ليس المنافقون منكم أيها المسلمون ، وليسوا من اليهود ، ولكنهم مذنبون ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .
على الكذب	على ادعائهم الإسلام ، مع أنهم كاذبون .
وهم يعلمون	وهم يعرفون أنهم متعمدون الكذب .
سواء ما كانوا يعملون	بشئ الأعمالُ أعمالهم !
أيمانهم	جمعُ يمين ، وهو الحلف والقسم .
جنته	وقاية وستاراً .
فصدوا عن سبيل الله	فمنعوا الناسَ عن الإسلام بالشيطان .
ويحسبون أنهم على شيء	ويظنون أن حلفهم على الكذب ينجمهم من العذاب .
استحوذَ عليهم الشيطانُ	استولى الشيطان عليهم وغلب ، وتملك نفوسهم ، وأحاط بهم
حزبُ الشيطان	جماعته وجنده .

الألفاظ	شرحها
محادون الله في الأذنين كتب الله يوادون كتب في قلوبهم الإيمان أبداهم بروح	يعادون الله ويخالفونه . في زمرة من هم أذل خلق الله . قضى . يجبون . أثبتته ومكّنه في قلوبهم . قواهم . بإيمان وهدى ونور ألقاه الله في قلوبهم .

مجمل المعنى

١٤-١٥- كان المنافقون يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ينقلون حديثه وأخبار المسلمين إلى اليهود؛ وكان رأسُ المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وعبد الله بن نبتل؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً بين أصحابه يوماً، إذ قال لهم: « يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ، وينظرُ بعيني شيطان » ، فدخل عبد الله بن نبتل - وكان أزرقَ أسمرَ، قصيراً خفيف اللحية - فقال عليه الصلاة والسلام: « علامَ تشتمني أنت وأصحابك ؟ ! فحلفَ بالله ما فعلَ ذلك؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « فعلت » . فانطلقَ فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما سبوه ، فنزل قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين تَوَلَّوْا ... » إلى آخر الآية .

وقد بيّنَ اللهُ للنبي في هذه الآية حالَ المنافقين وموقفهم منه ، بمولاتهم لليهود ومصادقهم لهم ، ورفعَ أحاديثه وأخبار المسلمين إليهم ، وأنهم بهذا

النفاق ليسوا من المسلمين وليسوا من اليهود، ولكنهم مذبدبون بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؛ فإذا كشف النبي أمرهم، وأظهر للمؤمنين حقيقتهم، حلفوا أنهم مسلمون، وأنهم ما سبوا النبي عند اليهود، مع أن ادعاءهم الإسلام، وادعاءهم عدم سب النبي الذي حلفوا عليه، كذب محض، وهم يعلمون أنه كذب ويتعمدونه؛ وقد أعد الله لهم عذاباً شديداً يوم القيامة على كذبهم ونفاقهم، لأنهم يقومون بأخس الأعمال، ويتصفون بأقبح الصفات، وبش ما يعملون! ١٦ - وقد اتخذوا من أيمانهم التي يحلفونها جنة لهم، وستاراً يستر نفاقهم، ووقاية تقيهم إضرار المسلمين بهم، فصعدوا ضعفاء النفوس عن الإسلام، ونبتطوا من بقوا منهم على إسلامهم، وخوفهم الجهاد، وأقعدوهم عنه بالتوهمين من أمر النبي وقوة أصحابه؛ وجزأوهم على ذلك عذاب شنيع، فيقتلون في الدنيا شر قتلة، ويلقون في الآخرة في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

١٧ - ١٨ - وكان المنافقون إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إن محمداً يزعم أنه سينتصر يوم القيامة، لقد شقينا إذان؛ لئن كانت قيامة - كما يزعم - لننصرن فيها بأموالنا وأولادنا وأنفسنا؛ فنفى الله هذا الزعم الفاسد، وهددهم بأن ما يعترضون به من أموال وأولاد يقاومون بها النبي في الدنيا، لن تقر بهم إلى الله في الآخرة، ولن تمنع عنهم شيئاً من عذاب يوم القيامة، ولكنهم سيكونون حطب جهنم، يقاسون فيها دائماً عذاب الهون، يوم يبعثهم الله جميعاً هم وأولادهم، ويساقون إلى النار سوقاً لا ينفعهم فيها مال ولا ولد، وقد تمكن الكذب من نفوسهم، واستبد الباطل بهم. فنسوا يوم القيامة أنهم أمام الحق الذي لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ويحلفون أيضاً أمام الله أنهم مؤمنون، ويقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، كما كانوا يحلفون لكم في الدنيا أنهم مؤمنون، وهم ليسوا بمؤمنين، ولكنهم مقيمون على الكذب، قد تعودوه حتى جرى على ألسنتهم في الآخرة. كما جرى على ألسنتهم في الدنيا، ويحسبون أنهم بهذا

الحلف الباطل قد كسبوا شيئاً ، أو خدعوا أحداً ، ولكن حالهم معروفٌ ،
وخداعهم مكشوفٌ ، والكذب قد صار لهم طابعاً ، لا يفارقهم في الدنيا ولا في
الآخرة ،

١٩ - وقد غلبت الضلالةُ على هؤلاء ، واستولى الشيطانُ عليهم ، وتملك
نفوسهم ، ففعلوا عن طاعة الله وتركوا أوامره ، وشغلوا أنفسهم بالمأكل والمشرب
والملبس ، وشغلوا قلوبهم عن التفكير في نعم الله والقيام بشكره ، وشغلوا ألسنتهم
عن ذكر الله بالكذب والغيبة والبهتان ، حتى أبعدتهم تلك الحصالُ عن رضا
الله ، وصاروا جنوداً للشيطان ، باعوا الجنةَ بالنار ، وباعوا الهدى بالضلال ،
فكانوا هم الخاسرين .

٢٠ - ولما فتح الله مكةَ والطائفَ وخيبرَ وما حولها للمؤمنين ، قالوا: نرجو
أن يظهرنا الله على فارسَ والروم ، فقال عبدُ الله بن أبي رأس المنافقين :
أتظنون الرومَ وفارسَ كبعض القرى التي غلبتم عليها ، والله إنهم لأكثرُ
عدداً ، وأشدَّ بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك ؛ فنزل قوله تعالى: «إن الذين يحادونَ
اللهَ ورسوله أولئك في الأذلين ...» .

٢١ - ويؤكدُ الله تعالى في هذه الآية أن أذال الناس وأسوأهم عاقبةً ، هم
الذين يخالفون حدودَ الله ويُعاندونه ، فينصرون أعداءه ، ويوالون أهلَ
الضلال والبهتان ، وقد قضى اللهُ ولا راد لقضائه ، وحكمَ ولا معقبَ لحكمه ،
أن تنتصر كلمته ، لأن كلمةَ الله هي العليا ، وأن يتغلب رسله بالحجة البيّنة ،
والقوة القاهرة ، لينصرن الله من ينصره ، والله قوياً لا يمتنعُ عليه ما يريد ،
ينصرُ أنبياءه ، عزيزٌ متغلبٌ ، يمنعُ حزبه من أن يذل ويضعفُ .

٢٢ - لا ينبغي للمؤمنين الذين يؤمنون بالله وباليوم الآخر ، أن يصادقوا
ويخلصوا للذين يعادون الله ورسوله ، ولو كانوا أقرب الناس إليهم ، لأن عدوَّ

الله وعدُّ ورسوله، هو عدوُّ المؤمنين، ولو كانوا آباءهم الذين تجبُّ طاعتهم ،
أو أبناءهم أحب الناس إليهم ، أو إخوانهم الذين يعاضدُ ونهم ويعتزون بهم ،
أو عشيرتهم التي بها يقاتلون ويناصرون ويتغلبون ، فهذه صفات المؤمنين
الذين ثبتَّ اللهُ الإيمانَ في قلوبهم ، وقواهم بالهدى والإيمان من عنده .

وقد كان المسلمون في عهد النبي لا يعرفون قرابة لأعداء الله ورسوله ،
فقد قتلَ أبو عبيدة بنُ الجراح يوم أحدٍ أباه عبدَ الله ، ودعا أبو بكر
ابنه يوم بلر إلى المبارزة ، وقتل مصعبُ بنُ عمير أخاه يوم أحد ، وقتل
عمرُ خاله العاص بنَ هشام يوم بلر ، وسمع أبو بكر الصديق عبد الله ابن أبي
يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصكَّه أبو بكر صكَّة سقط منها ، فقال
له الرسول : « أو فعلته؟ » فقال : نعم ، قال : « لا تعدُّ » ، قال : والله لو كان السيف
قريباً مني لقتلته ؛ أولئك هم المؤمنون حقاً ، قوم ثبتَّ اللهُ الإيمانَ في قلوبهم ،
وتمكنَ في نفوسهم حب الله ورسوله ، فأعد لهم النعيمَ المقيم ، ورضى عنهم لقوة
إيمانهم ، ورضوا عنه لأنه نصرهم في الدنيا ، وأثابهم في الآخرة ، وهم حزبُ الله
وأنصارُ حقه ، وهُدَاةٌ خلقه ، الباقون في النعيم المقيم ، المفلحون الفاترون
بكل محبوب ، الآمنون من كل مرهوب ؛ رضوان الله عليهم أجمعين .

سورة الحشر

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٢٤ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْ دِينِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ②
وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابُ النَّارِ ③ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ
اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ④

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبحَ الله ما في السموات العزیزُ الحکیمُ أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعبَ فاعتبروا يا أولى الأبصار كتب الله عليهم الجللاءَ شاقوا اللهَ	<p>مَجَّدَ اللهُ وَنَزَّهَهُ عَنِ السُّوءِ كُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .</p> <p>القوى الذى دبر الأشياء بحكمة .</p> <p>المرادُ بهم : يهودُ بنى النَّضِيرِ .</p> <p>كانت في قرية تبعد ميلين عن المدينة .</p> <p>عند أول جمع ، والحشرُ : الجمعُ .</p> <p>باغتهم اللهُ بالقهر والهزيمة .</p> <p>من حيث لم يقع في حسابهم وظنَّهم .</p> <p>ألقى في قلوبهم الخوفَ .</p> <p>اتعظوا يا أصحاب العقول والألباب .</p> <p>حكّم وقضى عليهم .</p> <p>ترك الديار مع الأهل والولد .</p> <p>خالفوه . وعادوهُ .</p>

قصة يهود بنى النضير

نزلت هذه السورة تحكى ما كان بين بنى النضير من اليهود الذين كانوا يسكنون قرب المدينة على ميلين منها، وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ذلك أن النبي حينما هاجر إلى المدينة، عقد معه بنو النضير صلحا، مؤداه : أن يكونوا معه على الحياض، لا له ولا عليه ؛ فلما انتصر النبي على قريش يوم

بدر، فرحوا وقالوا: هذا هو النبي الذي قرأنا نعتَه وصفته في التوراة؛ ولما هزم المسلمون يوم أحد، ارتابوا في محمد، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، ودبروا اغتياله، وحالفوا أعداءه من قریش؛ فقد أتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أمر، فهموا باللقاء حجر ثقيل على رأسه، لولا أن عصمه الله تعالى من مكرهم. وخرج كبيرهم كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة، وحالف أبا سفيان ضدَّ محمد وأصحابه عند الكعبة، ولقد أراد الله أن يرد كيدهم إلى نحورهم، فقتل محمد بن مسلِّمة الأنصاري كعب بن الأشرف، وكان أخا قاتله من الرضاع، وذهب النبي بجيشه إليهم، وأمرهم بالهجرة عن المدينة، حتى لا يظلموا شوكة في جنب المسلمين، فأبوا أن يخرجوا، وأصرُّوا على الحرب والقتال، فحاصروهم إحدى وعشرين ليلة، وقطع بعض نخيلهم، فخارت قواهم، وملأ الخوف قلوبهم، وطلبوا الصلح. فصالحهم النبي على الهجرة، على أن يكون لكل ثلاثة منهم بغير واحد، يحملون عليه ما شاءوا من متاع وأثاث، وطعام وشراب؛ فجلوا إلى خيبر وإلى الحيرة والشام؛ وفي أمر بني النضير هذا نزلت سورة الحشر.

مجمَل المعنى

١ - كل ما في السموات والأرض من جماد ونبات وحيوان، يمجِّدُ الله القوي المدبرَ للمكوته بحكمة، ويُترِّفه عن السوء.

٢ - والله هو الذي أجلى الكفارَ من يهود بني النضير عن ديارهم، عند أول اجتماع عقده محمدٌ لقتالهم وحروبهم، وكان المسلمون لما عرفوا من شدة بأس اليهود ومنعتهم، ووثاقة حصونهم، وكثرة عددهم وعدتهم، لا يظنون أنهم سيخرجون من ديارهم ويتركونها لهم. وكان اليهودُ لقوتهم ومناعة حصونهم، لا يظنون أن محمداً قادراً على إخراجهم.

لكن قوة الله لا يغلبها غالبٌ . ففجعهم بقتل زعيمهم كعب بن الأشرف ، وكان لا يدخلُ في حسابهم وظنهم أن يبدأ تستطيعُ أن تمتدَّ إليه فتصرَّعه ، وأحاطت بهم جنود محمد وحاصرتهم ، وقطعت نخيلهم ، فحلَّ الجزع بهم ، ووقع الملحُ في نفوسهم ، وملاً الفرعُ قلوبهم ، وطاشت عقولهم .

فأخذوا يخربون بيوتهم من الداخل ومن الخارج ، فعملت أيديهم داخل الحصون في هدم البيوت وإفسادها ، حتى لاتقع سليمة في أيدي المسلمين ، وحتى يأخذوا معهم ما تستقل به الإبلُ ، من كل ما غلائمتهُ ، وخفَّ حملة ، من أثاث ومتاع وخشب وساريات ؛ وعملت أيدي المسلمين في دك حصونهم من الخارج لينفذوا إليهم ؛ فعلى ذوى العقول أن يتعظوا بحال بني النضير ، فلا يقدروا ولا يعتمدوا على قوة غير قوة الله ؛ ومعنى تخريب اليهود لبيوتهم بأيدي المؤمنين : أنهم هم بنقضهم عهد النبي ، حملوا المؤمنين على محاصرتهم وهدم حصونهم ، فكأنهم اضطروا المؤمنين إلى هذا التخريب .

٣ - ٤ - ولولا قضاءُ الله عليهم بترك ديارهم على هذا الوجه الدال على حقارتهم ، لعذبهم في الدنيا بالقتل ، كما عذب كفارَ قريش يوم بدر ؛ وهم إن نجوا من عذاب الدنيا ، فلا نجاة لهم من عذاب الآخرة ؛ وليس عجيباً أن يحقَّ بهم هذا البلاءُ ، فإنهم خالفوا الله وعادوا رسوله ، فاستحقوا هذا العقابَ العاجلَ ، والطرْدَ الشنيع .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية الثامنة من سورة الحشر

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ أَوْ نَكَتُمْوهَا
قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْحِزِّيَ الْفَاسِقِينَ ٥ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ
عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كُنَّ
اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦ ۝ مَا آفَاءَ
اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَاللِّرْسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَمَا لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ
وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧ ۝ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يُبْتَغُونَ فِضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ
اللَّهُ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٨

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
نخلة . سيقانها . قطعها وتركها بإذن من الله . } أذن الله في قطع نخل بني النضير ليستذلهم ويغيبهم ، لأنهم خرجوا عن طاعته . } ما ردَّ الله على رسوله ، وصيَّره له من أموال بني النضير ، ليس للأغنياء حقُّ فيه . } فما ركبتُم خيلاً وركضتموها في الحرب ، واغتنمتم منها هذا المال ، أى : لم تحصلوا عليها بمشقة الحرب . إيل . المسافر المنقطع عن ماله . } كى لا يكون مالُ النىءِ دائراً ومتداولاً بين الأغنياء ، لأنه من حق الفقراء . وما أمركم به الرسولُ فاتبعوه . فاجتنبوه . يطلبون رزقاً في الدنيا ، ورضا الله في الآخرة . أولئك هم الكاملون في صدق دَعواهم الإيمان .	لبينة أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتُم عليه من خيل ركاب واين السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء وما آتاكم الرسول فخذوه فانتهاوا يتخون فضلاً من الله ورضوانا أولئك هم الصادقون

بجمل المعنى

هـ - لما نزلَ النبي على حصون بني النضير ، بعد أن نقضوا العهدَ الذى كانوا أبرمواهُ معه ، وتحالفوا هم وقريش عليه ، حاصروهم وأمر بقطع بعض نخيلهم ، فشق ذلك عليهم ، وقالوا : يا محمد ، ألسنت تزعم أنك نبي تريدُ الإصلاحَ ؟ ! أفنَّ الإصلاحَ قطعُ النخل وحرقُ الشجر ؟ ! فلم يلتفت إليهم محمد ، لأنه لا يفعلُ شيئاً إلا بإذن الله . ثم أمرَ النبي بالكف عن قطع النخيل ، ونزلت الآية مصدقة بأن قطعَ ما قطعَ من النخيل ، وترك ما تركَ منه ، كان بإذن من الله ، نكاية باليهود ، ووهناً لهم ، حتى يخرجوا من ديارهم ، ويتركوها للمسلمين .

بيان عن النية والغنيمة

النية : هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار عفواً بلا حرب ولا جهاد : إما بأن يجلبوا عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين ، أو يصالحوها على جزية يؤدونها عن رءوسهم ، أو مال يفتدون به أنفسهم من سفك دماهم .

والغنيمةُ : هى المال الذى حصل للمسلمين من أموال الكفار بالحرب والجهاد . وقسمةُ أموال النية غيرُ قسمة أموال الغنيمة :

ا - أما أموالُ النية فليسَ لأحد من المقاتلين باعتبارهم مقاتلين حق فيها ، لأنهم لم يتحملوا مشقة فى الحصول عليها ، ولم يسرعوا على ظهور الخيل والإبل لاستخلاصها من أيدي الكفار بالحرب والقتال ، ولكنها أموالٌ خالصةٌ للرسول ، يضعها حيث يشاءُ .

ب - وأما الغنائمُ فقد جعل الله أربعة أخماسها من حق المقاتلين : للفرس ثلاثة أسهم ، وللراجل سهمٌ واحدٌ ؛ وخمسها يأخذه الرسولُ وذوو قرباه ، واليتامى والمساكينُ وأبناءُ السبيل .

٦ - ولما جلا بنو النضير عن أوطانهم، وتركوا الأموال والإبل والنخيل، طلب المسلمون من النبي أن يقسمها عليهم، كما قسم غنائم بدر، ويعطى المقاتلين أربعة أثمانها، ويجعل الخمس الباقي للرسول وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فبيّن الله أن هذه الأموال لم تؤخذ بغلبة أو قتال، ولم تُركب لها ظهور الإبل والحيل، حتى تكون كأموال الغنائم، ولكن الله سلط نبيه على هؤلاء القوم، فتركوا إليه حصونهم وأموالهم، فأصبحت خالصة له من دون المؤمنين، ولكن النبي آثر بها المهاجرين، وثلاثة من الأنصار كانوا فقراء .

٧ - وقد بيّن الله لنبيه ما يصنع بأموال النىء، فأمره أن ينفقها كلها على الخمسة المذكورين، لأنها من حق الفقراء يعيشون بها، ولا ينبغي أن يعطى منها الأغنياء شيئاً يتدأولونه بينهم، ويتكاثرون به، كما كان الرؤساء فى الجاهلية يستأثرون بالغنائم، لأنهم أهل الرياسة والغلبة .

وقد نبه الله المسلمين ألا يطلبوا من النبي شيئاً، ولكن عليهم أن يتبعوا ما يأمرهم به، ويحذروا ما ينهاهم عنه؛ وعليهم أن يتقوا الله فى أوامره ونواهيه فلا يضيعوها، لأن الله شديد العقاب لمن خالف ما أمر به، وارتكب ما نهى عنه .

٨ - ثم بيّن الله المقصود من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فذكر أنهم فقراء المهاجرين الذين أخرجتهم قريش من ديارهم بمكة، وفروا بدينهم وإيمانهم إلى المدينة، يرجون أن يمن الله عليهم بنعمه فى الدنيا، وأن يرضى عنهم فى الآخرة. وجاهدوا فى سبيل الله. ونصروا رسوله بأنفسهم وأموالهم، وصدّقوا فى إيمانهم .

(٣)

من الآية التاسعة إلى الآية العاشرة من سورة الحشر

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقِ شَخِ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١٠

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم حاجة مما أوتوا	هم الأنصارُ الذين استوطنوا المدينة . وصدقوا الإيمانَ وأخلصوه . من قبل أن يهاجر المسلمون من مكة إليهم . حسداً . مما أعطى النبي المهاجرين من أموال النوى .

الألفاظ	شرحها
ويؤثرون على أنفسهم خصاصةً ومن يوق شح نفسه والذين جاءوا من بعدهم غِيلاً	ويفضلون المهاجرين على أنفسهم . احتياجٌ وفقرٌ شديدٌ . ومن يحفظ الله نفسه من البخل والحرص الشديد . هم التابعون الذين جاءوا بعد موت النبي ، ثم الذين يلونهم إلى يوم القيامة . حقداً وحسداً .

بجمل المعنى

٩ - يثني الله على الأنصار الذين استوطنوا المدينة ، وآمنوا بالله ورسوله قبل أن يهاجر المسلمون من مكة إليهم ، فراراً بدينهم من كفار قريش ، تاركين أموالهم وديارهم ، فاستقبلوهم بالترحاب ، وأحبوهم وأسكنوهم معهم في منازلهم ، وقاسموهم أموالهم ، وبالغوا في إكرامهم ، حتى كان الرجل الذي عنده امرأتان من الأنصار ينزل عن إحداهما ، ليتزوجها واحد من المهاجرين ؛ ومن مظاهر الإيثار أن رجلاً من المهاجرين أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له : قد أصابني الجهد يا رسول الله ، فأرسل النبي إلى نسائه ، فلم يجد عندهن طعاماً . فقال : ألا رجل يضيف هذا الرجل الليلة ؟ فقام رجل من الأنصار وقال : أنا يا رسول الله ، فذهب إلى زوجته وقال لها : أكرمي ضيف رسول الله ؛ فقالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية ؛ فقال : نوميهم ونطوي الليلة ، ففعلت ، وقدمت الطعام وهو لا يكتفي إلا واحداً ، فأطقت السراج ، وجعل صاحب الدار يمد يده إلى الطعام في الظلام متظاهراً بأنه يأكل ، وهو

لا يأكلُ، حتى يوفّرَ الطعامَ لضيّفه ؛ ولا حصلَ النبيّ على أموالِ بني النضيرِ
قسمها بين المهاجرين ، ولم يعطِ الأنصارَ منها شيئاً ، إلا ثلاثة كانوا فقراء
محتاجين ، فلم يحسد الأنصارُ المهاجرين على ما اختصهم به النبيّ من الأموال
دونهم ، بل كان الأنصارُ يفضلون المهاجرين على أنفسهم ، ويؤثرونهم
بالخيرات ؛ روى أنه لما غمّ عليه الصلاةُ والسلامُ أموالُ بني النضيرِ ، دعا
الأنصارَ وشكرهم على ما صنعوا من إنزال المهاجرين في منازلهم ، ومشاركتهم لهم في
أموالهم ، وقال لهم : إن أحببتم قسمتُ ما أفاء الله علىّ من بني النضيرِ بينكم وبينهم ،
وبقوا على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم ، ومقاسمة أموالكم ، وإن أحببتم
أعطيتهم الأموالَ وخرجوا من منازلكم ؛ فقال سعد بنُ عبادة سيد الخزرجِ
وسعد بنُ معاذ سيد الأوس : بل تقسمُ بين المهاجرين ، ويقون في دُورنا كما
كانوا ؛ فنادى جميعُ الأنصار : رَضِينَا وَسَلَمْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فقال رسولُ الله :
اللهم ارحمُ الأنصارَ وأبناء الأنصار .

وقد بين الله أن النجاحَ والفلاحَ في الآخرة إنما يكونُ إذا تجردَ
الإنسانُ من البخلِ والحرصِ الشديدِ ، وحينئذ تصفُو عن الشرِ نفسه ،
ويخلصُ من الحقدِ والحسدِ قلبه .

١٠- وبعد أن بيّنَ الله منزلةَ الأنصارِ ، وأثنى عليهم ، وصفَ الطبقةَ
التي ستجىء بعد المسلمين السابقين الأولين من المهاجرين والأنصارِ ، وهم
طبقةُ التابعين الذين يجيئون بعد هؤلاء ، وهؤلاء ، بأنهم يجيئون من سبقوهم من
أصحاب رسول الله ، ويدعون الله أن تشملهم وإياهم مغفرته ورضوانه ،
وأن تصفو نفوسهم من شوائب الحقد والحسد ، فإنه رآه وفَّ بعبادته ، رحيمٌ بهم .

مغزى هذه الآيات

وقد تَضَمَّنَت هذه الآياتُ جملةً من الصفات التي ينبغي أن تسودَ بين المسلمين وهي :

(أ) أن تقومَ المحبةُ بينهم ، وأن يتعاونوا في البأساء والضراء ، وأن ينصرَ قويمهم ضعيفهم ، ويعطى غنيهم فقيرهم .

(ب) وألا يحسدَ أحدٌ أحداً على ما أعطاهُ اللهُ من فضله .

(ج) وأن يسارعَ الآمنون في ديارهم ، المطمئنونَ في حياتهم ، إلى نجدة المشرِّدين المطاردِين ، فيؤوؤوهم ، ويقوموا بأودِهم ، ويفضلوهم على أنفسهم بالخير ، حتى يؤمّنوهم من خوف ، ويؤنّسوهم من وحشة ، ويزيلوا من نفوسهم من قلق الاغتراب ، وذُل الاحتياج .

(د) وأن تتخلصَ النفوسُ من البخل وشدة الحرص والشح ، حتى يتجهوا نحوَ الخير ، ويسلكوا السبيل إلى الفلاح والنجاح .

(٤)

من الآية ١١ إلى الآية ١٧ من سورة الحشر

• الَّذِينَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَخُرُجِنَ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١١ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن
قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ١٢
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ١٣ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْتَصِنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ
أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ
فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ١٦ فَكَانَ
عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ١٧

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
<p>ألم تر إلى الذين نافقوا لا نطيع فيكم أحداً أبداً ليؤاتن الأدبار رهبة لا يفقهون من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى</p>	<p>ألم تعجب من المنافقين أمثال عبد الله بن أبي ، وعبد الله بن نبتل ؟ لا نطيعُ محمداً في قتالكم . لينهزمن خوفاً وخشية . لا يفهمون مقدارَ عظمة الله وقد رته من خلف حيطان يستترون بها لخوفهم وجبنهم . عداوةٌ بعضهم لبعض شديدة . تظنهم مجتمعين ذوى ألفة واتحاد . وأهواؤهم متفرقة . شأنهم كشأن كفار قريش يوم بدر ، فقد انتقم الله منهم من زمن قريب . لاقوا سوءَ عاقبة كفرهم . أغراهُ بالكفر .</p>
<p>كمثل الذين من قبلهم قريباً ذآقوا وبالَ أمرهم قال للإنسان : اكفر</p>	

مجمل المعنى

١١-١٢- هذه الآيات تحكى ما حصل بين عبد الله بن أبي وأصحابه من مناقى ائنة ، وبين بنى النضير حين حاصرهم النبي ، فقد أرسلوا إليهم من قال لهم : قاتلوا محمداً ولا تخرجوا من دياركم ، ولكم علينا أنه إذا أكرهكم

على الخروج منها أن نخرج معكم ؛ وإذا طلبَ إلينا أن ننضمَ إليه في قتالكم فلن نطيعه ؛ وإذا قاتلكم فسنقاتله معكم ، وننصركم عليه .

والله يعلم أن المنافقين كاذبون في كل ما وعدوا اليهودَ به ، فلن يخرجوا معهم إذا أخرجهم محمدٌ ، ولن ينصروهم إذا قاتلهم محمدٌ ؛ وعلى فرض أن المنافقين قاتلوا محمداً معهم ونصروهم عليه - ولن يكونَ ذلك أبداً - فإنهم جميعاً من يهودٍ ومنافقين سينقلبون على أعقابهم مهزومين غير منصُورين .

١٣ - ويعلم أن هؤلاء وهؤلاء : من المنافقين ومن يهود بني النضير الذين أضمرُوا لحمد العداوة والبغضاء ، يخافونكم أيها المؤمنون أكثر مما يخافون الله لعدم إيمانهم ، فيتوقعون عاجلَ الشر منكم في الدنيا ، ولا يتوقعون آجلَ العذاب من الله في الآخرة ، لأنهم لا يفهمون مقدار عظمة الله وجبروته .

١٤ - ويعلم أن المنافقين واليهود مجتمعين يمثلون الضعفَ والجنَ ، فلا يجرؤون على مقاتلة المسلمين إلا في قرى حولها الحصونُ ، أو من خلف حوائط وأسوار يستترون وراءها ؛ وذلك شأنُ الجبناء الخائري العزيمة .

ولا ترى بأسهم وقوتهم إلا في معاداة بعضهم بعضاً ، ومخاصمة بعضهم بعضاً ، فلا يغرنك ما يبدو من مظاهر اجتماعهم ، فإن من يراهم وهم يجتمعون ويتآمرون ، يظن أنهم على إلف ومحبة ، وأن بينهم تعاوناً وتناصرأ ، ولكن قلوبهم متنافرة ، وأهواءهم متفرقة ؛ وإن تشتت أهوائهم ، وتفرقت قلوبهم وكفرهم ، لدليلٌ على أنهم لا يتصرفون تصرفَ العقلاء .

١٥ - ومثل يهود بني النضير في معاداتهم محمداً ، وتكليل محمد بهم ، كمثل كفار قريش الذين قاتلوا من عهد قريب محمداً يوم بدر ، فذاقوا وبالَ أمرهم ، وعجل الله لهم العقوبة ، فحلت بهم الهزيمة والقتلُ في الدنيا ، كما أعد الله لهم عذابَ النار في الآخرة .

١٦-١٧- وقد ضرب الله مثل المنافقين في إغرائهم بنى النصير بقتال النبي ،
ووعدهم إياهم بأن ينصروهم عليه ، ثم تخاذلهم عنهم ، حينما حاصرهم النبي ،
وضيق الخناق عليهم . بالشيطان الذي زين للإنسان أن يعصى الله ويكفر به ،
فلما أوقعه في الكفر والعصيان تبرأ منه ، وتظاهر بأنه يخاف الله رب العالمين ،
فكان جزاء كل من هؤلاء وهؤلاء خلوداً في جهنم . وعذاباً دائماً في النار ؛ وذلك
هو الجزاء العدل للظالمين .

(٥)

من الآية ١٨ من سورة الحشر ، إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِنَنْظُرَ نَفْسًا مَّا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ
أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ١٩ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ
الْفَائِزُونَ ٢٠ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِمَّنْ
خَشِيَ اللَّهَ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ هُوَ
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٢٢
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْغَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٤

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اتقُوا الله	أدوا فرائضه ، واجتنبوا معاصيه ، لتقوا أنفسكم عذابه .
ما قدمت لعد	ما عملت من الخير للآخرة ، وأريد بالعد الآخرة لقربها .
نسوا الله	تركوا ذكر الله عز وجل ، ولم يفعلوا ما أمرهم به .
فأنساهم أنفسهم	فأنساهم حق أنفسهم ، فلم يفعلوا لها خيراً .
الفاسقون	الخارجون عن طاعة الله .
الفائزون	المقربون المكرمون ، الناجون من النار .
خاشعاً متصدعاً	خاضعاً متشققاً .
الغيب والشهادة	السر والعلانية .
الرحمن الرحيم	{ الرحمن : عام الرحمة بجميع مخلوقاته ، وهو من أسماء الله خاصة ؛ والرحيم : كثير الرحمة بعباده المؤمنين .
القُدوس	المنزه عن القبائح .
السلام	الذي يهب للمؤمن السلامة والأمن .
المؤمن	الذي يؤمن أولياءه من الظلم والخوف والعذاب .
المهيمن	الرقيب على كل شيء ، الحافظ له .
العزیز	الغالب الذي لا يُغلب ولا ينال .
الجبار	{ العظيم الذي يخضع له غيره ، القهار ذو الجبروت .
المتكبر	المترفع المتعظم عما لا يليق من الصفات .
سبحان الله عما يشركون	تنزهت ذاته عما يصفه به المشركون ! .

الألفاظ	شرحها
البارئُ	المنشئُ المخترعُ .
المصوّر	مصوّرُ الصوّرِ ومركبها على هيئات مختلفة في بطون الأمهات .
له الأسماءُ الحسنى	له الأسماءُ الدالةُ على محاسن المعاني .
الحكيم	المانعُ من الفساد .

مجمل المعنى

١٨ - لما وصف الله حال اليهود والمنافقين والكفار ، وما حل بهم من العقاب والنكال وسوء الجزاء في الآيات السابقة ، عقبها ، بقوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ ولتنظرُ نفسٌ ما قدمت لعدو » : موعظةٌ لهم ، لأن الموعظة حينما تجيء بعد وقوع المصيبة وحلول الكارثة ، يكون لها موقعٌ في النفوس ، لركة القلوب ، وحذرهما مما يوجب العقاب ؛ فنبههم إلى وجوب تقواه ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وإلى أن تذكر كل نفس ما عملت للآخرة التي ستجىء قريباً بعد الدنيا ، كما يجىء الغد بعد اليوم ؛ ثم أكد الأمر ثانية بالتقوى ، بأن الله مطلعٌ على ما ظهر من عمل الإنسان وما بطن ، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، ومن أخبر له في كل عمل أن يراقب الله ، لينجو من العقاب ، ولا يحل به العذاب .

١٩ - ثم نهاهم عن أن يكونوا مثل الذين نسوا الله ، فتركوا عبادته ، ولم يعملوا ما أمرهم به ، ولم يجتنبوا ما نهاهم عنه ، وأفرطوا في ارتكاب المنكرات ، واتباع الشهوات ، فأنساهم أن يسعوا إلى تخليص نفوسهم من العذاب ؛ أولئك هم الخارجون عن طاعة الله ، المطرودون من رحمته .

٢٠ - ثم أعادَ التنبية بالمقابلة بين المؤمنين الذين يفعلون الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤدون ما فرض الله عليهم ، ويحْتَنِبُونَ ما نَهَاهُمْ عنه ، ويتعاونون على البر والتقوى ، وبين غير المؤمنين الذين يفعلون الشر ، ويرتكبون الذنوب ، ويتعاونون على الإثم والعدوان ، ويبيِّن أن المؤمنين هم أصحاب الجنة، يتمتعون بثواب الله، ويفوزون برضوانه ؛ أما غير المؤمنين فهم أصحاب النار الذين يقع عليهم غضبُ الله ، ويحُلُّ بهم عذابه .

٢١ - ثم بيَّن الله شدةَ تأثير القرآن، بما حوى من وعد ووَعِيد، وترغيب وترهيب ، وبما تضمنَ من حكم وعظات، وآيات بينات ، ترسمُ للإنسان سبيلَ الخير والشر ، وتوضحُ له طريقَ الهداية والضلال ، توبيخاً للذين قست قلوبهم فلم تهتد بنور القرآن ، ولم تخشعُ لذكره . مع أن من شأن هذا القرآن، أنه، لو خوطب به جبلٌ، وجعلَ فيه تمييزٌ، لانقَادَ لمواعظه، ولرأيتهُ على صلابته وتماسكه خاشعاً خاضعاً . متصدعاً متشققاً . خشية ألا يكونَ قد أدى حقَّ الله المفروض عليه في تعظيم القرآن ؛ فما بال الإنسان على ضغفه وضآته قد قسا قلبه ، فلا يتدبَّر قوله، ولا تؤثر فيه قوارعه وزواجره ؟ وقد ضربَ الله للناس هذا المثلَ لعلهم يتدبَّرون كلامَ الله ، ويفكرون فيه بعقولهم ، وترتدع به نفوسهم .

٢٢ - ٢٤ - ولما بيَّن الله عظمةَ القرآن، أُرْدَفَ ذلك ببيان عظمته هو جل شأنه ، وعدد صفاته التي تفرد بها دون غيره ، فذكر أن علمه يحيطُ بالظاهر والباطن ، والغائب والحاضر . وأنه هو الرحمنُ الذي عمَّت رحمتهُ جميعَ مخلوقاته، الكثير الرحمة بالمؤمنين الذين عملوا الصالحات، وأنه الإلهُ الذي لا معبودَ سواه ، مالكُ الملك، المنزهُ عن النقائص ، وأنه هو الذي شملَ الكونَ بالسلام والأمن ، وأجرأه بمراقبته وهيمنته على أدقِّ وضعٍ . وحفظه من الاختلال والاضطراب ، وأنه الغالبُ الذي لا يُغلب، الجليلُ الشأنُ الذي لا يبدل ولا يُقهر، العظيمُ

المترفعُ عما لا يليقُ بعظمته وجبروته ؛ تنزهه عما يصفهُ به المشركون ؛ لم يلدُ ولم يولدُ . ولم يكنْ له كفواً أحدٌ ، هو الخالقُ الذي قدَّرَ مخلوقاته وأوجدَها ، وشكلها بأشكالها ، وصورَها بصورها . تفردَ بالأسماءِ الحسنى ، الدالة على الصفاتِ العلى ، الذى أحكمَ كلَّ شيءٍ خلقه ، جلَّ شأنه ، وتقدست أَسْمَاؤُهُ .

سورة المتحينة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٣ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عِدْوِي وَعِدْوَكُمْ أُولِيَاءَ تَلْفُونَ لِيهِم بِالْمُؤَدَّةِ
وَقَدْ كَفَرُوا وَإِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ مُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّا نَاكِمُونَ تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ
إِن كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ
وَإِنَّا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ① إِنْ يَتَّقِفُواكُمْ يَكُونُوا أَعْدَاءُكُمْ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
وَالْيَسَنَّهُمْ بِالشُّوْءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ② لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْضِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ③

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أولياء	أصدقاء وأنصاراً .
تلقون إليهم بالمودة	توصلون إليهم مودتكم .
من الحق	من دين الإسلام والقرآن .
يخرجون الرسول وإياكم	يخرجون الرسول ويخرجونكم معه من مكة .
أن تؤمنوا بالله	لأجل أن آمنتم بالله .
جهاداً في سبيلي	لأجل الجهاد في إعلان دين الله .
تسرون إليهم بالمودة	تبلغونهم سراً مودتكم لهم .
ضلّ سواء السبيل	أخطأ طريق الهدى .
إن يثقفوكم	إن يظفروا بكم .
يسبطوا إليكم أيديهم	يؤذوكم أشد الأذى بأيديهم وألسنتهم .
وألسنتهم بالسوء	
وودوا لو تكفروا	تمنوا ارتدادكم عن الإسلام، وعودتكم إلى الكفر .
لن تنفعكم أرحامكم ولا	لن ينفعكم أقرباؤكم ولا أولادكم الذين
أولادكم	بقوا على كفرهم ، وخلفتموهم بمكة .
يفصل بينكم	يفرق الله بينكم وبينهم ، ويفر بعضكم من بعض .
بصير	مطلع .

قِصَّةُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ

كان حاطبٌ أحدَ المهاجرينَ المقيمينَ بعد الهجرة بالمدينة ، وعلمَ أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريدُ غزوةَ مكةَ ، وإذ لم يكنْ من ذوى العصبيةِ أولى القوةِ فيها ، وله فيها أولادٌ وأقرباءٌ خلفهم بها - أرادَ أنْ أن يصنعَ جيلامعَ أهل مكةَ ، حتى لا ينالَ بنيه وأقرباءه منهم أذى بسببِ إسلامه ، فأرسل إليهم كتاباً مع امرأةٍ تقصدُ مكةَ ، يقولُ فيه إلى أهل مكةَ : اعلّموا أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريدُكم ، فخذوا حذرَكم ؛ ودفعَ لها عشرةَ دنانيرَ ؛ فأوحى اللهُ إلى رسوله بما فعلَ حاطبٌ ، فبعثَ علياً وجماعةً من أصحابه ، وقال لهم : انطلقوا إلى مكان عيّنه لهم ، فإن به امرأةٌ تقصدُ مكةَ ، فخذوا منها الكتابَ ، وخذلوا سبيلها ، فإن أبت فاضربوا عنقها ؛ فأدرَكوها في المكان الذي عينه الرسولُ ، فأنكرت أن معها كتاباً ، فسل على سيفه وهددها ، فأخرجتهُ من بين شعرها ، فلما عادَ الوفدُ ، دعا النبي حاطباً ، وقال له : ما حملك على أن فعلتَ هذا ؟ فقال : والله يا رسولَ الله ما كفرتُ منذُ أسلمتُ ، ولا غششتك منذُ آمنتُ ، ولكني امرؤٌ ليس لي عصبيةٌ في مكةَ ، فأردتُ أن أضطنعَ معروفًا لدى قريش ، حمايةً لأهلي من شرمهم ، فقال عمرُ بنُ الخطاب : دعني يا رسولَ الله أضربُ عنقه ، فإنه منافقٌ ، فقال الرسولُ : إنه شهدَ بدرًا ، وما يدريك : لعل اللهَ اطلعَ على أهل بدرٍ ، فقال : افعلوا ما شئتم ، فقد غفرتُ لكم ؟ ثم نزلت هذه الآياتُ .

مجمل المعنى

١ - يخاطبُ اللهُ المؤمنين بقوله : يا أيها المؤمنون ، لا تتخذوا لكم من أعدائي وأعدائكم - وهم كفارُ مكةَ - أصدقاءً وأنصاراً ، تتوددون إليهم بأية

صلة ، مهما كانت الدواعي ، فإن الكفار قد كفروا بما جاءهم به الرسول من الدين الحق ، وأنكروا ما أنزله عليه من القرآن ، وتمادوا في غيهم وعصيانهم ، لقد أخرجوا الرسول من مكة كما أخرجواكم ، بمجرد أنكم آمنتم بالله ، واعتزقتم برؤييته ، فلا يليق بكم أن توادوهم ، ما دتم قد غادرتهم وطنكم لأجل الجهاد في إعلان دين الله ، وطلب مرضاته ، وأنا أعلم سركم وجهركم ، ويستوى عندي ما تسرون وما تعلنون ، فمن يتخذ من الكفار أصدقاءً وأنصاراً ، فقد أخطأ طريق الهدى ، وحاد عن الصراط المستقيم .

٢-٣- واعلموا أيها المؤمنون ، أن الكفار إن ظفروا بكم ، ظهر لكم منهم ما تكن صدورهم من العداوة والبغضاء ، فسطوا إليكم أيديهم بالقتل والضرب ، وأسنتم بالشتم والسب ، فلا ينفعكم الاتصال بهم ، والتودد إليهم ، وتمنوا حين يظهرون عليكم أن ترتدوا عن دينكم ، وتعودوا معهم إلى الكفر ، وتعرضتم لعذاب الله يوم القيامة ، فلا يفيدكم أهاليكم من قريب أو ولد ، ممن توددتهم إلى الكفار من أجلهم ، وجانبتهم سواء السبيل بسببهم ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وبنيه ، والله مطلع على أعمالكم ، خبير بمقاصدكم ونياتكم .

(٢)

من الآية الرابعة إلى الآية السابعة من سورة الممتحنة

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ فِي آلِ بُرْهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمُ الْمُتَابِعُونَ وَأَمِينٌ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ

مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ

تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَلَا اقْوَالِ بُرْهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ

لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ④

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑤

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ⑥ * عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم

مِنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑦

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>قدوة .</p> <p>الذين آمنوا به .</p> <p>جمع برىء ، متبرئون .</p> <p>كفرنا بدينكم وأهنتكم .</p> <p>استثناء من أسوة حسنة .</p> <p>من ثواب الله وعقابه .</p> <p>رجعنا .</p> <p>المرجع يوم القيامة .</p> <p>ابتلاء ومحنة .</p> <p>القوى الحسن التدبير .</p> <p>يطلب ثواب الله ، ويخشى عقابه يوم القيامة .</p> <p>يُعرض .</p> <p>المستغنى عن خلقه ، الحميد لمن أطاعه .</p> <p>فعل يستعمل للرجاء .</p> <p>عاديتهم من أهل مكة .</p> <p>ميلا وجبا ، بهدايتهم إلى الإسلام .</p> <p>يغفر ما سلف من الذنوب .</p>	<p>أسوة</p> <p>الذين معه</p> <p>براء</p> <p>كفرنا بكم</p> <p>إلا قول إبراهيم</p> <p>من الله</p> <p>أنبنا</p> <p>المصدر</p> <p>فتنة</p> <p>العزيز الحكيم</p> <p>يرجو الله واليوم الآخر</p> <p>يتوكل</p> <p>الغنى الحميد</p> <p>عسى</p> <p>عاديتهم منهم</p> <p>مودة</p> <p>غفور</p>

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

٤-٦- أرادَ اللهُ أن يتخذَ المسلمونَ من سيدنا إبراهيمَ ومن آمنَ به قدوةً حسنةً لهم في قوةِ إيمانهم ، وفي الصبرِ على ما نالهم من مكروه ، وفي قنائهم في حبِّ الله ، وفي عدمِ مبالاتهم بما خلفوه وراءهم من مالٍ وولد ، فقد قالوا للكفار من قومهم : إنا متبرئونَ من كلِّ صلةٍ تجمعنا بكم ، متبرئونَ مما تعبدون من غيرِ الله من أصنامٍ وكواكبٍ ، فلا نعتدُّ بكم ، ولا بأهتكم ، وسيظلُّ هذا دأبنا معكم ، من القطيعةِ وإظهارِ العداوةِ والبغضاءِ لكم ، حتى تتركوا ما أنتم عليه من الشركِ ، واستثنى اللهُ من القدوةِ بإبراهيمَ ومن معه ، استغفارَ إبراهيمَ لأبيه الكافرِ ، فإنه ليسَ مما يقتدى به فيه ، فقد كان إبراهيمُ استغفرَ لأبيه ، لوعده إياهُ بأن يؤمنَ برسالته ، ويتركَ عبادةَ الأصنامِ ، فلما تبينَ لإبراهيمَ أن أباه مصرٌّ على الكفرِ ، ولم ينجزْ وعده ، تبرأ منه ؛ على أن إبراهيمَ حينَ استغفرَ لأبيه ، قال له : ليس في طاقتي إلا مجردُ الاستغفارِ لك ، وتفويضُ الأمرِ إلى الله سبحانه وتعالى في أمرِكَ .

ثم بيَّنَ اللهُ ما حكى عن إبراهيمَ ومن آمنَ به ، من تخصيصِ توكلهم على الله ، والرجوعِ إليه في جميعِ أمورهم ، والاعترافِ بأن مصيرهم إليه يومَ القيامةِ للحسابِ ، ودعائهم ألا يسلبَ الكفارَ عليهم ، امتحاناً وابتلاءً بعذابٍ لا يطيقونه ، وأن يغفرَ لهم ما فرطَ من ذنوبهم . لأنه هو العزيزُ الغالبُ ، الذي لا يذلُّ من التجأ إليه ، ولا يخيبُ رجاءَ من توكلَ عليه ، الحكيمُ الذي لا يفعلُ إلا ما فيه حكمةٌ بالغةٌ ؛ ثم أشارَ اللهُ بعدَ هذا إلى القدوةِ الحسنةِ بإبراهيمَ ومن آمنَ به ؛ للحثِّ على أن يقتدى بهم من يخافُ اللهَ ويرجو ثوابه ، ويخشى في الدارِ الآخرةِ عقابه ، لينالَ رضا الله ومحَبته ؛ فمن أعرضَ عن اتباعِ أوامرِ الله ، ومالَ إلى مودةِ الكفارِ ، فلا يلومنَ إلا نفسه ؛ واللهُ سبحانه وتعالى مستغن عن جميعِ خلقه ؛ حميدٌ لمن أطاعه .

٧ - ولكيلا يدب اليأسُ إلى قلوب الذين تركوا أقدارهم من الكفار بمكة ، ويظنون أنهم لن يلتقوا بهم . أراد الله تطيب قلوبهم بأمل يلتقون عنده بأقاربهم . وهو أن يهتدى إلى الإسلام من فارقهم من المشركين من أولادهم وذويهم . فإلتئم بهم شملهم . ويجتمعوا على الإيمان في مودة وإخاء ، والله قديرٌ على تسهيل أسباب المودة . غفورٌ لمن أسلم من المشركين ، رحيمٌ بالمؤمنين لما فرط من ميلهم إلى أقربائهم المشركين ؛ وقد أنجز الله وعده . فأسلم كثيرٌ منهم بعد فتح مكة . وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنة أبي سفيان ، الذي كان قبل إسلامه زعيم كفار قريش .

(٣)

من الآية ٨ إلى الآية ٩ من سورة المتعنة

لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ① إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ
مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا بِأَعْلَىٰ أَعْرَاجِكُمْ أَنْ تُؤْتُوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ②

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تبرؤهم	تحسنوا معاملتهم .
تقسطوا	تعادلوا .
في الدين	بسبب الدين .
ظاهروا	عاوتوا .
تولّوهم	تولّوهم ، أي تعاونوهم .

قصة أسماء بنت أبي بكر مع أمها

كانت لأسماء بنت أبي بكر أمٌ مشركةٌ ، فذهبت هذه الأم إلى ابنتها - وكانت مطلقة من أبي بكر - ومعها بعض الهدايا ، فأبت أسماء أن تقبلها ، ورفضت أن تدخلها بيتها ، وطلبت من أختها من أبيها: عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أن تسأل رسول الله عما يقضى به في هذا الأمر ، فأنزل الله هاتين الآيتين ، فأمر الرسول أسماء أن تقبل هدية أمها ، وأن تدخلها بيتها ، وأن تكرمها ، وتحسن لقاءها .

محمل المعنى

٨ - إن الله تعالى يجيزُ للمسلمين أن يحسنوا معاملة من لم يقاتلهم ، ممن ليسوا على دينهم ، ما داموا لم يكونوا ممن تأمرُوا على إخراجهم من مكة ، بل يقابلوهم بالحسنى ، ويعاملوهم بالعدل والقسطاس ، لأن الله يأمر بالعدل والإحسان ، ويجب من يتصف بهاتين الخلتين ؛ وفي هذا إشعارٌ بأن علينا أن نحسن معاملة من يقيمون معنا في ديارنا ، ممن ليسوا على ديننا .

٩ - إنما ينهى الله المسلمين عن اتخاذ الأصدقاء والأنصار ممن قاتلوهم ، لاعتناقهم الدين الإسلامي ، وتأمرُوا على إخراجهم من مكة ، وعاونوا على إخراجهم ؛ فمن يصادق هؤلاء أو يناصرهم ، فهم ظالمون ، لأنهم وضعوا صداقتهم ومناصرتهم ، موضع ما يجب أن يكونوا عليه من العداوة والبغضاء .

(٤)

من الآية ١٠ إلى الآية ١١ من سورة الممتحنة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ جَرَانٍ فَأَمْسِكُوهُنَّ اللَّهُ
أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ جِلْسُهُمْ وَلَا
هُنَّ يُحِلُّونَ لَهِنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ نِكَوْهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا
ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑩ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ
إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ⑪

شَرْحُ الْأَلْفَاظِ

الألفاظ	شرحها
مهاجرات	منتقلات من مكة إلى المدينة .
امتحنوهن	اختبروهن بالحليف أنهن خرجن رغبة في الإسلام .
علمتموهن مؤمنات	غلبَ على ظنكم إيمانهن بعد حلفهن .
إلى الكفار	إلى أزواجهن من الكفار .
لاهن حل لهم	انقطعت صلة الزواج بينهن وبين أزواجهن .
آتوهم ما أنفقوا	أعطوا الأزواج من الكفار ما سبق لهم دفعه من مهورهن .
لا جناح	لا إثم ولا ذنب .
تنكحوهن	تتزوجوهن .
أجورهن	مهورهن .
تمسكوا	تمسكوا وتحافظوا .
بعضم الكوافر	بزواج زوجاتكم اللاتي بقين على كفرهن ، أو ارتدذن .
اسألوا	اطلبوا أيها المسلمون .
ما أنفقتم	ما دفعتم إلى نساءكم الكافرات من المهور .
وليسألوا ما أنفقوا	وليطلب الكفار ما دفعوا من مهور لأزواجهن المهاجرات .
ذلكم	جميع ما ذكر في الآية .
فاتكم شيء من أزواجكم	ذهب وضاع شيء من مهور زوجاتكم الكافرات .
فعاقتهم	فأصبت الكفار بالعقوبة في غزوة ، وغنمتم منهم .
فاتوا الذين ذهب أزواجهم	فأعطوا المسلمين الذين ذهب زوجاتهم من الغنيمة .

عهد الحديبية

في سنة ست من الهجرة ، عُقدَ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش في مكة عهد الحديبية ، (وهي قرية صغيرة بالقرب من مكة ، سميت باسم بئر هناك) ، على أن من أتى محمداً من قريش رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من محمد لم يردوه عليه ؛ ولما كان العهد لا ينسحب على النساء ، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض المؤمنات مهاجرات من مكة إلى المدينة ، فزلت هاتان الآيتان ، لبيان أحكام هؤلاء المهاجرات .

محمل المعنى

١٠ - يخاطبُ اللهُ المؤمنين ، بأنه إذا جاءتهم مؤمناتٌ مهاجراتٌ من مكة إلى المدينة ، فعليهم أن يختبروهن ، مع علم الله جل شأنه بما تكنه صدورهن هؤلاء المهاجرات من إيمان أو شرك ، وذلك بأن تحلف المهاجرة أنها ما خرجت بغضاً لزوج ، أو التماس دنيا ، وإنما خرجت حباً لله ولرسوله ، فإن غلب على ظن المؤمنين إيمان المهاجرات بعد الحلف ، وجب ألا يعيدوهن إلى أزواجهن من الكفار ، لأنهن صرن مؤمنات ، وانقطعت الصلة بينهن وبين أزواجهن من الكفار ، على أن يعطى أزواجهن من الكفار ما سبق أن دفعوه إليهن من المهر ، تحقيقاً لما يقتضيه العدل والإنصاف ، وأجاز الله للمسلمين بعد انقطاع الصلة بين المهاجرات المؤمنات وبين أزواجهن من الكفار ، أن يتزوجوهن إذا أدوا إليهن مهورهن ، ليدفعنهن إلى أزواجهن السابقين ؛ وقد تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إحدى المهاجرات ، وهي سبيعة بنت

الحرث، طبقاً لهذا الحكم، بعد ما دَفَعَ إلى زَوْجِهَا مسافرٍ المخزومي مهرها ،
حينَ جاء إلى المدينة طالباً لها .

ونهى اللهُ المؤمنين أن يبقوا ما بينهم وبينَ زَوَجاتهم الكافرات من
علاقة الزوجية ، لانقطاع عصمتها منه ، إن بقيت في مكة على شركها ،
أو ارتدت عن دين الإسلام - وعصمٌ : جمع عصمة ، وهي ما يُعصمُ به ،
ويلجأ إليه ؛ وقد طلقَ عُمرُ امرأته فاطمة بنتَ أبي أمية لذلك .

وأمرَ اللهُ المؤمنين أن يطلبوا من الكفار مهوراً نسائهم اللاتي لحقن
بالكفار ، لارتدادهن ، أو بقاتهن بمكة على شركهن ، كما طلبَ من الكفار
أن يطلبوا من المسلمين مهوراً نسائهم المؤمنات المهاجرات ، وبينَ أن ما سبق
ذكره ، هو حكمُ الله الواجبُ اتباعه ، لا فرقَ بين كافرٍ ومسلم في إقامة العدل
والقسطاس ، واللهُ عليمٌ بما تقتضيه حكيمته البالغة من سن الشرائع الملائمة
لخلقه ؛ ولما تقررَ هذا الحكمُ ، أدى المؤمنون ما أمرُوا به من مهور المؤمنات
المهاجرات إلى أزواجهن السابقين ، وأبى المشركون أن يردوا شيئاً من مهور
المرتدات ، أو اللاتي بقين على كفرهن بمكة من الزوجات .

١١ - فإن فات المؤمنين شيءٌ من مهور أزواجهم اللاتي ارتددن ،
أو بقين على كفرهن ، ولم يؤد الكفارُ إلى المؤمنين مهوراً هؤلاء النساء ، فعزوا
الكفار وغنموا منهم ، فعلى المؤمنين أن يعطوا هؤلاء الأزواج مثلَ ما دفعوه
لزواجهم من المهور من قبل ، على أن يكونَ هذا العطاءُ مما غنموا من
الكفار قبل أن يُخمسس ، تعويضاً لهؤلاء الأزواج من المؤمنين عما أصابهم من
الخسارة ، من جرأء تفويت الكفار عليهم مهور نسائهم ؛ ثم أمر اللهُ عباده
باتقائه ، ومراعاة العدل ، وحذرهم أن يتعدوا حدوده .

من الآية ١٢ من سورة المتحنة إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَايَعَتِكَ
عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا
يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي
مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْغِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَتَّبِعُوا
الْآخِرَةَ كَمَا يُبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يبايعنك ولا يقتلن أولادهن ببهران يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف بايعهن	يعاهدنك ، كأنهن يبعن أنفسهن في سبيل طاعة الله . لا يقتلن أولادهن خشية الفقر أو العار . بكذب يدعيه ، بنسبة ولد لقيط إلى أزواجهن . ولا يعصينك فيما تأمر به من طاعة الله . اقبل معاهدتهن .

الألفاظ	شرحها
لا تتولّوا يشسّوا من الآخرة يشسّ الكفار من أصحاب القبور	لا تصادقوا ولا تناصروا ولا تحالفوا. يشسّوا من ثواب الدار الآخرة، لكفرهم وعنادهم. يشسّ الكفار الذين ماتوا وسكّدوا القبور، وتبيّنوا حرمانهم نعيم الجنة.

مجمل المعنى

١٢ - لما فتحت مكة، أقبل رجالها يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم على نصرته ومخالفته، فلما فرغ من مبايعة الرجال، أخذ يبايع النساء، فأعطينه اليهود على ما يأتي :

- أ - ألا يشركن بالله شيئاً من مخلوقاته ، كالأصنام ونحوها .
- ب - وألا يسرقن .
- ج - وألا يزنيّن .
- د - وألا يقتلن أولادهن ، وكانت البنت تدفن حية في بعض القبائل خشية العار ، والأولاد ذكوراً وإناثاً يقتلون خشية الفقر .
- هـ - وألا يأتين بكذب يدعيه ، وكانت المرأة تلتقط مولوداً ، فتقول لزوجها : هذا ولدى منك ، وعبر الله بقوله : بين أيديهن وأرجلهن ، لأن الأم حين تلد ، يسقط المولود بين يديها ورجليها ، فهي الله النساء أن تكذب المرأة على زوجها ، بالصاق ولد ليس من صلبه إليه .

و - وألا يعصين الرسولَ فيما به يأمرُ من معروف ، وينهى عنه من منكر ،
كالنُّواح على الميت ، ولطم الخدود ، وشق الجيوب ، وجز الشعور .
وقد بايعهن الرسولُ عليه الصلاة والسلام على الوفاء بهذه الأشياء ؛ ومع
ما في المبايعة من ضمان الثواب ، فقد أمرَ الله رسوله أن يستغفرَ لهن ، فإنه واسع
المغفرة ، كثيرُ الرحمة ، إن وفين بما عاهدنَ عليه .

١٢ - وقد وصلَ اللهُ خاتمةَ هذه السورة بفاتحتها ، فنهى عن اتخاذ
الأصدقاء والأَنْصار، من قوم استحقوا غضبَ الله عليهم ، مهما كانت الدواعي ،
فقد كان قومٌ من فقراء المؤمنين يزورون اليهودَ بالمدينة ويجالسونهم ، ليصيبوا
من ثمارهم ، وكانوا يبلغونهم أخبارَ المسلمين في أثناء حديثهم معهم ، فنهاهم اللهُ عن
مواصلتهم ، لأنهم كذبوا الرسولَ مع اعتقادهم برسالته ، حسب ما جاء في
كتبهم ، حسداً له ، فأفسدوا آخرتهم بتكذيبهم إياه ، فانقطع أملهم من ثواب
الدار الآخرة لكفرهم وعنادهم ، كما انقطع أملُ الكفار من التقائهم بالموتى الذين
سكنوا القبورَ ، لأنهم لا يؤمنونَ بالبعث والنشور .

سورة الصف

نزلت بالمدينة، وآياتها ١٤ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السادسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا نَفَعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
نَفَعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ، صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ
مَرْصُوعِينَ ④ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا قَدِ تَعْلَمُونَ أَنِّي
رَسُولٌ لِلَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ⑤ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ
فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑥

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سبح لله ما في السموات وما في الأرض العزیزُ الحكيمُ	{ مجد الله ونزهه عما لا يليقُ به كل شئ في الكون ، واعترف بألوهيته . العزیزُ في ملكه ، الحكيمُ في صنعه وتدبيره .
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون صفتاً زاعوا أزاعَ اللهُ قلوبهم الفاسقين يا بني إسرائيل لما بينَ يديَّ التوراة اليينات مبينٌ	{ عظمَ عندَ الله بغضاً قولكم ما لا تفعلونه ، والمقتُ : أشدُّ البغضِ ؛ من أجل ارتكاب ذنب أو دناءة . مصنفين أمام الأعداء . عدلوا عن الحق ، بإيدائه وعصيانه . أمالَ قلوبهم عن الهدى . الخارجين عن طاعة الله . يا ذرية يعقوبَ ، وهم اليهود . لما نزل قبلي . الكتاب المنزل على سيدنا موسى . المعجزات الدالة على رسالته . بين ظاهرٌ .

محمل المعنى

١ - بين الله سبحانه وتعالى أن جميع الكائنات في السموات والأرض ، من ملائكة وإنس وجن وغيرهم ، تسبحُ بحمد الله تسييحاً دائماً لا ينقطعُ ، فتنزههُ عما لا يليقُ به من نسبة الشريك إليه ، وتعترفُ برُبوبيته ووحدانيته ، كما قال :

« وإن من شيء إلا يسبحُ بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ، وهو العزيزُ ، الحكيمُ في صنعه وتدبيره

٢-٢ - وكان جماعة من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لو نعلمُ أى الأعمال أحب إلى الله لعملناها حتى نموت ، فلما أمر الله بالجهاد في سبيل الله ، شق عليهم أمره ، وقالوا : « ربنا لم كتبت علينا القتال ؟ لولا : - هلا - أخرتنا إلى أجل قريب » ، فأنبهم الله على أنهم يقولون ما لا يفعلون ، وبين أن القول الذى لا يصحبه فعل ، يبغيضه الله بغضاً شديداً ؛ وكبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون : أسلوب عربى ، يدل على الذم مع التعجب ، لتعظيم الأمر في قلوب السامعين

٤ - ولما كان الأمرُ خاصاً بالجهاد ، بين الله أنه يجب الذين يجاهدون في سبيل نصرته دينه متلاصقين غير متفرقين ، كأنهم في اصطفا فاهم وثباتهم ، وتسوية صفوفهم ، كالحائط الذى رُصت لبيئاته أو أجره أو نحوهما ، في نظام محكم ، لا فرجة فيه ولا خلل .

٥ - وقد ذكّر الله المؤمنين بالنتائج الوخيمة المترتبة على عصيان الرسل ، حين استهولوا أمر القتال ، فذكر قصة موسى ، حتى لا يفعلوا مع محمد مثل ما فعل بنو إسرائيل مع موسى ، فقد وبخهم على إيذائه بأنواع الأذى قولاً وفعلًا ، وعصيانه أشدّ عصيان ، مع أنهم يعتقدون أنه رسول الله إليهم ، بما أظهره من المعجزات الدالة على رسالته ، ومع أنه أنجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب ، فقالوا لموسى : أرنا الله جهرة ، وقالوا له : لن نصبر على طعام واحد ، وعبدوا العجل حين فارقتهم موسى لمناجاة ربه ، فلما حادوا عن سبيل الحق ، وانحرفوا عن طريق الهدى ، صرف الله قلوبهم عن قبول الحق ، والميل إلى الصواب .

٦ - كذلك ذكّر المؤمنين بما حدث لعيسى ابن مريم ، فقد قال لليهود :
إني مرسلٌ من عند الله إليكم ، مصدقاً بالتوراة التي أنزلت على موسى من
قبلي ، ومبشراً برسول من عند الله يأتي بعدى ، مذكوراً في التوراة ، اسمه : أحمد ،
وهو أحد أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءهم عيسى بالمعجزات الدالة
على رسالته : كإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ، قالوا : هذا سحرٌ مبين .

(٢)

من الآية السابعة إلى الآية ١٣ من سورة الصف

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٧ يُرِيدُونَ
لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨ هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٩
يَتَأَيَّبُوا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَ ذَلِكَ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٢
وَأُخْرَى تَحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ^{قُلْ} وَبَشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ١٣

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
افترى على الله الكذب	ادعى ، واختلق الكذب على الله .
يُدعى إلى الإسلام	يُدعى للدخول في الإسلام .
نور الله	دينه وشريعته وبراهينه .
بأفواههم	بطعنهم فيه بأنه سحرٌ وكهانةٌ .
متم نوره	مظهرٌ دينه ، ومبلغه غايته ، وناشره بين العالمين .
بالمهدى ودين الحق	بالقرآن والملة الإسلامية .
ليظهره على الدين كله	ليعليه على الأديان كلها .
عذاب ألیم	عذاب مؤلم موجه .
ذلكم	ما ذُكر من الإيمان والجهاد .
إن كنتم تعلمون	إن كنتم من أهل العلم .
ذلك	ما ذُكر من المغفرة وإدخال الجنة .
جنات عدن	جنات إقامة دائمة .
وأخرى تحبونها	ويؤتكم نعمة أخرى تحبونها .

مجمل المعنى

٧ - كان الكفار حين يدعوهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، ويحتلقون على الله الكذب ، فيزعمون أن ما أتى به محمدٌ من القرآن الكريم

زورٌ وبهتانٌ ، وأنه إفكٌ افتراه محمدٌ على الله ، وأعانه عليه قومٌ آخرون ، وما هو إلا أساطيرُ الأولين تملى عليه ، فبيّن الله أنه ليس أحدٌ أشدّ ظلماً وعدواناً من هؤلاء المعاندين ، لأنهم يُدْعَوْنَ إلى الإسلام الذي يوصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة ، فيعرضون عنه ، فاستحقوا غضبَ الله عليهم ، والله لا يوفقُ القومَ الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وعنادهم إلى الهدى .

٨-٩- هؤلاء المفترون الظالمون ، يريدون بأقوالهم هذه أن يبطلوا دينَ الله وهو الإسلامُ ، بمطاعنهم وافتراءاتهم ، من أنه إفكٌ وسحرٌ ، واختلاقٌ وبهتانٌ ، واللهُ مظهرٌ دينه ، ناصرٌ رسوله ، رَغَمَ أنوفَ المشركين ، فثلبهم في الحيلولة بين رسوله وبين تبليغه دَعْوَتَه ، كمثل من ينفخُ في ضوء الشمس ليطفئه ، وكيف يستطيعون أن يحولوا دونَ ظهورِ دينٍ هو دينُ الحق والهداية ، أرسلَ اللهُ به رسوله ليعليه ويرفعه على جميع الأديان المخالفة له ، مهما حاولوا ، ومهما كانت كراحتهم له ، ومقاومتهم إياه ، ومحاولتهم الصدَّ عنه ؟ .

١٠-١٣- ثم حضّر الله المؤمنين على بذل المال والنفس في سبيل نشر الدين وإعلاء شأنه . فبيّن أن هذا البذلَ تجارةٌ مضمونةُ الربح ، لا كسادَ فيها ولا بوار ولا خسران ، تنجى أصحابها من كل أذى ، وتعوضه تعويضاً جزيلاً ؛ هذه التجارةُ التي عرضها اللهُ على المؤمنين ، أن يداوموا على إيمانهم إيماناً كاملاً خالصاً ، يشترك فيه اللسانُ والحنانُ ، وأن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فإن الإيمانَ الكاملَ الخالصَ ، وبذلَ المال عن طوعية واختيار في سبيل الله - والجلود بالنفس أقصى غاية الجود - خيرٌ لمن كان من أهل العلم والفطنة ، فإن فعلَ المؤمنون ذلك ، عوضهم عن تجارتهم هذه مغفرةً من الله عن ذنوبهم . وأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهارُ ، وأنزلهم مساكن طيبة في جنات يخلدون فيها أبداً ، ويلقون فيها النعيمَ المقيم ، وذلك

الجزءُ من الغفران والنعم، هو الفوزُ العظيمُ، الذي لا فوزَ أعظمَ منه ، كما أن لهم فوقَ هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة يحبونها، ويرغبون فيها، وهي تأييدُ الله لهم ، بانتصارهم على أعدائهم ، وفتحُ عاجلٍ لملكته . فبشرُ يا محمدُ المؤمنين بأنى منجزٌ وعدى ؛ ويشبه ما فى بعض هذه الآيات قوله تعالى: « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله » .

(٣)

من الآية ١٤ وهي الاخيرة من سورة الصف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مِنْ أَنْصَارِي
إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أَنْصَارَ اللَّهِ	أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ .
الْحَوَارِيِّينَ	المخلصين الأصفياء أنصار عيسى .
من أنصاري إلى الله ؟	من أعوانى لأنصر دِينِ اللَّهِ ؟ .
أَيَّدْنَا	قوينا ونصرنا .
على عدوهم	على الطائفة الكافرة .
فأصبحوا ظاهرين	فصاروا غالبين .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

١٤ - أَرَادَ اللهُ أَنْ يَضْرِبَ مِثْلًا لِبَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آزَرُوا أَنْبِيَاءَهُمْ وَعَاوَدُوهُمْ ، فَأَيَّدَهُمُ اللهُ بِنَصْرِهِ ، وَهُمْ الْخَوَارِيُّونَ أَصْفِيَاءُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنْصَارُهُ ، لِيَقْتَدِيَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ فِي نَصْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، فَذَكَرَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُرْسِلَ إِلَى قَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَاوَمُوا دَعْوَتَهُ وَعَاوَدُوهُ ، فَقَالَ عِيسَى لِأَصْفِيَائِهِ وَخَاصَّتِهِ : مَنْ يُنصِرُنِي فِي سَبِيلِ دِينِ اللهِ؟ فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْأَصْفِيَاءُ الْخُلَصَاءُ - وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا - : نَحْنُ أَنْصَارُ دِينِ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ ، آمَنَّا بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَاعْتَرَفْنَا بِرُبُوبِيَّتِهِ ؛ فَلَمَّا تَوَفَّى عِيسَى ، انْقَسَمَ مِنْ آمَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ طَائِفَتَيْنِ : طَائِفَةٌ بَقِيَتْ عَلَى إِيْمَانِهَا بِهِ ، وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى ، فَاقْتَتَلَتِ الطَّائِفَتَانِ ، فَنَصَرَ اللهُ الطَّائِفَةَ الْمُؤْمِنَةَ عَلَى الطَّائِفَةِ الْكَافِرَةِ ، وَقَوَّاهُمْ عَلَيْهِمْ ، فَغَلَبُوهُمْ .

سورة الجمعة

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١١ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ①
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ②
وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ④

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسبحُ الله الملك القدوس الأمين يتلو عليهم آياته يزكّهم الكتاب الحكمة وإن كانوا من قبل وآخرين منهم لما يلحقوا بهم يؤثّيه	<p>يمجد الله وينزههُ عما لا يليقُ به . ذى العظمة والسلطان . الطاهر ، المبرأ من العيوب والنقائص . المرادُ بهم : العربُ ، لأنهم لا يعرفونَ القراءة والكتابة . يقرأ عليهم كتابه ، وهو القرآنُ الكريمُ . يطهرُهم من الشرك . القرآنُ . أحكامَ الشريعة . وإنهم كانوا . من قبل رسالة محمد . } وبعثَ اللهُ في آخرين سواهم من جميع الأجناس . لم يدركوا عهدَ الصحابة ، وسيأتونَ بعدهم . يعطيه</p>

مجمل المعنى

١ - ٢ - ينزهُ اللهُ ذَا العظمة والسلطان ، كلُّ المخلوقات في السموات والأرض ، تنزيهاً متجدداً آناء الليل وأطراف النهار ، لأنهم في قبضة قدرته ، وتحت تصرفه ، وهو العزيزُ القاهرُ في ملكه ، الحكيمُ المتصرفُ في تدبيره وصنعه ؛ وهو الذي

بعثَ في أمة العرب التي لا يعرفُ أكثرُهم القراءة والكتابة، رسولا منهم، يشبههم في أنه أميٌّ مثلهم، ومع كونه أمياً لم يسبقُ له تعلم ولا معرفةٌ بالقراءة والكتابة، فهو يتلّو عليهم آياتِ القرآن الكريم، التي يُوحىها إليه المولى جل شأنه، ويظهرُ العربَ من العقائد الفاسدة كالشرك بالله، ويعلمهم كتابَ الله، وما اشتملَ عليه من أحكام، وإنهم كانوا قبلَ رسالته في ضلال، لعبادتهم ما لا يسمعُ ولا يبصرُ، ولا يغني عنهم شيئاً، فكانوا محتاجين إلى رسول يرشدهم ويهديهم إلى سبيل الحق؛ وعبرَ اللهُ بالماضي في قوله: «سبح» في أوّل سورة الصف، وبالمضارع في قوله: «يسبح» في أوّل هذه السورة، للدلالة على التسبيح في الماضي والحال والاستقبال؛ وتخصيصُ العربِ الأميين بالذكر، لا ينفي من عداهم.

٣-٤- وليست دعوةُ الرسول مقصورةً على من يكونون في زمنه ممن يبلغهم دعوته، ولكنها تشملهم وتشملُ غيرهم من جميع الأجناس، ممن يجيئون بعد الصحابة إلى يوم القيامة، واللهُ عزيزٌ في ملكه، قادرٌ على أن يجعلَ الدعوةَ عامةً شاملة، حكيمٌ في اختيار من يصلحُ لهذه الدعوة العامة؛ وذلك الفضلُ الذي امتازَ به محمدٌ عن جميع الأنبياء في عموم دعوته، هو فضلٌ من الله يُسبغُه على من يصطفيه من عباده، لأنه هو وحده مصدرُ الفضل العظيم، والإنعام الجزيل.

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية الثامنة ، من سورة الجمعة

مَثَلُ

الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ
مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑤
قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّعُوا الْمَوْتَ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑥ وَلَا يَمُنُّونَهُ وَأَبْدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ ⑦ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى
عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑧

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
حَمَلُوا التَّوْرَةَ لَمْ يَحْمِلُوهَا أَسْفَارًا بِئْسَ	عَلَّمُوهَا ، وَكَلَّفُوا الْعَمَلَ بِهَا . لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا هُوَ فِيهَا مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ . كُتُبًا ، جَمْعُ سِفْرِ . فَعْلٌ يُسْتَعْمَلُ لِلذَّمِّ .

الألفاظ	شرحها
بآيات الله	بالتوراة المصدّقة بنبوّة محمد .
بأيها الذين هادوا	{ بأيها اليهود ، أصله من هاد : إذا رجع من خير إلى شر ، أو العكس .
أولياء الله	أَصْفِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ .
فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ	{ فَاطْلُبُوا الْمَوْتَ ، لتخرجوا من دار الأكدار إلى دار الكرامة .
بما قدّمت أيديهم	{ بسبب ما قدّموا من الكفر والمعاصي ، وتحريف التوراة .
الظالمين	الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب ، لكفرهم .
تَفَرُّونَ مِنْهُ	تخافونه .
ملاقيكم	نازلٌ بكم .
الغيب والشهادة	السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، ويجازيكم عليه .

مجمل المعنى

• - ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِمَنْ أَنْكَرَ ثُبُوتَ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ فِي التَّوْرَةِ ، فَذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ عَلَّمُوا مَا فِي التَّوْرَةِ ، ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا هُوَ ثَابِتٌ بِهَا مِنَ الْآيَاتِ النَّاطِقَةِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الْحِمَارِ ، يَحْمِلُ كِتَابًا عِلْمِيًّا يَتَعَبُ فِي حَمْلِهَا ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهَا ، فَمَا أَسْوَأَ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، وَمَا أَحَقَّهُمْ بِالذَّمِّ ! وَهُمْ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُثَبِّتَةِ فِي التَّوْرَةِ بَغْيًا وَحَسَدًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَاللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ لَا يَهْدِي هَؤُلَاءِ الْمَعَانِدِينَ الْحَاسِدِينَ ، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَعْرِيفِهَا

لعذاب الله ، بكفرهم ومعاصيهم .

٦-٧ - وأمر الله محمدًا أن يقول لهم إظهاراً لكذبهم : أيها اليهود ، إن زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الدار الآخرة خالصة لكم من دون الناس ، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ، فتمنوا أن يتقلكم الله من دار الأكدار في الدنيا ، إلى دار الكرامة في الآخرة ، فإن من أيقن أنه من أهل الجنة ، أحب أن يتخلص من الدنيا ، دار النكد والمهانة ، لينتقل إلى دار العز والكرامة ؛ ولكن هؤلاء اليهود ، الذين يوقنون بصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لا يتمنون الموت أبداً ، بسبب ما قدمته أيديهم من تحريف الآيات الدالة على نبوة محمد في التوراة ، وما ارتكبه من الكفر والمعاصي المؤديين إلى دخول النار ، والله مطلع على ضمائرهم ، عليم بما صدر منهم من أنواع الظلم والمعاصي .

٨- كما أمر الله محمدًا أن يقول لهم : إن الموت الذي تفرّون منه ، ولا تجسرون على أن تتمنوه ، مخافة أن تؤخذوا بوبال أعمالكم ، سيلحقكم وينزل بكم ، مهما حاولتم الفرار منه ، ثم تردّون إلى الله المطلع على سركم وعلايتكم ، فيخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا ، ويجازيكم على ما اقترعتم من الكفر ، وما ارتكبتم من المعاصي .

(٣)

من الآية التاسعة من سورة الجمعة ، إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ
لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرٌ عَٰلِمٌ خَفِيٍّ ١٠ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا
وَزُكُّوا قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١١

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نودي للصلاة	أذن المؤذنُ لصلاة الجمعة .
فاسعوا	فامضوا مسرعين .
وذروا	واتركوا .
ذاكم	الإشارةُ إلى السعي إلى ذكر الله وترك البيع .
إن كنتم تعلمون	إن كنتم من أهل المعرفة والعلم .

الألفاظ	شرحها
قضيت انتشروا في الأرض ابتغوا من فضل الله تفلحون لهواً انفضوا إليها قائماً ما عند الله	أُدِّيت . تفرّقوا في طلب مصالحكم . اطلبوا الرزق من فضل الله . تفوزون . قرعاً على الطبول . تفرّقوا عنك إليها . قائماً على المنبر تخطبُ . الذي عند الله من الثواب .

مجمل المعنى

٩ - أمر الله المؤمنين أن يسرعوا إلى المساجد عند ما يسمعون المؤذّن يدعوهم إلى صلاة الجمعة ، وأن يتركوها جميع أنواع المعاملة من بيع وشراء ، وأخذ وعطاء ، حرمة مزاولتها في هذا الوقت ، فإن ذلك السعي ، وترك البيع والشراء ، أكثر نفعاً ، وأجزل فائدةً ، لما في حضور الجمعة من سماع خطبة تحض على الخير ، وتنبه عن الشر ، ومن تقوية روابط المحبة بين الناس ، حين يلتقون في مكان واحد ، ومن ثواب الله يوم القيامة .

١٠ - فإذا أذوا صلاة الجمعة ، أباح الله لهم أن يتفرّقوا في الأرض ، ويعودوا إلى التعامل فيما بينهم ، ويرجعوا إلى مزاولة أعمالهم ، على ألاّ تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ليبارك الله لهم في رزقهم ، ويفوزوا بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة .

عبث وهو

١١- وفي الآية الأخيرة عتابٌ لبعض أهل المدينة ، فقد حدث أنه أصاب أهلها جوعٌ وغلاءٌ أسعار ، فقدم أحدُ التجار بيضاعة له من الطعام ، أحضرها من الشام ، والنبي صلى الله عليه وسلم قائمٌ يخطبُ يومَ الجمعة ، فتلقى كثيرٌ من أهل المدينة التاجرَ بقرع الطبول كعادتهم ، وترك كثيرٌ ممن كانوا بالمسجد النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء الخطبة ، خشيةً أن ينفد ما أحضره التاجر ، ولم يبقَ بالمسجد إلا اثنا عشر رجلاً ، فقبح الله عملهم ، وبيّن لهم أن الذي عند الله من الثواب والأجر في بقائهم بالمسجد لسماع الخطبة ، خيرٌ من اللهو بسماع قرع الطبول ، ومن التجارة التي خافوا نفاذها ، لأن ثواب الله محققٌ دائمٌ ، والله خيرُ الرازقين ، فليطلبوا الرزق منه ، وعليهم أن يفضّلوا ما عنده من الخير ، على ما يلتمسونه عند الناس .

سورة المنافقون

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١١ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ① اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً
فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ② ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبِعْكَ
أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْسِبُونَ
كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ④

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المنافقون نشهدُ وَاللهُ يشهدُ أيمانهم جُنَّة صدوا عن سبيل الله ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا طُبع على قلوبهم لا يفقهون تعجبك أجسامهم تسمع لقولهم كأنهم نخشبٌ مستندة	الذين أظهروا الإسلام لأهله ، وأضمرُوا الكفر . نقرُّ ونعترفُ . واللهُ يعلمُ . حلفهم ، وأقسامهم الكاذبة . وقايةٌ من القتل والسبي ، وستاراً يسترون به حقيقة أمرهم . منعوا من أرادَ الدخولَ في الإسلام . بئسَ العملُ عملهم ، وقبحاً لهم ! ما مرَّ من أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم . بسبب أنهم آمنوا بلسانهم ظاهراً ، وكفروا بقلوبهم سرّاً . جعل اللهُ على قلوبهم غشاءً ، حتى لا تفقه شيئاً . لا يدركون حقيقة الإيمان . تعجبك هيئاتهم ومناظرهم ، لضخامتها وجمالها . تسمع فصاحة ألسنتهم وحلاوة كلامهم ، فتصغى إليهم . كأنهم خشبٌ مستندةٌ إلى حائط ، لخلوهم من العلم والمعرفة . يظنون كلَّ نداءٍ لأيِّ أمرٍ واقعاً عليهم . هم أشدُّ أعدائك فاحذرهم ، لأنهم يفشون أسرارَكَ . لعنهم اللهُ وأهلكهم ! كيفَ يعدلون عن الحقِّ والإيمان ، بعد قيام الدليل والبرهان ؟
أتى يؤفكون	

مناقضو المدينة

١ - ابتلى الإسلامُ في المدينة بجماعة من المنافقين، تظاهروا بالإيمان ، وأضمرُوا كفرهم ، ومنهم عبدُ الله بن أبيّ، وكان جسيماً فصيحاً ، يحضُرُ مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في جماعة من أصحابه من المنافقين ، فيُعجبُ النبيّ فصاحةُ ألسنتهم ، وحلوُ كلامهم ، وضخامةُ أجسامهم ، فيصغى إلى كلامهم ، فنزلت هذه السورةُ لتفضحهم ، وتبين أعمالهم وأخلاقهم .

مجمل المعنى

١ - أخبرَ اللهُ جلَّ شأنهُ رسوله عليه الصلاة والسلام ، أنه إذا حضرَ مجلسك هؤلاء المنافقون ، تظاهروا بتصديقك ، وشهدوا لك بالرسالة بألسنتهم كذباً ومخادعةً ، فقالوا : نشهدُ أنك رسولُ الله ، واللهُ جلَّ شأنه يعلمُ أنك رسولُه حقاً ، سواء أشهدَ هؤلاء المنافقون أم لم يشهدوا ، واللهُ يشهدُ أنهم أظهروا غيرَ ما أضمرُوا ، لأن قولهم هذا يخالفُ اعتقادهم ؛ وكسرت همزة « إن » : لوجود اللام في خبرها .

٢-٣ - وكان من عادة هؤلاء المنافقين ، أنه إذا ظهرَ شيءٌ منهم يوجبُ مؤاخفتهم ، حلفوا كذباً وبهتاناً أنهم أبرياء ، وقايةً لأنفسهم من القتل أو السبي ، ولأموالهم من المصادرة ، فكانوا يتخذون من هذه الأيمان الكاذبة ستاراً يخفي حقيقتهم ، ويتخذون من تظاهروهم بالإسلام وسيلةً لمنع من أرادَ الدخول فيه ، فقبحاً لهم ! وبئسَ عملاً عملهم ! لإيثارهم الكفر على الإيمان ، وإظهارهم خلافَ ما

يبتنون ، إذ فعلوا كما يفعلُ من يدخلُ في الإسلام بالنطق بالشهادتين ، وأعلنوا بقاءهم على الكفر عند أمثالهم من المنافقين ، فإذا لقوا الذين آمنوا قالوا . آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم ، إنما نحن مستهزئون ، فاستحقوا أن يحتم الله على قلوبهم ، ويتركهم لأنفسهم الجاهلة ، وأهوائهم الباطلة ، لا يفقهون الحق ولا يدركونه ؛ والمرادُ بالحثم على القلوب : أن القلوب أوعية لما أودعت من العلوم والحقائق ، فالحتم عليها يمنعُ من وصول المعارف والحقائق إليها .

٤ - ثم يخاطبُ اللهُ رسوله ، بأنه إذا رأى هؤلاء المنافقين أعجبتهُ أجسامهم : لضخامتها ، وتناسب أعضائها ، وحسن منظرها ، وإن قالوا في مجلسه شيئاً أصغى إليهم : لفصاحتهم وحلاوة كلامهم ، مع أنهم ليسوا في مجالس الرسول - لعدم تفهمهم وتبصرهم - إلا أشباحاً خاليةً من الفائدة والجدوى ، كالحشُب المستندة إلى حائط ، التي لا تعقل ولا تفهم ، كما أنهم لخوفهم وتوقعهم الإيقاع بهم في كل وقت ، إذا ظهرت حقيقة أمرهم ، يظنون كل صوت أو نداء في أمر من الأمور ، موجهاً إليهم ، يفضحهم ويكشف أستارهم ، ويفشى أسرارهم ، ويبيح للمسلمين قتلهم أو سبيهم ، ومصادرة أموالهم .

هؤلاء ألد أعدائك يا محمد فاحذرهم ، ولا تنخدع بكلامهم ، لأن ألسنتهم معكم حين يلقونكم ، وقلوبهم عليكم حين يلقون أعداءكم ، لعنهم الله وأخزاهم ! إذ كيف يعدلون عن الحق والإيمان ، بعد أن قام عليهما كل دليل وبرهان .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية الثالثة ، من سورة المنافقون

وَإِذْ قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا اسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَوَّارُ وَهُمْ وَأَبْنَهُمْ
يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ⑤ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑥ هُمُ
الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ⑦ يَقُولُونَ لَيْسَ
رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِكُفْرٍ جُنَّ الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ،
وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ⑧

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لووَّارُ وَهُمْ يَصُدُّونَ الفاسيقين على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ	تَنَوَّارُهُ وَهُمْ ، وعطفوها إعرافاً واستكباراً . يُعرضُونَ . الخارجين عن طاعة الله . على فقراء المهاجرين .

الألفاظ	شرحها
ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض لا يفقهون لئن رجعنا إلى المدينة الأعز الأذل ولله العزة لا يعلمون	يتفرقوا عن رسول الله . ويبد الله الأرزاق ، يقسمها حسب مشيئته . لا يفهمون . لئن عدنا من غزوة بني المصطلق إلى المدينة . عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين . رسول الله ومن معه من المؤمنين . ولله الغلبة والقوة . لا يدركون ذلك لجهلهم وغرورهم .

مجمل المعنى

٥ - ٦ - ظهرت للمسلمين علامات تدل على خداع المنافقين ، ومحاولتهم الدس والوقيعه بين المسلمين ، وعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم من زيد ابن أرقم ، أحد المهاجرين ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي زعيم المنافقين وأصحابه ، فحلفوا أنهم ما قالوا ، وما فعلوا شيئاً يضر المؤمنين ، ولا مهم المؤمنين على ما اقرقوا ، وقالوا لهم : امضوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعترفوا بذنوبكم ، وتوبوا إلى الله ، واعتذروا عما فرط منكم ، يطلب لكم من الله المغفرة ، فاعترضوا أنفةً واستكباراً ؛ ولما أبوا أن يذهبوا إلى الرسول ليعلموا توبتهم واعتذارهم ، وأصرّوا على الإباء ، خاطب الله رسوله عليه الصلاة والسلام ، بأن الاستغفار لهم وعدم الاستغفار ، سواء ، فلاجدوى من محاولة استصلاحهم ، لأن الله لن يغفر لهم ما اقرقوا من الآثام والذنوب ، وأنه لا يهدى إلى الإيمان من تجاوز الحد في الخروج عن طاعته ، وأنهم كفي كفره ونفاقه .

٧- وكيف يستحقون مغفرة الله لهم ، وهم الذين حاولوا الإيقاع والتفرقة بين المهاجرين والأنصار بدسائسهم ، والسعى بينهم بالتميمة ، فكانوا يقولون للأنصار سكان المدينة : لا تنفقوا على فقراء المهاجرين الذين آوتوهم ، وآثرتموهم على أنفسكم ، وأحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، فإنكم إن أمسكتم عن النفقة عليهم ، تفرقوا عن رسول الله ، وتحولوا عن دياركم وبلادكم ؛ وقد ردَّ الله كيد المنافقين في نحورهم ، فلم يصنع الأنصارُ إلى وشاياتهم ؛ وإن خزائن الأرزاق بيده جلَّ شأنه ، يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ولكن المنافقين لا يفهمون هذا المنطق السليم ، لجهلهم أن الله إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون على الفور .

افتضاح أمر عبد الله بن أبي وانشداله

٨- حدث أن غزا النبي بنى المُصطلق - وهم فرعٌ من قبيلة خزاعة ، على مقربة من مكة - وكان قد علم أنهم يحرضون عليه ، ويريدون قتله ، فأسرع في الخروج إليهم لمفاجأتهم ، وأحاط المسلمون بهم ، وقتلوا منهم عشرة ، وأسروا الباقين ، وخرج عبد الله بن أبي في جماعة من أصحابه مع المسلمين ، رغبة في الغنيمة ، وبعد انتهاء المعركة ، حدث أن زاحم أجير لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان يقود فرسه - وكان من المهاجرين - مع رجل من الأنصار من قبيلة الخزرج ، على الماء ، فاستنجد المهاجرُ بالمهاجرين ، واستنجد الأنصارى بالأنصار ، وسمع عبد الله بن أبي الاستغاثة ، فتحرك في نفسه كامن الحقد على محمد والمهاجرين ، وقال لجلسائه : لقد كاثرتنا المهاجرون في ديارنا ، وانتفعوا بأموالنا ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ، ليخرجننا الأعزُّ منها

الأذلّ ، وعلم رسولُ الله ما قاله ، وكان عندَه عمرُ بنُ الخطاب ، فهاجَ عمرُ ،
وطلبَ من رسولِ الله قتله ، فقال له رسولُ الله : « فكيف يا عمر إذا تحدّثَ
الناسُ ، وقالوا : إنَّ محمداً يقتل أصحابه؟ » وخشى عبدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ أبي
— وكان مسلماً حسن الإسلام — أن تتكاثر الأدلّة على نفاق أبيه وكفره ، فأمَرَ
النبيَّ بقتله ، فذهب إلى الرسول ، وقال له : بلغني أنك قد تريدُ قتلَ أبي فيما
بلغكَ عنه ، فإن كنتَ فاعلاً فرّني بقتله ، فإنّي لأخشى أن تأمرَ غيري بقتله ،
فلا تدعني نفسي أنظرُ إلى قاتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النارَ ؛
فأجابهُ الرسولُ : « إنا لا نقتله ، بل نترفق به ، ونحسنُ صحبته ما بقى معنا » .

وقد ردّ اللهُ على عبدِ الله بنِ أبيّ : بأن القوّة والغلبةَ لله ، ولنْ أعزّه
اللهُ من رسوله ومن آمنَ به ؛ ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك من فرطِ جهلهم
وغرورهم ؛ وقد ظهرت هذه العزّة حين عادَ المسلمون وعبدُ الله بنُ أبيّ إلى
المدينة ، فإنه عند ما أرادَ عبدُ الله بنُ أبيّ دخولَ المدينة ، سلّ ابنه سيفه ،
وقال له : والله لا أُغمده حتى تقولَ : محمداً الأعزُّ وأنا الأذلّ ، ولم يتركه
حتى قالها .

(٣)

من الآية التاسعة من سورة المنافقون، إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ⑩ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ⑪
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ⑫

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا تلهمكم ذلك	لا تشغلكم . الاشتغال بالأموال والأولاد .
الخاصرون	المصابون بالخسارة .
أنفقوا مما رزقناكم	أنفقوا بعض أموالكم .
يأتي أحدكم الموت	ينزل الموت بأحدكم ، برؤية علاماته وأماراته .
لولا أخرتني	هلا أمهلتني ! .
أجل قريب	زمن قريب .
فأصدق	فأصدق .
وأكن من الصالحين	وأندارك ما فاتني .
إذا جاء أجلها	إذا وأفاها آخر عمرها في الدنيا .

بجمل المعنى

٩ - يأبىها الذين صدّقوا بالله ورسوله ، لا يشغلهم الاهتمامُ بتدبير أمور أموالكم وأولادكم : من التصرف في الأموال ، والسرور بالأولاد ، عن الاشتغال بذكر المولى جلّ شأنه ، الذى وهبكم هذه الأموال وهؤلاء الأولاد : من الصلاة وسائر العبادات ، ومنّ تلهه أمواله وأولاده عن العبادات ، فأولئك هم الخاسرون ، لأنهم باعوا العظيمَ الباقي ، بالحقير الفانى .

١٠ - وأنفقوا أيها المؤمنون من بعض ما أعطيناكم ، وتفضلنا به عليكم من الأموال ، في الزكاة وغيرها من وجوه الإنفاق ، لتكُونْ ذِخْرًا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ ، من قبل أن يرى أحدُكم أمارات الموت ومقدماته : من مرض ونحوه ، فيسأل البقاء في الدنيا ، قائلاً : يا ربّ ، هلا أمهلتني وأخرت أجلى وقتاً قصيراً ، حتى أتصدق وأتدارك ما فاتني من الصلاح والتقوى ، وسائر قواعد الإسلام ؛ وحزمت « أكن » عطفاً على محل « فأصدّق » ، كأنه قيل . إن أخرتني أصدّق وأكن من الصالحين .

١١ - والله سبحانه وتعالى لن يمهل نفساً عن الموت ، إذا دنا آخرُ عمرها ، وانتهى زمنُ حياتها في الدنيا ؛ والله خيرٌ بأعمالنا ، يُجازينا عليها عند الحساب ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

سورة التغابن

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٨ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الرابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ① هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ②
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ③
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ
وَأَنَّهُ عَلَيْهِ يَأْتِي الصُّدُورُ ④

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يسبح لله بصيرٌ بالحقّ	ينزهُ اللهَُ عما لا يليقُ به . عليمٌ ، خبيرٌ ، مطلعٌ حقاً يقينياً لا ريبَ فيه .
أحسنَ صوركمُ المصيرُ بذات الصدور	أجملَ خلقكمُ ، بأن جعلَ شكلَ الآدمي أحسنَ الأشكال . المرجعُ . بما في الصدور من الأسرار والمعتقدات .

مجمل المعنى

١ - يَخْضَعُ اللهُ وَيَنْزِهُهُ كُلَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مِنْ جَمِيعِ الْعَوْلَامِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ، تَنْزِيهاً دَائِماً مُسْتَمِراً ، وَهُوَ يَمْلِكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَسُلْطَانَهُ مُبْسُوطٌ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ ، وَقَضَاؤُهُ نَافِذٌ ، وَلَهُ الْحَمْدُ مِنْ خَلْقِهِ ، لِأَنَّهُ رَازِقُهُمْ ، وَهَادِيَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ ، وَهُوَ ذُو قُدْرَةٍ قَادِرَةٌ ، يُجِيبُ وَيُمِيتُ ، وَيُعْزِزُ وَيُفْقِرُ ، وَيَهْدِي وَيُضِلُّ ، وَيُعْزِزُ وَيَذِلُّ ، لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ .

٢ - وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ ، أَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقْنَا عَلَى فِطْرَةٍ سَلِيمَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَنَّا مِنْ يَكْفُرُ ، وَمِنَّا مَنْ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ كُفْرُ الْكَافِرِ ، وَلَا إِيمَانُ الْمُؤْمِنِ ، فَهُوَ بَصِيرٌ بِأَعْمَالِنَا ، عَالِمٌ بِهَا ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَسَيَجَازِي الْكَافِرَ عَلَى كُفْرِهِ ، وَالْمُؤْمِنَ بِإِيمَانِهِ .

٣ - وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَقّاً بِقُدْرَةٍ تَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهِ ،

وخلق الإنسان في أحسن صورة ، وأجمل شكل ، وإليه مرجعُ جميع الخلق .

٤- وَيَعْلَمُ اللهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، وَمَا فِي الْأَرْضِينَ السَّبْعِ ،
وَمَا يَعْلَمُهُ النَّاسُ وَمَا يَسْرُونَهُ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، بَلْ هُوَ يَعْلَمُ مَا يَدُورُ فِي ذَهْنِ
الْإِنْسَانِ ، أَوْ يَطُوفُ بِخَاطِرِهِ ، أَوْ يَهْجَسُ فِي قَلْبِهِ ، مِمَّا هُوَ أَخْفَى مِنَ السَّرِّ ؛
لِذَلِكَ كَانَ يَجِبُ أَلَّا نَسِرَ غَيْرَ مَا نَعْلَمُ ، وَأَلَّا نَبْدَى غَيْرَ مَا نَبْطُنُ ، فَكُلُّ ذَلِكَ
يُحْصِيهِ اللهُ ، وَيَحَاسِبُنَا عَلَيْهِ .

وذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات ، أنه بصير بما نعمل ،
وأنه يعلم ما نسرّ ونعلن ، وأنه عليمٌ بجميع ما يجيش بصُدُورِ الناس ،
وهذا كله فيه معنى التهديد والوعيد للإنسان ، حتى لا يجترأ إنسانٌ على الله
أو يخالفه .

(٢)

من الآية الخامسة إلى الآية ١٣ من سورة التغابن

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑤
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ
يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ⑥ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى
وَرَبِّي لُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ ⑦ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⑧ يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْجَمْعِ ذَلِكَ
يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ
عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَسَسُ
الْمَصِيرُ ⑪ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ
بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑫ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ⑬
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ⑭

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألم يأتكم	الخطابُ لكفار قريش .
وبال أمرهم	عاقبة عملهم ، وضرر كفرهم ، ووخامة عاقبتهم في الدنيا .
بالبينات	بالحجج الواضحات
أبشر يهدوننا	استنكروا وتعجبوا أن يكون الرسول إليهم من البشر .
وتولّوا	وأعرضوا عن التأمل فيما أتى به الرسل من الحجج .
واستغنى الله	أظهر غناه عن إيمانهم ، بأن أهلكتهم وقطع دابرهم .
غنى حميد	مستغن عن عبادتهم ، محمود في جميع فعالة .
زعم	ادعى .
الذين كفروا	المراد: أهل مكة .
يسير	هين سهل .
والنور الذي أنزلنا	والقرآن الذي أنزلناه على محمد ، لما فيه من الهداية .
ليوم الجمع	ليوم القيامة . الذي يجتمع فيه جميع الخلائق .
التغابن	أن يغبن الناس بعضهم بعضاً فيه .
يكفر عنه سيئاته	يغفر له ذنوبه .

بجمل المعنى

٥ - يُخاطبُ اللهُ تعالى كفارَ قريش ، ويوجهُ نظرهم إلى أخبار سابقهم ، ويسألم في تهكم واستنكار : ألم يصل إليكم خبرُ الذين كفروا من

قبلكم ، وكذبوا أنبياءهم : كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ؟ فإن هؤلاء ذاقوا نتيجة كفرهم ، بأن عاقبهم الله في الدنيا ، وسيعذبهم عذاباً شديداً في الآخرة .

٦ - وهؤلاء هم الذين جرّوا على أنفسهم غضب الله ، فلم يفكروا فيما جاءهم به أنبيأؤهم ، من حجج قاطعة بصدق رسالتهم ، وأنكروا عليهم أن الله يختصهم بالرسالة دون غيرهم ، مع أنهم بشرٌ مثلهم ، وظنوا أنه لو أراد الله أن يرسل إليهم رُسُلاً ، لأرسل ملائكةً ، ولهذا نفروا من أنبيائهم ، وأعرضوا عنهم ، ولم يقبلوا الحق الذي جاءهم به واضحاً بيناً ؛ والله سبحانه وتعالى غنيٌ عنهم ، وعن إيمانهم به وبرُسُله ، غنيٌ عن جميع خلقه ، محمودٌ بجميع نعمه ، وكريم فعله ، وحسن هدايته ؛ وفي الآية ما يدلّ على مبالغة الكفار في العناد ، فإنهم يستنكرون أن يكون رسولهم بشراً ، ولم يستنكروا أن يكون معبودهم حجراً .

٧ - ظن هؤلاء الكافرون أنهم لن يبعثوا يوم القيامة ، وأنهم لن يخرجوا من قبورهم بعد مماتهم ؛ والله يأمر نبيه أن يؤكد لهم أنهم مبعوثون يوم القيامة ، وأنهم محجزيتون بعملهم ، فيحاسبون ويُجازون ، وهذا كله سهلٌ يسير على الله .

٨ - ١٠ - إذا كان الأمر كذلك ، وجبَ عليكم أيها المشركون أن تصدّقوا ، فتؤمنوا بالله ، وبرسول الله ، وبالقرآن الذي أنزل على رسول الله ، والله خيرٌ بأعمالكم ، محيطٌ بها ، مُحصٍ لها ، مُجازيكم عليها يوم جمع الخلائق عند البعث للعرض ، وهو اليوم الذي يتغابن فيه الناس ، فيتكم سعداؤهم بأشقيائهم ، ويتندّر المؤمنون بالكافرين ، وفي هذا اليوم يغفر الله للمؤمنين ذنوبهم ، ويدخلهم الجنة التي يُخلدون فيها ، ويفوزون بها ، أما الكافرون المكذبون فسيدخلون جهنم ، ويُخلدون فيها ، وتلك نهايةٌ شنيعةٌ سيئةٌ ، سببها لهم كفرهم ؛ والتغابن : مأخوذٌ من غبته في البيع والشراء غبنا ، إذا غلبه أو نقصه حقه ، أو أخذ الشيءَ منه بأقل من قيمته ، وهو هنا تمثيلٌ ، كأن أهل الجنة اشتروا الآخرة

بترك الدنيا، فربحوا في تجارتهم، وأهل النار اشتروا الدنيا بترك الآخرة، فخسروا في تجارتهم، فكأنه حدث نوعٌ من المبادلة، ربح فيه المؤمنون، وخسر الكافرون .

١١- لا يصابُ أحدٌ بشرٌ إلا بقضاء الله وتقديره ، يعلمُ ذلك المؤمنون بالله، الذين هدى الله قلوبهم للإيمان ، ووقفهم للتسليم بقضاء الله الذي يعلمُ كل شيء ، فالمؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه .

١١-١٣- والذين يريدون النجاة لأنفسهم في الدنيا والآخرة ، يجبُ عليهم أن يطيعوا الله في أمره ونهيه ، وأن يطيعوا الرسولَ في كل ما يبلغهم عن الله ؛ لأن الرسولَ ليس عليه إلا أن يبلغ الرسالةَ من الله الواحد ، الذي لا شريك له . وهو الذي يتوكلُ عليه المؤمنون لوحدانيته، فإن أعرض الكفارُ عن سماع دعوة الرسول ، فليصبروا ليتأس بما فعله الكفارُ مع من سبقه من الأنبياء ، فليس على الرسول إلا التبليغُ .

(٣)

من الآية ١٤ من سورة التغابن، إلى آخر السورة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ
فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑮
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ⑯ فَاتَّقُوا
اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ
وَمَنْ يُوقِ شَخَّ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑰ إِنْ تَقَرَّضُوا اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ⑱ عَلِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑲

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فاحذروهم	فلا تأمنوهم .
فتنة	اختبار وفتنة لكم ، أو سبب لاشتغال القلب بهم .
ما استطعتم	غاية جهدكم .
ومن يوق شخ نفسه	ومن يحفظ بتوفيق الله من يهمل نفسه .
إن تقرضوا الله	إن تنفقوا المال في وجوه الخير .

الألفاظ	شرحها
قرضاً حسناً يضاعفه لكم شكوراً حليماً عالم الغيب والشهادة	إنفاقاً بإخلاص . يَجْزِكُمْ ثَوَابَهُ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً . يعطى كثيراً على العمل القليل . لا يعجلُّ بالعقوبة . لا يَخْنِي عَلَيْهِ شَيْئاً .

إيثار الصفح

أسلم رجالٌ من أهل مكة ، ورأوا أن يذهبوا إلى المدينة ، ويلحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فمنعهم أزواجهم وأولادهم أن يذهبوا إلى المدينة ، وبعد مدة ذهبوا إلى المدينة ، فوجدوا من بها من المسلمين قد تفقهوا في الدين ، فهموا أن يعاقبوا زوجاتهم وأولادهم ، فأنزل الله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » ، فغضبوا وأقسموا : لِيُعَاقِبُنَّ أَهْلَهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

مجمل المعنى

١٤ - يُخْبِرُ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أَنَّهُمْ يَجِدُونَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ أَعْدَاءَ لَهُمْ ، يَصُدُّوهُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ ، وَيَبْطِئُونَهُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَيُخَاصِمُونَهُمْ فِي أَمْرٍ دِينِهِمْ ، وَيُحْذَرُهُمُ اللَّهُ إِيَّاهُمْ ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى تَرْكِ

معاقتهم ، والصفح عنهم ، والإغضاء عن ذُنُوبِهِمْ ، وملايتهم ، فإن
في ذلك تمهيداً لاعتذارهم ، واستمالة قلوبهم ، واللهُ يغفرُ لمن يستحقُّ المغفرةَ ،
ويرحمُ من يستحقُّ الرحمةَ ، فلا يعاقبُ التائبينَ .

الأولاد مَشغَلَةٌ

١٥- كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخطبُ ، فجاءَ الحسنُ والحسينُ
رضي الله عنهما ، وعليهما قميصانُ أحمرانُ ، يعثرانُ ويقومانُ ، فنزلَ رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم فأخذَهُمَا ، فرفعهما في حجره ، ثم قال : « صدقُ اللهُ
ورسولُهُ ، إنما أموالكم وأولادُكم فتنَةٌ ، رأيتُ هذينِ فلمُ أَصْبِرْ ، حتى قطعْتُ
حديثي ورفعتُهُمَا » ، ثم أخذَ يخطبُ ، أي : أنَ الأموالَ والأولادَ بلاءٌ في
الدنيا ، يشغَلُ القلبُ بهما عن الطاعات . وقد يرتكبُ من أجلهما بعضَ المحرماتِ ؛
واللهُ سبحانه وتعالى عنده أجرٌ عظيمٌ ، للذين يُؤثرون طاعته ومحبته على طاعة
أولادهم ومحبتهم .

١٦- وعلى الإنسان أنْ يبذلَ غايةَ جهده في تقوى الله ، وسماعِ مواعظه ،
وإطاعة أوامره . واجتنابِ نواهيه ، وإنفاقِ المالِ في وجوه الخير ، فإن ذلك كله
خيرٌ له . يعودُ عليه نفعه في الدنيا والآخرة . والذين يحفظهم اللهُ منُ بخلِ أنفسهم ،
ويجنبهم تأثيرها في الإغراء باتباع الهوى ، ويُخالفونها فيما يغلب عليها من حبِّ
المال ، وبغضِ الإنفاق ، هم الذين ينجيهم اللهُ من عذابه .

١٧- ١٨- والذين يصرفون أموالهم في وجوه الخير التي أمرَ اللهُ بها ، ويحتسبون
بصرفها الأجرَ والثوابَ عندَ الله ، يضاعفُ اللهُ لهم ثوابهم ، من عشرة أمثال إلى
سبعائة . أو إلى أكثر من ذلك ، ويغفرُ لهم ذُنُوبَهُمْ ، ولا يعاقبهم عليها ؛ واللهُ
يشكرُ لؤلؤةَ المنفقين في الآخرة إنفاقهم ، ويحلمُ على العاصين ، فلا يعجل
عقوبتهم . وهو يعلمُ خائفةَ الأعين وما تُخفي الصدُورُ ، ويشددُ في انتقامه ممن
عصاهُ وأصرَّ على عصيانه ، ويحكمُ تدبير خلقه ، سبحانه وتعالى .

سورة الطلاق

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٢ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعَيْدِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّكُم بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَنَلَّكَ حُدُودَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ
حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ
أَمْرًا ① فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ
بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ②
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ③

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لعدتهن	في الزمان الذي يصلح لعدتهن .
وأحصوا العدة	واضبطوها بالعدد ، وأكملوها ثلاث حيضات مستقبلات كوامل ، لا نقصان فيها .
من بيوتهن	من مساكنهن اللاتي يقمن فيها مع أزواجهن .
بفاحشة مبينة	معصية ظاهرة كالزنى ، أو يكون سبباً في الحكم عليها بالنشوز ، أو كل أمر قبيح .
يحدث بعد ذلك أمراً	يبدل بالإعراض إقبالا ، وبالبعض محبة .
بلغن أجلهن	أشرفن على إتمام عدتهن .
فأمسكوهن بمعروف	فراجعوهن وعاشروهن بمعروف .
ذوى عدل	شاهدين مسلمين حريين ، متصفين بالعدالة .
أقيموا الشهادة لله	أدوا الشهادة خالصة لوجه الله .
من حيث لا يحتسب	من وجه لا يخطر له ببال .
حسبه	كافيه .
بالغ أمره	لا يفوته مراد ، ولا يعجزه مطلوب .
قدراً	تقديراً وتوقيتاً .

مجل المعنى

١ - خاطب الله النبي - وأراد أمته - لأن هذا أمرٌ تشريعي ، فهو

للمسلمين جميعاً ، مبيناً ما يأتي :

إذا أراد مسلمٌ تطليق زوجته ، فعليه أن يلتمس الوقت المناسب للدخول في

العدة ، ويكون ذلك عقب الطهر من الحيض ، على ألا تكون قد وقعت في ذلك الطهر ملامسة .

أما تطليق المرأة وهي حائض فهو مخالفٌ للسنة ، فقد روى أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ما هكذا أمرك الله ، وقال لعمر : «مُرِ ابْنُكَ فَلْيَرَا جَعْمَهَا ، ثُمَّ لِيَدْعَهَا حَتَّى تَحِيضَ ، ثُمَّ تَطْهَرَ ، ثُمَّ لِيَطْلُقْهَا إِنْ شَاءَ» ، فتلك العدة التي أمر الله أن نطلق فيها النساء .

إذا وقع طلاقٌ على الوجه السابق ، تَرِكَتِ الْمَرْأَةُ حَتَّى تَنْقُضِيَ عِدَّتَهَا ، وَالْعِدَّةُ : ثَلَاثُ حِيضَاتٍ كَوَامِلٍ تَقَعُ بَعْدَ الطَّلَاقِ ، أَمَا الَّتِي لَا تَحِيضُ لِأَنَّهَا حَبْلِي ، فَعِدَّتُهَا تَنْقُضِي بِالْوَضْعِ ، وَالَّتِي لَا تَحِيضُ لِصِغَرٍ أَوْ كِبَرٍ ، فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ .

وإذا طلق الرجل زوجته ، وجب عليه أن يتق الله ، ويحافظه ، ولا يتعدى حدوده ، فيترك المطلقة تنقض عدها في بيت الزوجية ، ولا يجوز للزوج أن يرغم زوجته على الخروج غضباً عليها ، أو كراهة لمساكنتها ، أو لحاجته إلى المسكن ، فهو مسكنها ما دامت في عدها ، وكذلك يظل سلطانه مبسوطاً عليها في حدود حقه ، فله أن يمنعها أن تخرج من البيت إذا طلبت ذلك ، وليس لها أن تخرج من غير إذن إذا أرادت الخروج .

ويجوز للرجل إخراجها من منزل الزوجية في الأحوال الآتية :

- (أ) إذا ارتكبت جريمة الزنى .
- (ب) وإذا طلقت طلاق النشوز الذي يسقط معه حق التمتع بالسكنى في منزل الزوجية .
- (ج) وإذا بدأت وتوقفت على زوجها أو حماها .
- (د) وإذا خرجت بدون إذن مطلقها .

والطلاق للعدة ، وإحصاء العدة ، والأمر باتقاء الله ، وعدم إخراج

المطلقة من بيتها إلا للأسباب المتقدمة - هذه الأشياء كلها حدودُ الله التي حدّها لخلقه ، وكلّ من يتجاوز هذه الحدودَ ويتعدّاها ، فقد ظلمَ نفسه بارتكابه ذنبا ؛ ومع ذلك فالإنسانُ لا يعلمُ ما يجري في الغيب ، لعل الله يكون مقدراً أنكم تراجعونهنّ بعد تطليقهنّ ؛ إن لمّ تبين المرأة بينونةً كبرى .
٢-٣- وإذا أوْشكت المطلقةُ أنْ تنتهي عدتها ، فالرجلُ بالخيار : إما أنْ يراجعها ، ويعاشرها بالمعروف ، وإما ألا يراجعها ، وتقع المفارقةُ من غير مضارة ، بأن يراجعها مثلاً في نهاية عدتها ، ثم يطلقها لتستأنفَ عدّةً جديدةً ، فإن في ذلك تعديباً لها .

وعند المراجعة أو المفارقة ، يشهدُ شاهدان لها دينٌ ، وفيهما أمانةٌ ، وتكون الشهادةُ خالصةً لوجه الله ، فلا هي للمشهود له ، ولا هي للمشهود عليه ، وإنما هي لإقامة الحقّ ، ودفع الظلم ، فيؤدّها من يدعى إليها من غير تغيير ولا تبديل . هذا الذي أمر الله به وعرفناه من أمر الطلاق والعدّة ، وما يجبُ على المطلّق والمطلّقة ، وما يتّبعُ عند الإمساك وعند الفراق - هذا كله عظةٌ يتعظُّ بها المؤمنون . الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر .

وكلّ من يخافُ اللهَ ، ويعملُ بما أمرَ به ، ويحْتنبُ ما نهى عنه ، يعرفُ أن اللهَ يبسر عليه أمره ، فإذا طلقَ مثلاً في الحدود التي رسمها اللهُ فيما سبق ، ولم يراجع في العدّة ، ثم رغبَ في استرجاع الزّوجية ، جعل اللهُ له مخلصاً ، بأن يخطبها ويعيدها إليه ، إلا أن تبين بينونةً كبرى بالطلاق ثلاث مرات ، فإنّها لا تحلّ له حتى تتزوج زوجاً غيره ، ويعاشرها معاشرّة الأزواج ، واللهُ يهيئُ له أسبابَ الرّزق ، من حيث لا يعلم ولا يرجو .

الصبر مفتاح الفرج

كان لرجل من أشجع - وهي إحدى القبائل العربية - ابنٌ أسره

المشركون، وأنزلوه بينهم، فأتى الرجلُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يشكو إليه مكان ابنه، وحالته التي هوَ بها، وحاجته، فكان النبي يأمره بالصبر، ويقول له: «إن الله سيَجعلُ له مخرجاً»، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً، حتى انقلت ابنه من أيدي العدو، فرآه بغم من أغنام العدو، فاستاقها، فجاء بها إلى أبيه، وجاء معه بفتى قد أصابه مع الغم، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: هل يحلّ لي أن آكل مما أتى به ابني؟ قال: «نعم»، ونزلت الآية: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب».

ومن يوكل الله في أموره، ويفوضها إليه، فهو كافي، والله يبلغ ما يريد، فلا يفوته ولا يعجزه شيء، وكل من يتوكل على الله، ويراقبه في أعماله، يكفر عنه سيئاته، ويضاعف له أجره، والله مقدر لكل شيء وقته الذي يقع فيه.

(٢)

من الآية الرابعة إلى الآية السابعة ، من سورة الطلاق

وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ④ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ
إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سُبُلًا مَخْرُجًا ⑤
أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ
لِضَعْفِ قُوَّاتِهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ
حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ⑥
وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَارَفْتُمْ فَانْزِعُوا
لَهُنَّ أُجُورًا ⑦ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ
رِزْقُهُ فليُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا
آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ⑧

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اللائي يئسن من المحيض	اللائي انقطع حيضهن لتقدم سنهن .
إن ارتبتم	{ إن خفي عليكم حقيقة أمرهن ، ولم تعرفوا كيف يقضين العدة .
اللائي لم يحضن	الصغيرات اللاتي لم يصلن إلى سن البلوغ .
أولات الأحمال	الحبيليات ذوات الحمل .
أجلهن	انقضاء عدتهن .
أسكنوهن	أسكنوا المطلقات .
من وجدكم	مما تجدونه ويكون في وسعكم وطاقتم .
ولا تضاروهن	{ ولا تعملوا على الإضرار بهن ، ومضايقتهن في السكنى .
فآتوهن أجورهن	فأعطوهن أجور الإرضاع .
وأتمروا بينكم	وتشاوروا في إرضاع الطفل عند امتناع أمه عنه .
بمعروف	بمساحة وروح طيبة .
تعاسرتم	تعانستم واختلقتن في الإرضاع .
قدر	ضيق .

بجمل المعنى

٤ - قال أبي بن كعب: يا رسول الله ، إن عِدَّةَ دَأْمٍ مِنَ النِّسَاءِ لَمْ تَدْ كُرْ فِي الْكِتَابِ : الصَّغَارُ وَالْكِبَارُ ، وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « وَاللَّائِي يئسنَ مِنَ الْمَحِيضِ . . . » وعدة المطلقة ثلاثة أشهر في حالتين :

(١) النساء اللاتي شككن في أن حيضهن قد انقطع عنهن لتقدم سنهن - عدتهن ثلاثة أشهر ، بخلاف التي ترتفع عنها حيضتها وهي شابة ، فإنه ينتظرُ بها ، خشية أن تكون حاملا ، فإن استبان حملها ، فعدتها تنقضي بالوَضْع ، وإن لم يستب ، اعتدَّت بأقصى المدة ، وهي سنة .

(ب) والصغيراتُ اللاتي لم يبلغن سن الحلم .

والحامل : عدتها تنقضي بوضع حملها ، إذا طلقت أو توفي عنها زوجها .

والذين يخافون الله ، ولا يخالفون تعاليم الشريعة في شأن تطليق النساء طلاقاً رجعيّاً ، فإن الله يسهل عليهم برخصة المراجعة ، ما دامت المطلقة في العدة ، ويجوز خطبتها بعد انقضاء العدة ، وتزوجها مرة أخرى .

٥ - وهذا الذي بيّنه الله لنا في هذه الآيات ، من حكم الطلاق والعدة والرجعة ، تشريع من عند الله يأمرنا أن نقف عنده ، ونلتزم حدوده ؛ والذين يخافون الله ، فيجتنبون المعاصي ، ويؤدون الفرائض ، يغفر لهم ذنوبهم ، ويضاعف أجرهم ، ويجزل ثوابهم .

٦ - ومن مظاهر تقوى الله ، أن الرجل إذا طلق زوجته ، وجب عليه أن يسكنها مثل ما يسكن ، ولو كان ذلك في جانب من مسكنه الذي يقيم فيه ، إذا كان لا يقدر على غيره ، ولا يجوز مضايقتها في المسكن على أي صورة من الصور لتركه .

والحاملُ تنتهي نفقةُ عدتها بالوَضْع ، فإن أرضعت مولودها وجب على الأب الإنفاق عليها ، كما لو كانت ترضع مولوداً غيرها ، ويكون ذلك

بالتفاهم والتراضى بينهما، فإذا أبت الأمُّ المطلقةُ أنْ ترضع ولدَها، لمضايقة الأب لها في الأجر، فإن اللهَ لن يحرمَ هذا الطفلَ الذي تمنعه أمُّ لبنا، أو يَأبى أبوهُ أنْ يعطى أمه المطلقةُ أجرَ إرضاعه - لن يحرمه ظنراً غيرَها ترضعه، وتقومُ على شئونه؛ وفي ذلك بعضُ العذاب على الأم التي تمتنع عن إرضاع وليدها.

٧- وكل رجل ينفقُ على قدر حاله، فالموسرُ ينفق نفقة الموسر، والمعسرُ ينفقُ نفقة المعسر، كلُّ على قدره؛ والفقيرُ إذا أنفقَ ما يقدر عليه، يفتحُ اللهُ له بابَ الرزقِ، وييسره له، فيجعلُ شدته رِخاءً، وفقره غنى، وضيقه سعة.

(۳)

من الآية الثامنة من سورة الطلاق ، إلى آخر السورة

وَكَأَيِّن مِّن قَرِيْبَةٍ

عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ، فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيْدًا
وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝۸ فذَاقَتْ وَبِآلِ أُمْرِهَا وَكَانَ
عَقِبَهُ أُمْرُهَا خُسْرًا ۝۹ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا فَاتَّقُوا اللهَ
يَا أَهْلَ الْآلِبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝۱۰
رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ
لَهُ رِزْقًا ۝۱۱ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ
يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ
أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝۱۲

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وكأين من قرية	وكثير من أهل قرية .
عنت عن أمر ربها	أعرضت عن أمر ربها عناداً واستكباراً، ولم تقبله؛ من العتو: وهو الاستكبار .
عذاباً نكراً وبال أمرها خسراً	عذاباً منكراً شديداً، ويكون ذلك يوم القيامة. عاقبة ما عملت من المعاصي . غيباً، لبيعهم الآخرة بالدنيا . يا أصحاب العقول .
يا أولى الألباب ذكراً	قرآنا .
رسولاً	وأرسل رسولاً، هو جبريل عليه السلام، أو محمد صلى الله عليه وسلم .
مبينات من الظلمات إلى النور	موضحات لمن يتبينها ويتدبرها . من الضلال إلى الهدى .
قد أحسن الله له رزقاً يتنزل الأمر بينهن	قد منحه الله رزقاً من الجنة . يجرى حكم الله بينهن، وينفذ فيهن .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

٨ - ٩ - هدد الله من خالف الأحكام التي سبق شرحها، بأحوال الأمم السابقة . فبين أن كثيراً من أهل القرى طغوا وبغوا، وعاندوا واستكبروا، ولجسوا في العناد، وخالفوا الله وعصوا رُسُلَهُ، وأصروا على كفرهم، فعرضوا أنفسهم لحساب

الله حساباً شديداً يومَ القيامة، حينَ يحصى عليهم ذنوبهم، ويعددُ نعمه عليهم، ليعذبهم عذاباً شديداً لارحة فيه، فيذوقوا بذلك العذاب عاقبة ما فعلوا في الدنيا، من عصيان وكفر وعناد .

۱۰- وإن عذاب النار الذي سيصلونه ، أعدهُ اللهُ لهم ، فعلى العقلاء الذين يسمعون ويتدبرون، فيؤمنون بالله ورسوله ، وبما نزلَ عليه من قرآن ، أن يتقوا الله ويطيعوه ، ويحذروا سخطه وغضبه ، ويقبلوا على أداء فرائضه .

۱۱- وأرسلَ اللهُ الرسولَ الكريمَ ، وأنزلَ عليه الذكرَ الحكيمَ ، يتلوهُ على الناس ليتعظَ به أصحابُ العقول الراجحة ، ويخرُجوا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهؤلاء المؤمنون الصالحون يدخلهم اللهُ يومَ القيامة الجنات التي تجري الأنهارُ من تحت أشجارها وقصورها ، وينعمون بما فيها من خيرات ، ويمكنون فيها أبداً ، فلا يموتون ولا يُخرَجون ، بل يظلون متمتعين برزق واسع طيب ، وعيش رَغد هنيء .

۱۲- اللهُ الذي يجبُ أن نعبدَه ، هو الذي خلقَ السموات السبع ، والأرضين السبع، وخلقَ ما بينهما ، ودبر ذلك كله بعلمه وقدرته وإرادته ؛ والذي يخلق ذلك كله هو القادرُ الذي لا يعجزهُ شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ولا فيما بينهما ، وهو العالم بكل شيء، لا يعزُبُ عنه مثقالُ ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ .

سورة التحريم

نزلت بالمدينة ، وآياتها ١٢ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الخامسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْضَاتٍ أَزْوَاجَكَ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ① قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ
وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ② وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى
بَعْضِ أَزْوَاجِهِ ، حَدِيثًا فَلَا نَبَأَ بِهِ ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَتَرَ
بَعْضُهُ ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَا نَبَأَ هَا بِهِ ، قَالَتْ مَنْ أَتْبَاكَ
هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ③ إِنْ تَوَلَّيْنَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ④
عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ
قَلْبَتْ تَبَيَّنَتْ عِيدَاتٍ سَبَّحَتْ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا ⑤

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أحل الله لك	جعلهُ حلالاً لك .
تبتغي مرضاة أزواجك	تطلب رضا زوجاتك .
فرض الله لكم	شرع الله لكم .
تحلة أيمانكم	تحليل أيمانكم .
مولاكم	متولى أمركم ، وربكم .
الحكيم	المتقن في أفعاله وأحكامه .
بعض أزواجه	حفصة بنت عمر زوجته .
نبأت	أخبرت .
وأظهره الله عليه	وأطلعهُ على خبر إفشائه .
عرف بعضه	أخبر السيدة حفصة بما عرفه ، أو جازاها به بتطبيقه إياها .
وأعرض عن بعض	ولم يخبرها ببعضه ، أو تجاوز عنه ولم يؤاخذها به .
إن تتوبا	يقصد حفصة وعائشة من أمهات المؤمنين .
صغت قلوبكما	مالت قلوبكما عن الواجب ، من الإخلاص لرسول الله .
وإن تظاهرا عليه	وإن تتعاوننا عليه بالإساءة إليه .
مولاة	ناصره ومعينه .
وصالح المؤمنين	والصلحاء من أتباعه وأعدائه .
ظهري	متظاهرون ومعاونون ، وناصرون للنبي .

الألفاظ	شرحها
مؤمنات	مخلصات طائعات .
قانتات	مصليات طائعات .
عابدات	متعبدات .
سائحات	صائمات ، أو مهاجرات .
ثيبات	سبق تزوجهن .
أبكاراً	لم يتزوجن بعد .

قصة حفصة

كانت حفصة بنت عمر ، وعائشة بنت أبي بكر ، من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أمهات المؤمنين ، وكانتا متحابتين ؛ وحدث أن حفصة ذهبت إلى أبيها ، فأرسل النبي إلى جاريته مارية القبطية ، وظلت معه في بيت حفصة ، وكان اليوم يوم عائشة ، فلما رجعت حفصة إلى بيتها وجدتها ، فجلت تنتظر خروجها ، وأصابها غيرة شديدة ، فأخرج النبي مارية ، ودخلت حفصة ، وقالت : أي رسول الله ، لقد سؤيتي في بيتي ! فقال صلى الله عليه وسلم : والله لأرضينك : فإنني مسرٌّ لك سرّاً فاحفظيه ، قالت : ما هو؟ قال : أشهدك أن مارية على حرامٍ رضاً لك ؛ وكان في نفس حفصة وعائشة وغيرهما من نساء النبي غيرة شديدة من مارية ، ولا سيما بعد أن ولدت إبراهيم ؛ فلم تطق حفصة أن تكتم السر على النبي ، ولم تلبث أن انطلقت إلى عائشة ، وأسرت إليها : أن أبشري ، إن النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه فئاته ؛ فلما أخبرت حفصة عائشة بسر النبي صلى الله عليه وسلم ، أظهره الله عليه ، وأطلعه على أمره .

حديث العسل

وقالوا في رواية أخرى : كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورُ زينب بنتَ جحش ، لإحدى زوجاته وابنة عمته ، فيشربُ عندها العسل ، فاتفقت عائشة وحفصةُ وغيرُهما من نسائه ، على أنه حينما يدخلُ على أيتها ، تقول له : إني أجدُ ريحَ مغافير - والمغافير : صمغ حلوٌ كالعسل يؤكلُ ، وله ريحٌ كريهةٌ - وكان النبي لا يحبُّ الرائحةَ الكريهة ، فدخلَ على إحداهما ، فقالت له ذلك ، فقال : « بل شربتُ عسلاً عند زينب بنت جحش ، ولن أعودَ له » ، فلما دخل على الثانية ، قالت له : أكلتَ مغافير؟ قال : « لا » ، قالت : فما هذه الريحُ ؟ قال : « سقتني زينبُ شربةً من عسل » ، ثم دخل على الثالثة ورابعة ، وكلهن ينكرن عليه رائحة كريهة ، فحرمَ العسل على نفسه .

مجمل المعنى

١ - عتبَ الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه حرمَ على نفسه شيئاً غيرَ حرام ، وهو جاريتُه مارية أو العسل ، استرضاءً لزوجاته ، وفي هذا العتبُ حُصٌّ له على أن يعودَ إلى الاستمتاع بما حرمه على نفسه ، والله يغفرُ له ما فعلَ من تحريم ما أحله اللهُ له ، ويرحمه بالأبوابِ يؤاخذُه ؛ وقد عتبَ اللهُ عليه ، لأن فعله تشريعٌ ، فما يحرمه على نفسه يحرمُ على أمته ، فكأنه حرمَ غيرَ محرّم .

٢ - وخروجاً من هذا ، رخصَ اللهُ له بالفدية ، وهي كفارةُ اليمين ، واللهُ متولى أمرنا ، ويعلمُ صالحنا ، فيرشدنا إليه ، ويشعره لنا ، ويحكم كل

ما يأمرنا به من قول أو فعل ، ولا يأمر ولا ينهى إلا بما توجبه الحكمة .

٣ - ولما أسر النبي إلى حفصة بعض الأمر ، كتحريم العسل على نفسه ، أو تحريم جاريتيه مارية عليه ، أو أى شىء آخر ، كان عليها أن تحتفظ بهذا السر ، ولكنها لم تكتمه ، وأذاعته لعائشة صديقتها ، فعرف الله النبي ما فعلت حفصة ، فأطلعها على بعض ما عرف ، وأعرض عن بعضه تكريماً ، فاستعجبت ، وخشيت أن تكون عائشة أفشت سرها ، وسألته : ممن عرف هذا ؟ فأخبرها أن الله أطلعها عليه ، وجازاها على ما فعلت بتطليقه إياها .

٤ - عرفت حفصة وعائشة ما وقعتا فيه من الحرج ، بعد أن مال قلباهما عن الحق ، وبعد أن انحرقتا عن الإخلاص لرسول الله ، فتابتا إلى الله وكان لتوبتهما ما يوجبها ، وهو صغور قلبيهما عن الحق ، وصدور ما يقتضى منهما التوبة ؛ ومع ذلك فإن تعاونهما عليه لإغاظته وإثارته لا يؤذيه ، لأنه منصور من الله ، ومن جبريل ملك الوحي ، ومن أعوانه وأتباعه من المؤمنين المخلصين ، ومن وراء هؤلاء جميعاً تنصره الملائكة ؛ ومع ذلك فإنه فى غير حاجة إلى نصرة أحد ، ما دام الله معه ، ولكن الله ساق هذا دليلاً على رضا خلقه عنه من الإنس والملائكة ، فلن يضيره غضب امرأتين .

٥ - ولعله إن وقع منه تطليق فسوقه الله إلى زوجات خير منكن ، لا يتظاهرن عليه ، ولا يفشين سره ، وإنما يكن مسلمات مخلصات مطيعات متعبدات صائمات لا يرتكبن ذنباً ، ولا يقترفن إثماً ، لا فرق فى ذلك كله بين بكر وثيب .

(٢)

من الآية السادسة إلى الآية التاسعة ، من سورة التحريم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ①

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ②

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ

عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا

يُنْخِزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَيَاَمِّنُهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ائْتِنَا نُورًا وَارْحَمْنَا وَأَعِزَّنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ③ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ

وَمَا لَهُمْ حِمْيَرٌ مِّمَّنْ ④

شَرْحُ الْأَلْفَاظِ

الألفاظ	شرحها
قُوا أَنْفُسَكُمْ	{ احفظوا أنفسكم من سوء العاقبة ، بترك المعاصي وفعل الطاعات .
وَأَهْلِيكُمْ وَقَوْلُهَا	واحفظوا أهليكم بالنصح والتأديب . ما توقدُ به .
عَلَيْهَا مَلَأْتِكُمْ	بلى أمرها ، ويقومُ عليها ملائكةٌ ، وهمُ الزبانيةُ .
غَلَاظُ شِدَادٍ	غلاظُ الأقوال ، شدادُ الأفعال .
تَوْبَةٌ نَصُوحًا	{ توبةٌ خالصةٌ ، بالندم على العمل السيئ ، والعزم على عدم العودَةِ إليه .
يَكْفُرْ عَنْكُمْ سِئَاتِكُمْ	يكفر عنكم خطيئاتكم .
يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ	{ يوم يكرم الله النبي والمؤمنين بفوزهم بالجنة ، وعصمتهم من النار .
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ	يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمْ نُورًا يَسِيرُ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ .
نُورُهُمْ يَسْعَى	حَارِبِهِمْ بِالسَّيْفِ .
جَاهِدَ الْكُفْرَانَ	حَارِبِهِمْ بِالْحِجَّةِ وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ .
وَالْمُنَافِقِينَ	{ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الرَّفْقُ وَاللِّينُ مَعَهُمْ ، فِقَابِلَهُمْ بِالغَلْظَةِ وَالْحَاشِئَةِ .
اغْلَظْ عَلَيْهِمْ	مَصِيرُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ .
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ	وَبِئْسَتِ الْهَيْبَةُ الَّتِي يَنْتَهُونَ إِلَيْهَا .
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

٦ - يطلبُ اللهُ تعالى إلى المؤمنين أن يحافظوا على أنفسهم بترك المعاصي ، وفعل الطاعات ، وأن يحافظوا على أهلهم بإسداء النصح لهم ، وبحملهم على ما يحملون أنفسهم عليه من الطيبات ، وفي الحديث : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من جهل أهله » ، وفي حديث آخر : « رحم الله رجلاً قال : يا أهلاه ، صلاتكم ، صيامكم ، زكاتكم ، مسكينكم ، يتيمكم ، جيرانكم ، لعل الله يجمعهم معي في الجنة » .

ويطلبُ اللهُ ذلك ليحفظوا أنفسهم من نار يوم القيامة ، وهي نارٌ ليس وقودها خشباً ولا فحماً ولا حطباً ، كالنار التي نوقدها في الدنيا ، ولكن وقودها الناس والحجارة ، والذين يتولون أمر التعذيب فيها زبانية ، عددُهم تسعة عشر ، ولم أعوان فيهم غلظة وقوة ، وجفوة وخشونة ، لا تأخذهم رافة في تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى ، والغضب له ، والانتقام من أعدائه ، من غير تناقل ولا إبطاء .

٧ - ويقالُ للذين كفروا عند دخولهم النار : لا تعتذروا الآن عما فعلتم ، فإن أى عذر منكم غير مقبول ، ولا تجنون فائدة من ورائه ، وليس ذلك تعنتاً معكم ، أو استبداداً بكم ، وإنما هو جزاء لكم على أعمالكم في الدنيا .

٨ - أرشدَ اللهُ سبحانه وتعالى المؤمنين إلى طريق التوبة النصوح ، التي ينصحون بها أنفسهم ، وهي توبةٌ تمحو السيئات ، ولا يعودُ التائب بعدها إلى ذنب أبداً؛ فعن علي رضي الله عنه ، أنه سمع أعرابياً يقول : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، فقال : يا هذا ، إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين . قال : وما التوبة ؟ قال : يجمعها ستة أشياء : على الماضي من

الذنوب الندامة ، وللفرائض الإعادة ، ورد المظالم ، واستحلالُ الخصوم ،
وأن تعزمَ على ألا تعودَ ، وأن تذيبَ نفسك في طاعة الله كما رَبَّيتها في
المعصية ، وأن تذيبها مرارة الطاعات ، كما أذقتها حلاوة المعاصي .

والتوبةُ النصوحُ فيها تكفيرٌ عن السيئات ، وغفرانٌ للذنوب ،
وَوَرَاءَها ثوابٌ من الله بدخول الجنة ، فلا يخزي التائبين كما يخزي أهلَ
الكفر بدخول النار يومَ القيامة ، فإن في دُخولها خزيًا ومذلةً : لقوله تعالى :
«إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ» ، بل يعصمُ اللهُ الرسولَ ومن آمن به من
الخزى، ويسيرُ بسيرهم نورهم على الصراط : يحفهم إلى الجنة ، ويسألون اللهَ
أن يتم عليهم نورهم ويغفرَ لهم ، حينما يروْنَ المنافقين في ظلام حالك يظلم
عليهم طريقهم ، فيفزعون إلى الله ، ويدعونه تقرباً إليه ، ولا سيما إذا كانوا
من أدنى المؤمنين منزلةً ، لأنهم لا يعطون من النور إلا قدرَ ما يبصرون
مواطئُ أقدامهم، فيكون النورُ على قدر الأعمال ، واللهُ قادرٌ على كل شيء .

٩- أمر اللهُ نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجاهدَ الكفارَ بالسيف ،
وأن يجاهدَ المنافقين بالحجة والبرهان ، وأن يشددَ عليهم في المجاهدة ،
فلا هوادةَ ولا رأفةً ، فيقتل الكافرَ ، ويقيم الحدَّ على المنافق، وهؤلاء جميعاً
ينتهون في الآخرة إلى جهنم يعذبون فيها ، وبشسّ المصيرُ الذي يصيرون إليه ! .

(٣)

من الآية العاشرة من سورة التحريم ، إلى آخر السورة

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ
نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادٍ نَاصِلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا
فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٥﴾
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي
عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ، وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ
رُوحِنَا وَصَدَقَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظَّنُّ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا	أوردَ مثلاً لحالة عجيبة .
كانتا تحتَ عبدَينِ	كانتا زوجتين لعبدَينِ من عبادِ الله ، ونبينِ من أنبيائه .
فخانتاهما	فنفقتا عهدَ الزوجية بالكفر والنفاق .
لمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا	لم ينفعهما أنهما زوجتان لنبين .

الألفاظ	شرحها
أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا الْقَانِتِينَ	عَفَّتْ عَنْ ارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ . فَحَمَلَتْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَّصِلَ بِهَا رَجُلٌ . بِشَرَائِعِهِ الَّتِي آتَى بِهَا عِيسَى . الْمُطِيعِينَ .

مجمل المعنى

١٠- يعاقبُ اللهُ الكافرين يومَ القيامة من غير محاباة ، فلا تنفعهم قرابتهم للمؤمنين ، ولو كانوا أنبياء؛ وقد مثَّلَ اللهُ لذلك بامرأة نوح التي كانت تصف زوجها بالجنون ، وامرأة لوط التي كانت تدل قومها الفاسقين على ضيفان زوجها ، فإنهما كانتا كافرتين منافقتين خائنتين ، تعاونان الكفار على زوجيهما ، فحق عليهما العذابُ ، على الرغم من أنهما زوجتا نبيين ، وقيلَ لهما عند موتهما : ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الْكَاذِبِينَ .

١١- وكذلك اتصَلُ المؤمنون بالكافرين لا يضرهم ، ولا ينقص شيئاً من ثوابهم ، ومثَّلَ اللهُ لذلك بامرأة فرعونَ ، فإن لها عند الله منزلة عظيمة ، مع أنها زوجة لأعدى أعداء الله ، فقد آمنت بالله وحده ، وصَدَّقَتْ رَسُولَهُ موسى ، حين سمعت قصة معجزاته ، ودعت الله أن ينجها من فرعونَ وأعماله السيئة ، ومن قومه الظالمين ؛ فاستجاب اللهُ لدُعائها ، وبنى لها بيتاً في الجنة ، ونجَّاهَا من فرعونَ وعمله ، وكانَ تعذيب فرعونَ إيَّاهَا ، حينَ علمَ بِإِيمَانِهَا بِمُوسَى وَرَبِّهِ ، يَقَعُ عَلَيْهَا بَرْدًا وَسَلَامًا .

١٢ - ومثل أيضاً لمن آمن بالسيدة العفيفة: مريم بنت عمران، أم عيسى عليه السلام، فإنه طهرها من الخنا والكفر، واصطفها على نساء للعالمين، مع أن قومها كانوا كفاراً، وقد صانت نفسها من دنس الفواحش، وأودع الله فيها بقوته سر الحياة، فحملت بسيدنا عيسى عليه السلام، من غير أن يمسه بشر، وآمنت بعيسى وبالكتب المنزلة، وأطاعت ربها، فكتب لها الجنة. وقد بين الله في هذه الآيات، أن كل إنسان مسئول عن عمله، فلا تنفعه قرابته من الصالحين، إذا كان هو من العاصين، ولا تضره قرابته من العاصين، إذا كان هو من الطائعين؛ وفي هذا كله تعريض بحفصة وعائشة زوجي النبي، وتنديد بما بدا منهما من تعاونهما على النبي، والعمل على إخراجهما؛ وفيه تحذير لهما بأنهما لا يعودان إلى مثل ذلك، لأن صلتهم بالنبي وأبويهما لا تغفر لهما ذنبيهما، كما أن صلة امرأة نوح ولوط بزوجهما لم تنفعهما، ولم تكن سبباً في المغفرة لهما؛ وفي هذا التعريض مؤاخظة شديدة لحفصة، لأن ما فعلته من الإفشاء للسر، يشبه ما فعلته امرأة لوط من الإفشاء للسر أيضاً، ولأنه لم يلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم من الضرر مثل ما لحق بنوح ولوط من أذى زوجتيهما، فقد قبل الله توبة حفصة وعائشة، وحذرهما أن تعودا إلى مثل ما فعلتا.

فهرس جزء قد سمع ، أو الجزء الثامن والعشرين

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الأرقام
من ٣ - ٨	من ١ - ٦	المجادلة	١
٩ - ١٣	٧ - ١٠	»	٢
١٤ - ١٨	١١ - ١٣	»	٣
١٩ - ٢٤	١٤ » إلى آخر السورة	»	٤
٢٥ - ٢٨	١ - ٤	الحشر	١
٢٩ - ٣٢	٥ - ٨	»	٢
٣٣ - ٣٦	٩ - ١٠	»	٣
٣٧ - ٤٠	١١ - ١٧	»	٤
٤١ - ٤٥	١٨ » إلى آخر السورة	»	٥
٤٦ - ٤٩	١ - ٣	المتحنة	١
٥٠ - ٥٣	٤ - ٧	»	٢
٥٤ - ٥٥	٨ - ٩	»	٣
٥٦ - ٥٩	١٠ - ١١	»	٤
٦٠ - ٦٢	١٢ » إلى آخر السورة	»	٥
٦٣ - ٦٦	١ - ٦	الصف	١
٦٧ - ٧٠	٧ - ١٣	»	٢
٧١ - ٧٢	١٤ » إلى آخر السورة	»	٣
٧٣ - ٧٥	١ - ٤	الجمعة	١
٧٦ - ٧٨	٥ - ٨	»	٢
٧٩ - ٨١	٩ » إلى آخر السورة	»	٣
٨٢ - ٨٥	١ - ٤	المنافقون	١
٨٦ - ٨٩	٥ - ٨	»	٢
٩٠ - ٩١	٩ » إلى آخر السورة	»	٣

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الأرقام
من ٩٢ - ٩٤	من ١ - ٤	التغابن	١
» ٩٥ - ٩٨	» ٥ - ١٣	»	٢
» ٩٩ - ١٠١	» ١٤ إلى آخر السورة	»	٣
» ١٠٢ - ١٠٦	» ١ - ٣	الطلاق	١
» ١٠٧ - ١١٠	» ٤ - ٧	»	٢
» ١١١ - ١١٣	» ٨ إلى آخر السورة	»	٣
» ١١٤ - ١١٨	» ١ - ٥	التحریم	١
» ١١٩ - ١٢٢	» ٦ - ٩	»	٢
» ١٢٣ - ١٢٥	» ١٠ إلى آخر السورة	»	٣

تفسير القرآن الكريم

التاسع والعشرون

تأليف

محمود محمد حمزة محمد أحمد برانق حسن علوان

عني بطبعه ونشره
خادم العام والعلماء
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة
إدارة إحياء التراث الإسلامي
بدولة قطر



سورة الملك

نزلت بمكة ، وآياتها ثلاثون آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الحادية عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ② الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ
سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى
مِنْ فُطُورٍ ③ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَائِسًا وَهُوَ
حَسِيرٌ ④ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا
لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ⑤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑥ إِذَا الْقَوَارِفِهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ
تَفُورُ ⑦ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَذِيرٌ ⑧ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ

إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ٩ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٠
فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١١

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تبارك	تعظيم وتكثير خيره وبركته
ليبلوكم	ليختبركم ويمتحنكم .
العزير	القوى الغالب .
سبع سموات	سبع مدارات للكواكب السبع السيارة .
طباقاً	طبقات بعضها فوق بعض .
تفاوت	اختلال وعدم تناسب .
ارجع البصر	انظر مرات نظر فاحص متأمل .
فطور	شقوق أو خلل .
كرتين	مرتين ، والمراد : ترديد النظر .
خاسئاً	خائباً ذليلاً صاغراً .
حسير	ضعيف ، كليل من تكرار النظر .
السماء الدنيا	أقرب السموات إلينا .
بمصابيع	بنجوم مضيئة .
رجوماً	ظنوناً وأوهاماً .
للشياطين	للخارجين من الناس عن طاعة الله .
أعدتنا	أعدتنا وهياناً .
السعير	النار الملتهبة .

الألفاظ	شرحها
شهيقاً	صوتاً شديداً كصوت الباكي ، أو الشديد الغيظ .
تفور	تغلي غلياناً شديداً .
تميز	تتفرق أجزاءها ، وتتقطع من شدة الغيظ .
فوج	جماعة .
نذير	رسول من عند الله ، يخوفكم عاقبة أمركم .
بلى	كلمة تدل على التصديق .
إن أنتم	ما أنتم .
نسمع	نقبل ما نسمع قبولاً حسناً .
نعقل	نفكر .
سحقاً	بعداً عن رحمة الله .

مجمل المعنى

١- ٢- إن الله الذي يتصرف في أمور مخلوقاته كلها لعظيم الشأن ، كثير الخير والبركة . قادر على كل شيء ، فقد أوجد فينا الحياة بعد العدم ليمتحننا ، فينظر : من منا أخلص في العمل على طاعته ، أو جنح إلى معصيته ؟ وهو القوي الشديد . ذو العرش المجيد . المنتقم من عصاه ، الغفور لمن تاب إليه مما جناه .

٣- ٤- وقد بيّن الله تعالى في هذا المقام ، أن الإنسان لو تبصر ، لرأى أن الله جلّت قدرته ، هو الذي خلق سبع مدارات للكواكب بعضها فوق بعض ، ليس فيها خلل ولا عيب ، وهذه الكواكب السيارة السبع ، هي التي كانت

معروفةٌ عند العرب ؛ ولو تأملنا في السموات ، لرأينا تناسبها وتماسكها ، بما بينها من تجاذب ، وإذا تكرر النظر فيها وتردد ، فإنه سيرتدُّ إلى الناظر خائباً كليلاً ضعيفاً ، أمام هذه القدرة العظيمة ، لأنه مع تكرار النظر ، والتفكُّر فيما يراه ، لا يرى إلا نظاماً عجيباً ، يعم جميع الكائنات ، وقدرة باهرة ، يعجز عنها جميع المخلوقات .

٥-٦- وإذا نظر الإنسان إلى السماء التي هي أقربُ السموات إلينا ، وجدها تظهرُ ليلاً في أجمل هيئة ، وأبهى زينة ، وبعض الدجالين من المنجمين ، يدعى أنه باطلاعه على هذه النجوم ، يستطيع أن يتنبأ عن المستقبل رجماً بالغيب ، من غير دليل ولا برهان ، وهؤلاء المنجمون يُضلِّلون الناسَ بهذه الظنون والأوهام ؛ وهم يُشبهون في تضليلهم وتهويشهم الشياطين ؛ والمراد بكونه تعالى جعل هذه النجوم ظنوناً وأوهاماً لهؤلاء المنجمين : أن عمل هؤلاء الخادعين كان بالنظر في النجوم ؛ ولقد أعدَّ الله لهؤلاء المضللين يومَ القيامة ناراً شديدة ذات لب ، يصيرون إليها أسوأ مصير .

٧-٩- فإذا ألبى هؤلاء في النار ، سمعوا لها وهي تغلي غليان القِدْر ، صوتاً كصوت الغضبان المتغيظ ، الذي تهبُّ له الفرصةُ للانتقام من أعدائه ، وتكاد هذه النارُ لشدة غليانها ، وارتفاع لهبها ، تتفرقُ أجزاءها بعضها عن بعض .

وكلما طرح جماعةٌ منهم فيها ، قال لهم الزبانية الموكلونَ بالنار توبيخاً لهم : ألم يأتكم رسولٌ من عند الله يخوِّفكم لقاء يومكم هذا ؟! وعند ذلك يعترفون في ذلةٍ وخضوع ، بأن الله أرسلَ إليهم رسولا ! ولكنهم كذبوه وقاوموه .

١٠-١١- ثم يندمون ويقولون : لو كان لنا آذان تتقبلُ بقبولِ حسن ما تسمعه من الرسول ، أو عقولٌ تفكرُ فيما جاء به ، ما عوقبنا بهذا العذاب الأليم ، ولكن ندمهم ، واعترافهم بذنبهم ، جاء بعد فوات الفرصة ، فكان جزاؤهم يوم القيامة ما لَقُّوه من العذاب .

(٢)

من الآية ١٢ إلى الآية ٢٤ من سورة الملك

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ وَأَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾
أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِيفَ بَكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي
السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِدٍ وَيَقْبِضْنَ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ نَهَذَا الَّذِي هُوَ جَدُّ لَكُمُ يَنْضَرُّكُمْ
مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ نَهَذَا الَّذِي يَرِزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ
رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمْ نَبَشِي مُكِبًا عَلَى وَجْهِهِ ۗ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمِشِي
سُورًا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْعِدَّةَ فَلَئِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يَحْشَرُونَ	يخافون .
بِالْغَيْبِ	وهم بعيدون عن أعين الناس .
بِذَاتِ الصُّدُورِ	بما في الضمائر من خواطر .
اللطيف الخبير	العالم بما ظهر أو خفي من خلقه .
ذلولاً	سهلة للمشي فيها .
مناكبها	جوانبها ونواحيها وطرقها .
النشور	البعث يوم القيامة .
من في السماء	سُلطان الله وقدرته .
يُخَسِّفُ بِكُمْ الْأَرْضَ	يغيِّبكم فيها .
تَمُورٌ	تضطرب وتتحرك .
حاصباً	ريحاً ترميكم بالحصباء ، وهي صغار الحصى .
نذير	تحذير .
نكير	عقابي للمنكير ، وعاقبة تغيِّرُ وسخطي .
صافات	ناشرات أجنحتهن .
يقبضن	يضممن أجنحتهن
ما يمسكن	ما يمنعهن من السقوط .
بصير	عالم خبير .

الألفاظ	شرحها
جند لكم	أنصار وأعوان .
من دون الرحمن	من غير الرحمن .
إن الكافرون	ما الكافرون .
غرور	غفلة وخداع .
أمسك رزقه	منعه .
لجوا	تمادوا واستمروا .
عسوا	عناد وتكبر .
نفور	بعد عن الحق .
مكباً على وجهه	وجهه إلى الأرض .
سويّاً	معتدل القامة .
صراط	طريق .
أنشأكم	خلقكم .
الأفئدة	المدارك والعقول .
ما تشكرون	ما هنا : زائدة .
ذراًكم	خلقكم وكشركم .
تحشرون	تجمعون يوم القيامة .

مجمل المعنى

١٢-١٤ - إن الذين يخافون ربهم فلا يعصونه ، ولو كانوا مختفين عن أعين الناس ،

ويطيعونه في السر كما يطيعونه في العلانية ، يغفر الله لهم ذنوبهم ، وهم

يوم القيامة أجر كبير ؛ وإنه ليستوى عند الله القول والعمل في السر

والجهر ، فإنه مطلعٌ على ضمائر الناس ، وما تخفيه صدورهم ، لأنه خالقهم ، فكيف يكون خالقهم ، ولا يعلم ما تنطوى عليه نفوسهم .
١٥- ومن مظاهر قدرته ورحمته ، أنه خلق الأرض ، ويسر لنا السير فيها ، فعلينا أن نجتهد في السعي للحصول على أرزاقنا ، بالضرب في مناخى الأرض ، ونسير فيها سير من يعلم أن مصيره يوم القيامة إلى الله ، فلا يرتكب في سبيل سعيه أية معصية .

١٦- ١٧- ثم بيّن الله أن الفضل في تدليل الأرض ، وهبتها للضرب في مناكبها ، مرجعه إلى الله جلّت قدرته ، ولو شاء لأمر الأرض أن تزلزل ، فتبتلع من على ظهرها ، وتهلكهم ؛ وإذا أمن الناس الحسف لقلة وقوعه ، فهل يأمنون أن يرسل الله عليهم ريحاً شديدة تحمل الحصى ، فتلحق الأذى بهم ، ولسوف يظهر لهم صدقُ هذا الإنذار ، إن أصروا على عنادهم .

١٨- وأراد الله أن يهون على رسوله عليه الصلاة والسلام ، ما يلقاه من أذى قومه ، حتى لا يضيق صدره بعنادهم . فبيّن له أن هذه عادة الكفار مع أنبيائهم : يكذبونهم فينزل الله بهم عذابه ، وإن الكفار الذين كذبوه يعرفون كيف كانت عاقبة المتكبرين لرسالة أنبيائهم ، وكيف كانت عاقبةُ سُخط الله عليهم ؟

١٩- فهل عمى هؤلاء الكفار المعاندون عن آثار قدرة الله ، فلم يروا الطيور في السماء ؟ فقد مكّتها الله أن تنشر أجنحتها تارة ، وتضمها تارة أخرى ، ولا يمنعها من السقوط إلا قدرةُ الله الخبير ، العالم بكل ما يحدث في ملكه ؟ إذ خالف في أجسامها نواميس سائر الأجسام الثقيلة ، وركب لها أجنحة تستعلي بها في الهواء ، دون أن تسقط .

٢٠- ٢٢- وإذا كنتم أيها المشركون لا تلتفتون إلى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام .

اعتماداً على قوتكم ، وما لكم من الأنصار والأعوان ، فمن ذا الذى يُتقذكُم عن عذاب الله فى الدنيا إن أرادهُ ، كما حدث لغيركم ؟ فما أنتم أيها الكفار المستكبرون عن قبول دعوة الرسول ، إلا غافلون مخدوعون ؛ ومن ذا الذى يستطيع من الخلق أن يرزقكم ، إن أراد الخالقُ أن يمنع أسباب الرزق عنكم ؟ إنكم لتعلمون أن الله قادرٌ على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم ، أو من تحت أرجلكم ، لأنكم تستمرون فى غيَواتكم وضلالكم ، وتتكبرون على الإذعان للحق ، مع أنه واضحٌ وضوحاً لا خفاء فيه ، فثلكم فى عبادة الأصنام التى تدل على جهالتكم ، كمثل من يسير ووجهه إلى الأرض ، إما لضعف فى بصره ، أو وعورة فى طريقه ، فهو يتعثر ويسقط على وجهه - أفن هذه حاله من العمى والضلال ، كمن سار فى طريق الهدى ، واستضاء بنور العقل ، فعبدَ الله وحده ، وأقر بربوبيته ، وسار معتدلاً القائمة فى طريق مستقيم ، لا عوج فيه ولا انحراف ؟ فأى الطريقين أهدى سبيلاً ، وأقوم طريقاً ؟

٢٣-٢٤- قل لهم أيها الرسولُ الكريمُ ، للدلالة على قدرتنا : من الذى خلقكم من العدم ، وجهزكم بأسباب الهداية ، فخلق فيكم السمعَ والبصرَ والعقلَ ؟ لقد أفسدتم هذه المواهب ، فلم تقبلوا ما سمعتموه ، ولم تعتبروا بما أبصرتموه ، ولم تتأملوا فيما عقلتموه ، وكان أولى اكم أن تشكروه على نعمه ؟ وقل لهم : من الذى أوجدكم بقلوته ، وكشركم فى الأرض ، تنتفعون بطيباتها ، ثم يجمعكم يوم القيامة للحساب ؟ لا أحد غير الله جل شأنه .

(٣)

من الآية ٢٥ من سورة الملك ، إلى آخر السورة

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أُمَّنَّابَهُ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الوعد	يوم القيامة .
العلم	علم يوم القيامة .
نذير	مبلغ .
زُلْفَةٌ	قريباً .

الألفاظ	شرحها
سيئت وجوه تَدَّعُونَ أرأيتم يجير غوراً مَعِين	علاها الحزن . تطلبون وتسالون . أخبروني . ينفذ . غائراً في الأرض . جار على الأرض ، سهل المأخذ .

بجمل المعنى

٢٥-٢٦- كان الكفار حين يُحذِّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقبة تماديتهم في ضلالهم ، وما سيلقون من عذاب الله يوم القيامة ، يقولون للمسلمين على سبيل الاستهزاء والسخرية : متى يوم القيامة الذي تهددوننا بالعذاب فيه ؟ فأمر الله رسوله أن يخبرهم أن يوم القيامة آت لا ريب فيه ، ولكن لا يعلمه إلا الله وحده ، وما هو إلا مبلغ رسالة ربه ، وليس من مستلزمات التبليغ العلمُ بيوم القيامة .

٢٧- وقد صورَّ الله حال الكفار حين يرون هذا اليوم عياناً ، بأن وجوههم تملؤها الكآبة والحزن والحسرة ، وتصير كوجوه المجرمين حين يقادون إلى ساحة الإعدام ، ويقال لهم : هذا هو اليوم الذي كنتم تطلبونه في الدنيا استهزاءً ، وتستعجلونه سخريةً بدعوة النبي عليه الصلاة والسلام .

٢٨- وكان الكفار من قريش يحاولون قتل الرسول ، ويقول بعضهم لبعض : انتظروا ، فهو لا بد أن ينتقضى أجله ، وتموت معه دعوته ؛ فشدد الله

عزيمة الرسول ، بأن أمره أن يقول للكفار : أخبروني أيها المشركون ، إن أماتني الله ومن معي من المؤمنين كما تتمنون وتحاولون ، أو رحمتنا بتأخير آجالنا ، فهل هذا يُنقذكم من عذاب الله يوم القيامة ؟

٢٩- قل لهؤلاء الكافرين : إن الذي أدعوكم إلى عبادته ، هو الله الرحيم بخلقه ، وقد آمننا به وحده ، وإليه جميع أمرنا ، يُصرفه كيفما شاء بحكمته ، وعمما قريب تعلمون : من منا حاد عن طريق الهداية ، واتبع سبيل الغواية ، حين تم لنا الغلبة عليكم ، وتعلو كلمة الإسلام على كلمتكم .

٣٠- وأراد الله أن يختم آيات التهديد والإنذار ، بما يُذكّرهم بنعمة الله عليهم ، فهو يمن عليهم بالماء الذي يجري في متناول أيديهم ، وتحت مواقع أبصارهم ، ولو أراد الله لغيّض هذا الماء ، حتى يعجزوا عن الوصول إليه ، فلا يجلبوا منه قطرة تطفيء ظمأهم ، أو تُروى زرعهم وضرعهم .

سورة القلم

نزلت بمكة، إلا الآيات من ١٧-٣٢ ومن ٤٨-٥٠ فقد نزلت بالمدينة

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيْكُمْ
الْمَقْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ
مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخِيرِ مُعْتَدٍ
أَيْحٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ
ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ
الْأُولِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ ﴿١٦﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ن	حرفٌ من حروف الهجاء .
والقلم	أقسم بالقلم الذي يكتب به .
وما يسطرون	وأقسم بما يكتبون .
ممنون	مقطوع أو منقوص .
فستبصر	فستعلم .
بأيكم	أيكم . والباء زائدة .
المفتون	المجنون .
تُدْهِن	تُتَلَاين وتسامح .
يُدْهِنُونَ	يُلَايِنُونَكَ بترك الطعن فيك .
حِلَافٌ	كثير الحلف بالحق أو الباطل .
مَهِينٌ	حقير .
هَمَّازٌ	عِيَاب ، يذكر الناس بالمكروه .
مَشَاءٌ	نَقْدَالٌ للحديث .
بَنِمِيمٌ	بالتيممة للإفساد .
مَنَاعٌ للخير	بِخِيلٌ مَمْسُكٌ .
أَثِيمٌ	كثير الذنوب .
مُعْتَلٌ	فظ جافى الطبع .
زَنِيمٌ	من ينتسب إلى قوم وليس منهم .
أَنْ كَانَ	أَلَنْ كَانَ ، أَمِنْ أَجْلِ أَنْ كَانَ ؟
آيَاتِنَا	ما أنزلنا من القرآن .

الألفاظ	شرحها
أساطيرُ سنسمة الخرطوم	أباطيل . نكويه ، ونجعل له سمة أى علامة . الأنف .

مجمل المعنى

١- ٣- بدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة بحرف من حروف الهجاء ، إشارة إلى أن القرآن الكريم كله مؤلف من حروف مثل هذا الحرف ، ولكن الله جلت قدرته ، صاغه صياغة يعجز عن مثلها البشر ؛ ثم أقسم بالقلم وما يسطره الكاتبون ، للدلالة على شرف معرفة القراءة والكتابة ، وللحض على تعلمها - أقسم بهذا على أن الله قد خص نبيه برجحان العقل ، وسداد الفكر ، وأن ما يرميه به الكفار من الجنون ، ينبغي ألا يوهن من رسالته ، ويفت في عضده ، لأنه كذب واختلاق ، وعلى أن له عند الله أجراً عظيماً لا ينقطع ولا ينقص ، لاحتماله أذى الكفار ، وعلى أن ما يرجفون به من إصابته بالجنبل ، وضعف العقل ، لا يمكن أن يصرف القلوب عن دعوته ، ويزهد النبي في رسالته .

٤- ٧- ثم بيّن الله أن الرسولَ ذو خلق عظيم ، لا يبلغه أحدٌ من الناس ، مهما ارتفع قدره ، وعلا شأنه ، ومن كان كذلك ، لا يمكن أن يُستهم بالجنون ؛ وسترى أيها الرسول وسيرون معك ، حينما يظهر دين الحق ، وينتشر نور الهدى والإيمان بفضلك ، أنهم هم المقتنون المجانين ، الذين لا يميزون ، وأنت أنت الذى اهتديت بعقلك إلى سبيل الرشاد .

٨-٩- ولما كان هؤلاء المكذبون للرسول قد حادوا عن سبيل الهدى ، وتمنوا أن يتدين محمد مثلهم بدين آبائهم ، فيعبد مثلهم الأصنام ، فقد نهاه الله عن إطاعتهم ، وأمره أن يداوم على الدعوة إلى الدين الحق ، ولا يبالي ما يوده هؤلاء الكفار من التسامح معهم ، بترك الطعن في عبادة الأصنام ، حتى يلينوا له ، ولا يسرفوا في أذى من أسلم من الضعفاء ، بل ينبغي أن يكون على حذر منهم .

١٠-١٣- ونهاه أن يطيع من كان كثير الخلف بالحق والباطل ، لأنه يشعر بحقارة منزلته عند الناس ، إذ لو كان له مكانة رفيعة عندهم ، لما احتاج إلى تأييد كلامه بالخلف ؛ والمراد بهذا : الوليد بن المغيرة ، كان من زعماء قريش وصناديدها وأغنيائها ، وكان يجمع إلى كثرة الخلف بالحق والباطل ، الإكثار من إذاعة مقالة السوء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في غيبته وحضوره ، ويمشى بالوقية والإفساد بين الناس ، لإثارة الأحقاد والغداوات ، وكان يحول بين الناس وبين ما يريدونه من عمل الخير ، وكان ظالماً : يتعدى حدود العدل والإنصاف في معاملة الناس ، ويهضم حقوقهم ؛ وكان لا يعبا بما يقترفه من الآثام والذنوب ، وكان فظاً غليظ الطباع ، اثماً ذنياً الأصل .

١٤-١٦- ونهى الله عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام عن المبالاة بهذا الوليد . الذى اتصف بهذه الصفات ، المباهى بكثرة ماله ، المعتز بتعدد أبنائه ، المعتز بجاهه ونفوذه ، المتمادى في ضلاله ، فإذا تليت عليه آيات القرآن الكريم ، قال : إنها أكاذيب تحكى عن الأمم الماضية ؛ من أجل هذا سيلحق الله به يوم القيامة الذل والمهانة والاحتقار ، وسينكل به أشنع تنكيل ، ويشوه وجهه أبشع تشويه ، وذلك بكيه في أشرف موضع في الوجه ، الذى هو أشرف شيء في الجسم .

(٢)

من الآية ١٧ إلى الآية ٣٣ من سورة القلم

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا
بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ١٨
فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠
فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ٢١ أَرَأَيْدُوا عَلٰى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٢ فَأَنْطَلَقُوا
وَهُمْ يَخْفَتُونَ ٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ٢٤ وَغَدَوْا
عَلٰى حَرِّ قَدِيدٍ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٢٧
قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْبَحُونَ ٢٨ قَالُوا سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ ٣٠ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا
كُنَّا طَٰغِينَ ٣١ عَسَىٰ رَبِّنَا أَن يَبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ٣٢
كَذٰلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٣٣

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بلوناهم	امتحنا أهل مكة .
الجنة	البيستان .
ليصرمها	ليقطعن ثمارها .
مصبحين	وقت الصباح .
لا يستنون	لا يعلقون ذلك على مشيئة الله .
طاف عليها	نزل بها .
طائف	عذاب ، وهو الحريق .
كالصبريم	كالليل في سواده .
فتنادوا	نادى بعضهم بعضاً .
اغدوا	اخرجوا في الصباح الباكر .
حرثكم	ثماركم .
صارمين	قاطعين لها .
يتخافتون	يتحدثون بصوت خافت .
حرّد	منع وحرمان .
لضالّون	لتأهون .
أوسطهم	أفضلهم رأياً .
لولا	هلاً .
تسبّحون	تذكرون الله وتتوبون إليه .
سبحان ربنا	نتوب إلى الله .
يتلامون	يلوم بعضهم بعضاً .

الألفاظ	شرحها
ويلنا طاغين عسى ربنا	هلا كنا . ظالمين . نرجو ربنا .

مجل المعنى ، وقصة أصحاب البستان

كان أهل مكة ذوى تجارة واسعة ، ومال وافر ، فلما بعث الله رسولهُ محمداً صلى الله عليه وسلم كفروا به ، وآذوه ؛ فأراد الله أن يذكرهم بما أسبغهم من النعم ، ومقابلتهم لها بالكفران والجحود ، بما وضعوه فى سبيل دعوة الرسول من العقبات ، فضرب لهم مثل أصحاب البستان ، ليبين لهم أن من طغى وبغى ، استحق غضب الله وعذابه .

قصة أصحاب البستان

كان لرجل صالح بستان ، فيه كثيرٌ من أنواع الثمار ، وكان يخص الفقراء بنصيب من ثمارها عند قطفها ، شكراً لله على نعمه ؛ وكان يخبرهم باليوم الذى يجنى فيه ثمار بستانه ، ليحضروا لأخذ نصيبهم منه ! فلما مات ورثه أبناؤه ، فأرادوا أن يحرموا الفقراء ما اعتاده أبوهم من الإحسان إليهم ، فاتفقوا سرّاً على أن يخرجوا فى الصباح الباكر لقطع ثماره ، وأقسموا فيما بينهم على هذا ، وفى عمرة اتفقهم على حرمان الفقراء ، واستئثارهم بثمار البستان ، لم يذكروا نعمة الله عليهم ، فيعلقوا عملهم فى قطف الثمار وحدهم ، على إرادة الله ، بأن

يقولوا: نفذ - إن شاء الله - ما اتفقنا عليه ، كما قال جل شأنه : « ولا تقولن لشيء إني فاعلٌ ذلك غداً : إلا أن يشاء الله » ، وفي أثناء نومهم ، سلط الله على البستان ناراً فأحرقته عن آخره ، فتلفت الثمار ، واسودت الأشجار من شدة الحريق ؛ فلما أضاء نور الصباح استيقظوا ، ونادى بعضهم بعضاً : هياً بنا إلى البستان نقطف ثماره ، في غفلة من الفقراء ؛ وفي أثناء ذهابهم ، كان بعضهم يقول لبعض في فرح وإتهاج بصوت خافت : لن يأتينا اليوم إلى البستان أحدٌ من المساكين ، وقد تم لنا ما أردنا لهم من حرمان .

فلما وصلوا إلى البستان ، هالهم ما رأوه من أثر الحريق ، وظنوا أنهم ضلوا طريقهم ، وأن هذا البستان الذي أتت عليه النار ليس بستانهم ، ولكن واحداً منهم كان أعقلهم وأفضلهم رأياً ، نهبهم من غفلتهم ، وقال لهم : ألم أنصحكم بإعطاء المساكين نصيبهم ؟ ألا تذكرون أن الله الذي منحكم هذه النعمة ، قادر على سلبها منكم ؟ فتوبوا إليه واستغفروه ؛ عند ذلك أدركوا خطأهم ، واستعظمو ذنبهم ، واعترفوا بظلمهم ، وأخذ بعضهم يلوم بعضاً ، وطلبوا من الله الصفح والغفران ، ورجوا منه أن يبذلهم من بستانهم خيراً منه ، وعزموا على أن يوفوا الفقراء نصيبهم ، كما كان يفعل أبوهم .

هكذا جزاء الله لمن عصاه ، ولعذاب الآخرة أكبر ؛ فكذلك عذاب من عاند الرسول عليه الصلاة والسلام ، واستمر على الكفر والمعصية من أهل مكة ، كالوليد بن المغيرة ، وأمثاله من عصابة قريش ، الذين أنعم الله عليهم بالنعمة المختلفة ، فقابلوها بالبحود والكفران ، والتكذيب والاستخفاف والعصيان .

من الآية ٣٤ إلى الآية ٤٧ من سورة القلم

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ
تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَحْيُرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيْمُنُ
عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾
سَلِّمُوا لَهُمْ بَدَلًا زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا
بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ
سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً
أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ
وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ
مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المجرمين	المخالفين للرسول .
مالكم	ماذا أصاب عقولكم ؟
كيف تحكمون	كيف تصلرون هذا الحكم المعوج ؟
تدرسون	تقرعون .
تخيرون	تختارون .
بالغة	مؤكدة .
لما	للذي .
زعيم	كفيل وضمين .
شركاء	أعوان وأنصار .
يكشفُ عن ساق	يشدد الأمر يوم القيامة .
خاشعة	ذليلة .
ترهقهم	تلحقهم .
سالمون	في حالة تمكنهم .
ذرى	دعنى واتركنى .
الحديث	القرآن .
سنستلرجهم	سنأخذهم على غفلة .
أملى لهم	أمهلهم .
متين	شديد لا يطاق .
أجراً	أجرة على تبليغ الرسالة .
مفرم	غرامة يؤدونها .

الألفاظ	شرحها
مُثَقَّلُونَ الغيب يُكْتَبُونَ	يَصْعَبُ عَلَيْهِمْ حَمْلُهُ وَأَدَاؤُهُ . ما اختص الله بعلمه . ينقلون عنه .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

٣٤-٣٦- بعد أن بيّن الله حال الكفار المعاندين ، وما أعد لهم من العذاب يوم القيامة ، بيّن حال المؤمنين ، وما أعد لهم من أنواع النعيم ، فذكر أن لهؤلاء دون غيرهم جنات يتنعمون فيها بأصناف النعيم ، ولقد كان الكفار من صنّاديد قريش في حالة من اليسر ، وسعة الغنى ، وكان الصحابة في شظف وضيق عيش بالنسبة إليهم ، فأخذ الكفار يتكلمون على المسلمين ، يقولون لهم : إن حالنا وحالكم في الآخرة ، ستكون مثل حالينا في الدنيا ، إن صحّ أننا نبعث من قبورنا في دار ثانية كما تقولون ، فإنّ من فضلنا عليكم في الرزق في الدنيا ، هو الذي بيده الأمر في الآخرة كما تزعمون ؛ فردّ الله عليهم ، بأنه ليس من المعقول أن يكون المسلمون الذين أطاعوا وآمنوا بالله ورسوله ، كالمخالفين الذين عصوا وكفروا ، فإن العدل الإلهي يقضى بعذاب الكافرين ، وثواب المتقين يوم القيامة ، فكيف يحكم الكفار بأن أعداء الله في الآخرة كأولياؤه ؟ بل يجعلون منازل الفجار فوق منازل الأبرار؟ وكيف يكون المطيع والعاصي عند الله سواء .

٣٧-٣٩- ثم خاطب الكفار ، توبيخاً لهم على ما توهموه قائلاً : هل لكم كتاب نزل من السماء ، كما نزل القرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام ،

تقرعون فيه أن لكم يومَ القيامة ما تختارون وتشتون ؟ أو لكم علينا عهد وميثاق مؤكدة ، تبقى أحكامها نافذةً إلى يوم القيامة ، تأمرنا أن نزلَ على حكمكم ، ونُنفذ إرادتكم ؟

٤٠-٤١- ثم طلب الله من رسوله عليه الصلاة والسلام أن يسأل الكفار عن الزعيم الذى يضمن لهم ما يقولونه ، وعماء يدعون صحته ، وأن يسألهم عن شركائهم الذين يزعمون بأن لهم حظاً من النعيم يوم القيامة ! فإن كان لهم شركاء يتوهمون هذا الوهم ، فعليهم أن يأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ، وإلا فأين دليلهم على ما يزعمون ؟

٤٢-٤٣- ويوم القيامة هو اليوم الذى يشتد فيه الكرب بالكفار ، ويستفحل فيه الهول ، ويفدح الخطب ، فيدعون إلى السجود توبيخاً لهم على ترك السجود فى الدنيا ، فلا يستطيعون من شدة ما أصابهم من الخوف والفرع ؛ وكيف يستطيعون وقد اصطككت ركبهم ، واضطربت نفوسهم ، وارتعدت فرائصهم ؟ إنهم لا يملكون إلا النظر بأعين ذليلة ، وقد علاهم الخزي والحسرة ، مع أنهم كانوا يدعون إلى السجود والصلاة ، وأداء فروض الإسلام ، وهم سالمون خالون من أى مانع ، فيعرضون أنفة واستكباراً .

٤٤-٤٧- ثم أراد الله أن يهون على رسوله أمر هؤلاء الكفار ، حتى لا يحزن ، أو يضيق صدره بما يقولون ، فقال له : اتركنى وهؤلاء القوم الذين يكذبونك ، فأنا أجازيهم ، وأنتقم منهم ، وأكفيك شرهم ، وسأخذهم على غيرة من حيث لا يعلمون ، وإذا كنت أمهلهم ولا أعاجلهم بالعقوبة ، فإن أمامهم يوم القيامة عذاباً شديداً ، وبين الله أن أمر هؤلاء الكفار عجيب ، فهم يعرفون أنك على حق ، ولكنهم يستكبرون عن اتباعك ، مع

أنك لم تطلب منهم أجراً على هدايتهم إلى الحق ، ودعوتهم إلى الإيمان ،
فيُثقلهم ما يبذلونه لك من المال ، وهم ينتفعون بمتابعتك لو أطاعوك ، بما
أعدّ للطائعين يوم القيامة من النعيم المقيم ؛ فإذا كانوا يعلمون أنك
لا تتقاضاهم أجرة تبهظهم على دعوتك ، فلم هذا الجناد ؟ هل
اطلعوا على الغيب ، فهم ينقلون عنه ما ينجيهم من العذاب ؟ أم اتخذوا
عند الرحمن عهداً ، يضمن لهم الفوز ودخول الجنة ، مع المتقين
الصالحين ؟

(٤)

من الآية ٤٨ من سورة القلم ، إلى آخر السورة

فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى
وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ أُولَآءَ أَنْ تَذَّارَكَ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنْبَذَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾
فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ
بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
صاحب الحوت	يونس أحد الأنبياء .
نادى	دعا ربه .
مكظوم	مملوء غمًا وغيظًا .
تذاركه	أدرسته .
نعمة	رحمة .
نبد	طرح .
العراء	الأرض الخالية .
اجتباه	اختاره نبيًا .

الألفاظ	شرحها
يُزلقونك الذِّكر ذِكْرٌ العالمين	يجعلونك تنزلق وتسقط . القرآن . وعظ . جميع المخلوقات .

قصة صاحب الحوت

ملخص قصة يونس بن مَتَّى عليه السلام ، أن الله أرسله إلى قوم نينوى ، وهي من بلاد الموصل بالعراق ، وهم مائة ألف أو يزيدون ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فلم يستجيبوا لدعوته ، فغضب بعد أن أبرم بطول دعوتهم ، وشدة شكيمتهم ، وتمادى إصرارهم على الكفر ، وكان حديث عهد بالنبوة ، لم يتدرب بعد على مشاقها ، وتركهم معتقداً أن الله لا يؤاخذنه على ما فعل ، وظل سائراً حتى أتى إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، فركب سفينة اكتظت بحملها وركابها ، وكادت تغرق ، فألقى ركابها أحمالها ، فظلت مثقلة بمن عليها ، ورأوا أن يخففوا عنها بإلقاء بعض الركاب في البحر ، رغبة في نجاة سائرهم ، فافترعوا ، فأصاب القرعة يونس ، فالتقمه حوت كبير ، فألم الله الحوت ألا يصيب يونس بأذى ، فكث يونس في بطن الحوت سجيناً نحو ثلاثة أيام ، وهو عاكف على تسبيح الله وعبادته ، ثم رفع صوته وهو في ظلمة جوف الحوت قائلاً : « لا إله إلا أنت ، سبحانك ! إني كنت من الظالمين » ، فلبى الله دعوته وقبل توبته ، وألم الحوت أن يطرح يونس من جوفه في أرض فضاء ، ثم رجع إلى قومه الذين فارقهم مغاضبة ، فأمنوا به .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

٤٨ - ٥٠ - بعد أن بيّن الله ما بيّن من شدة عناد الكفار ، واستهزأهم بدعوة الرسول -
أمره الله أن يصبر على ما كلفه إياه ، من الاستمرار على تبليغ
الرسالة ، غير مبال بما يصيبه من عنت ومشقة ، وألا يكون حاله في
ضيق الصدر ، والغضب مما يلاقى ، كحال يونس عليه السلام ، حين
دعا قومه إلى عبادة الله ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فأبوا ، فغضبَ وذهب
إلى البحر ، فابتلعه حوت ، فدعا ربه وهو محبوس في بطن الحوت ،
وقد استولى عليه اليأس والغم ، أن ينقذه مما هو فيه من البلاء ؛ ولولا أن
أدركت يونس بعد توبته رحمةُ ربه لقتلته الحوت في أرض فضاء ، لاسائر
فيها ، وبقي مُستحققاً للوم المولى جل وعلا ، على ما كان منه من مخالفة
أمر ربه إياه ، بالصبر على أذى قومه ، لكنه اعتذر عن ذنبه ، فأخرجه
الله سليماً ، وعفا عنه ، واصطفاه وجعله من الأنبياء المرسلين ، العاملين
بما أمرهم به ، المنتهين عما نهاهم عنه .

٥١ - ٥٢ - ثم أخبر الله الرسولَ أن الكفار يحدّ قون النظر فيه ، بعين العداوة والبغضاء
والحسد ، حينما يسمعون منه القرآن ، حتى يكادوا يُزحلقونه ويزأون قدمه ،
من إدامة النظر إليه ، ويقولون عنه حسداً على ما اختصه الله به من
الرسالة : إنه لمحنون ، وما قرآنه هذا إلا هديانٌ يهذى به في جنونه ،
فرد الله عليهم بأن القرآن وحى منزلٌ من عند الله ، ليس بهديان كما تدعون ،
ولأنما هو موعظةٌ وذكرى للناس أجمعين .

سورة الحاقة

نزلت بمكة ، وآياتها ٥٢ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَاقَةُ ① مَا أَلْحَاقَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا أَلْحَاقَةُ ③ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ
بِالْقَارِعَةِ ④ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ⑤ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ
صَرْصَرٍ عَالِيَةٍ ⑥ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى
الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَحْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ⑦ فَهَلْ نَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ⑧
وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكِاتُ بِالْخَاطِئَةِ ⑨ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ⑩ إِنَّا لَنَا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ⑪ لِنَجْعَلَهَا
لَكُمْ تَذْكَرَةً وَنَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ⑫

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الحاقة	القيامة المتحققة الوقوع .
ما الحاقة ؟	أى شىء هى ؟ .
وما أدراك	أى شىء أعلمك بها ؟
القارعة	القيامة .
الطاغية	المصاعقة الشديدة الوقوع .
صرصر	شديدة البرد والصوت .
عاتية	بالغة الغاية فى الشدة .
سخرها عليهم	سلطها عليهم .
حسوما	متتابعة مستأصلة ، وهى جمع حاسم ، كشهود جمع شاهد .
صرعى	موتى مطروحين على الأرض .
أعجاز	أصول ، وجذوع . جمع : عجز .
خاوية	خالية ، فارغة الجوف ، ساقطة .
باقية	بقية .
جاء فرعون	أتى وفعل .
المؤتفكات	مدن قوم لوط التى انقلبت على أهلها ، فصار
	عاليها سافلها .
بالخاطئة	بالأفعال الخاطئة .
راية	زائدة فى الشدة .
طغى الماء	زاد وتجاوز حده .

الألفاظ	شرحها
البحارية تذكرة تعبا واعية	سفينة نوح . عظة وعبرة . تحفظها . حافضة .

محمل المعنى

١-٢- أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لكفار قريش الذين قاوموا دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أهوال يوم القيامة ، حيث يُعاقب العصاة المكذبون ، وما آل إليه أمر أمثالهم من الكفار الذين استكبروا ولبسوا في عنادهم ، حين دعاهم الرسل إلى عبادة الله وحده ، ونبذ عبادة الأصنام ، فذكر أن يوم القيامة آت لا ريب فيه ، وأنه متحقق الوقوع ، لأنه يحق فيه ويثبت ما أنكره الكفار من البعث والحساب والجزاء .

٣- ثم بين أنها لشدة هولها ، لا يستطيع أحد دراية حقيقتها ، ولا يحيط علمه بها ، وبعد أن نفي الشك في وقوعها ، وبين أنها القارعة ، التي تفرع الناس بضرور من الفرع عند وقوعها - ذكر بعض أخبار الأمم التي أنكرت وقوعها .

٤-٨- فمها ثمود وعاد ، وهما قبيلتان عربيتان من قبائل العرب البائدة ، سكنت أولاهما بلاد الحِجْر في شمالي الحجاز ، حيث مدائن صالح ، ذات البيوت المنحوتة في الجبال ، وسكنت الأخرى الأحقاف من بلاد اليمن ، في جنوبي جزيرة العرب ، فأما ثمود فقد أهلكها الله بصاعقة زلزلت

مساكنهم ومصانعهم ، لما كذبوا رسولَ الله صالحاً ، وعقروا ناقته !
وأما عادٌ فإنهم لما استكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشدّ منا
قوة ؟ سلط الله عليهم ريحاً باردة عاصفة ، تتابعت سبع ليالٍ وثمانية
أيام - وهي الأيام المعروفة ببرد العجوز - فهلكوا ، وصاروا مطروحين
على الأرض ، كما تُطرح النخلة المنقلعة من أصلها . الساقطة من
منبتها ، الفارغة من جوفها ، فاستؤصلوا . وقطع الله دابرهم ، ولم يُبق
منهم أحداً ، وأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم .

٩-١٠- ولما فعل فرعون وقومه ومن كان قبله من الأمم التي سبقتهم ما فعلوا من الأفعال
الخاطئة . وكذبوا رسلهم - أخذهم الله بنذوبهم أخذ عزيز مقتدر .

١١-١٢- ولما فاض ماء الطوفان في عهد نوح عليه السلام ، حملنا آباءكم يا معشر
قريش ، المقاومين لدعوة محمد ، في السفينة ، لنجعل نجات المؤمنين
وإغراق الكافرين ، عظة وعبرة ، يرونها الخلف عن السلف ، فيحفظها
ويعتبر بها .

(٢)

من الآية ١٣ إلى الآية ٢٤ من سورة الحاقة

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۗ ١٣ وَحُمِلَتِ
الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۗ ١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۗ ١٥
وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۗ ١٦ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ
عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۗ ١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ
خَافِيَةٌ ۗ ١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْتَبِيَةٌ ۗ ١٩
وَإِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةٍ ۗ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۗ ٢١ فِي جَنَّةٍ
عَالِيَةٍ ۗ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۗ ٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ۗ ٢٤

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نُفِخَ فِي الصُّورِ نفخة واحدة حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ	أعلم الناس بيوم القيامة ، والصور : البوق . نفخة أولى عند انتهاء العالم ، تليها أخرى عند البعث . اضطربت ورفعت من موضعها .

الألفاظ	شرحها
دُكَّتَا ذِكَّةٌ واحدة	ضُرب بعضها في بعض : وصارتا كتلة واحدة .
وقعت الواقعةُ	قامت القيامة .
انشقت السماء	اختل نظام الكواكب .
واهيةٌ	ضعيفة مختلة .
الملكُ	الملائكة .
أرجأها	نواجها ، مُفردها : رجا .
عرش ربك	الأصل فيه : سرير ربك ، والمراد : بيان عظمة ذى الجلال .
ثمانيةٌ	ثمانية من الملائكة .
تُعرضونَ	تقفون بين يدي الله للحساب .
خافيةٌ	أية حالة كنتم تحاولون سترها .
أوتى كتابه بيمينه	أعطى صحيفة أعماله بيمينه .
هاؤمُ	خذوا .
ظننتُ	علمت وتيقنت .
راضية	راض صاحبها .
أسلفتم	قدمتم .
الأيام الخالية	الأيام الماضية في الدنيا .

محمل المعنى

١٣-١٦ - أراد الله أن يصورَ أحوالَ يومِ القيامةِ ، وما أعد فيها للطائعين والعاصين ؛ والنفخُ في الصورِ : تمثيل وتصوير لبعث الأموات من قبورهم ، وعرضهم للحساب ، واستجابتهم للدعوة بسرعة ، وقد صاح بهم بوق عظيم ، كما يستجيب الجنود ، فيهبون من نومهم ، حين ينفخ أحد الجنود في بوقه نفخة تسمى نوبة الاستيقاظ ، أو أن الله يأمرُ إسرافيلَ أن ينفخ في البوق ، فإذا الأرض والجالى يعمها الاضطراب والاختلال ؛ فأما الأرض فتمور موراً ، وتزلزلُ جوانبها ، وتتحركُ في غير نظام ، وأما الجبالُ فتندكُ وتنسف ، حتى تصير كتيباً مهيباً ، ويكون هذا إشعاراً بقيام الساعة ، ويختل نظامُ السماء ، ويضعف ما بين كواكبها من تجاذبٍ وتماسك ، فتساقط ، وحينئذ تفرع الملائكة الذين لم تعد السماء بعد تصدعها واختلالها دار أمن لهم ، فينتشرون في الأرجاء ، ويكون مثلهم حينئذ مثل سكان البيت الذى قد انهار بعضه ، فيفرع سكانه ، ويجمعون فيما بقى منه ، ليشاهدوا ما يكون من أمره ، وينظروا ما يكون من أمرهم .

١٧-١٨ - ثم يعرض الله الخلائق لمحاسبتهم ، وفي تصوير عرش الله يحمله ثمانية من الملائكة ، تبيان لعظمة ذى الجلال ، وتفرد بالعهزة يوم القيامة : وتقريب لعقول الناس ، الذين ألفوا مظاهر العظمة والجلالة في عروش الملوك ؛ ويجوز أن يكون المرادُ بالعرش : النفوذ والسلطان ، أى أن أوامر الله يحملها ثمانية من الملائكة إلى عباده .

١٩ - ٢٤ - فأما من كانت صحيفة أعماله في الدنيا تدلّ على رُجحان حسناته على سيئاته ، فإنه يُحاسبُ حساباً يسيراً ، ويغتبط ويبتهجُ بما كتب فيها ، ويعرضها على الخلائق ليقرءوها ، قائلاً : إني علمت وتحققت في الدنيا ، أني سأحاسب ، فأعددت نفسي لملاقاة هذا اليوم ، بما قدمته من عمل صالح ؛ وحينئذ ينال مرتبة عالية ، ويجيا حياة مرضية في الجنة الرفيعة الشأن ، الدانية الثمار ، يتناولها من يريد لها : قائماً أو جالساً أو مضطجعاً ، ويقال له ولأمثاله : ها هي ذى الجنة التي أعدت للمتقين مباحة لكم ، فكلوا هنيئاً ، واشربوا مريئاً ، جزاء ما قدمتم من الأعمال الصالحة في أيامكم الماضية في الدنيا .

(٣)

من الآية ٢٥ إلى الآية ٣٧ من سورة الحاقة

وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ⑳
 وَلَمْ أَدْرِمَ مَا حَسَابِيهِ ㉑ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ㉒ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ㉓
 هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ㉔ خَذُوهُ فَغَلُّوهُ ㉕ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ㉖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
 ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ㉗ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ㉘
 وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ㉙ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ㉚
 وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ㉛ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِلُونَ ㉜

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لم أوت	لم أعط .
لم أدر	ليتني لم أعلم .
ليتها	ليت الموتة التي حدثت في الدنيا .
القاضية	القاطعة الحاسمة فلم أبعث .
ما أغنى عنى ماله	لم ينفعنى الذى ملكت .

الألفاظ	شرحها
هالك عنى سلطانيه	ذهب عنى نفوذى .
خذوه	أمر من الله للملائكة .
فعلوه	فضعوه فى الغل ، وهو حديدة تجمع يدى العاصى إلى عنقه .
صلوه	ألقوه فى النار يصلها ، أى يحترق بها .
ذرعها	طولها بالذراع .
اسلكوه	أدخلوه .
لا يحض	لا يحد غيره .
حميم	قريب أو صديق يدافع عنه .
غسلين	ما يسيل من أهل جهنم من قيح أو صديد أو دم .
الحاطون	الآثمون .

مجمل المعنى

٢٥-٢٢- بين الله هنا حال العصاة المتمردين ، من الغم والحسرة وسوء المآل ، فذكر ما يحدث يوم العرض من سُخطه على العصاة ، بتناولهم صحف أعمالهم بشالهم ، وهو كناية عن حبوط أعمالهم ، وإعلانهم بسوء مصيرهم ، واستحقاقهم للعقوبة على ما اقترفوا من الآثام ، فهم لفرط حسرتهم ، وكآبتهم مما دُونَ فى هذه الصحائف ، يتمنون أن لو أسدل الستار على مخازيهم وسأوئهم . وأنهم لم يخلقوا ، ولم يُبعثوا من قبورهم ، ويدركون حينئذ أنه لا يعصمهم من عقاب الله مالٌ ، ولا جاهٌ ، ولا أتباعٌ ، ولا سلطانٌ ؛ ثم يأمر الله زبانية النار أن يأخذوا كل واحد من هؤلاء ،

فيضعوا الغلّ في عنقه ، ثم يلقوه في النار ، وإمعاناً في إذلاله ، عقاباً له على تكبره في الدنيا ، يأمرهم بأن يدخلوه بين سلسلة طويلة جداً .

٣٣-٣٧ - يعذب الله بهذا العذاب كل عاص متجبر متكبر ، لأنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحث على بذل الطعام للفقراء والمعوزين ، وإذا كان الذي لا يحث على البذل مستحقاً للعقاب ، فالممتنع عن بذله مع القدرة عليه أكثر استحقاقاً ! ثم بيّن الله أن هؤلاء العصاة لا يجدون وهم يقاسون هذه الأهوال ، قريباً ولا صديقاً يحميهم من العذاب ، وأنهم يكرهون على تناول طعام قدر . تعافه النفوس ، وتشمئز منه ، لما ارتكبه من الخطايا والذنوب في الدنيا .

(٤)

من الآية ٣٨ من سورة الحاقة إلى آخر السورة

فَلَا أُقْسِمُ

بِمَا بَصُرُونَ^{٣٨} وَمَا لَا يَبْصُرُونَ^{٣٩} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ^{٤٠} وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَاعِرٍ^{٤١} قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ^{٤٢} وَلَا يَقُولُ كَا هِنِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ^{٤٣}
نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ^{٤٤} وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأُفَاوِيلِ^{٤٥} لَأَخَذْنَا
مِنهُ بِالْيَمِينِ^{٤٦} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ^{٤٧} فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ^{٤٨}
وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلَّتَّقِينَ^{٤٩} وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ^{٥٠} وَإِنَّهُ لِحَسْرَةٍ
عَلَى الْكٰفِرِينَ^{٥١} وَإِنَّهُ لِحَقِّ الْيَقِينِ^{٥٢} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ^{٥٣}

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا أقسم إنه	أقسم أنه ليس الأمر كما تقولونه أيها الكفار على محمد ، ولا : زائدة . إن القرآن .

الإلفاظ	شرحها
قليلًا ما تؤمنون	المراد بقلة الإيمان هنا : نفيه عنهم .
كاهن	من يدعى علم الغيب .
قليلًا ما تذكرون	ما هنا : زائدة .
تقول	اقترى واختلق .
الأقويل	{ جمع أقوال ، التي هي جمع قول ، وأكثر استعمالها في الأكاذيب .
اليمين	اليد اليمنى ، والمراد : تمكناً منه .
الويتين	{ الشريان الواصل بين القلب والرأس . إذا قطع مات صاحبه .
من أحد	من هنا : زائدة ، وأحد مفرد يراد به جمع .
عنه	عن النبي صلى الله عليه وسلم .
حاجزين	دافعين وحامين .
مكذبين	لا يصدقون بالقرآن الكريم .
حسرة	غم وحزن .
حق اليقين	حق لا شك فيه .
سبح باسم ربك	نزه الله عما لا يليق به .

مجمل المعنى

٣٨-٤٣- يؤنبُ الله كفارَ قريشَ على تكذيبهم الرسول ، ويدحضُ مُفترياتهم ، فأقسم بال مخلوقات من مرئى وغير مرئى ، أن هذا القرآن كلامُ رسول أمين ، يُبلغه عن ربه إلى العرب بلسانهم ، وليس هو كما تزعمون أيها الكفار

قول شاعر ، لأنه في أسلوبه ومعانيه ومبانيه ، مُباينٌ للشعر ، ولكنكم لعنادكم وحسادكم للرسول لا تصدقون ، وليس هو كما تدعون قول كاهن ، لأن الكهان يُخطئون ويصيبون ، وأساليهم آغثة ركيكة ، لما فيها من سجع متكلف ، وإكنكم تنسون ما اشتمل عليه القرآن من الأسلوب المتين ، والمعنى الرائع ، والخبر الصادق ، ولا غرو ! فهو كلامُ الله سبحانه وتعالى ، الذى نزل به جبريل الأمين ، على رسوله الكريم ، فلا معنى لما تقولون .

٤٤ - ٤٧ - ثم بين الله سبحانه وتعالى أن محمداً صلى الله عليه وسلم لو افتري على الله القرآن ، وادعى فيه ما لم يتلقه عن الوحي - لنكل به أفضع تنكيل ، وانتقم منه شر انتقام : بأن يأخذ بيده حتى يمنعه من الحركة ، ثم يقطع عنقه ، وهذا تصويرٌ لأفضع ما يفعله الملوكُ بمن يقبضون عليه ، فيأخذ القتالُ بيد المقتول إيشل حركته ، ثم يضربه بالسيف ، وهو يراه بعينه ، وهذا هو القتل صبراً ، وفيه من الهول ما فيه ، ثم ذكر أنه لا يستطيعُ أحدٌ أن يدافع عن الرسول إن فعل هذا ، أو يحولَ دون إنفاذ مشيئة الله فيه .

٤٨ - ٥١ - لقد ثبت أن القرآن وحيٌ من عند الله ، لم يتقوله محمدٌ ، وقد أنزلناه ليكون موعظةً وهدى لمن خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، ونحن لا يخفى علينا أن في قريش قوماً حرصوا على تكذيب الرسول في كل ما يبلغه عنا . وسيعلمون حين يرون ثواب المؤمنين ، وعذاب الكافرين ، سيعلمون أنه الحق الواضح ، واليقين الذى لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه .

٥٢ - ثم أمر الله الرسول أن ينزهه عن كل ما لا ينبغي أن يُوصفَ به ، مُشكراً على ما أوحى به إليه ، وتنزيهاً له عما يصفه به المشركون ، وأن يثبت على تبليغ رسالته بتسبيح الله ، وشكره على اختصاصه بكرامة النبوة ، وعلو المرتبة .

سورة المعارج

نزلت بمكة، وآياتها ٤٤ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِّنَ اللَّهِ ذِي
الْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥ وَنَرَاهُ
قَرِيبًا ⑦ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ⑧ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨ وَلَا يَسْأَلُ
حَمِيمٌ حَمِيمًا ⑩ يُبْصَرُونَ وَهُمْ يَوَدُّ أَنْ يُجْرَمُوا لَوْ يَفْقَدُونَ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ
بَيْنَهُ ⑪ وَصَاحِبَيْهِ، وَأَخِيهِ ⑫ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُ ⑬ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑭ كَلَّا إِنَّهَا لَأَغْطَى ⑮ زُرْعَةَ الْعَسْوَى ⑯ تَدْعُوا مَنْ
أَدْبَرَ وُتُوْلَى ⑰ وَيَجْعَلُ فَاوَعَى ⑱

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
طلب طالب .	سأل سائل
نازل بهم .	واقع للكافرين
واق مانع .	دافع
الدرجات في العلو والرفعة .	المعارج
تتلقى أوامره ونواهيهِ .	تعرج الملائكة
جبريل .	الروح
يرون العذاب يوم القيامة .	يرونه
محقق الحصول .	قريباً
الدردى ، وما عكراً من كل شىء .	المهل
الصفوف .	العهن
قريب أو صديق .	حميم
يُقدرهم الله على أن يبصر بعضهم بعضاً .	يبصرونهم
الكافر .	المجرم
زوجته .	صاحبتة
عشيرته .	فصيلته
تضمه في الانتساب إليها .	تؤويه
يفديه ويخلصه .	ينجيهِ
رداً لما يودّه الكافر .	كلاً
جهنم الملتبئة .	لظى
محاسن الوجه والأطراف .	الشوى

الألفاظ	شرحها
تدعو أدبر وتولى جمع أوعى	تنادى . أعرض عن الإيمان . جمع المال . أمسكه عن الإنفاق ، كأنه جعله في وعاء .

مجل المعنى

١-٤- كان الكفارُ يسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم ، ويستخفون بما كان يتوعدهم من العذاب في الآخرة ، ويسألون استهزاءً عن وقته ! وقد حكى الله عنهم في افتتاح هذه السورة ما طلبه النضر بن الحارث ، أحد كفار قريش ، فقد سأل عن العذاب الذى أخبر الرسول بأنه واقع بالكفار لا محالة ، فأجاب الله بأن هذا العذاب مُهَيَّباً للكافرين ، لا يقيم منه واق ، وستكون مشيئة الله في تعذيبهم نافذة لا محالة ، وسيلقون هذا العذاب يوم القيامة من الله الرفيع الدرجات ، الذى يرفع جبريل ومن معه من الملائكة إليه أمر الخلائق ، وما تدل عليه صحائف أعمالهم ، وينفذون قضاء الله فيهم ، وسيكون عذاب هؤلاء الكفار في وقت يطول أمده عليهم ، حتى يحسبوه لشدة ما يلقون خمسين ألف سنة ، فمثلهم كمثل المريض المتألم ، الذى يعد الساعة دهرأ ؛ فليس المراد بالخمسين ألفاً تحديد عدد السنين ، وإنما المراد : وصف هذا اليوم بالطول .

٥-١٠- ثم أمر الله رسوله أن يصبر على عناد الكفار صبراً لا يشوبه ضجر ،

ولا استبطاء للنصر عليهم ، وبين أن هؤلاء الكفار المستبعدين ليوم الحساب ، حيث يَصْلُون فيه نار جهنم ، إن كانوا يرونه بعيد الإمكان لعدم تصديقهم به ، فالله جَلَّتْ عظمتُه يعلم أنه واقعٌ مُحَقَّقُ الحصول البتة ، وذلك يومَ تُبَدَلُ الأرض غير الأرض والسماوات ، فيكون لون السماء مُغْبِراً أو أحمر ضارباً إلى السواد ، كلون الزيت العكر ، وتتناثرُ الجبال حتى تصير هباء ، كالصوف المنفوش ، وحينئذ تضطرب الخلائق ، ويشتغل كلٌّ بنفسه ، من شدة الهول والفرع ، فينكر بعضهم بعضاً ، ويتلمس كلٌّ منهم طريق الخلاص لنفسه ، وينحصر همه في شخصه ، فلا يهتم الصديقُ أو القريبُ بحال غيره ، مع كونه يبصره ويعرف من هو ، وليس ثمة حوائل تحول بينهما ، ولكن اهتمام كل امرئٍ بنفسه ، يصرفه عن النظر في شأن غيره .

١١-١٤- في هذا الوقت العصيب الذي يشتد فيه الهولُ ، ويعرف كلُّ أنه سيحاسب على ما قدمت يداه ، يود الكافر لو قدم أعز الناس عليه من بنيه ، أو أخيه ، أو زوجته ، أو عشيرته ، بل كل من في الأرض من المخلوقات فداء له ، ينجيه من الكرب الذي هو فيه .

١٥-١٨- لكن كل هذا لا يجديه نفعاً ، ويقال لهؤلاء الكفار : دَعُوا هذه الأمانى الكاذبة ، وذوقوا عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق ، وبما كنتم تفسقون ، فها هي ذى جهنم الملتهبة تُشوه خلقكم ، وتشوى أجسامكم ، وتنتزع أيديكم وأرجلكم ، ثم تُعاوِدُ التَّنْكِيلَ بكم ، وهي تنادى بلسان حالها كل من أعرض منكم عن الإيمان في الدنيا ، واستهزأ بدعوة رسولى إليكم ، وجعل همه جمع المال وادخاره ، ليصطفى الآن بنارها ، ويقاسى حرها ، جزاء إعراضه وتكذيبه .

(٢)

من الآية ١٩ إلى الآية ٣٥ من سورة المارج

* إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَامْتَهُ
الشَّرَّجُزُوعًا ٢٠ وَإِذَامْتَهُ أَحْزَرُ مَنْوعًا ٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى
صَلَاتِهِمْ دَائِبُونَ ٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ٢٤ لِلنَّسَائِلِ وَالْأَحْرَامِ ٢٥
وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٢٧
إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩
إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنْ ابْتَغَىٰ
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ ٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يَحَافِظُونَ ٣٤ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ٣٥

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
هَلُوعًا	شديد الضجر .
الشَّرُّ	الضرر .
جزوعا	قليل الصبر .

الألفاظ	شرحها
مَسْنُوعاً	شديد البخل .
السائل	المستجدي .
المحروم	المحتاج المتعفف عن السؤال .
يوم الدين	يوم الجزاء ، يوم القيامة .
مشفقون	خائفون عاقبة أمرهم .
غير مأمون	غير مضمون دفعه .
لفروجهم حافظون	ملازمون للعفة .
ما ملكت أيمنهم	ما ملكوا من الإماء والحواريين .
ابتغى وراء ذلك	تجاوز الحلال إلى الحرام .
العادون	المعتدون .
لأماناتهم	ما أوثقوا عليه من حقوق العباد .
عهدهم	موثيقهم .
رَاعُونَ	حافظون .
بشهاداتهم قائمون	يؤدون الشهادة على وجهها ، ولا ينكرونها .
في جناتٍ مكرّمون	يدخلون دار الكرامة ، وهي الجنة .

جِبِلُّ الْمَعْنَى

١٩ - ٣٥ - بَيِّنَ اللَّهُ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْهُ الْخَلِيقَةُ ، وَكَانَ سَبَباً فِي كَثِيرٍ مِنَ الشَّقَاءِ الَّذِي أَصَابَهُمْ . فَذَكَرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْذُ نَشَأَتِهِ شَدِيدَ الضَّجْرِ ، قَلِيلَ الْوَفَاءِ ، فَهُوَ إِذَا أَلَمَّ بِهِ مَكْرُوهُ : مِنْ فَقْرٍ ، أَوْ مَرَضٍ ، أَوْ خُرْفٍ ، اسْتَوَى عَلَيْهِ الْيَأْسُ وَالْقَنُوطُ ، وَإِذَا تَسَرَّلَهُ الْعَيْشُ الرَّغِيدُ ، وَاتَّسَعَ رِزْقُهُ ، وَصَحَّ

جسمه ، وصار نافذ الكلمة نذا جاه ومنصب ، تنكّر للناس ، فمتّعهم رفده ، وحرّمهم الانتفاع بما خوله الله إياه ! واو كان الناس كلهم على غرار هذا الإنسان ، لامّحت الألفة والمودة ، وحلت محلها العداوة والبغضاء ، ولكن اقتضت حكمة الله أن يكون لطيفاً بعباده ، فخلق في كثير منهم مواهب سامية ، تبعدهم من هذا الخلق الذميم ، وهم أصناف :

(ا) المصلون المواظبون على صلواتهم ، فهم ، في استعدادهم لقضائها ، وقيامهم على أدائها ، ينصرفون في أغلب أحوالهم عن متاع الدنيا وزيارتها ، ويتفرغون بقلوبهم للزنى إلى المولى القدير ، فيرضون بقضائه ، ويعرفون أن كل خير أو شر بتقديره ، فلا يجزعون إذا أصابهم شرٌّ ؛ ولا يمنعون إذا وصل إليهم خير .

(ب) والموسرون الذين يجعلون في أموالهم قدرًا معينًا ينفقونه على المعوزين ، سواء أكان زكاةً ، أم صدقة للفقير المحتاج العاجز الذي يستجدي ، أو المحروم الذي يكون في أشد الحاجة ، ولكنه يأنف أن يتكفّف الناس .

(ج) والمؤمنون بيوم الحساب ، فيواظبون على الطاعات طمعاً في المثوبة الأخروية ، ويطلبون من الله أن يهديهم الصراط المستقيم .

(د) والذين يخافون على أنفسهم عذاب الله يوم القيامة ، مع ما لهم من الأعمال الصالحة ، انتقاصاً لقدرها في نظرهم ، واستعظاماً لرب العرش ، فهم « يؤتون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » ، ويرون أنهم لا يمكنهم القطع بأنهم أدوا واجباتهم كما ينبغي ، إذ ربما يكون قد حصل منهم تقصيرٌ لا يدركونه ، فلا يأمنون عذاب الله عليه .

(هـ) والمتعففون الذين يقتصرون على ما أحله الله لهم ، من الزوجات والحواري ؛ أما الذين يخضعون لشهواتهم ، ويرتكبون ما حرّمه الله ، ويتجاوزون

الحلال إلى الحرام . فهم الذين تعلوا حدود الله ، وانقادوا لنزوات النفس الأمارة بالسوء .

(و) والمحافظون على أماناتهم وعهدهم ، في أمر دينهم ودنياهم ، قولاً وفعلاً ، وهو عامٌ فيما كان بين الإنسان وربه من عقائد وعبادات ، فإن الشرائع أمانات ائتمن الله عليها عباده ، وفيما كان بين الإنسان وغيره من نبي البشر ، في معاملاته معهم ، من موثيق ومواعيد ، وعقود ومعاملات ، فلا يجوز الإخلالُ بشيء من حقوقها ؛ ويدخل في الأمانات إلودائعُ المتنوعة .

(ز) والذين يؤدون الشهادة على وجهها ، سواء أكانت على قريب أم بعيد ، صديق أم عدوٍ ، فلا يكتُمونها ولا يُغيِّرونها ، لاعتقادهم أن من يكتُمها فإنه آثمٌ قلبه .

(ح) والذين يحافظون على صلواتهم بإحسان الضوء لها ، والمبادرة إلى إقامتها في أوقاتها ، وأداء أركانها وسننها . هؤلاء الأصنافُ الثمانية ، يجازيهم الله يوم القيامة على أعمالهم ، بإدخالهم دار الكرامة ، التي حسنت مُستَقَرّاً ومُقَاماً .

(٣)

من الآية ٣٦ من سورة المعارج إلى آخر السورة

فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ
مُهْطِعِينَ ③٦ عَنِ اليمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ③٧ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ
يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ③٨ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ③٩ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ
وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ④٠ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ④١
فَذَرْنَاهُمْ يَنْحُسُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ④٢
يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ④٣
خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ④٤

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عِزِينَ	نحوك وجهتك . مُسْرِعِينَ ، مُدْمِي النظر إليك . جماعات ، جمع عِزَّة .

الألفاظ	شرحها
كَلَّأَ	ليس الأمر كما زعموا .
مما يعلمون	من شيء حقير ، وهو النطفة .
لا أقسم	لا هنا : زائدة .
المشارك والمغرب	مشارك الكواكب ومغاربها .
تُبدل خيراً منهم	تأتي بدلهم بخير منهم .
بمسيبوتين	بمغلوبين ، أو بعاجزين .
ذَرَّهم	اتركهم .
يُخوضوا	يتحادثوا في الباطل .
الأجدات	القبور .
نُصِبُ	شيء منصوب للعبادة .
يُوفضون	يُسرعون .
خاشعة	ذليلة .
ترهقهم	تلحقهم وتغشاهم .
ذلك اليوم	ذلك يوم القيامة

مجل المعنى

٣٦-٣٨- عجباً هؤلاء الكفار المكذبين المعاندين ، يسرعون إلى مجالسك جماعات ، شاخصين إليك ، متزاحمين حوليِّك ، عن يمينك وشمالك ، ليعيبوك ويسخروا منك ! فما شأنهم بمجالسك يا محمد ؟ فهل يطمع طامعٌ منهم أن ينعم بدخول الجنة ، وهو لم يسع لها سعيها ؟ بل كانوا كلما سمعوا ما أعد الله للمؤمنين من صنوف النعيم ، يهزؤون رءوسهم استهزاء به ، ويقولون : لئن دخل أصحاب محمد الجنة ، لندخلها قبلهم .

٣٩- لن يطمع أحد منهم أن ينعم بالجنة ، بل لن يستطيع أحدٌ منهم أن يُفكّر من العذاب ، وسيعرف حقيقة أمره يوم القيامة ؛ فلا يُطغّه جاهٌ أو مالٌ ، وهو يعلم أنا خلقناه من ماءٍ حقيرٍ ، ثم جعلنا هذا الماء علقَةً ، ثم جعلنا العلقة مضغّة . فليس لهم فضلٌ يستحقّون به دخول الجنة ، وإنما يطمع في الجنة المؤمنون الصالحون ، وليس للمكبّين على الكفر والفسوق والعصيان إلا جهنم ، وبئس المصير ! .

٤٠-٤١- ثم أقسم جل شأنه بمالك الملك ، ومسير الكواكب في أفلاكها ، أن القادر على أن يجعل من النطفة إنساناً ، قادرٌ على أن يهلك الكفرة ، عقاباً لهم على كفرهم ، ويأتي بعدهم بخلقٍ آخر ليسوا على شاكلتهم ، وأنه إذا اقتضت مشيئته ذلك ، فلن يعجز عنه ، ولن يغلبه غالب .

٤٢-٤٤- ثم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بالثبات والصبر ، وأن يدعهم يتحدثون ما طاب لهم الحديث . في الباطل والكذب ، وأن يتركهم يلعبون في دنياهم كما يشاءون ، وأن يخليهم وشأنهم ، ويشتغل بما أمر به ، وألا يضيق صدره بكفرهم ، حتى يلقوا يومهم الذي توعدهم الله بالعذاب فيه ، فيومئذ يعلمون أنهم كانوا على باطل ، يوم يخرجون من قبورهم مسرعين إلى موقف العرض والحساب ، كما سراعهم في الدنيا حين كانوا يخرجون من مساكنهم أيام أعيادهم ومواسمهم ، إلى حيث نصبوا أصنامهم ، ليقدموا إليها قرايبهم ؛ في ذلك اليوم : يوم العرض والحساب ، تكون ردوسهم منكّسة ، وأبصارهم ذليلةٌ كليلَةٌ ، لما يتوقعونه من عذاب الله ، وعلى وجوههم مظاهر الذلّة والمهانة ، ويقال لهم : هذا هو اليوم الذي توعدكم به الرسول في الدنيا ، فكذبتموه وأذيتُموه ، ها هو ذا قد تحقّق . فذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون .

سورة نوح
نزلت بمكة ، وآياتها ٢٨ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ①
قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ② أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتَهُوَ وَاطِيعُونَ ③
يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُونَ
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ④ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ⑤ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ
إِلَّا فِرَارًا ⑥ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْصِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُوا
بَيْنَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا ⑦

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أنذر قومك	حذّرهم عاقبة كفرهم .
عذاب أليم	عذاب مؤلم .
نذير	مبلغ ومحدّر ومخوف .
مبين	موضح رسالتي لكم .
اتقوه	اجعلوا إيمانكم وقاية لكم من عذابه .
من ذنوبكم	ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان .
أجل مسمى	وقت قدره الله .
جاء	جاء وقته .
لا يؤخر	ينفذ طبقاً لمشيئة الله .
لو كنتم تعلمون	ليتكم تستعملون عقولكم .
ليلاً ونهاراً	في جميع الأوقات .
فراراً	هرباً مني ، وإعراضاً عن الإيمان والطاعة .
جعلوا أصابعهم في آذانهم	سدوا آذانهم حتى لا يسمعوا قولي .
استغشوا ثيابهم	غطوا رؤوسهم بثيابهم حتى لا يروني .
أصروا	ثبتوا على الكفر ، وعولوا على التماذي فيه .
استكبروا	تكبروا عن اتباعي .

مجمل المعنى

١ - بين الله في هذه السورة ما وقع لسيدنا نوح مع قومه ، ليتأسى النبي صلى الله عليه وسلم بما وقع الأنبياء من قبله ، فيصبر على أذى قومه ، وعنادهم ؛ فذكر أنه أرسل نوحاً إلى قومه ، وكانوا يعبدون الأصنام ، وأنه كلفه أن

يخزهم عاقبة كفرهم ، من قبل أن يحل بهم عذابُ الله الشديد .

٢-٤- فقال لهم نوح : يا قوم ، إني رسولُ الله إليكم ، أرسلني إليكم لأطلبَ منكم أن تعبدوا الله وحده ، وتتقوه ، وتطيعوني ، ليغفر لكم ما تقدم من ذنوبكم قبل إيمانكم ، ويؤخر عذابكم الذي توعدكم به ، فيُطيل بقاءكم إلى أقصى أجل قدره لكم ؛ يريد أن الله قدرَ زماناً هلاكهم إن أصروا على الكفر ، كخمسين سنة مثلاً ، وقدر زماناً آخر لموتهم إن آمنوا ، كمائة سنة مثلاً ، وأن الوقت الذي قدره الله إذا انقضى في إحدى الحالتين لا يؤخر ، وود لو تدبروا في أمورهم ، وفكروا فيما قاله لهم ، وعلموا ما يترتب على إيمانهم أو كفرهم من العواقب ، فسارعوا إلى الإيمان وأطاعوه .

٥-٧- ولكنهم مع هذا الأسلوب اللين ، والموعظة الحسنة ، لم يبالوا بدعوته ، فتأجج ربه عارضاً شكواه ، مُظهراً أسفه ، مصوراً ما جرى بينه وبين قومه أبلغ تصوير ، بعد ما بذل في الدعوة كل جهد ، وتجاوز في الإنذار كل حد ، قائلاً : رب ، إني دعوت قومي إلى الإيمان بوحدانيتك ، ونبذ عبادة الأصنام في غير توان ولا فتور ، مستغرقاً في الدعوة كل أوقاتي ، فلم يزدهم ما دعوتهم إليه من التوحيد ، إلا تمرداً وعصياناً ؛ وإني كلما دعوتهم ، لتتجاوز عما سلف من سيئاتهم ، وضعوا أطراف أصابعهم في آذانهم ، كراهة أن يستمعوا دعوتي ؛ وغطوا رؤوسهم بثيابهم ، كراهة أن يروا وجهي ، وأصروا على إعراضهم ، وتكبروا عن اتباعي وطاعتي ، مُفرطين في تعاضمهم ، مُغالين في تمردهم .

(٢)

من الآية الثامنة إلى الآية العشرين من سورة نوح

تُرَانِي دَعْوَتُهُمْ جِهَارًا ⑧ ثُمَّ إِنِّي
أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ⑨ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑩
يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ جَنَّاتٍ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ⑫ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ⑭
أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ⑮ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
الشَّمْسَ سِرَاجًا ⑯ وَاللَّهُ أُنَبِّئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ⑰ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ⑱ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ⑲ لِيَتَسَلَّكُوا مِنْهَا سُبُلًا إِخْرَاجًا ⑳

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
جهاراً استغفروا ربكم السماء	بأعلى صوتي . اطلبوا منه الصفح عما فرط منكم . المطر .

الألفاظ	شرحها
مدراراً	يتبع بعضه بعضاً .
يُمددكم	يعطكم ويُعينكم .
جنات	بساتين .
ترجون	تخافون .
وقارا	توقيراً وتعظيماً .
أطواراً	حالات مختلفة : نُطفة ، فعلة ، فضغة ، فعظماً ولحماً .
سموات	ما ارتفع من الفضاء الذي تسبح فيه الكواكب في مداراتها .
طباقاً	طبقات في العلو والارتفاع ، بعضها فوق بعض .
فيهن	في السموات .
سراجاً	مثل السراج في إزالة الظلمة .
أنبتكم	أنشأكم .
يُعيدكم فيها	يُقبركم في الأرض بعد الموت .
يُخرجكم	يبعثكم بعد الموت .
بساطا	كالبساط ، وقد بسطها الله للخلائق يتنقلون فيها .
لتسلكوا	لتقطعوا وتسيروا .
سُبُلًا	طرقاً .
فجاجاً	جمع فج ، وأصله : الطريق الواسع بين الجبلين .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

٨-١٢- استمر نوح في مناجاة ربه فقال: ربّ، إني لم أكتف بالنصح لهم في مجالس خاصة ، بل دعوتهم مرة بعد أخرى ، على وجوه مختلفة ، ووسائل متنوعة ، جاهرتهم بالدعوة تارة ، ثم جمعت بين الإعلان والإسرار تارة أخرى ، أعلنُ حين يصلحُ الإعلانُ ، وأسر حين أتوقع نفع الإسرار ، فقلت لهم : استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي ، فإنه يقبلُ التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات ، فإن فعلتم ذلك يسرّ لكم الرزق ، وعجل لكم الخير ، فينزل عليكم المطر الكثير الذي يُخصب أرضكم بعد جديها ، ويكثر خيركم ، ويرزقكم أموالاً تُنمي ثروتكم ، وبنين يشدون أزركم ، وبساتين تُرفه عيشكم ، وأنهاراً تروى أرضكم ، وبهذا يصلح شأنكم ، وينتظم أمركم ، وتتوافر سعادتكم وهناءتكم .

١٣-١٤- على أن نوحاً مع عناد قومه ، وتكذيبهم إياه ، أخذ يخاطبهم بأسلوب آخر ، يستدل به على وحدانية الله وقدرته ، ليحرك عواطفهم نحو المنعم القادر ، فقال لهم : ما لكم لا تخافون عظمة الله ، وقدرته على أخذكم بالعقوبة ؟ ولماذا لا ترهبون جانبه ، فتصدقوا برسالتى ؟ فأى عنز لكم في موقفكم هذا ، وأنتم ترون مظاهر قدرته في أنفسكم ؟ فقد خلقكم على أحوال مختلفة ، فكنتم في بطون أمهاتكم نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم عظاماً ولحماً ، ثم صرتم بشراً سوياً . فتقصيركم عن تعظيمه والإيمان به ، لا يصدر من عاقل .

١٥-١٨- وبعد أن بين قدرة الله في أنفسهم ، أراد أن يوجه أنظارهم إلى قدرة الله في الآفاق ، فقال لهم : ألم تروا دلائل قدرة الله واضحة أمامكم ، فقد

خلق الكواكب السبع السيارة بعضها فوق بعض ، وجعل القمرَ في حيزٍ
إحدى الطبقات ، ينير لكم ليلاً ، وجعل الشمس سراج النهار ، لتكشف
عنكم ظلمة الليل ؛ وأنشأكم إنشاءً من الأرض ، بأن خلق آدم من تراب ،
وغذاكم من النبات المتولد من الأرض ، وجعل فيها أرزاقكم وأقواتكم ،
ثم يعيدكم فيها بالدفن في القبور بعد الموت ، ثم يبعثكم يوم البعث والحشر
بعثاً لا ريب فيه ، للعرض والحساب ، والثواب والعقاب .

١٩-٢٠- وقد خلق الله لكم الأرض ممهدة سهلة ، تمشون عليها كأنكم تمشون على
بساط في منازلكم ، انتقطعوا منها طرقاً واسعة سهلة ، لا تجدون مشقةً في
قطعها في سبيل تحصيل رزقكم ، وبلوغ مآربكم .

(٣)

من الآية ٢١ من سورة نوح ، إلى آخر السورة

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾
 وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِثَمًا
 وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا
 ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ تَمَّ خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَكَلِمًا يَجِدُوهُم مِّن دُونِ اللَّهِ
 أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن
 تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا كٰفِرًا ﴿٢٧﴾ رَبِّيَا غَفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
 وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خساراً	} واتبعوا رؤساءهم . المعتزين بكثرة أموالهم وأولادهم ، الذين لا يزيدهم اعتزازهم بهم إلا وبالاً وضلالاً ، وغدراً ولؤماً .

الألفاظ	شرحها
مكروا	دبروا تدبيراً سيئاً .
كباراً	عظيماً جداً ، وهو : تكذيبهم نوحاً ، وإبداؤه هو ومن معه .
لا تذرُنْ آلهتكم مما خطيئاتهم	لا تتركُنْ أصنامكم .
أغرقوا	أصلها : من ما ، وما : زائدة ، أى بسبب خطيئاتهم .
دياراً	أغرقهم الله بالطوفان .
فاجراً	مقياً فى أى دار .
لمن دخل بيتى	مقياً على المعاصى والمحرمات .
تباراً	لأولادى وأزواجهم .
	هلاكاً .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

٢١- لما لم تنجح دعوة سيدنا نوح إلى قومه ، بعد أن بين لهم الدلائل الواضحة على وحدانية الله وقدرته ، ولم يُشمر فيهم نصيح ولا موعظة ، وانصرفوا عن سماع دعوته إلى سماع تغرير رؤسائهم وأغنيائهم ، الذين كانوا على جانب كبير من المال والولد ، ناجى ربه مبيئاً استهتارهم به ، وعنادهم إياه ، فقال يشكو إلى ربه : رب ، إن قومى لم يبالوا دعوتى ، واتبعوا رؤسائهم وأثرياءهم ، الذين أبطرتهم نعمك عليهم ، من الأموال والأولاد ، فلم يشكروها ، بل اتخذوا من أموالهم وعصبيتهم قوة يقاومون بها دعوتى ، وتوسلوا بهذا إلى إضلال قومهم ، والتلاعب بعقولهم ، فازدادوا بذلك على كفرهم ضلالاً على ضلال .

- ٢٢ - ٢٤ - كما أن هؤلاء الرؤساء والأغنياء ، دبروا أسوأ تدبير ، وهو إيدائي أنا ومن اتبعني ، وقالوا لمن دونهم من أتباعهم : لا تترك عبادة أصنامكم ، وبخاصة أعظمها شأنًا ، وأعلاها منزلة ، وهي : ودٌ وسُواعٌ ويغوثنٌ ويعوق ونسرٌ ، وقد أضل هؤلاء الرؤساء خلقًا كثيرًا ، ضلالا لا رجاء بعده في إيمان هؤلاء القوم ، بما توافر لديهم من الجاه والمال ؛ فأسألك يا رب ، ألا تزيد هؤلاء الطغاة إلا إمعاناً في الضلال ، ليستحقوا شديد عذابك ، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم ، بعدوهم عن الصراط المستقيم .
- ٢٥ - وهؤلاء الكفار ، من أجل خطيئاتهم بإصرارهم على الكفر ، على الرغم من نصحتهم وإرشادهم ، أغرقهم الله بالطوفان ، وسيعاقبهم حتماً بإدخالهم النار ، فلا يجدون لهم فيها أنصاراً غير الله الذي كفروا به ، يمنعون عنهم العذاب ؛ وحينئذ يظهر عجز الأصنام التي كانوا يعبدونها عن دفع العذاب عنهم .
- ٢٦ - ٢٧ - ولما انقضى الطوفانُ ، ورأى نوحٌ جثث الكافرين من قومه ، وكان قد لاقى منهم العنت والهوان ، دعا على من سار سيرة قومه من الأمم ، فسأل الله ألا يترك على الأرض واحداً من الكفار الذين يُشبهون قومه ، لأنه إن تركهم في ضلالهم ، أضلوا غيرهم عن الحق ، ونشروا آثامهم ، وعظم فسادهم . وانتقل فسادُ أخلاقهم إلى ذريتهم بالوراثة ، فلا يلدون إلا من كان مثلهم ، في فجورهم وكفرهم .
- ٢٨ - ثم سأل نوح ربه ، أن يغفر له ما ربما بدر منه ، مما لا يرضيه ، ويغفرَ لوالديه المؤمنين به ، ولأولاده الذين آمنوا برسائته وأسرهم ، ولكل من آمن به من ذكر أو أنثى ، فإن عاد أحد المؤمنين الذين نجوا من الغرق إلى العصيان والظلم ، وعاثَ في الأرض فساداً ، فقد سأل الله أن يُعامله كما عامل قومه ، بأن يُنكل به تنكيلا ؛ يحذرُ نوح بهذا من آمن به - وقد كانوا حديثي عهد بالكفر - بطش الله بمن خالف أمره ، ونبذ العملَ بشرائعه .

سورة الجن

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٨ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الخامسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① هُدًى إِلَى
الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ② وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ
صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ④ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن
لَّن نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑤

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أوحى إلى نفر عجبا	أعلمنى الله خفية ، وأهمنى . جماعة بين الثلاثة والعشرة . عجيباً ، من حسن نظمه ، وبلاغة أسلوبه .

الألفاظ	شرحها
يهدي إلى الرشـد فآمنا به جد ربنا صاحبة ^١ سفيها شططاً	يدعو إلى الصواب ، والإيمان والتوحيد . فصدقنا أنه من عند الله ، واهتدينا به . عظمة الله جل جلاله ، أو ربنا العظيم . زوجة . إبليس . قولاً بعيداً عن الحق ، مجاوزاً للصواب .

بجمل المعنى

- ١ - الجن : عالمٌ مخلوقٌ من نار ، مستتر عن الحواس ، غير مرئى للناس ، تبعثُ إليهمُ الرسلُ كما تبعثُ إلى الإنس . ، وهم مثلهم سواء ، يُثابُ مؤمنهم ، ويعاقب كافرهم ؛ وقد أمر الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى الإسلام ، وأن يقرأ عليهم القرآن ، فلما دعاهم : منهم من آمن به فاستحق الثواب ، ومنهم من كفر به فحق عليه العقاب .
- ٢ - وقد صرف الله إلى سيدنا محمد جماعة من نصارى الجن ، فلما سمعوا منه القرآن ، أخذهم العجب بفصاحة كلامه ، وحسن معانيه ، ودعوته إلى توحيد الله وعبادته ، فآمنوا به وصدقوه ، ولم يُشركوا بعبادة ربهم أحداً .
- ٣ - ٥ - وقد آمن الجن أن الله العظيم منزهُ عن أن يتخذ له زوجة ، أو أن يكون له ولدٌ ، وأن ما كان يُوسوسُ به إليهم سفيهم إبليس ، من أن الله صاحبة وولداً ، بعيدٌ عن الحق ، مجاوزٌ للصواب ، وأنهم ما كانوا يظنون أن أحداً من إنس أو جن ، تبلغ به الجرأة إلى حدّ أن يفترى على الله الكذب ، فينسب إليه الزوجة والولد ! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! .

(٢)

من الآية السادسة إلى الآية العاشرة من سورة الجن

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ
بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ① وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ
أَحَدًا ② وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ③ وَأَنَّا كُنَّا
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ④ فَمَن يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ⑤ وَأَنَّا لَا
نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ⑥

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يعوذون	يعتصمون ويستجرون ، ويطلبون النجاة .
رَهَقًا	طغياناً وإثمًا ، أو ذلة وخوفاً .
لمسنا السماء	طلبنا بلوغ السماء ، واستماع أخبارها .
فوجدناها ملئت حرساً شديداً	صادفناها مملوءة بملائكة أشداء ، تمنعنا من استراق السمع .
شهباً	
مقاعد للسمع	كواكب محرقة . مواضع كنا نقعد فيها لاستراق السمع .

الألفاظ	شرحها
فمن يستمع شهاباً رَصَدًا شرّاً رَشَدًا	فمن يُرد الاستماع . شعلة من نار ساطعة . يَرصُدُه ويرقبه ، لينقض عليه . عذاب . خيراً ورحمة .

مجل المعنى

٦ - كان الرجلُ من العرب قبلَ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا نزل بوادٍ أو مكانٍ قفر ، أو أراد المبيت فيه ، نادى بأعلى صوته : يا عزيز هذا الوادى ، إني أعوذ بك من سفهاء قومك ، اعتقاداً منه أن كبير الجنّ في هذا الوادى يحميه من سفهائهم ، وكان ذلك داعياً إلى طغيان الجن على الإنس ، واستخفافهم بهم ، حتى قالوا : لقد صرنا سادة للإنس ، كما زاد الجنُّ الإنسَ خطيئةً وإثمًا ، لأن الإنسَ استعادت بهم ، وطلبوا العون والنجاة منهم ؛ والاستعاذة بغير الله كفرٌ وبهتان ! وقد توهم بعضُ الناس أن الجن يتمثلون في صور الإنسان أو الحيوان ، أو يلابسون أرواح الرجال والنساء ، أو يصيبونهم بأمراض ، أو يطلعون على الغيب ، وكل ذلك لم يرد في القرآن أو السنة ، وهو وهمٌ باطل ، واعتقاد فاسدٌ .

٧ - وقد خاطب الله قريشاً تبكيتاً لهم ، لما تباطثوا عن الإيمان بدعوة محمد ، بأن الجن ظنوا أول الأمر كما ظننتم أنتم ، أن الله لن يبعث إلى الخلق رسولا يهديهم إلى الحق والخير ، ولكنهم لما سمعوا القرآن آمنوا به ، وكنتم

أنتم أحقّ من الجن بالإيمان والتصديق ، لأنكم قومُ النبي وعشيرته .

٨-٩ - وكانت مرّةُ الجن قبل مبعث الرسول ، يصعدون إلى السماء ، ويقعدون في مواضع منها يسمعون أخبارها ، ثم ينقلونها إلى الكهان والدجالين ، مشوبة بالأكاذيب ، فلما بُعث محمد ، عزل الجنّ عن استماع أخبار السماء ، وازداد حرسها بملائكة أشداء ، سدوا عليهم جميع منافذها ، وحالوا بينهم وبينها ، فإذا اجتراً أحدهم أن يستمع ، وجد شهاباً من الكواكب يرصده ، فينقض عليه ويحرقه .

١٠ - ولما حيل بين الجن وبين أخبار السماء ، وبعث الله محمداً هدايةً للخلق أجمعين ، تساءل الجنّ : لسنا ندرى : أشر أريد بأهل الأرض بإرسال محمد إليهم - لأنهم إن كذبوه هلكوا كما هلكت الأمم الذين من قبلهم ، لتكذيبهم رسلهم - أم أراد الله أن يؤمن قومه فيصيبهم الخير ، وينالهم من الله رحمته ورضوانه ؟

(٣)

من الآية ١١ إلى الآية ١٥ من سورة الجن

وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ

وَمِنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقِي قَدَدًا ⑪ وَأَنَا ظَنُّنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ
نُعْجِزَ وَهَرَبًا ⑫ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىءَ آمَنَّا بِهِ ⑬ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِءَ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا
وَلَا رَهَقًا ⑭ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِمُونَ ⑮ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا
رَشَدًا ⑯ وَأَنَا الْقَاسِمُونَ فَكَانُوا الْجَهَنَّمَ حَطَبًا ⑰

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ومنادون ذلك	ومنا غير الصالحين ، أو الكافرون .
كنا طرائق	كنا مذاهب متفرقة ، وأدياناً مختلفة ، جمع طريقة ، وهي : المذهب .
قددا	جمع قددة ، وأصلها : القطعة التي تقطع من السير ؛ وقدداً : متفرقة .
وأنا ظننا	وأنا علمنا وأيقنا .
لن نعجز الله الهدى	لن نفوته ونفلت من سلطانه . القرآن .

الألفاظ	شرحها
بِخْسًا رَهَقًا القاسطون تحروا رشدا حَطَبًا	نقصاً في الجزاء . ظُلماً : وأن يكلف ما لا يطيق . الجائرون ، الحائدون عن سبيل الهدى . قصدوا طريق الحق وتوخَّوه . وقوداً .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١١- يَحْكِي الْجَنَّةَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ : أننا قبل أن نسمع القرآن ، كنا في حالة من القوضى ، كان منا المؤمنون الصالحون ، والمؤمنون غير الصالحين ، كما كان منا الكافرون ، وكانت مذاهبنا وأدياننا مختلفة .

١٢- ولقد أيقنا أن قدرة الله فوق كل قدرة ، وعلمنا أننا لن نستطيع أن نُفَلت منه أيها ذهبنا في الأرض ، أو فررنا هارين إلى السماء .

١٣- ولما سمعنا القرآن آمنا به ، وصدقناه ، لأن المؤمن الذي يعمل عملاً صالحاً ، لا يبخس الله عمله ، ولا ينقص من حسناته شيئاً ، ولا يظلمه مثقال ذرة .

١٤- ١٥- وبعد أن سمعنا القرآن ، كان منا من آمن واهتدى ، ومنا من شقَّ وكفر ؛ فأما الذين اهتدوا وآمنوا ، فقد سلكوا سبيل الرشاد ، وأما الذين ضلوا وكفروا ، فأواهم جهنم وبئس المهاد !

(٤)

من الآية ١٦ إلى الآية ٢٣ من سورة الجن

وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى
الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ①٦ لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي
يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعْبًا ①٧ وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ①٨
وَأَنْتُمْ لَنَا قَوْمٌ عَبْدٌ لَلَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ①٩ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا
رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ②٠ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ②١
قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ②٢
إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِن لَّهُ نَارٌ
جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ②٣

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
استقاموا على الطريقة غدقا لنفنهم فيه	اتبوا طريق الإسلام . كثيراً نافعاً . لنختبرهم : أيشكرون أم يجحدون؟

الألفاظ	شرحها
يعرض عن ذكر ربه	يترك طاعة الله والعمل بكتابه .
يسلكه	يُدخله .
صَعَدَا	شاقًّا .
المساجد لله	بيوت العبادة مختصة به .
قام عبدُ الله	عزم ، محمد صلى الله عليه وسلم .
يدعوه	يعبد ربه وحده ، ويقرأ القرآن .
كادوا	كاد الكفار .
لبدا	{ جماعات ، من تلبد الشيء على الشيء : أى تجمع ، ومفرده : لبدة .
أدعوربي	أعبد ربي .
لا أملك لكم ضرًّا ولا	{ لا أستطيع أن أدفع عنكم شرًّا ، أو أسوق لكم نفعاً .
رشدًا	لا يمنع عنى عذابه أحد إن عصيته .
لن يجيرنى من الله أحدٌ	ملتجأً أُلجأ إليه .
ملتحدًا	لا أملك إلا أن أبلغكم عن الله ما أرسلنى به .
إلا بلاغًا من الله	من لم يعتقد بوحدانية الله ، ولم يصدق برسالة نبيه .
من يعص الله ورسوله	مقيمين فيها دائماً .
خالدين فيها أبدا	

مجمل المعنى

١٦-١٧- إن الجن والإنس لو آمنوا بالله وأطاعوه ، وسع عليهم فى الرزق ، وفتح عليهم أبواب الخير ، امتحاناً لهم ، وليعلم مقدار شكرهم له ، على إحسانه إليهم جزاء إيمانهم وطاعتهم ، أو جحودهم آلاءه ! فإن ظلوا مستمسكين

بالإيمان : يفعلون الحسنات ، ويتركون السيئات ، شكراً لله على ما آتاهم من فضله ، زادهم نعمة ، وأولاهم إحساناً ، وإن فتنهم المال ، وأبطرتهم النعمة ، فاجترحوا السيئات ، وارتكبوا المحرمات ، وغرقوا في اللذات ، نزع الله عنهم فضله ، وسلبهم نعمه ، وبلطهم بالفنى فقرا ، وبالسعادة شقاء ، وأعد لهم في الآخرة أشد العذاب ، وأشق العقاب ؛ والضمير في قوله : « استقاموا » ، يعود على من لم يؤمنوا من الجن والإنس .

١٨- إن بيوت العبادة التي يبنها أهل الملل من يهود ونصارى ومسلمين ، خاصة لله ، يجب أن تُفرد لعبادته وحده ، وأن يقتصر فيها على ذكره وطاعته ، فينبغي ألا يعبد فيها أحدٌ سواه ، أو يوضع فيها صنم أو وثن ، أو تتخذ للهو والتجارة ، والبيع والشراء ، أو تستخدم طريقاً أو مجلساً ، أو يجعل فيها لغير الله نصيبٌ .

١٩- لما قام محمدٌ يدعو إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام ، تألب عليه كفار مكة من قريش ، وتظاهروا عليه ، وكادوا من فرط تجمعهم وتعاونهم ، يكونون كخيوط الشعر أو الصوف التي تلبدت ، وتراكب بعضها فوق بعض ؛ فأمره الله أن يُبلغ قومه ، أنه لم يأت أمراً مُنكراً ، يستوجب تأييدهم عليه ، وإعراضهم عنه ، ونفورهم منه ، وأنه إنما يعبدُ ربه ، الذي خلقه وسواه ، وأسبغ عليه آلاءه ، فهو حقيقٌ ألا يشرك به أحداً ، وأن يَخصه بعبادته ،

٢٠- ٢٣- كما أمر اللهُ رسوله ، أن يبلغ من تكالبتوا على أذاه ، وتمادوا في طغيانهم وعنادهم ، أنه بشرٌ مثلهم ، خصه الله بالرسالة ، وأنه لا يقصد من دعوته بسط نفوذه عليهم ، أو أن يبدل قضاء الله فيهم ، من خير أو شر ، ومن نفع أو ضرر ، وأنه إن خالف أمر الله ، أو أهمل تبليغ دعوته ،

فلن يستطيع أحدٌ غيره أن يرُدَّ عنه عقابه ، أو يمنع عنه عذابه ، ولن يجد — إن أراد الهربَ من عقابه — ملاذاً يَلتجىء إليه ، أو عاصماً يعتصم به ، ولن يجد غير الله وليّاً ولا نصيراً ، وكل ما يملكه هو أن يبلغَ الحنّ والإنس ما أمره الله أن يُبلّغه لهم ، فإن أطاعوا أعد لهم ثواباً عظيماً ، وإن عصوا أعد لهم عذاباً أليماً في نار جهنم ، يقيمون فيها أبداً .

(٥)

من الآية ٢٤ من سورة الجن إلى آخر السورة

حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ
 أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلَبُ عِدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِن أَدْرِي أَرَأَيْتُمْ قُرَيْبٌ مِّمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ
 رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ
 رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ
 أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ما يوعدون	ما يُنذرون من العذاب .
ناصرًا	عوناً وحامياً .
إن أدري	ما أدري .
أمدًا	غاية وأجلا .
الغيب	ما لا يستطيع الاهتداء إليه بالحواس أو بالفراسة .
فلا يظهر	فلا يطلع .
يسلك	يقيم ويثبت .
رصدًا	حراساً وحفظة .

مجلد المعنى

٢٤- لا يزال الكفار في تكذيبهم ، حتى يأتي يوم الحساب ، ويروا ما يحل بهم من العذاب ، وحينئذ يعلمون : أيهم أضعف ناصرأ وأقل عدداً؟ :
آلخالق سبحانه وتعالى وهو مالك الملك ؟ أم المخلوق وقد فرّ من حوله أخوه وأمه وأبوه ، ووقف أمام ربه يقول : « ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه » .

٢٥- وإن الحساب ونزول العذاب ، آتيان لا ريب ، لأن الله أوعده الكفار بذلك ، لكن وقت الوعيد والحساب لا يعلمه إلا الله ، ولم يُطلع عليه نبيه ، فلا يدري إن كان يحلّ في أجل قريب أو بعيد .

٢٦-٢٧- وعلم الساعة من الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، ولا يُطلع عليه أحداً من عباده ، من إنس أو جن أو كاهن ، إلا من ارتضى من رسله ، واصطفى من أنبيائه ، فإنه أودعهم ما شاء من غيبه ، بطريق الوحي إليهم ، وجعله معجزة لهم ، ودلالة صادقة على نبوتهم ، وأقام حول كل منهم حفظة من الملائكة ، يحفظونه من الشياطين ، فلا تسرق ما أوحى الله به .

٢٨- ذلك ليعلم الجن أنهم لن يستطيعوا أن يسرقوا السمع ، أو يعرفوا من أمر الغيب شيئاً ، وأن الرسل قد أبلغوا ما أنزل إليهم من الوحي ، وأن علم الله محيط بما عند الملائكة والرسل ، لأنه من وحيه إليهم ، فلا يفرطون في إبلاغه ، أو يزيدون أو ينقصون منه ، وأنه على علم بعدد كل شيء ، ولا يقع في ملكه صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

سورة المزمل

نزلت بمكة ، ما عدا الآيات ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، فقد نزلت بالمدينة ،
وآياتها ٢٠ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية التاسعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ① قُمْ أَيْلًا فَلْيَلَا ② نِصْفَهُ وَأَوَانِقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْزِدْ
عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ
الْيَلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑦
وَإِذْ كَرَأْسُكُمْ رَبِّكَ وَنَبَّأَهُ تَبْيِيلًا ⑧ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
<p>المتلفف في ثيابه ، وأصلها : المتزمل . تهجد فيه وتعبد . قم ثلثي الليل ، أو نصفه أو ثلثه . واقراه في مهل وتؤدة ، وتبين حُرُوف ، وتدبر معان . قرآنا يثقل العملُ بشرائعه ، وتكاليفه الشاقة . قيام الليل في ساعاته وأوقاته ، قياماً يتجدد و يتكرر . أثقل على المتعبد من ساعات النهار ، وأوقاته أكثر } موافقة للعبادة من أوقات النهار . } وأشد قولاً ، وأشد استقامة على الصواب ، للحضور } القلب . وهدوء الأصوات فيه . } فراغاً طويلاً تتصرف فيه في حوائجك ، وتتقلب } في مهماتك . اقصد بعملك وجه الله ، ودم على تسبيحه وعبادته . وانقطع إليه وحده بالعبادة ، ولا تشغل قلبك بغيره . فاجعل كل أمورك موكولة إليه .</p>	<p>المزمل قم الليل نصفه أو انقص منه ورتل القرآن ترتيلاً قولاً ثقيلاً ناشئة الليل أشد وطأ وأقوم قِيلاً سبحاً طويلاً واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً فاتخذه وكيلاً</p>

مُجَمَّلُ الْمَعْنَى

١-٢- لما نزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعبد في غار حِراء ، ورأى جبريل أول مرة ، خاف وفزع ، ورجع إلى بيته يرتعد ، وقال لزوجته خديجة : « زملوني زملوني » ، فلففته في كساء ، فخاطبه الله بالحالة التي كان عليها ، تأنيساً له ، وتلطفاً معه ، ليشره أنه غير عاتب عليه ، فقال : « يا أيها المزمل قم الليل . . . » .

٣- وقد فرض الله بهذه الآيات الكريمة على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قيام ثلثي الليل ، أو نصفه ، أو ثلثه على الأقل ، للتهجد والتعبد ، فشق ذلك عليهم ، لأن بعضهم كان لا يدرى : متى ينتهي الوقت المفروض لعبادة الليل ؟ فيمسي قائماً يصلي إلى الصباح ، مخافة أن يُخطيء ، حتى وردت أقدامهم ، وامتدعت ألوانهم ، فرحمهم الله وخفف عنهم ، فلم يجعل قيام الليل فرضاً عليهم . بل جعله تطوعاً منهم ، يثيبهم عليه إذا قاموا به ، ولا يعاقبهم عليه إذا تركوه ، وأنزل الله في أول سورة « طه » قوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن اتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى » .

٤-٥- وقد أمره الله تعالى أن يقرأ القرآن في تؤدة وعمهل ، وتبيين حروف ، وتدبر معان ، حتى يستفيد بتلاوته القارئ ، وتبلغ عظاته وأحكامه قلب السامع ؛ ذلك لأن القرآن الذي أنزله الله على نبيه ثقيل الوطأة ، بما تضمن من شرائع وأحكام ، وفروض وحدود ، وحلال وحرام ، وتكاليف شاقة ، فينبغي أن يُقرأ بأناة وبيان ، حتى تُفهم معانيه ، وتلدرك مراميه .

٦-٧- وقد رغبنا الله تعالى في قيام الليل والتعبد فيه ، لأن أوقاته أكثر موافقة

للعبادة من أوقات النهار ، والقراءة فيها أقوم ، وأكثر استقامة على الصواب من أوقات النهار ، لهدوء الأصوات ، وسكون الحركات ، وحضور القلب ، وصفاء النفس في الليل ، فلا يُشغَل فيه بال المتعبد بشئون الحياة ، ولا يضطرب عليه ما يقرؤه فيه ! هذا إلى أن أوقات النهار أنسب للتصرف في الحوائج ، والتقلب في المهمات ، والسعى في طلب العيش ، من أوقات الليل .

٨-٩- ومع أن أوقات الليل هي أنسب الأوقات للعبادة ، والقراءة والتعبد ، فيجب ألا يفرغ قلب الإنسان من ذكر الله في ليل أو نهار ، وألا يغفل عن ذكر الله ، وتسيبته وتمجيده ، فإن ذلك يوجهه دائماً إلى خير العمل ، ويجنبه الخطل والزلل ، لأن الله مالك الملك ، بيده الخير والشر ، وهو الكفيل بأن نكل إليه أمورنا ، وتدبير شئون حياتنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

(٢)

من الآية ١٠ إلى الآية ١٤ من سورة المزمل

وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑩
وَذَرْنِ وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا ⑪ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا
وَجَحِيمًا ⑫ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑬ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ⑭

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
واهجرهم هجراً جميلاً	وتجنب الكافرين ، وغض الطرف عنهم ، وكل أمرهم إلى الله .
ذرنى والمكذبين	دعنى وإياهم ، لأنقم لك منهم .
أولى النعمة	أولى الغنى والترف ، ورفاهة العيش .
ومهلهم قليلاً	وأمهلهم فى ضلالمهم مدة حياتهم .
أنكالا	قيوداً ثقلاً وأغلالاً ، واحدها : نكل .
وجحيماً	وناراً شديدة الاتقاد .
ذا غصة	غير سائغ ، يقف بالخلق ، فلا يتزل ولا يخرج .
ترجف الأرض	تتحرك وتضطرب بمن عليها .
كثيباً	رملاً متجمعاً .
مهيلاً	رخو البناء ، يزل تحت الأقدام .

١٠- كان كفار قريش يقابلون دعوة النبي إلى دين الحق ، بتكذيب واستهزاء
ومخرية ، وكان المسلمون في أول دعوة النبي قلة ، وكان الكفار كثيرة ،
فأمره الله أن يصبر على أذاهم وتكذيبهم ، وأن يتجنبهم ولا يتعرض لهم ،
وأن يكلل الله أمرهم ، فلما قويت شوكة المسلمين ، وكثر عددهم ،
أمر بقتالهم ، وقتلهم إن تعرضوا له ، أو قاوموا دعوته .

١١- ١٤- وقد هدد الله هؤلاء الكفار المكذبين ، الذين أبطروا المال والترف واللذة ،
بأنه أمهلهم مدة حياتهم ، يخوضون ويلعبون ، ويقولون ، اإشءون ، وأعد
لهم يوم الحساب قيوداً ثقيلة وأغلالاً ، وناراً موقدة ، وطعاماً ينشب في
حلقهم فلا يسيغونه ، وأنواعاً أخرى من العذاب ، لا يعرف كنهها إلا الله ،
في يوم شديد الهول ، تضطرب الأرض فيه اضطراباً شديداً ، وتهتز
الجبالُ وتتحرك ، حتى تتفتت ، وتصير كثيراً من رمل متجمع ،
ينهار من تحت أقدامهم فتزِلُّ ، ولا يعرفون كيف يستقرون ، فالنارُ
والعذاب من فوقهم ، والانهيار والاضطراب من تحت أرجلهم .

(٣)

من الآية ١٥ إلى الآية ١٩ من سورة المزمل

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ
 كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا
 وَبَسِيلًا ١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٧ السَّمَاءُ
 مُنْفَطِرٌ بِهِ ١٨ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ١٨ إِن هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ
 رَبِّهِ سَبِيلًا ١٩

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إنا أرسلنا إليكم رسولا	إنا أرسلنا إليكم بأهل مكة محمداً رسولا .
شاهداً عليكم	يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم .
كما أرسلنا إلى فرعون رسولا	هو موسى عليه السلام ، أرسله الله إلى فرعون .
فعصى فرعون الرسول	كذبه فرعون ولم يؤمن به .
أخذناه	أهلكناه .
أخذاً وبسلاً	إهلا كما فيه شدة وعنف ، بإغراقه في البحر .
فكيف تتقون إن كفرتم يوماً	{ فكيف تقون أنفسكم من عذاب الله يوم القيامة ، إن بقيتم على الكفر؟ . }

الألفاظ	شرحها
يجعل الولدان شيباً	يشيب فيه الصبيان من الهول والفرع . السماء متشققة متصدعة في هذا اليوم لشدته ، ولم يقبل منقطرة ، لأن السماء تذكر وتؤنث .
السماء منقطرة به	
كان وعده مفعولاً تذكراً	كان وعد الله بالقيامة حاصلًا لا شك فيه . موعظة .
اتخذ إلى ربه سبيلاً	تقرب إليه بسلوك سبيل التقوى .

مجمل المعنى

١٥-١٦- بعد أن ذكر الله أحوالَ يوم القيامة في الآيات السابقة، ذكر المَكذِبِينَ بأهوال الدنيا ، وما أصاب أمثالهم ممن كذبوا رسلهم ، فبين أن محمداً صلى الله عليه وسلم نشأ بين قومه في مكة ، كما نشأ موسى بين فرعون وقومه في مصر ، فلما أرسل الله محمداً إلى قومه ، سخروا منه وكذبوه ، كما سخر فرعونُ وقومه بموسى وكذبوه ، حينما أرسله الله إليهم ؛ وقد هدد الله كفار قريش بأن محمداً هو الذي سيشهد يوم القيامة على الكافرين المَكذِبِينَ ، كما ذكرهم بأن فرعون لما كذب موسى وعصاه ، وسخر منه ، انتقم اللهُ منه انتقاماً شديداً ، بأن أهلكه في بحر القلزم ، وأذاقه عذاباً وبلياً .

١٧-١٨- وقد وبخ الله الكفارَ لبقائهم على الكفر ، بأنهم لن يستطيعوا أن يحموا أنفسهم من أهوال يوم القيامة ، ذلك اليوم الذي يشتد فيه الكرب ، وتشيب فيه نواصي الأطفال ، وتتصدع من شدته السماء ، ويكون ما وعد

الله به من الحساب والجزاء حاصلًا لا ريب فيه ، لأنه وَعَدُّ من الله ،
والله لا يخلف الميعاد .

١٩ - وتذكير الكفار بما أصاب فرعون من سوء العاقبة في الدنيا ، وبما أعد لهم
من عذاب أليم في الآخرة ، إنما هو للعظة والذكري ، وتنبيه من الله إلى
أنه واسع المغفرة أيضاً ، فمن أراد أن يسلك السبيل إلى رضاه ورحمته ،
فليبادر إلى الإيمان به ، وليأخذ الطريق إلى طاعته .

(٤)

الآية العشرون من سورة المزمل ، وهي آخر السورة

* إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ
وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ
فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا نَيَّسْرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ
وَأَخْرُونَ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يُبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاخْرُونَ يُقْتَلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا نَيَّسْرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا إِلَّا أَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ
اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُ وَاللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تقومُ أدنى ونصفه وثلثه	تتعبد وتهجد . أقل . وتتعبد نصفه وثلثه .

الألفاظ	شرحها
وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار لن تحصوه فتاب عليكم	ويقوم هذا المقدار جماعة من أصحابك . والله وحده يعلم مقادير الليل والنهار على حقيقتها . لن تعرفوا حقيقته . فأعفاكم من فرض قيام الليل : تيسيراً عليكم . فصلوا ما تيسر عليكم : والصلاة تسمى قرآناً ، قال تعالى : « قرآن الفجر » : أى صلاته .
فأقرءوا ما تيسر من القرآن يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله يقاتلون فى سبيل الله وأقرضوا الله قرضاً حسناً تجدوه عند الله هو خيراً	يسافرون ويتنقلون فى الأرض . يطلبون العلم أو كسب المال من التجارة . يجاهدون لنشر دين الله . وأنفقوا طيب المال فى الخير مرضاة لله . تجدوا ثوابه عند الله يوم القيامة خيراً مما تركتم فى الدنيا .

بجمل المعنى

٢٠ - هذه الآيات لها اتصال بما تقدم أول السورة ، فإنه لما فرض الله على النبي وأصحابه القيام بالطاعات والعبادات ، ثلثى الليل أو نصفه أو ثلثه ، كان بعضهم لا يعرف الوقت المفروض على التحديد ، فمنهم من ينقصه فيقع فى الإثم ، ومنهم من يزيد عليه فتلحقه مشقة ، لأنهم لا يعرفون الأوقات على حقائقها ، وإنما كانوا يحسبونها بالظن والتخمين ، فيخطئون فيها ! والله سبحانه وتعالى هو الذى يقدر أوقات الليل والنهار على حقيقتها ، وقد أعفاهم من فرض قيام الليل عليهم ، وجعل ما تيسر

عليهم منه سنة مستحبة ، فمن شاء قام به فيثاب ، ومن شاء تركه ولا عقاب عليه .

وقد بين الله سبحانه سبب تخفيف قيام الليل على عباده ، حتى يتركوا مقدار رحمته وفضله عليهم ، بأن منهم المرضى والشيخ والنساء ، الذين يتعذر عليهم قيام معظم الليل . ومنهم المسافرون في التجارة أو طلب العلم ، ومنهم المجاهدون في سبيل الله ، وهؤلاء يشق عليهم مع ذلك قيام الليل ، مع الأعباء التي يقومون بها نهاراً ! وقد سوى الله بين درجة المجاهدين في سبيله ، والساعين لكسب المال الحلال ، حثاً للناس على العمل وطلب الرزق من أشرف الوجوه .

وقد أمر الله تعالى بوجوب إقامة الصلوات الخمس في أوقاتها ، وأداء الزكاة المفروضة ، والتصدق بأطيب الصدقات ، وإنفاق خير المال في نواحي البر والخير ، لوجه الله تعالى .

وإن الذين يفعلون الخير ، سيجدون خيراً منه عند الله يوم القيامة : ثواباً مُضاعفاً ، وأجرًا عظيمًا ! هذا إلى أنه يغفر لهم ذنوبهم إن استغفروه ، ويستر عيوبهم . ويشملهم برحمته الواسعة ، ويخفف عنهم الجهد والمشقة ، ويدخر لهم السعادة الأبدية في دار الرحمة والرضوان .

سورة المدثر

نزلت بمكة ، وآياتها ٥٦ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية العاشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَأْتِيهَا الْمَدَّثُرُ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③ وَشِيبَاكَ فَطَهِّرْ ④
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ فَاذْنُقِرْ فِي الْتَاقُورِ ⑧
فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمِ عَسِيرٍ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المدثر	{ المتلفف في الدثار : وهو الثوب الذي فوق الشعار ، والشعار : الثوب الذي يلي الجسد .
قم فأنذر	{ أنهض من مضجعتك في عزم وتصميم ، وبلغ الناس رسالتك ، وحذرهم عذاب الله إن لم يؤمنوا به .

الألفاظ	شرحها
وربك فكبر	وعظم سيدك ، واختصه بالتكبير والتعظيم .
وثيابك فطهر	وطهر نفسك من الصفات المذمومة ، كالخزع وقلة الصبر ؛ والمراد : لا تلبس ثيابك على نفس آثمة
والرجز فاهجر	الرجز : العذاب ، أى داوم على ترك ما يسبب العذاب .
ولا تمنن تستكثر	ولا تمنن مستكثراً ، أى لا تعط عطاء تقدر فى نفسك أنه كثير .
ولربك فاصبر	واصبر لأجل رضا ربك على مشقات النبوة ، وطاعة الله ، وأذى الكفار .
نقر فى الناقور	نُفخ فى الصور يوم القيامة .
فذلك يومئذ يوم عسير	فذلك اليوم - وهو يوم القيامة - يوم شديد .
غير يسير	غير سهل ولا لين .

مجمل المعنى

١-٢- كان الوليد بن المغيرة وبعض كفار قريش ، لما ضاقت بهم الخيل من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من نشر دعوته ، أمروا عبيدهم وصبيانهم أن يتحرشوا به ، فصاروا ينادون فى مكة : إن محمداً ساحرٌ ، فاغتم الرسولُ ، ورجع إلى داره حزيناً ، وتلفف بثوبه ، مفكراً فى أمره مع قومه ، الذين قابلوا دعوته بالسخرية والاستهزاء . فأمره الله ألا يدع إنذارهم ، وإن أسمعوه ما يؤذيه ، وخطابه بقوله : « يا أيها المدثر قم » ، وذلك ليستشعر العطف واللطف من هذا الخطاب الرقيق اللين ، وليستنهضه إلى دعوة

قریش ، واحتمال ما یسمعه من سفهاهم ، وأن یقوم فی عزم وجدّ ،
لیدعو الناس إلى دین الله ، ویخوفهم عذابه ، إن لم یسارعوا إلى الطاعة
والإیمان .

٦-٣- وأمره أن یختص اللهَ جلّ شأنه بالتعظیم والتکبیر والتقدیس ، وألا یخشی
أحدًا غیره ، وألا یعبد ربًّا سواه ، وأن یداوم علی تطهیر نفسه من الآثام ،
ویصون نفسه مما شاع بین العرب من ذمیم الأخلاق ، وأن یدع ما یتوجب
عذاب الله ، وأن یجعل ما یقوم من خیر وطاعة ، خالصاً لوجه الله ،
لا ینتظر علیه أجراً ، ولا یتوقع علیه ثواباً ، ولا یتکثر ما یعطیه فی سبیل
الله ؛ ولیس المراد بهذا: أنه کان متصفاً بهذه العیوب ، وإنما المراد: أن من
کان مثله طاهراً من کل شائبة ، منزهاً من کل عیب ، لابد أن ینلغ
مراده ، وینال من حسن العاقبة أوفی نصیب .

٧- واعلم یا محمد أن الله هوربک وخالقک ، وسیدک ومالك أمرک ، فتحمل
بصبر ما ألقى علیک من أعباء النبوة ، وتکالیف العبادة ، وما یصیبک
من أذى الکفار ، ابتغاء وجه الله ، وقصد مرضاته .

٨-١٠- ولن ینذهب بصبرک ما ینالک من أذى الکفار ، فسبعثون یوم القیامة
للحساب ، وإنه لیوم علیهم عسیر شدید ، لا یعقبه یسر ، یلقون فیهِ
عاقبة تکذیبهم عذاباً ألیماً ، وتلقى فیهِ عاقبة صبرک علیهم نعیماً مقیماً .

(٢)

من الآية ١١ إلى الآية ٣٠ من سورة المدثر

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ①
 وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ② وَبَيْنَ يَدَيْهِ شُهُودًا ③ وَمَهْدُتٌ لَهُ مَهْيَدًا ④
 ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ⑤ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ⑥ سَأَرَّهُ نَهْهُ صَعُودًا ⑦
 إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ⑧ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ⑨ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ⑩ ثُمَّ نَظَرَ ⑪ ثُمَّ
 عَبَسَ وَبَسَرَ ⑫ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ⑬ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى ⑭ إِنْ هَذَا إِلَّا
 قَوْلُ الْبَشَرِ ⑮ سَأُصْلِحَهُ لَسِقًا ⑯ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ⑰ لَا تُبْقِي وَلَا تَنْزِرُ ⑱
 لَوْحَةً لِلْبَشَرِ ⑲ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ⑳

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ذرنى	{ أمرٌ للتهديد ، والمعنى : دعنى واتركنى ، وِكلٌ أمرٌ الوليد بن المغيرة إلى .
وَحِيدًا	مفرداً حين ولادته ، لا مال له ولا ولد .

شرحها	الألفاظ
<p>مبسوطاً ، كثيراً . أبناء حاضرين معه في كل مجتمع ، يعتز بهم . وهيات له نعمتي المال والجاه . إن يكون له ما يريد . معانداً للنبي ، منكرراً لما جاء به ، مجاهرراً بعداوته . سأذيقه وأحمله عذاباً شاقاً . جعل يُقلب وجوه الرأى فيما يصف به الرسول . وهياً في نفسه ما يقوله . لُعن .</p>	<p>ممدودا بنين شهودا ومهدت له تمهيدا كَلَاءً عنيدا سأرهقه صعودا فكر وقدر قتل</p>
<p>كيف استطاع أن يهبي في نفسه ما يوافق غرض قريش؟! .</p>	<p>كيف قدر !</p>
<p>قطب وجهه . كاح وجهه ، وتغير لونه ، وهو أشد من العبوس . أعرض عن الحق ، وتراجع عنه . تعاظم عن أن يؤمن .</p>	<p>عبس بسر أدبر واستكبر</p>
<p>ما هذا الذي يقوله محمد إلا خديعة ، وإظهار الباطل في صورة الحق . يروى وينقل عن غيره .</p>	<p>إن هذا إلا سحر يؤثر</p>
<p>ما كلام محمد إلا ككلام من مارسوا السحر من الناس .</p>	<p>إن هذا إلا قول البشر</p>
<p>سأدخله سقر كى يصلح حرها ؛ وسقر : اسم من أسماء جهنم .</p>	<p>سأصليه سقر</p>

الألفاظ	شرحها
وما أدراك ما سقر لا تبق ولا تدر	كلمة تفضيح ، أى : وما أعلمك أى شىء هى ؟ تأتى على كل شىء .
لواحة للبشر	{ مسوِّدة للجلود ، مُحرقَة لها ، والبشر : جمع بشرة ، وهى ظاهر الجلد .
عليها تسعة عشر	{ يقوم على جهنم تسعة عشر ملكاً ، هم الخزنة والرؤساء والنقباء .

الوليد بن المغيرة

١ - كان من صناديد قريش وزعمائها ، وأشدهم خصومة للنبي عليه الصلاة والسلام ، وأعظمهم معارضة لدينه : أبو لهب ، وأبو جهل ، وأبو سفيان ، والوليد بن المغيرة ، وكان الوليد بن المغيرة ، أكثرهم مالا ، وأعظمهم جاهاً ، فكانت بساتينه الممتدة بين مكة والطائف ، لا ينقطع ثمرها صيفاً ولا شتاء ، وكان له من الأنعام والحوارى والأموال ، ما لا يعرف له عد ، ولا يبلغه حصر ، وكان له أولاد عشرة ، يزينون مجلسه ، ويلتفون حوله ، فيزيدونه وجاهة وجاهاً ، وكانوا دائماً يحضرون مجلسه ، لانضطرتهم حاجة العيش إلى الرحلة ، أو السعى وراء الرزق .

ب - ضاق هؤلاء الزعماء ومن إليهم ذرعاً بمحمد ، ورأوا أن دعوته تصادف إذعاناً وقبولاً من كثير من العرب ، ورأوا أن موسم الحج قد قرب ، وأن محمداً سيجتمع بالوافدين إلى مكة ، من أنحاء الجزيرة العربية ، وسيعرض عليهم الدخول في دينه ، فاجتمعوا وتشاوروا فيما يفعلون ، ليحبطوا

دعوته ، ويصرفوا النبي عنه ، واختلفوا فيما يقولون فيه ، فقام رجل منهم ، وقال : شاعرٌ ، وقال ثان : كاهنٌ ، وقال ثالثٌ : مجنون ، وقال رابع : كذاب ! كل هذا والوليد يسمع ولا يتكلم ، فقالوا له : مالك يا أبا عبد شمس لا تتكلم ؟ فقال : لقد سمعت محمداً يقرأ كلاماً ما هو كلام إنس ، ولا كلامُ جن ، وإن له الحلاوة ، وإن عليه لطلُوة ، وإنه ليعلو وما يُعلَى عليه ، وما يقول هذا بشرٌ ! فغراً الحاضرين دهشةً وذهولاً ، وقالوا : لقد صبأ الوليد ، وترك دين آبائه ، ولتصبأن معه قريش كلها ، ولتتبعن دين محمد معه ؛ فغضب الوليد وترك الجمع ، وذهب إلى داره ؛ فحزنت قريش حزناً شديداً ، فقال لهم ابن أخيه أبو جهل : لا تحزنوا ، فأنا أعرف تكبر الوليد واستعلاءه ، وسأرجع به إليكم ، يشير عليكم بما تفعلون .

ج- ذهب أبو جهل إلى دار الوليد ، وجلس كثيراً حزيناً ، فقال له الوليد : مالي أراك حزيناً ؟ ! فقال أبو جهل : - يريد إثارته - ومالي لا أحزن ، وهذه قريش يجمعون لك مالا يقدمونه لك ، ويزعمون أنك زينت كلام محمد ، لتكسب عنده جاهاً ، وتنالَ منه طعاماً ؟ فغضب الوليد وتكبر ، وقال : أنا أحتاج إلى كيسر محمد ، وأنتم تعلمون قدر مالي ؟ مالي حاجة إلى المال ، قم بنا لنعود إلى مجتمع قريش .

د - عاد أبو جهل بالوليد ، ففرحت به قريش ، فقال لهم : يا معشر قريش أنتم تريدون أن تقولوا : إن محمداً مجنون ، فهل رأيتموه يُخيف أحداً ؟ وتريدون أن تقولوا : إنه شاعر ، فهل رأيتموه نطق بشعر قط ؟ وتريدون أن تقولوا : إنه كاهنٌ ، فهل رأيتموه تكهن ؟ ولقد رأينا للكهنة أسجاعاً ؛ فهل رأيتموه كذلك ؟ وتريدون أن تقولوا : إنه كذاب ، فهل جربتم عليه

كذباً قط ؟ فقالوا جميعاً : اللهم لا ، ثم قالوا : فهاذا نقول عنه إذن يا أبا عبد شمس ؟ ففكر الوليد طويلاً فيما يقول لهم عن محمد ، ليشيعوه بين العرب ، ثم دار بعينه فيهم ، ليعرف استعدادهم لتقبل كلامه ، ثم هياً ما دبره من الكلام في نفسه ، ثم كلح لونه ، وأربد وجهه ، وقطب جبينه ، وقال لهم : قولوا : إنه ساحر ، أما رأيتموه يُفرقُ بين الرجل وأهله ، وولده ومواليه ! فصاحت قريش : سرّحتي مرحى يا أبا عبد شمس ! ، وارتج النادى فرحاً ، وخرجوا مُعجبين بظننته ، وانطلقوا يُحدثون كل من يلقونه ، بأن محمداً ساحرٌ ! فاغتم لذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وحزن لما يقولونه عنه كذباً وافتراءً ، ورجع إلى بيته مغتماً ؛ كما تقدم في أول السورة .

بجمل المعنى

١١-١٧ - خفف الله الضيق عن نبيه ، وطلب منه أن يدع شأن الوليد ، وألا يغتم بما افتري عليه ، فقد كان الوليدُ في أول أمره وحيداً لا مال له ولا ولد ، ثم منَّ اللهُ عليه بنعمة المال والولد ، حتى صار يُزهي بهما بين قريش ، وسيستقم الله وحده منه ، جزاء كفره وجحوده ! لقد بسط الله له في الجاه والرياسة ، والثرف والنعيم ، بل إنه لتمتد مطامعه إلى أن يزيد الله من نعمه ، ويسبغ عليه من فضله ، ولكن لن يكون لهذا الجاحد شيء من ذلك ، ولن يجمع الله له بين الكفر والمزيد من النعيم ، وسيبتليه بنقص من الأموال والثمرات حتى يموت ، لأنه كافرٌ بالله ، جاحدٌ لنعمه ، معاندٌ لنبيه ، وسيضاعف له العذاب يوم القيامة في نار جهنم .

١٨ - ٢٥ - ذلك لأنه هو الذى فكر ودبر أمر الكيد لمحمد ، وولى عن الحق تكبراً واستعلاء ، وقال فى جرأة وقحة ، بل فى افتراء واختلاق : إن ما جاء به محمد ليس قرآناً من عند الله ، وإنما هو سحر مفترى ، وإفك مزخرف . ألبسه محمد ثوب الحق ، ليخدع الناس به ، ويجتذب القلوب إليه .

٢٦ - ٣٠ - وليعذبنه الله على تكبره وجحوده ، وكذبه وافتراءه ، فى نار تسودُّ وجهه ، وتشوى لحمه ، وتذيب شحمه ، وتحرق عظمه ، فلا تبقى منه ولا تذر ، عليها تسعة عشر من ملائكة غلاظ شداد ، يقومون على أمر جهنم ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

(٣)

الآية ٣١ من سورة المدثر

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً
وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ
الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ يَمِينًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلبَشَرِ ﴿٣١﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أصحاب النار	خزنة جهنم .
عدتهم	عددهم تسعة عشر .
فتنة	امتحاناً واختباراً .
ليستيقن	ليوقن .
ولا يرتاب	ولا يشك .

الألفاظ	شرحها
الذين أوتوا الكتاب في قلوبهم مرضٌ ماذا أراد الله بهذا مثلاً	اليهود والنصارى . في قلوبهم نفاق أو كفر . قالوا في استغراب وإنكار : أى شيء أراد الله بهذا العدد العجيب ؟
كذلك	{ إشارة إلى امتحان الكفار والمنافقين وارتيابهم ، واستيقان الكتابيين والمسلمين وإيمانهم
يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما هي ذكرى للبشر	{ يوضح للناس طريقى الخير والشر : ولكل فريق أن يختار لنفسه ما يلائم استعداده . وما سقر التى سبق وصفها . عظة . للخلق .

مجمل المعنى

٣١- لقد جعل الله خزانة جهنم والموكلين بتعذيب أهلها ملائكة ، لأنهم أشدّ خلق الله بأساً ، وأقواهم بطشاً ، ولأنهم جنسٌ غير جنس البشر ، فلا ترقُّ لهم قلوبهم ، وهم يقومون بتعذيبهم .
وجعل الله عدد النقباء والرؤساء الذين يقومون على سقر ، تسعة عشر ملكاً ، وهو عدد ينقص واحداً من عقد العشرين ، ليتحقق بامتحان الكفار أنهم لا يريدون إلا العناد ، فقد اتخذوا هذا العدد سخرية بمحمد والقرآن ! فقد روى أنه لما نزلت هذه الآية ، قال أبو جهل لقريش :
ثكلتكم أمهاتكم ! أسمع ابن أبى كبشة : « يريد محمدأ صلى الله عليه

وسلم ، وكان المشركون يقولون للرسول : ابن أفي كبشة ؛ وهي كنية جده لأمه : وهب بن عبدمناف ؛ لشبهه به « أن يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر ، وأنتم الدّهم : أى العدد الكثير ، والشجعان ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ؟ فقال أبو الأشد ابن كلدة : لا يهولنكم التسعة عشر ، أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة ، وبمنكبي الأيسر التسعة ، ثم تمرّون إلى الجنة ! يقولها مستهزئاً .

أما الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ، فإنهم استيقنوا هذا العدد من الملائكة ، حينما ورد في القرآن ، لأنه موافق لما قرءوه في التوراة والإنجيل . وأما المؤمنون المصدقون بكتاب الله ، فقد زادوا إيماناً على إيمانهم ، وتصديقاً على تصديقهم ، لأنهم يعتقدون أن القرآن حقٌّ من عند الله لا ريب فيه ، هدى للمتقين .

ولقد اقتضت حكمةُ الله أن تكون آياته اطمئناناً لقلوب الذين هداهم الله إلى الإسلام ، ومن شرح صدورهم له من أهل الكتاب ، وغيرهم من المؤمنين الصادقين ! أما الذين في قلوبهم زيغٌ والكافرون ، فإنهم لما سمعوا هذا العدد قابلوه هازئين ساخرين ، وقالوا عنه متعجبين ، أى شئ أراد الله بهذا العدد العجيب ، والمثل الغريب ؟ ! فلم لم يكونوا عشرين مثلاً ؟ ! وبمثل هذه الآيات ، يمتحن الله عباده ، ويخضعهم فيما يقولون أو يفعلون لمشيئته ؛ فالذين استحبوا العمى على الهدى ، يسرعون إلى الشرِّ والفساد ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، يهديهم إلى الإيمان والرشاد .

وإن الكفار قد غرهم أن لله تسعة عشر ملكاً ، يقومون على تعذيبهم في نار جهنم ، وقالوا : ما أهونه عدداً ، وأضعفه قوة ! ولو علموا أن جنودَ الله من ملائكته لا يعلمها غيره ، وأن سقر التي سبق ذكرها ، وعدد ملائكتها ، والآيات الناطقة بأحوالها ، ما هى إلا عظة وعبرة للناس ؛ حتى يتعدوا عما يؤذيهم إليها ، وسيعلمون أمرها يوم يبعثون .

(٤)

من الآية ٣٢ إلى الآية ٤٧ من سورة المدثر

كَلَّا وَالْقَمَرَ ٣٢ وَاللَّيْلَ إِذَا دُبَّرَ ٣٣ وَالضُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكَبِيرِ ٣٥
 نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ٣٦ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٣٧ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
 رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ٤٠ عَنِ الْحَبِيرِ ٤١
 مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ٤٢ فَأَلْوِ الْأَثْمَانَ مِنَ الْمُضِلِّينَ ٤٣ وَلَذَلِكَ نُطَعِمُ الْمُسْكِينِ ٤٤
 وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ٤٧

شَرْحُ الْأَلْفَاظِ

الألفاظ	شرحها
كلا	حَقًّا .
والقمر	أقسم بالقمر .
أدبر	ولى وذهب .
أسفر	أضاء وأشرق .

الآلِفاظ	شرحها
إنها لإحدى الكبر	<p>إن سقر لأعظم البلايا والدواهي ، والكبر : جمع الكبرى ، مؤنث الأكبر . مخوفاً للناس .</p>
نذيراً للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر رهينة	<p>لمن شاء منكم أن يتقدم إلى الخير والطاعة ، أو يتأخر إلى الشر والمعصية . مرتهنة بكسبها ، مأخوذة بعملها .</p>
أصحاب اليمين	<p>المسلمون السعداء ، الذين فكوا رقابهم بالإيمان والطاعة ، كما يُخلص الرهن رهنة بأداء ما عليه من الحق .</p>
يتساءلون عن المحرمين ما سلككم في سقر المصلين	<p>يسألون غيرهم ، أو يسأل بعضهم بعضاً . عن المشركين . ما أدخلكم جهنم ؟ الذين يعبدون الله وحده .</p>
كنا نخوض مع الخائفين يوم الدين اليقين	<p>كنا نخالط أهل الباطل ، ونشاركهم في الكذب والبهتان ، والغيبة والنميمة . يوم الحساب . الموت .</p>

بجمل المعنى

٣٢ - ٣٤ - أقسم الله سبحانه بالقمر ، وبالليل إذا أدبر ! وبالصبح إذا أسفر ، على أن سقر داهية كبرى ، ومصيبة عظيمة ؛ تنتظر الكافرين ، وتحذر المعاندين ! وإنما أقسم الله بهذه الثلاثة ، لأنها تدل على كمال قدرته ، وتعام حكمته ، وإبداء الخلق وإعادته ، كما هو مشاهد في اختلاف النهار والليل في نظام محكم ، وفي ظهور الضياء في الشمس ، والنور في القمر ؛ أقسم بالقمر لأنه آية الليل ، وفيه من الدلائل الباهرة على قدرة الله تعالى وحكمته ، وعلمه ، وعنايته بخلقه ، ما هو معلوم بالمشاهدة ؛ فمن تأمل القمر وهو يسير دائماً لا يفتُر ، يبدو هلالاً ثم يصير بديراً ، ويأفل تارة ، ويظهر أخرى - علم قطعاً أنه مخلوق مُسخر بأمر خالق ماهر مدبر ، وأقسم بالليل في إدباره ، وبالصبح في إسفاره ، لأن من تأمل حال الليل إذا عسعس ، فهدأت الحركات ، وسكنت الأصوات ، ونامت العيون ، ومن تأمل حال الصبح إذا تنفس ، فهزم جيوش الظلام بنفسه ، وأضاء أفق العالم بقبسه ، علم أنهما آيتان شاهدتان بوحداية خالقهما ، وكمال قدرته ..

٣٥ - ٣٧ - ولما أقسم الله للعباد بآياته الثلاث على سقر ، خوفاً منهم بأنها كبرى الدواهي ، وأنها نذير لمن شاء أن يتقدم إلى الخير والطاعة ، أو يتأخر إلى الشر والمعصية ؛ فمن تقدم إلى الطاعة والإيمان ، جوزى بثواب لا ينقطع ، ومن تأخر عن الطاعة والإيمان ، عوقب عقاباً سرمدياً دائماً .

٣٨ - ٤٧ - ولما أقام الحججة على الكافرين ، وخوفهم عذاب يوم الدين ، ارتهن كل نفس بما كسبت ، وأخذها بما ارتكبت ، واستثنى من ذلك من قبيل هداة ،

واتبع رضاه ، وهم أصحاب اليمين ، الذين آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين ،
وسلكوا سبيل المتقين ، وتمتعوا بنعيم الجنات ؛ فهؤلاء يسألون عن المجرمين ،
الذين يذكرون أنهم كذبوا الرسول ، وأعرضوا عن اتباعه ، قائلين لهم :
ما أدى بكم إلى سوء المصير ؟ فيجيبونهم : بأنهم لم يكونوا ممن أذعنوا للحق ،
بأن يعبدوا الله وحده ، وينبذوا عبادة الأصنام ، ولا ممن يطعمون المسكين ،
وكانوا يخالطون أهل الباطل في باطلهم ، ويشاركونهم في الكذب والزور
والبهتان ، ولا يصدقون بيوم القيامة : يوم الجزاء والحساب ، حتى جاءهم
الموت ، فقالوا : يا ليتنا اتخذنا مع الرسول سبيلا .

(٥)

من الآية ٤٨ من سورة المدثر إلى آخر السورة

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ
 حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَوَيْلٌ مِنَ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى
 صُحُفًا مُنشَرَّةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَآ يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ يَذْكَرُهُ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ
 ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغُفْرَةِ ﴿٥٦﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فما تنفعهم شفاعاة الشافعين	لا تقبل في الكافرين شفاعاة الشافعين من النبيين والصالحين، لأنها للمؤمنين دون الكافرين .
التذكرة	الموعظة .
معرضين	مولين ومنصرفين .
كانهم حمر	كان الكفار في إعراضهم عن الموعظة ، وفرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم ، حمر الوحش .
مستنفرة	نافرة وفارة .

الألفاظ	شرحها
قسورة	{ القسورة : الرماة والصيادون ، مفردها قسور ، وقيل : القسور : الأسود . كتباً مبسوطه أمام أنظارهم ، تقرأ وتنشر . ليرتدعوا من هذا الظن الفاسد ! . حقاً ، إن القرآن موعظة وذكرى . فمن أراد ذكره اتعظ واعتبر .
صحفاً منشرة	
كلا	
كلا إنه تذكرة	
فمن شاء ذكره	

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

٤٨ - إن الكفار أصحاب الشمال ، الذين استبدأوا بالإخلاص شركاً ، وبالإحسان والإتفاق في سبيل الله إساءة وشحاً ، وبالكلام النافع خوفاً في الباطل ، وبالإيمان بيوم الحساب عناداً وتكديباً ، إنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، لأن الشفاعة إنما تنفع المؤمنين لا الكافرين .

٤٩ - ٥١ - وليس لهم أن يطمعوا في شفاعة ، بعد أن أنذرهم النبي فولوا وأعرضوا ، فما لهم بعد أن عرفوا أن كل إنسان مرتين بعمله ، وأنه لا شافع يشفع لهم يوم القيامة ، ما لهم نفروا من دعوته ، كما تنفر الحُمُرُ الوحشية ، وتفر أمام الرماة والصيادين والأسود ؟ !

٥٢ - بل كانوا يلقون دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنذارهم بعذاب الله إن لم يؤمنوا ، بسخرية واستهزاء ، بل بما هو أعجب وأغرب ، إذ يطلبون

إلى النبي أن يأتي كلاً منهم بكتاب خاص به من عند الله بدل القرآن ،
تنشر فيه براءته ، وأمنه من النار ، بل كانوا يُمعنون في الجحود والإنكار ،
فيقولون له : إن نؤمن لك حتى ترقى إلى السماء ، « ولن نؤمن لرقبك
حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » ، قال ابن عباس : كانوا يقولون : إن
كان محمد صادقاً ، فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه
من النار .

۵۲- ولن يُحقق الله لهم ما يتمنون من هذا الاقتراح الفاسد ، لأنهم معاندون
جاحدون ، ومهما جاءتهم البينات فإنهم لا يصدقون ، ولا يخافون يوم
الحساب والعذاب .

۵۴- ۵۵- وقد جعل الله القرآن عظة وذكرى للناس ، فمن شاء تذكروا وآمنوا ، ومن
شاء أعرضوا وكفروا ؛ ومقتضى التوحيد والربوبية ، أن يبين الله لعباده الخير
والشر ، حتى يعملوا الخير ، ويجتنبوا الشر ، كل على حسب ما شاء ،
بعد أن بين الله لهم سبيل الهدى والضلال ، والحق والباطل ، وأن مصايرهم
على حسب مشيئة ربهم ، وحكمة خالقهم .

۵۶- والله عظمت نعمته ، وجلت قدرته ، أهل لأن يخافه عبيده ، وأهل لأن
يشملهم فضله ، وأن يتقوه خشية وخوفاً ، وأن يرجوه مغفرة وفضلاً ، فهم إذ
يخافونه ويُنسيون إليه ، يستحقون عُقرانه ، « قل : يا عبادي الذين أسرفوا
على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه
هو الغفور الرحيم » ؛ وإذ يعصونه يستحقون عذابه ، « إن الذين كفروا
بآياتنا سوف نصليهم ناراً » .

سورة القيامة

نزلت بمكة ، وآياتها ٤٠ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ① وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ② أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ
نَجْمَعُ عِظَامَهُ ③ بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ④ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ
أَمَامَهُ ⑤ يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ⑥ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ⑦ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⑧
وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑨ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ⑩ كَلَّا لَا وَزَرَ ⑪
إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ⑫ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑬ بَلِ
الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ⑭ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ⑮

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
النفس اللوامة	الضمير الحى ، الذى يؤنب صاحبه .
يفجر	يتأدى فى ارتكاب الذنوب .
أمامه	طيلة حياته المستقبلية .
برق البصر	زاع يوم القيامة ، ودهش حتى لا يرى .
أين المفر؟	أين طريق النجاة .
المستقر	الملجأ .
قدم	عمل فى حياته من حسن الأعمال وسيئها .
بصيرة	شاهدٌ وحجةٌ ، وبينتُ من أمره .
بنانه	البنان : أطراف الأصابع .
أيان؟ !	متى؟ ! والاستفهامُ بها يكونُ فى موضع التهويل .
خسف القمر	ذهب ضوءه .
لا وزر	لا حصن ولا ملجأ .
ينبأ	يكشف له عن حاله ، فيزن أموره بنفسه .
وأخر	وترك من آثار يقتدى الناسُ بها فى خير أو شر .
معاذيره	حججه للدفاع عن نفسه ، جمع معذرة .

مجمل المعنى

١ - ٤ - افتتح الله هذه السورة بتحقيق أمر البعث ، مؤكداً له بالقسم المنق ، وقد سبق لنا شرحٌ شبيهه ، وكان الأمر لا يحتاج إلى قسم ، ولقد جاء القسم

هنا بما عظم خطره ، وجل شأنه ، وهو يومُ القيامة ، والنفسُ الخيرةُ الحساسة ، التي تحاسب صاحبها على كل صغيرة وكبيرة ، فتدفعه إلى الخير دائماً ، ورُتبُها فوق النفس المطمئنة ، التي وعدّها الله بدخول الجنة ؛ فالقسم هنا لتقرير هذا اليوم ، وتأكيد حدوثه ، على رغم إنكار الكافر لقدرة الله تعالى على إعادة خلق الإنسان ، وجمع أجزائه بعد فناءها ، مع أن قدرة الله لا يقف أمامها مستحيل ؛ وإعادة الإنسان على ما كان عليه سهل ميسور ، بل هو قادر على ما هو أعظمُ من إعادة خلقه ، فإن أطراف أصابعه التي تختلف بصماتها في كل فرد عن الآخر ، منذ خلق الله الإنسان إلى الآن ، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها ، أكثر دلالة على القدرة الإلهية ، من إعادة الموتى إلى الحياة .

١٠٠٠ - وفي ذلك أكبر دليل على عظمة هذه القدرة الإلهية ! فالكافر المنكُر لا يطلب الحقَّ والمعرفة ، وإنما يدفعه إلى ذلك التكذيب ، إنه يريد أن يركب رأسه ، ويمعن في شهواته المحرمة ، متهاذياً في ذلك طوال حياته ، فإذا لامه لائمٌ ، أو وعظه واعظٌ ، سأله ساخراً مُنكراً : متى يأتي هذا اليوم ؟ وسوف يلتقي نتيجة إنكاره ونخريته ، متى حل ذلك اليوم ، فيرى الهول مجسماً حين يضطرب أمرُ العالم ، فيخسف القمر ، ويذهب نوره ، ويصطدم بالشمس لضعف ما كان بينهما من تماسك ، فتكون نهاية العالم في الدنيا ، عند ذلك يعمى بصره ، ويبحثُ عن الخلاص ، وطريق النجاة ، والحصن الذي يحميه ، فإذا هو في يوم الحساب أمام الله تعالى . وإذا أعماله تنكشف أمامه ، فيحكم على نفسه ، وتشهدُ عليه أعضاؤه ، فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، فيبرئها مما ارتكبت في الدنيا ، مهما التمس لنفسه من الأعذار .

(٢)

من الآية ١٦ إلى الآية ٢٥ من سورة القيامة

لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ

بِهِ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ٢٠ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ٢١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ٢٤ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥

شَرْحُ الْأَلْفَازِ

الألفاظ	شرحها
لا تحرك به	لا تتعجل في تحريك لسانك ، مردداً ما يبلغك جبريل إياه .
بيانه	إظهاره حتى تحفظه عن ظهر قلب .
ناضرة	حسنة جميلة .
باسرة	عابسة كالحلة .
تظن	تتوقع .
قرآنه	قراءة جبريل .
العاجلة	الدنيا الفانية .
ناظرة	متطلعة إلى ثوابه ، منتظرة .

الألفاظ	شرحها
يفعل بها فاقرة	ينزل بها . داهية تقصم العمود الفقري .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

١٦ - ١٩ - حينما كان جبريل عليه السلام يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الآيات ، كان النبي لشدة حرصه على ما يتلقاه ، يُحرك لسانه وشفتيه ، متعجلاً في حفظ ما يبلغه واستظهاره ، خشية أن ينساه ، وكان ذلك يشق عليه ، فنهأه الله عن ذلك ، وذكر له أن جبريل سيقرئه ما يوحيه إليه حتى لا ينسى ، وطلب منه ألا يعجل بالقراءة ، من قبل أن يفضى إليه ما يبلغه جبريل إياه ، وبين له أن الله سيوفقه لقراءته ودراسته ، حتى يحفظه عن ظهر قلب فلا ينساه ، بل إن حكمة الله اقتضت أن يجمع القرآن في صدر النبي ويثبتته فيه ؛ من أجل هذا يجب على النبي حين يسمع القرآن من جبريل ، أن يُنصت حتى يفرغ ، وألا يجعل قراءته مقارنة لقراءة جبريل ، فإذا فرغ جبريل ردد في نفسه ما سمع ؛ فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، إذا نزل عليه جبريل بالوحي ، أطرق وأصغى ، فإذا رددته في نفسه ، وجده منقوشاً في صدره .

٢٠ - ٢٥ - وبعد أن أتم الوحي ما أبلغه إلى الرسول من تعليم وإرشاد ، عاد إلى الحديث عما يتصل بما بدأ به هذه السورة ، فبين أن هؤلاء المكذبين قومٌ يحبون الدنيا الفانية ، لما فيها من اللذائذ العاجلة الفاتنة ، ويتركون الآخرة الباقية ، بالإعراض عن الأعمال التي تؤدي إليها ، حيث يكون الناس فيها فريقين :

فالمؤمنون المصدقون ، تكون وجوههم مشرقة مستبشرة ، يبدو عليها البهجة والسرور ، وتتطلع إلى ثواب الله ، جزائه في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، يستمعون فيها بالنعيم المقيم ؛ والكفار المكذبون ، تكون وجوههم عابسة كالحة ، حائلة اللون ، يتوقعون أن تنزل بهم داهية تزلزل أقدامهم ، وتقصم ظهورهم ، لما كسبوه من الخطيئات ، واقتربوا من السيئات .

(٣)

من الآية ٢٦ من سورة القيامة ، إلى آخر السورة

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ وَقِيلَ لِمَنْ رَاقٍ ۗ وَظَنُّ أَنْهُ الْفِرَاقُ ۝
وَالنَّفْسِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ۖ إِلَىٰ رَيْكِ يَوْمِذِ الْمَسَاقِ ۖ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝
وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ عِيْتَمَطِي ۖ أَوْ لَىٰ لَكَ فَأَوْ لَىٰ ۖ ثُمَّ
أَوْ لَىٰ لَكَ فَأَوْ لَىٰ ۖ أَيْ حَسَبُ الْإِنْسَانِ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً ۖ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً
مِنْ مِثْنِي يُمْنَىٰ ۖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُجِئِيَ الْمَوْتَىٰ ۝

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
التراقي	جمع ترقوة ، وهي عظمة عند النحر .
راق	يُعوذ المريض بكلمات سحرية أو دينية .
ظن أنه	تأكد أن الأمر الذي نزل به .
الفراق	الموت الذي يفارق فيه الدنيا .
الخصت الساق بالساق	اشتد الأمر والهول .

الألفاظ	شرحها
المساق	سوقك وجرك إلى ربك للحساب .
تولى	أعرض ونأى .
يتمطى	يتكبر ويتبختر ، ويتباهى بعناده وكفره .
أول لك	أحق وأجدر بك .
سدى	هملا بدون تكليف وشرع .
نظفة	جزء قليل من السائل الحقيقير .
يمنى	يُراق .
علقة	قطعة دم متجمدة .
سوى	جعلها جميلة متناسبة الأجزاء .

بجمل المعنى

٢٦ - ٢٣ - ارتدعوا أيها المعاندون عن تفضيل الدنيا على الآخرة ، واذكروا ما ينزلُ
 بكم من فادح الهول عند الموت ؛ إنكم إذا أشرفتم على الموت ، فصعدت
 الروح ، وبلغت عظمى الترقوة ، فضاقت أنفاسكم ، وجحظت عيونكم ،
 وقال أهلوكم : أين المنقذ الذى يرقى رقى ويعودُ المرضى ، بعد أن استغفل
 الداء ، وعز الدواء ؟ عند ذلك يعلم المحتضر أنه الموت الذى كان يخشاه ،
 ولا فائدة ترجى من طب الأطباء ، أو رُقَى المشعوذين ، ويشتد الخطبُ
 عند نزوع الروح ، ويفدح الأمر ، ثم يدفع إلى الآخرة عند الله للحساب ،
 وليس له من عمل يُؤجر عليه ، فلا هو صدق بكتب الله ورسله ، وعمل
 صالحاً ينفعه فى الآخرة ، ولا هو صلى صلاةً تُكتبُ فى حسناته ،
 ولا هو استغفر ، ولكنه كذب بالله ، وأعرض عن طاعته ، ثم عاد إلى

أهله وعشيرته يتبختر في مشيته ، تباهاً بما فعل ، وكأنه لم يفعل شيئاً من المعاصي .

٣٤ - ٣٥ وكان أبو جهل ونظراؤه يغشون مجالس الرسول ، ويسمعون القرآن ، ثم يخرجون مكذبين ساخرين مستهزئين ، ويذهبون إلى عشيرتهم مباهين بما فعلوا مع الرسول ، وما قالوه في حضرته من ألفاظ السباب والسخرية ، لينالوا إعجاب قريش بهم ، ورضاهم عنهم ! وحدث أن رسول الله قابل يوماً أبا جهل ، فأخذ بمجامع ثيابه وقال له : «أولى لك فأولى» ، يريد تهديد أبي جهل ، فيقول : قاربك ماتكره يا أبا جهل ، فالأجدر بك أن تؤمن ، قبل أن يحل بك سخط الله وعذابه ، وكررها رسول الله للتهديد والوعيد ، فقال أبو جهل : أتهددني يا محمد ؟ إنك لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلاني شيئاً ، وإني لأعز أهل هذا الوادي ، ثم انسلّ ذاهباً ، فأنزل الله على رسوله ما قاله لأبي جهل ؛ وقد ظل أبو جهل على كفره ، حتى قُتل في وقعة بدر .

٣٦ - ٤٠ - أيظن هؤلاء أن الله يترك الإنسان يعيثُ فساداً في الأرض ، بدون شريعة تهديه ، كالبهائم المرسلّة ، ولا يحاسبه يوم القيامة على إحسانه أو سيئاته ؟ ! أليس الله قادراً على إعادة خلقه مرة أخرى يوم البعث ؟ وقد سبق أن خلقه من ماء مهين حقير ، تحول قطعة من الدم ، ثم صورهُ وسواه جنيناً ، فكان إنساناً ذكراً أو أنثى ، أليس الذي فعل ذلك أول مرة ، قادراً على إعادته ، وإحياء الموتى يوم القيامة ؟ ! بل إعادة الخلق أيسر وأسهل ، ففكروا واتعظوا ، واعملوا لآخرتكم يا أولى الألباب ، لعلمكم تُرحمون .

سورة الإنسان

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٣١ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ① إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً
وَإِمَّا كَفُوراً ③

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
هل	قد .
نطفة	قليل من السائل .
أمشاج	أخلاط من العناصر المختلفة ، والطباع المتباينة ، مفردها : مَشِيج .
نبتليه	نختبره وتمتحنه .
سميعاً بصيراً	ذا سمع وذا بصر ، أو ذا عقل وإدراك .
هديناه السبيل	أريناه أنواع الطرق المختلفة ، ودلناه على خيرها وشرها .
شاكراً	مُقَدِّراً لنعمتنا عليه .
كفوراً	جاحداً للنعمة ، حائداً عن طريق الهداية والرشاد .

بمجل المعنى

١-٣- قد أتى على كل إنسان ، وعلى الجنس البشرى عامة قبل خلقه ، وقت من الزمان ، لم يكن له في الحياة ذكر ولا مكان ، ثم خلقه الله من مويهة صغيرة تافهة ، اجتمعت فيها عناصر شتى مختلفة ، وامتزجت تلك العناصر بعضها ببعض ، تحملُ في جواهرها طبائعه التي يرثها عن آبائه ، ويورثها من بعده أعقابه ، فتتوزع بين أفرادهم ، على تفاوت بينهم في ذلك : من حيث القوة والضعف ، والقلة والكثرة ؛ ولذلك اختلفت طبائع الناس ، وتنوعت أفكارهم ومشاربهم ؛ ولقد خص الله الإنسان بنعمة العقل والإدراك ، ومنحه السمع والبصر ، لكي يجتبره ويمتحنه ، بعد أن أنزل عليه الشرائع ، تبين له الخير والشر ، وتهديه سواء السبيل ، وهو بعد ذلك : إما أن يكون شاكراً لنعمة الله ، فيسلك طريق الخير ، ويستحق رضاه ، فيحظى بثوابه ؛ أو منكراً جاحداً لأنعمه ، فيخالف أمره ، وينهج سبل الشر ، فيستحق سخطه وعذابه .

(٢)

من الآية ٤ إلى الآية ٢٢ من سورة الإنسان

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ① إِنَّا الْأَجْرَادَ
لَيَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ② عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ③ يُوفُونَ بِالْقَدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ④ وَيَطْعَمُونَ
الطَّعَامَ عَلَى نُجْبِهِ، مَسْكِينًا وَرَيْبًا وَأَسِيرًا ⑤ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَنَزِيدُ
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ⑥ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا ⑦ قَوْمَهُمْ
اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ⑧ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً
وَحَرِيرًا ⑨ مُتَّكِعِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمِيرًا ⑩
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ⑪ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ
مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ⑫ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ⑬ وَلْيَسْقُونَ
فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ⑭ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ⑮ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ⑯ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمْرًا رَأَيْتَ

فَعِيًّا وَمُلْكًا كَبِيرًا ⑩ عَلَيْهِمْ نِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ
 مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ⑪ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ
 مَشْكُورًا ⑫

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أعدتنا	أعددتنا وهيانا .
أغلالا	أطواقاً من حديد ، والمفرد : غُلٌّ .
سعيراً	ناراً موقدة .
الأبرار	الأخيار الصادقين الأتقياء .
مزاجها كافورا	شربها ممزوج بالكافور الطيب الرائحة .
يفجرونها تفجيراً	يُخرجون ماءها حيث شاءوا في سهولة .
النذر	كلّ فعل أوجبته الإنسان على نفسه .
مستطيراً	منتشراً فاشياً .
على حبه	مع حاجتهم إليه ، وحبيهم له .
قسطريرا	شديداً مظلماً .
وقاهم	حفظهم .
لقاهم	أعطاهم .
نصرة	بشاشة وبهجة وحسنا .

شرحها	الألفاظ
<p>جالسين في الجنة ، وهي حال من : « هم » في جزاهم .</p>	<p>متكئين فيها</p>
<p>الأسرة ، المفرد : أريكة .</p>	<p>الأرائك</p>
<p>حراً شديداً .</p>	<p>شمساً</p>
<p>برداً شديداً .</p>	<p>زمهريرا</p>
<p>قريبة .</p>	<p>دانية</p>
<p>تدلت عناقيدها ، وصارت سهلة التناول .</p>	<p>ذلت قطوفها</p>
<p>أوعية رقيقة ، لها بياض الفضة وصفاء الزجاج ، وهي جمع قارورة .</p>	<p>قوارير</p>
<p>قدرها الغلمان على قدر حاجة الطاعمين والشاربين .</p>	<p>قدروها تقديرا</p>
<p>سُميت كذلك ، لأن ماءها يسهل شربه .</p>	<p>سلسبيلا</p>
<p>لا يموتون ولا يهرمون .</p>	<p>مخلدون</p>
<p>أينما وقع نظرك هناك في الجنة .</p>	<p>وإذا رأيت ثمّ</p>
<p>رأيت نعيماً لا يحده وصف ، وملكاً واسعاً تستوعب به النفس كل هناعتها ومسرّتها .</p>	<p>نعيماً وملكاً كبيراً</p>
<p>فوق أجسام أهل الجنة .</p>	<p>عاليهم</p>
<p>نسيج من حرير رقيق .</p>	<p>سندس</p>
<p>نسيج من حرير سميك .</p>	<p>إستبرق</p>
<p>ألبسوا الخليّ .</p>	<p>حلّوا</p>
<p>شرباً نقيّاً من كل شائبة .</p>	<p>شرباً طهوراً</p>

مجمل المعنى

٤ - بين الله ما أعدّه للكافرين من أدوات التعذيب ، فالسلاسل تقيد أرجلهم وأيديهم ، والأطواق توضع في أعناقهم ، والنار الموقدة تتسلط على أجسامهم ، فيكون عذابهم أليماً .

٥ - ٦ - وبين ما أعدّ للأخيار من عباده الصالحين ، من شراب طهور ، له رائحة الكافور الطيبة ، وبرده وعلوبته ، وهذا الشراب يخرج من عين يتفجر ماؤها دائماً ، فيتناولونه متى أرادوا ، وكيفما شاءوا ، والكافور : نبت يستحسنه العرب ، لطيب شذاه .

إيثار

٧ - ١١ - مرض الحسن والحسين ابنا عليّ رضي الله عنهم أجمعين ، فعادتهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه جماعة من أصحابه ، فقالوا لعليّ : يا أبا الحسن ، لو نذرت عليّ ولديك ! فنذر عليّ وفاطمة رضي الله عنهما وجاريتهما فِضة ، صوم ثلاثة أيام إن برئنا ، فشفا وما معهم شيء ، فاقرض عليّ ثلاثة أصوع من شعير ، طحنت فاطمة صاعاً ، واختبرت خمسة أقراص على عددهم ، فوضعوها بين أيديهم ليُفطروا ، فوقف عليهم مسكين ، فأثروه بها ، وباتوا ولم ينوقوا إلا الماء ، وأصبحوا صياماً ؛ فلما أمسوا ووضعوا الطعام ، وقف عليهم يتيم ، فأعطوه طعامهم ، ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ، ففعلوا مثل ذلك ! فنزل سيدنا جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات : « يوفون بالنذر... » ، ثم قال : خذها يا محمد ، هنّاك الله في أهل بيتك ؛ واقد استحق هؤلاء الأبرار تكريم الله لهم ، لأنهم يتصفون بثلاث خصال :

١ - أنهم يوفون بالنذر ، فإذا نذروا لله صوماً أو صلاة أو صدقة ، صاموا وصلوا وتصدقوا .

ب - وخوفهم الله وعذابه يوم القيامة ، وهو اليوم الذى يشتد حره ، وتعم ظلمته .

ج - والرحمة ، وهى من أخص أخلاق الأبرار ، فهم يعطفون على الضعفاء والمساكين ، فيقدمون لهم الطعام حتى فى أوقات الشدة والفقر ، ويؤثرونهم على أنفسهم ، ويخصون بكرمهم المساكين واليتامى وأسرى الحرب ، يفعلون ذلك لوجه الله ، لا انتظاراً لمكافأة أو أجر ، ولكنهم يخافون ذلك اليوم الشديد : يوم القيامة ، ولذلك يدخلهم الله الجنة ، فتفيض وجوههم بشاشة وسروراً .

١٢ - ١٤ - يكافئ الله المؤمنين الذين صبروا على أداء الواجبات ، واجتناب المحرمات ، بأن يدخلهم الجنة ، فيلبسوا فيها حريراً ، ويجلسوا على الأسرة ، ويتمتعوا بجو جميل معتدل سَجَسَج ، لا هو حارٌ لافح ، ولا بارد قارس ، فى ضوء ليس صادراً عن شمس ولا قمر ، بين أشجار كثيفة تظلمهم ، وتهدل الثمار من أغصانها ، فتكون قريبة منهم ، سهلة القطف والتناول .

١٥ - ٢٢ - ويقوم على خدمتهم صبيان ، كأنهم فى جمالم ، وصفاء ألوانهم ، وإشراق وجوههم ، اللآلىء الساطعة ، يطوفون عليهم حاملين الطعام ، فى صحاف من الفضة ، والشراب فى أكواب شفيفة رقيقة ، فتقر أعينهم ، وشرابهم من أعين فى الجنة تسمى السلسيل ، يجلدون لمأثها طعم الزنجبيل ، ورائحته وعذوبته ، ويلبسون ثياباً خضراً من الحرير ، رقيقة وسميكة ، ويتحلون بأساور من الفضة ، فيجمل منظرهم ، وتم متعتهم ، جزاء إيمانهم فى الدنيا ! والمراد بهذا كله : أنهم يتمتعون فى الجنة بكل نواحي المتعة ،

من الطعام الهنيء ، والشراب المرءى ، واللباس القشيب ، والراحة التامة ، والمنظر الجميل ، ويقال لهم حين تمتعهم بهذه الصنوف من النعيم : إن هذا جزاء ما قدمتموه ، من عمل صالح في الدنيا ، وإن سعيكم الحميد في الدنيا ، من العمل بأوامر الله ، واجتناب نواهيه ، استحققتم عليه هذا التكريم .

والمراد من كل ما تقدم : تصوير ما يلقاه الكفار من العذاب الأليم ، وما يلقاه المؤمنون من النعيم المقيم ، في صورة ما اعتدنا أن نراه في الدنيا .

تواضع الرسول

دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو راقد على حصير من جريد ، وقد أثر في جنبه ! فبكى عمر ، فقال له النبي : ما يبكيك؟ قال : ذكرتُ كسرى وملكه ، وهرمز وملكه ، وصاحب الحبشة وملكه ، وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترقد على حصير من جريد؟ ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن لهم الدنيا وإنما الآخرة؟ فأنزل الله تعالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً » .

(٣)

من الآية ٢٣ من سورة الإنسان ، إلى آخر السورة

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ۖ إِن نَزَّلْنَاهُ إِلَّا نَزِيلًا ۖ ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطَّعْ
 مِنْهُمْ ۚ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا ۖ ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ ﴿٢٥﴾ وَمِنَ
 اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۖ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ
 وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۖ ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۗ
 وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ۖ ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ ۗ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ
 رَبِّهِ سَبِيلًا ۖ ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ۖ ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ ﴿٣١﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اصبر لحكم ربك	تجمل بالصبر، لتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم .
آثماً	منغماً في المعاصي ، كعتبة بن ربيعة .
كفوراً	جاحداً للنعمة ، كالوليد بن المغيرة .
بكرة	قبل الظهر .
أصيلاً	بعد العصر .

الألفاظ	شرحها
وسبحه ليلاً طويلاً	<p>وزنه الله عن كل ما لا يليق به ، واذكره بالليل إلا قليلاً : نصفه ، أو انقص منه ، أو زد عليه . الدينا وشهواتها . يتركون . شديداً . جَمَلْنَا خَلْقَهُمْ وَأَحْكَمْنَا . عظة يتذكر بها الغافل . طريقاً . ويعذب الظالمين .</p>
العاجلة	
يذرون	
ثقيلاً	
شددنا أسرهم	
تذكرة	
سبيلاً	
والظالمين .	

مجل المعنى

٢٣ - ٢٨ - بلغ النبي أن أبا جهل يقول : لئن رأيت محمداً يُصلي لأطأن عنقه ، فكان النبي عليه السلام يتألم من ذلك ، ومن حال الكافرين وعنادهم ، فيتمنى لهم الهداية ، أو يُعجل الله لهم العذاب ، حتى يكونوا عبرة لغيرهم ، فأخبره الله : أن هذا الدين ديننا ، وهذا القرآن كلامنا ، والله الأمر والحكم ، فلا تحزن يا محمد ، واصبر لحكم ربك ، حتى يقضى الله بينك وبين الكفار ، ولا تستمع إلى ما يمتنك به عتبة بن ربيعة ، بقوله : ارجع عن هذا الأمر ، وأزوجك ابنتي فإني من أجل قريش ولدأ ! ولا إلى ما يمتنك به الوليد بن المغيرة ، بقوله : ارجع عن هذا الأمر ، وأنا أعطيك من المال حتى ترضى ؛ فسينصرك الله عليهم ، ثم أرشده إلى ما يجب عليه ، ليسير المؤمنون على نهجه ، فأمره بذكر الله ، والخشوع له ، وعبادته وتسيحه حصة طويلة من الليل بقلبه ولسانه ، لا تقل عن الثلث

ولا تزيد على الثلثين ، (تراجع الصفحة ٨١ من تفسير هذا الجزء) ، فإن فعلت وفعل المؤمنون ذلك أدوا واجبهم ، وضمنوا الثواب ! أما هؤلاء الكافرون ، فإنهم فضلوا اللذة العاجلة في الدنيا ، على متاع الآخرة ، غير منتبهين إلى يوم الهول ، والعذاب الثقيل ، مع أن الله تفضل عليهم بنعمة الخلق والوجود ، وصورهم فأحسن صورهم ، ولو أراد البطش بهم لفعل ، وأتى بخلق جديد غيرهم ، يعمر الدنيا بعدهم .

٢٩ - ٣١ - هذه السورة جاءت عبرة وعظة وتذكرة ، لما اشتملت عليه من المعاني الجليلة ، والأدلة المنقعة ، وهي :

(أ) تذكير الإنسان بالبعث ، وبأن الله الذي خلقه أولاً ، ومتمعه بنعمه ، قادرٌ على أن يُعيد خلقه ، ويبعثه بعد الموت .

(ب) وتخويف المكذبين بما أعده الله لهم ولأمثالهم ، من الأغلال والسعير .

(ج) وترغيبهم في الإيمان ، بما هيأه للمؤمنين من وسائل الغبطة والسعادة في الآخرة .

فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ، ويتبع سبيل الهدى ، فيعبد الله ، ويعمل صالحاً ؛ وسبيل النجاة ممهّد لمن أراد أن يسلكه ! غير أن العناد والجهل يحولان بين الكافرين ، وبين نور الهدى والحق ، فلا يشاءون التحول عن غيرهم ، والله عليم بأحوال خلقه ، حكيم فيما يرسمه لهم من السنن ! ثم بين عاقبة الفريقين : فالمؤمنون يُدخلهم جنة الخلد ، والظالمون يُعذبهم بنار جهنم ، وبئس المصير !

سورة المرسلات

نزلت بمكة ، إلا الآية ٤٨ فقد نزلت بالمدينة ، وآياتها ٥٠ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ② وَالنَّشْرِ نَشْرًا ③
فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ④ فَالْمَلَقَاتِ ذِكْرًا ⑤ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ⑥ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَوَاقِعٌ ⑦ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرُجَتْ ⑨ وَإِذَا الْجِبَالُ
نُسِفَتْ ⑩ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ⑪ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑫ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ⑭ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ تَكْذِيبِينَ ⑮ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْآوَّلِينَ ⑯
تَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ⑰ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْجُرْمِينَ ⑱ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ تَكْذِيبِينَ ⑲

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
والمرسلاتُ عرفاً	أقسم بالرياح الهادئة التي يرسلها الله إرسالا متتابعاً .
العاصفات	الرياح التي تهب بشدة .
الناشرات	الرياح التي تنشر السحب في السماء .
الفارقات	الرياح المتغيرة في اتجاهاتها ، فتفرق هذه السحب وتوزعها .
الملقيات	المنزلات .
ذكرأ	أثراً قوياً في حياة الناس وأرزاقهم .
عُذراً	رفعاً للوم المعتذرين .
نُذراً	إنذاراً وتخويفاً .
ما توعدون	يوم القيامة والحساب .
لواقع	لنازل ، وحاصل لا ريب به .
طُمت	ذهب ضوءها .
فُرجت	حدث تشقق فيها ، وفروج بين أجزائها .
نُسفت	تطايرت أجزاؤها ، وتبعثرت ذراتها .
أقنت	بلغوا الوقت الذي كانوا ينتظرونه .
لأى يوم أجلت	{ لأى يوم أخرت الأمور الخاصة بأقوام الرسل ، وهي عذاب المكذابين ، وجزاء المؤمنين ؟
يوم الفصل	{ يوم القيامة الذي يحاسب فيه الناس ، وهو يوم القضاء الفصل .
ما أدراك	ما أعلمك ؟
الأولين	الأمم السابقة ، كقوم عاد وثمود .
الآخرين	الأمم المتأخرة ، التي جاءت بعد السابقة .

مجلد المعنى

١-٦- أقسم الله بالرياح على اختلاف أنواعها ، الهادئة منها والعاصفة ، والتي تحيد عن طريقها ، وتغير اتجاهها ، لما لهذه الرياح من أثر بين في حياة الناس وأرزاقهم ، فهي تُثير السحاب ، وتنشره في الجهات المختلفة بتغير اتجاهها ، ثم تُفترق بين أجزائه ، فتساقط مطراً يحيى الأرض ، ويمحو القحط ، ويصيب منه الناس الرزق ، فمنهم من يُقدر هذه النعمة فيؤمن بالله ، ويشكر فضله ، ويعتذر عما فرط منه ، ويتوب إلى الله ويستغفره عند مشاهدته آثار رحمته ، ويعمل من الصالحات ما يرفع عنه العذاب ، ويكفر عن سيئاته ، ومنهم من تزيده النعمة عتواً وطغياناً ، وتكبراً وضلالاً ، فيكون ذلك الخير الهابط عليه من السماء سبباً في غضب الله ، ونذيراً بعذابه يوم القيامة ، الذى ليس فيه شك ! وأقسم الله هنا لا يقاظ الفكر ، وتنبيه الشعور ، حتى يتعظ الناس ، ويتأكلوا أنهم سيحاسبون ، فيثابون أو يعذبون يوم القيامة .

٧-١٤- إذا جاء يوم القيامة ، اضطرب نظامُ العالم ، وانتشرت الكواكب ، وذهب ضوءها ، وتشققت السماء ، وتفرقت أجزاءها ، ودكت الجبال ، وتبعثت ذراتها ، فكانت نهاية العالم الدنيوى على هذه الصورة الخيفة المفزعة ؛ هذا ما يكون من شأن الأرض والسماء ، أما الإنسان فإن أمره سيكون أعظم ، حتى الرسل أنفسهم ، فإنهم يغشون ذلك الموقف الرهيب الذى كانوا ينتظرونه ، فيشهدون على أممهم ، ويبرئون أنفسهم من تبعة التفریط فى

تبليغهم ، أو التقصير في إنذارهم بهول هذا اليوم : يوم القضاء الفاصل
الذى يُحاسبُ الناسُ فيه على أعمالهم .

١٥ - والعذاب الشديدُ لأولئك الذين كذبوا بهذا اليوم ، ولم يتزودوا في دنياهم
له بالعمل الصالح .

١٦ - ١٩ - بعد أن أكد الخبر بحدوث يوم القيامة ، وخوف المكذبين عذابه ، عاد
فحذرهم بطش الله بأسلوب آخر ، فصور لهم حال الأمم الغابرة التي
كذبت رُسُلها ، وقد أهلكها الله جيلاً بعد جيل ، فهذه أغرقها . وتلك
سلط عليها ريحاً صرصراً عاتية ، وأخرى دمدم عليهم ، وهدم ديارهم ؛
وكذلك يفعل الله بمن كذب وتكبر ، وعصى وتجبى ، فالويل لمن لا يصغى
لصوت الحق .

(٢)

من الآية ٢٠ إلى الآية ٤٠ من سورة المرسلات

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ① فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ② إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ③
فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدَرُونَ ④ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ⑤ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ⑥
أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ⑦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ⑧ وَيَلُّ
يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ⑨ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَدِّبُونَ ⑩ أَنْطَلِقُوا إِلَى الظِّلِّ ذِي
تَلْكَ شُعْبٍ ⑪ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ⑫ إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ رِكَالٍ قَصِيرٍ ⑬ كَأَنَّهُ
جَمَلٌ صُفْرٌ ⑭ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ⑮ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ⑯ وَلَا
يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ⑰ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ⑱ هَذَا يَوْمٌ الْفَضْلِ جَمَعْنَاكُمْ
وَالْأَوَّلِينَ ⑲ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ⑳ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ㉑

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألم نخلقكم ماء مهين قرار مكين قدر معلوم	تذكير للمكذبين بقدره الله . ماء حقير . مكان مصون يستقر فيه ، « وهو الرحم » . زمن معين ، وهو وقت الولادة . قدرنا وهياناً هذا الماء ، فتطور إلى جنين بترتيب عجيب .
قدرنا	
كفاتا	نُضِمَّ إليها ، ونُحْمِلُ على ظهرها ، والكُتِفَتِ : الضم والجمع ، فالأحياء يسكنون في المنازل على ظهرها ، والأموات يُدفنون في القبور .
رواسي شامخات فراثاً	جبالاً ثوابت . عاليات . عذباً سائغاً .
ثلاث شعب لا ظليل يُغنى	ثلاثة فروع . لا يُظَلُّ من تحته ، ولا يقيه لفتح الحر . يُبعَد .
شرر كالقصر جمالة	ما يتطاير من النار أثناء تلهبها . في حجم القصر . في حجم الحمل ، والجمالة : جمع جمل .
لا ينطقون كيد فكيدون	لا يتكلمون ولا يعتذرون . الكيد : المكر وتدبير الحيلة . فاحتالوا للنجاة من عذاب الله في الآخرة .

بجمل المعنى

٢٠-٢٤ - إذا كنتم تُنكرون قدرة الله على بعثكم ، وفضله عليكم ، فإليكم دليلاً آخر على قسوته ، فقد أنشأكم من ماء حقير ، وهياً له قراراً مصنوعاً في الرحم ، فتطور في مدة معينة ، حتى صار جنيناً بترتيب عجيب محكم ، وكان تقديرنا على هذا النحو منة منا ونعمة ؛ فالويل للمكذبين يوم القيامة !

٢٥-٢٨ - وهذه الأرض ، انظروا إليها ، فقد ضمت جميع الأحياء والأموات ، وكفل الله لكم فيها الراحة والنعمة ، بأن ثبتها بالجبال الشاخخة التي حفظت توازنها ، وهطلت الأمطار فوقها ، فكان فيها الماء العذب السائغ الذي تشرّبونه ، وتروون به أرضكم ! أليس الذي يفعل ذلك كله ، قادراً على أن يحيي الموتى ؟ ، ويل لمن جحدوا نعمتى ! .

٢٩-٣٦ - اذهبوا أيها الكفار المكابزون لتلقوا العذاب الذي كذبتُم به في الدنيا ، فذوقوا في الآخرة نار جهنم ، لعلكم تجدون ظلاً ظليلاً يحميكم من سعيها ! سيكون لكم هذا الظل ، ولكنه ظل جهنمى ، غير ظليل ولا واق من السعير ، بل سيزيد في عذابكم بشعبه الثلاث :

١ - الشعبة الأولى تغشاكم بدخانها ، فتحبس أنفاسكم ، وتخرس ألسنتكم .

ب - والثانية تكويكم بحرها .

ج - والثالثة ترميكم بشرر مختلف الأشكال والأحجام ، بعضه في حجم القصر ، وبعضه في حجم الحمل ، وتتابع نحوكم ، كأنها قافلة مقبلة عليكم .

وإن أهولَ هذا اليوم وعذابه ، وظلاله الجهنمية ، يُخرسُ السنة
المكذيين ، فلا ينطقون بكلمة ، ولن يُسمح لهم بالاعتذار
فيعتنروا ؛ والويل لهم حينذاك !

٣٧ - ٤٠ - حينئذ تعلمون أن وعد الله حق : وترون إخوانكم المكذيين من الأولين
والآخرين . يقاسون ما يقاسون ، فتحاولون الخروج من هذا العذاب ،
فيقال لكم : لقد كنتم تمكرون في الدنيا ، وتفعلون الأفاعيل ؛ فافعلوا اليوم
ما كنتم تفعلون ، واحتالوا على الخلاص إن قدرتم ، فلن تستطيعوا أن تدفعوا
العذاب الواقع بكم أيها المكذبون ؛ والويل لكم !

(٣)

من الآية ٤١ من سورة المرسلات ، إلى آخر السورة

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ٤١ وَفَوْكَةٍ مِمَّا يَبْتَهِمُونَ ٤٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٤٤ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ ٤٥
كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ جُجُرُمُونَ ٤٦ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ارْكَعُوا لِلرَّكْعُونَ ٤٨ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ٥٠

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المتقين	المؤمنين المصدقين ، الذين يخشون ربهم بالغيب .
يشتهون	يُحِبُّون .
هنيئاً	هانئين متمتعين .
كلوا وتمتعوا قليلا	{ المراد : التهديد والوعيد ، أى : تمتعوا بمتع الدنيا الزائلة زمنياً قليلا .
مجرمون	مذنبون .
اركعوا	اخشعوا إلى الله وتواضعوا ، ودعوا هذا الاستكبار .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

٤١ - ٤٤ - أما المتقون الذين آمنوا بالله ، وصدقوا الرسل ، فسيدخلون الجنة ، ويتمتعون فيها بصنوف المسرات والمتع : ظلال ممدودة عليهم ، ومياه من عيون جارية عذبة سائغة ، وفواكه شبيهة ، ويشنف آذانهم صوت ملائكتي رحيم ، يهنتهم بمقامهم في الجنة ، ويرحب بهم جزاء إيمانهم وإحسانهم في الدنيا ! وجنات الخلد فيها أكثر من هذا : فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولكن صورها الله لنا بصورة ما نعرفه من متع الحياة : فالعين تسعد بالمنظر الجميل ، والنفس ترتاح إلى الظل البليل ، والذوق يتمتع بالماء العذب ، والطعام الشهي ، والأذن تشنف بالصوت الرحيم .

٤٥ - ٤٨ - هدد الله المكذبين بالعذاب ، وحقرهم ، وحقر دنياهم الفانية ، التي شغلتهم ملاذمها فيها عن التفكير في مصيرهم .

٤٩ - ٥٠ - إن العذاب الذي ينتظركم أيها المجرمون ، سيكون شديداً ، جزاء كبركم ، وعنادكم ، وعدم خضوعكم لله ، وجزاء تكذيبكم بالقرآن الكريم ؛ وإن أمركم لعجيب ، فإذا كان هذا حالكم مع القرآن ، الذي بلغ الغاية في متانة اللفظ ، وإصابة المعنى ، المؤسس على الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون ؟ « ويل لكل أفاك أثيم ، يسمع آيات الله تتلى عليه ، ثم يبصر مستكبراً كأن لم يسمعها » .

فهرست الجزء التاسع والعشرين من تفسير القرآن الكريم

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٣ - ٧	من ١ - ١١	الملك	١
٨ - ١٢	» ١٢ - ٢٤	»	٢
١٣ - ١٥	» ٢٥ إلى آخر السورة	»	٣
١٦ - ١٩	» ١ - ١٦	القلم	١
٢٠ - ٢٣	» ١٧ - ٣٣	»	٢
٢٤ - ٢٨	» ٣٤ - ٤٧	»	٣
٢٩ - ٣١	» ٤٨ إلى آخر السورة	»	٤
٣٢ - ٣٥	» ١ - ١٢	الحاقة	١
٣٦ - ٣٩	» ١٣ - ٢٤	»	٢
٤٠ - ٤٢	» ٢٥ - ٣٧	»	٣
٤٣ - ٤٦	» ٣٨ إلى آخر السورة	»	٤
٤٧ - ٥٠	» ١ - ١٨	المعارج	١
٥١ - ٥٤	» ١٩ - ٣٥	»	٢
٥٥ - ٥٧	» ٣٦ إلى آخر السورة	»	٣
٥٨ - ٦٠	» ١ - ٧	نوح	١
٦١ - ٦٤	» ٨ - ٢٠	»	٢
٦٥ - ٦٧	» ٢١ إلى آخر السورة	»	٣
٦٨ - ٦٩	» ١ - ٥	الجن	١
٧٠ - ٧٢	» ٦ - ١٠	»	٢
٧٣ - ٧٤	» ١١ - ١٥	»	٣
٧٥ - ٧٨	» ١٦ - ٢٣	»	٤
٧٩ - ٨٠	» ٢٤ إلى آخر السورة	»	٥
٨١ - ٨٤	» ١ - ٩	المنزل	١
٨٥ - ٨٦	» ١٠ - ١٤	»	٢
٨٧ - ٨٩	» ١٥ - ١٩	»	٣
٩٠ - ٩٢	» ٢٠ إلى آخر السورة	»	٤

أرقام الصفحات	أرقام الآيات في المصاحف	أسماء السور	الرقم
من ٩٣ - ٩٥	من ١ - ١٠	المدثر	١
» ٩٦ - ١٠١	» ١١ - ٣٠	»	٢
» ١٠٢ - ١٠٤	» ٣١	»	٣
» ١٠٥ - ١٠٨	» ٣٢ - ٤٧	»	٤
» ١٠٩ - ١١١	» ٤٨ إلى آخر السورة	»	٥
» ١١٢ - ١١٤	» ١ - ١٥	القيامة	١
» ١١٥ - ١١٧	» ١٦ - ٢٥	»	٢
» ١١٨ - ١٢٠	» ٢٦ إلى آخر السورة	»	٣
» ١٢١ - ١٢٢	» ١ - ٣	الإنسان	١
» ١٢٣ - ١٢٨	» ٤ - ٢٢	»	٢
» ١٢٩ - ١٣١	» ٢٣ إلى آخر السورة	»	٣
» ١٣٢ - ١٣٥	» ١ - ١٩	المرسلات	١
» ١٣٦ - ١٣٩	» ٢٠ - ٤٠	»	٢
» ١٤٠ - ١٤١	» ٤١ إلى آخر السورة	»	٣

تفسير القرآن الكريم

الجزء الثلاثون

تأليف

محمود محمد حمزة محمد أحمد برانق حسن علوان

عفي بطبعه ونشره
خادم العام والعلماء
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة
إدارة إحياء التراث الإسلامي
بدولة قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعده :
فلا يخفى على أهل الضاد ، ما للقرآن الكريم ، من أثر عظيم ، في تقويم
اللسان ، وتهذيب البيان ، ولهذا اتجهت الرغبة ، إلى أخذ الناشئين وهم في
سن صغيرة ، بحفظ جزء منه ، وتفهمه ، لكي يدرجوا على النطق الصحيح ،
ويألفوا البيان الفصيح ، ويحتنوا المعاني الشريفة ، ولكن الناشئين لا يبلغون
هذه الغايات إذا طُلب إليهم استظهار القرآن ، قبل أن تُدلل لهم بعض
أساليبه ، التي ترتفع على أفهامهم ، وتوضح لهم المعاني التي تدق على
إدراكهم ، ويُشرح لهم صعب الكلام شرحاً هو إلى أذهانهم أقرب ، وفي
تصوّرهم أدخل .

فوضّعنا هذا الكتاب ، تيسيراً لتحقيق الغايات العظيمة من حفظ القرآن
الكريم .

وقد بذلنا الجهد في الرجوع إلى المشهور من كتب التفسير ، واستشارة
المعجمات اللغوية ، ومناقشة الآراء الشخصية والمأثورة ، واستخلاص أليقها ،
وأقربها اتصالاً بأمور الحياة ، ونظريات العلوم ، وإنا لنظن - ولا ندعى العصمة -
من الخطأ - أننا يسرنا كل ما يعرض للناشي من صعوبة في اللفظ والمعنى
والأسلوب .

ونرجو بعد هذا أن نكون قد حققنا بعض ما نصبو إليه ، من خدمة
القرآن الكريم ، وأبنائنا الناشئين .

سُورَةُ النَّبِيَّ

نزلت بمكة ، وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٦

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ! عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلَّا ،
سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا ، سَيَعْلَمُونَ - ١ - أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ
أَوْتَادًا ، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلْنَا نُومَكُمْ سُبَاتًا ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
لِبَاسًا ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ، وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ، وَجَعَلْنَا
سِرَاجًا وَهَاجًا ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُنْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا
وَنَبَاتًا ، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ! ٢ - ٢ -

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
عم يتساءلون؟	عن أي شيء يسأل بعضهم بعضاً؟
النبى العظيم	خبر يوم البعث
مختلفون	ينكره بعضهم ، وبعضهم يتردد في تصديقه .
مهاداً	فراشاً .
أزواجاً	ذكراً وأنثى من كل حي .

الألفاظ	شرحها
سُبَاتًا	راحةٌ .
لباساً	سترًا .
معاشاً	وقناً للسعى لطلب العيش .
سبعاً شديداً	سبع سمواتٍ متماسكة .
سراجاً وهجاً	شمساً مضيئةً متلألئة .
المعصرات	السحب .
ماءٌ ثجاجاً	ماءٌ منصباً بشدة .
وجنات ألقافاً	وحدائقٍ ملتفة الأشجار .

مجمّل المعنى

١ - يسألُ بعضُ الكفار بعضاً عن يوم القيامة ، فينكرهُ بعضهم ، ولكن الله يُؤكدُ لهم أنه آت ، وأنّ الذي بدأ الخلقَ قادرٌ على إعادته .

٢ - من الأدلة على قدرة الله ، أنه خلق الأرضَ ، وهياها لنتنفعَ بها ، وجعل مخلوقاته ذكراً وأنثى من جميع الأحياء ، ليتمّ العمرانُ ، وخلق الليلَ لنتنامَ فيه ، والنهارَ لنسعى فيه ، وخلق السمواتِ والشمسَ المضيئةَ ، وأنزلَ الماءَ من السحاب ، فارتوت به الأرضُ ، فأنبتت الزرع .

(٢)

من الآية ١٧ إلى الآية ٣٠ من سورة النبا

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ
أَفْوَاجًا ، وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ، وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ
سَرَابًا . إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ، لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ، لِابْتِئَانٍ فِيهَا
أَحْقَابًا ، لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا هَمِيمًا وَغَسَّاقًا ، جَزَاءً
وَفَاقًا . إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ، وَكَلَّ
شَيْءٌ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ، فَذُوقُوا ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يوم الفصل	يوم القيامة .
مِيقَاتًا	موعداً للحساب .
يُنْفَخُ فِي الصُّورِ	يُنْفَخُ فِي البوق والمرادُ : إعلان الناس بيوم البعث .

الألناظ	شرحها
أفواجاً	جماعات .
فُتحت السماء	{ اختلّ نظاًمها ، لضعف ما بين كواكبها من تماسك .
فكانت أبواباً	تشققت من اختلال نظام كواكبها .
سُيرت الجبال	تناثرت أجزاءها .
سراباً	مثل الغبار المتطاير كأنه ماء .
مِرصاداً	مكاناً معداً للكفار ينتظروهم .
للطاغين	للمجاوزين الحد في العصيان .
مآباً	مرجعاً .
لابئين	مقيمين .
أحقاباً	أزمنة طويلة .
بَرْداً	نوماً .
حماً	ماء حاراً .
غَساقاً	صديداً .
جزاءً وفاقاً	جزاء موافقاً لأعمالهم .
كذاباً	تكذيباً
أحصيناه كتاباً	حصرتناه في كتاب .

مجمل المعنى

في يوم القيامة تُبدلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ ، ويحاسبُ الناسُ ، فيدخلُ الكافرونَ جهنمَ المعدّةَ لهمُ ، يُعدّونَ فيها دائماً ، ويلاقونَ ألواناً من العذاب ، جزاءً لهمُ على عصيانهمُ ، وتكذيبهمُ رُسلَ الله .

(٣)

من الآية ٣١ من سورة النبا ، إلى آخر السورة

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ،
وَكَأْسًا دِهَاقًا ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ، جَزَاءٌ مِنْ
رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا : رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ ،
لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ، ١- يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ،
لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا - ٢- ذَلِكَ الْيَوْمُ
الْحَقُّ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ . إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ،
يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَيَقُولُ الْكَافِرُ : يَا لَيْتَنِي
كُنْتُ تُرَابًا ! - ٣-

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرحها
مفازاً	فوزاً بالنعيم .
كواعب	فتياتٍ حسناوات .
أتراباً	من سنّ واحدة .
دهاقاً	مملوءة .
لَغَوّاً	كلاماً باطلا .
عطاءً حساباً	عطاءً كافياً على قدر أعمالهم .
لا يملكون منه خطاباً	لا يستطيع أحدٌ أن يعترض على ما يفعل .
الرُّوحُ	جبريلُ عليه السلامُ
صَقّاً	مصطفين .
وقال صواباً	{ وقال قولاً صواباً : كطلب الشفاعة لمن ارتضى اللهُ من الخلق .
مأبأ	مرجعاً .
أندرناكم	حدّرناكم .
كنتُ تراباً	لم أخلق .

مجمل المعنى

- ۱ - أما المتقون فيدخلون الجنة ، ويتمتعون بما فيها من خيرات ، مكافأة لهم على حسن إيمانهم .
- ۲ - ويوم القيامة يقف الملائكة ، مصطفين أمام الله صامتين ، لا ينطق أحد منهم ، إلا من استحق أن يكون شفيعاً عند الله .
- ۳ - وهو يوم سعادة للمؤمنين ، ويوم شقاء للكافرين ، وقد حذر الله العصاة أن يستمروا في عصيانهم ، وإلا نزل بهم عذاب أليم ، يتمنون معه أنهم لم يخلقوا .

سورة النازعات

نزلت بمكة ، وآياتها ٤٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من الآية الأولى إلى الآية ١٤

(١)

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ،
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ، فَاَلْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ،
تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ،
يَقُولُونَ : أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ؟ ! أَيْنَا كُنَّا عِظَامًا نَحْرَةً ؟ !
قَالُوا : تِلْكَ إِذْ نَ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ، فَاِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ،
فَاِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرحها
النازعات	الكواكب الجاريات على حسب السير المقدر لها ، أو التي تخرج عن دوائرها ، فترى شهياً ساقطة
غرفاً	غائبة في أفق الغرب بعد ظهورها ، أو مغرقة في سيرها .
الناشطات نشطاً	الكواكب التي تنتقل من برج إلى برج بسرعة .
السابجات سبجاً	الكواكب تسبح في الفضاء .
السابقات سبقاً	الكواكب يسبق بعضها بعضاً في سيرها وإتمام دورتها
المدبّرات أمراً	الكواكب المؤدية إلى اختلاف الليل والنهار ، والفصول وغيرها ، بسبب حرّكتها .
ترجفُ الراجفةُ	تتحرك الأرض بشدة يوم القيامة .
تتبعها الرادفةُ	تتبعها السماء ، فتنشق وتسقط الكواكب .
وآجفةُ	مضطربة خائفة قلقة .
خاشعةُ	ذليلة من الخوف .
الحافرةُ	الحياة ، يقال : رجع فلان في حافرته : أي رجع من حيث جاء
كرةُ خاسرةُ	رجعة ذات خسران .
زجرةُ واحدةُ	صيحة واحدة
بالساهرة	بوجه الأرض التي كانوا يسمون عليها : بعد أن كانوا في جوفها

مجمل المعنى

يؤكدُ اللهُ سبحانه وتعالى أن يومَ القيامة آت حتماً ، ويصفُ بعضَ أحواله وأهواله ، فيذكرُ أن الكافرينَ عندَ البعث يفرعون ، ويعجبونَ من عودتهم إلى الحياة ، بعدَ أن بليت أجسامهم ، ويقولونَ : إنها الحياةُ تعودُ علينا بالحسران : لأننا كنا نكذبُ بها ؛ ثم لا يلبثونَ أن يسمعوا صيحةً ، فإذا هم على وجه الأرض ، بعدَ أن كانوا في بطنها .

(٢)

من الآية ٥ إلى ٢٣ من سورة النازعات

هل أتاك حديثُ موسى ؟ إذ ناداهُ رَبُّهُ بالوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى :
أذهبَ إلى فرعونَ ، إِنَّهُ طَغَى ، فَقُلْ : هلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ؟
وأهديكَ إلى رَبِّكَ فَتَخشى ؟ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ، فَكَذَّبَ
وَعَصَى ، ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ، فَحَشَرَ فَنَادَى ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ
الْأَعْلَى ، فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ؛ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ
يَخشى -١- . أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ ؟ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ،
وَأَغْطَسَ لَيْلَهَا ، وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، أَخْرَجَ
مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ -٢-

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرحها
الوادي المقدس	الوادي المطهر ، وهو بطور سيناء .
طوى	اسم الوادي .
طغى	تجاوز الحد في تعديه على بني إسرائيل .
تزكى	تتطهر من الرذائل .
فتخشى	فتخاف الله ، وتترك المعاصي .
الآية الكبرى	انقلاب العصا حية .
أدبر يسعى	أعرض عنه ، ودبر المكائد .
فحشر فنادى	فجمع السحرة والجنود ، وقام فيهم خطيباً .
نكال الآخرة والأولى	أغرقه في الدنيا ، وسيعذبه في الآخرة .
عبرة	موعظة .
أشد خلقاً	أصعب إيجاداً .
رفع سمكها	جعلها مرتفعة .
سواها	خلقها خالية من العيوب .
أغطس	أظلم .
أخرج ضحاها	أظهر ضوء شمسها .
دحاها	بسطها ومهدتها للسكنى بها .
مرعاها	نباتها يأكل منه الناس والحيوان .

الألفاظ	شرحها
أرْسَاهَا مَتَاعاً لَكُمْ أَنْعَامَكُمْ	ثَبَّتَهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . لِأَجْلِ أَنْ تَتَمَتَّعُوا . حَيَوَانَاتِكُمْ مِنْ إِبِلٍ وَبَقَرٍ وَغَنَمٍ .

مُجْمِلُ الْمَعْنَى

١ - أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْوَنَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْتِمَالَ أَدَى قَوْمِهِ ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ ، وَاسْتَهْزَاءَهُمْ بِمَا يَذْكُرُهُ مِنْ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَأَنْبَأَهُ أَنَّ مُوسَى أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى فِرْعَوْنَ ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنْ قَرِيشٍ بَطْشًا ، فَتَمَرَّدَ عَلَى مُوسَى ، فَأَرَاهُ بَعْضَ الْمَعْجَزَاتِ ، فَكَذَّبَهُ وَادَّعَى الْأُلُوهِيَةَ ، فَعَاقَبَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا بِالْإِغْرَاقِ ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْإِحْرَاقِ .

٢ - وَلَيْسَ بَعَثُ النَّاسِ أَحْيَاءَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، مِنْ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ عَلَى اللَّهِ ، لِأَنَّ الْبَعْثَ أَسْهَلَ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ ، وَالْمَاءِ ، وَالنَّبَاتِ ، وَالْحَبَالِ ؛ وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ .

(٣)

من الآية ٣٤ من سورة التازعات ، إلى آخر السورة

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ،
وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ؛ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ،
فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ؛ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى -١- يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ : أَيَّانَ
مُرْسَاهَا ؟ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ! إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ؛ إِنَّمَا أَنْتَ
مُنذِرٌ مَنْ يُخَشَاهَا . كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً
أَوْ ضُحَاهَا -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الطامة الكبرى	الداهية العظيمة ، وهي يوم القيامة .
ماسعى	ماتمله من خير وشر .
برزت الجحيم	أظهرت جهنم .
آثر الحياة الدنيا	فضل ملاذ الدنيا .
المأوى	المرجع والمستقر .

الألفاظُ	شرحها
خافَ مقامَ رَبِّهِ	خشيَ قيامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
الهُوَى	اتِّبَاعَ الشَّهَوَاتِ .
السَّاعَةِ	الْقِيَامَةِ .
أَيَّانَ مُرْسَاها؟	مَتَى قِيَامُها؟
فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِها؟	لَا تَعْلَمُها أَنْتَ وَلَا غَيْرُكَ .
إِلَى رَبِّكَ مِنْها	لَا يَعْلَمُ وَقْتُها إِلَّا اللهُ .
مَنْذَرُ	مَحْذَرٌ وَخَوْفٌ .
لَمْ يَلْبَثُوا	لَمْ يَمُكِّثُوا فِي قُبُورِهِمْ .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

١ - إذا جاءَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، يتذكَّرُ كلُّ إنسانٍ ما عملَهُ في الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، وَيُجَازَى عَلَيْهِ : فَأَمَّا مَنْ عَصَى اللَّهَ ، وَفَضَّلَ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ عَلَى رِضَا اللَّهِ ، فمَصِيرُهُ النَّارُ ؛ وَأَمَّا مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَابْتَعَدَ عَنِ الشَّرِّ وَالْإِثْمِ ، فَجَزَاؤُهُ الْجَنَّةُ .

٢ - يَسْأَلُ النَّاسُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ مَوْعِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْفَرَدَ وَحْدَهُ بِعِلْمِهِ ، وَعَمَلُ النَّبِيِّ هُوَ إِنْذَارُ الْكَافِرِينَ ،

(٢)

وتبشيرُ المؤمنينَ ، فإذا بُعثَ الناسُ للحسابِ ، ظنَّ الكافرونَ أنهم لم يُقيموا
في قبورهم إلا وقتاً قصيراً .

سُورَةُ عَبَسَ

نزلت بمكة ، وآياتها ٤٢ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من الآية الأولى إلى الآية ٢٣

(١)

عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ،
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ، أَمَّا مَنْ اسْتَفْتَى ، فَأَنْتَ لَهُ
تَصَدَّى ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَّكَّى ، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ، وَهُوَ
يَحْشَى ، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَى -١- . كَلَّا ! إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ
ذَكَرَهُ ، فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، رَفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ، بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ،
كِرَامٍ بَرَرَةٍ -٢- . قُتِلَ الْإِنْسَانُ ، مَا أَكْفَرَهُ ! مِنْ أَيِّ شَيْءٍ
خَلَقَهُ ؟ مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ
فَأَقْبَرَهُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ، كَلَّا ! لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرحها
عبسَ وتوكلَ الأعمى وما يُدْرِكُ؟	قَطَّبَ وجههُ وأعرَصَ . عبدُ الله ابنُ أم مكتوم . وما يعرفك ؟
يزكي يدكرُ	يتطهرُ من الذنوب بما يسمعُ منك . يتعظُ .
استغنى تصدى	كانَ غنياً بماله وقوته . تعرضُ له ، وتقبلُ عليه .
وما عليكَ ألا يزكى	ليسَ عليكَ بأسٌ أو ملامةٌ . ألا يسلمَ الكافرُ .
يسعى يخشى	يسرعُ إلى التعلم والمعرفة . يخافُ اللهَ .
تلهى كلاً	تشاغلُ . لا تعدُ إلى مثل هذا .
إنها تذكرةٌ	إن القرآنَ الكريمَ ، والمرادُ : سورهُ وآياته مَوْعِظَةٌ .
ذكرةٌ مكرمةٌ	حفظه واتعظَ به . معظمةٌ عندَ الله .
مرفوعةٌ	رفيعةُ المنزلة .

الألفاظُ	شرحها
سَفَرَةٌ	ملائكة تكونُ رُسُلًا بينَ الله ورُسُلِهِ .
بَرَّةٌ	مطيعينَ .
قتلَ الإنسانُ	لُعِنَ وَقُبِحَ .
نطفة	ماء يسير متهين .
فقدَرَهُ	فسوَاهُ وَهَيَّأَهُ .
السبيلَ يَسْرَهُ	بيِّنَ لَهُ طَرِيقَ الخَيْرِ والشرِّ .
أقبرَهُ	جعلَ لَهُ قَبْرًا يُدْفَنُ فِيهِ .
أَنشَرَهُ	بعثه وأحياه .
لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ	لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ .

مَجْمَلُ المَعْنَى

١ - جلسَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً بِمَكَّةَ ، وَعِنْدَهُ بَعْضُ عِظَمَاءِ قُرَيْشٍ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقِيرٌ أَعْمَى ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ . عَلِمْتَنِي مِمَّا عَلِمَكَ اللهُ ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ ، لِعَدَمِ رُؤْيَيْهِ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ النَّبِيُّ : فَكَرِهَ الرَّسُولُ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ أَنْ يَقَاطِعَهُ ، فَعَبَسَ وَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَعَاتَبَ اللهُ نَبِيَّهُ عَلَى إِعْرَاضِهِ عَنْ رَجُلٍ جَاءَهُ مُسْتَنِيْدًا ، وَإِقْبَالَهِ عَلَى غَيْرِهِ : وَبَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ لَوْمٌ فِيمَنْ بَقِيَ عَلَى كُفْرِهِ . فَيَنْبَغِي أَلَّا يَبْعَثَهُ إِحْرَاصٌ عَلَى إِسْلَامِهِ . إِلَى الإِعْرَاضِ عَنِ أَسْلَمِ .

٢ - يقولُ اللهُ سبحانهُ وتعالى : إنَّ آياتَ القرآنِ الكريمِ كلها مواعظُ
بيِّنَةٌ ظاهرةٌ ، يفهمها ذوو العقولِ السليمة ، وهي مدوِّنةٌ في صُحفٍ مرفوعةٍ
القدر ، لا يمسُّها إلا المطهَّرون ، تنزلُ بها الملائكةُ الأبرارُ على خيرِ رسله ،
فسواءُ آمنَ بها الكفارُ أم لم يؤمنوا ، فلا تلتفتْ إليهم ؛ وما عليك إلا البلاغُ ،
فلا تشغَلْ نفسكَ بهم ، ولا تعرضْ عن آمنَ بالله ، وصدَّقَ برسالتك .

٣ - لعنَ اللهُ سبحانهُ وتعالى الإنسانَ الكافرَ ! فما أشدَّ جحوده ! ألا
يذكرُ أنَّ اللهَ تعالى أوجدهُ من ماءٍ سائلٍ حقيرٍ ، وجعله خلقاً مستويّاً ، وبينَ له
طريقَ الخيرِ وطريقَ الشرِّ ، ثم أماتهُ بعدَ ذلكَ ، وأمرَ أن يتخذَ له قبرٌ يوارى
فيه جسدهُ تكريماً له ، ثم هو بعدَ ذلكَ يبعثهُ في الوقتِ الذي يريدُه ؟ أليسَ
ذلكَ كلهُ كافياً لإيمانه ؟

(٢)

من الآية ٢٤ من سورة عبس إلى آخر السورة

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ، أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ
شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا ، حَبًّا ، وَعِنبًا ، وَقَضْبًا ،
وَزَيْتُونًا ، وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً ، وَأَبًا - مَتَاعًا
لَكُمْ وَلِإِنْعَامِكُمْ - ١ - فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ
أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ ، وَبَنِيهِ ؛ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ؛ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ؛
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ؛ أُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ - ٢ -

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرحها
فليَظنر	فليَظنر .
صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا	أنزلناه من السحاب .
شَقَقْنَا الأرض	جعلنا النبات يشق الأرض .
قَضْبًا	نباتاً يُقطع فأكلَ طَرِيًّا .

الألفاظُ	شرحها
غُلْبًا	ملتفة الأشجار كثيرتها .
أبًا	مرعى تأكله البهائم .
الصاخةُ	الصيحة الشديدة التي تصم الآذان يوم القيامةُ .
صاحبه	زوجته .
شأنٌ يُغنيه	حالٌ يشغلهُ عن غيره .
مسفرةٌ	متهلةٌ .
عليها غبرةٌ	يعلوها الغبار .
ترهقها قرةٌ	يعلوها سوادٌ .
الفجرةُ	الذين يخرجونَ عن حدود الدين .

مجمل المعنى

١ - إذا لم يلتفت الإنسانُ إلى ما في نفسه ، ليعرف قدرةَ الله ، فليتأملُ في أقرب الأشياءِ إليه ، وهوَ طعامهُ الذي عليه قِيامُ حياته - يجدُ أن اللهَ أنزلَ الماءَ من السماءَ ، فأرَوَى الأرضَ ، فأنبَتَ أنواعَ الطعامِ ، ليستمتعَ به هوَ والحيوانُ الذي ينتفعُ به : كالحبِّ والفاكهةِ والزيتونِ والمرعى .

٢ - إذا جاءَ يومُ القيامةِ ذهبَ كلُّ إنسانٍ عن أقرب الناسِ إليه ،

وشُغِلَ بِنَفْسِهِ ، وَصَارَ النَّاسَ قَسَمِينَ : قَسَمًا مَسْرُورًا مَبْتَهَجًا ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ؛
وَقَسَمًا كَثِيْبًا حَزِيْنًا ، وَهُمْ الْكَافِرُونَ .

سُورَةُ التَّكْوِيْرِ

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٩ آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإِذَا
الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وَإِذَا الْوُحُوشُ
حُشِرَتْ ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ، وَإِذَا
الْمَوْتُودَةُ سُئِلَتْ : بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ؟ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ،
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ، وَإِذَا الْجَبَلِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ - عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ - ١ - . فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ ،
الْجَوَارِ الْكُنُفِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَفَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ، إِنَّهُ
لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ،
مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ، وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ
الْمُبِينِ ، وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ

رَجِيمٌ -٢- . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ، لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرحها
كُورَتْ	غَارَتْ وَذَهَبَ ضَوْؤُهَا .
انْكَدَرَتْ	أَظْلَمَتْ .
سُيِّرَتْ	سَارَتْ فِي الْجَوْسِرِ السَّحَابِ .
العِشَارُ عَطَلَتْ	السَّحَابُ لَمْ تَمَطُرْ .
حُشِرَتْ	مَاتَتْ .
سُجِّرَتْ	تَفَجَّرَتْ ، وَفَاضَتْ .
النَّفُوسُ زُوِّجَتْ	عَادَتْ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَامِ .
المَوْءُودَةُ	{ المدفونة حية ، وكان العربُ يندون بناتهم خشية الفقر والعار .
الصحفُ	المكتوبُ فيها الأعمال .
كُشِطَتْ	أزِيلَتْ .
سُعِّرَتْ	أوقدتُ نارُها بشدة .

شرحها	الألفاظ
قُرْبَتْ .	أزلفت
عَمِلَتْ .	أحضرت
أقسمُ قسماً مؤكداً .	لا أقسمُ
الكواكب التي تختفي عن البصر نهاراً .	الخنس
الكواكب التي تظهر للعين ليلاً .	الكنس
أقبلَ ظلامه .	عسعس
ظهرَ .	تنفس
هو جبريلُ عليه السلامُ .	رسول
صاحب مكانة ومنزلة .	مكين
مطاع بين الملائكة .	مطاع ثم
محافظ على الوحي .	أمين
النبي صلى الله عليه وسلم .	صاحبكم
ما يوحى إليه .	الغيب
بخيل : لا ينتقص شيئاً منه .	ضنين
رأى محمدٌ جبريلَ عليهما السلامُ .	ولقد رآه
رؤية عين .	بالأفق المبين
ملعون .	رجيم
كيف تفضلون بعد ظهور الحق ؟	أين تذهبون ؟
ليس القرآنُ إلا عظة .	إن هو إلا ذكرٌ
يتبع الحق .	يستقيم

بجمل المعنى

١ - إذا اختل نظام الكون، فذهب ضوء الشمس، وأظلمت النجوم، وانقطع المطر، وماتت الوحوش، وتفجرت البحار، وعادت الأرواح إلى الأجسام، وسئلت الموءودة عن سبب قتلها، ونشرت صحائف الأعمال، ووقفت الخلائق أمام أمرين: إما النار الموقدة للعصاة، وإما الجنة الدانية للمطيعين، إذا حصل ذلك كله، يتذكر كل إنسان ما قدم من خير وشر في الدنيا.

٢ - يؤكد الله سبحانه وتعالى، أن القرآن قول جبريل عن الله، والله أمره بتبليغه إلى نبيه، وليس محمد مجنوناً كما بدعى الكفار، لكنه رسول الله، جاءه جبريل بالوحي، فلم يبخل به عليكم، وبلغه إليكم.

٣ - إذا ظهر لكم طريق الخير، وطريق الشر، فالذى يريد لنفسه الخير يسلك طريق الخير، ويوفقه الله إليه.

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

نزلت بمكة وآياتها ١٩ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ، وَإِذَا
الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ ، عَلِمْتَ نَفْسُ مَا قَدَّمْتِ
وَأَخَّرْتِ - ١ - . يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ، الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ؟ كَلَّا !
بَلْ تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ ، وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ،
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ - ٢ - . إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي
جَحِيمٍ ، يَصَلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ، وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ؛ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ؟ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ؟ يَوْمَ
لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ - ٣ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
انفطرت	انشقت ، فاختل نظامها .
انتثرت	تساقطت لزوال التماسك بينها .
فجرت	اختلط بعضها ببعض .
بعثرت	أخرج موتاها .
قدمت	عملت من طاعة .
أخرت	تركت من طاعة .
ما غرك بربك؟	أى شيء أخذ عك ، فكفرت بربك ؟ .
فسواك	فجعلك حسن الصورة ، سالم الأعضاء .
فعدلك	فصيرك معتدلا ، متناسبا الخلق .
فى أى صورةٍ ما	فى أعجب صورةٍ وأتقنها .
بالدين	بالجزاء والحساب .
لحافظين	ملائكة يحفظون أقوالكم وأعمالكم .
الأبرار	المؤمنين .
الفجار	الكفار .
لقى جحيم	لقى دار عذاب .
يصلونها	يقاسون عذابها .
يوم الدين	يوم الحساب والجزاء .

الألفاظ	شرحها
وما هم عنها بغائبين وما أدراك؟ والأمر	لا يخرجون منها . أى شىء أعلمك؟ والحكم .

مجمل المعنى

١ - عند ما يجيء يوم القيامة تشقق السماء ، ، وتساقط الكواكب ، وتختلط مياه البحار ، بزوال الحواجز الأرضية ، وتخرج الموتى من القبور ، ليحاسبوا على أعمالهم في الدنيا ، فيعرف كل منهم ما عمل من طاعة ، وما ارتكب من معصية .

٢ - من الحمق أن يفتخر الإنسان بكرم ربه ، فيترك طاعته وهو الذى خلقه في صورة حسنة ، وقامة معتدلة ؛ وإن الذى وهب لك النعم السابقة ، لا يستحق أن تترك طاعته ، أو تنكر يوم الجزاء الذى يحاسبك فيه على أعمالك ، وقد وكل بك ملائكة أطهاراً أمناء ، يحصون عليك جميع أعمال الخير والشر .

٣ - ولقد أعد الله لعباده المؤمنين داراً يتمتعون فيها ، وأعد للكفار دار عذاب يشقون فيها يوم القيامة ، ولا يخرجون منها أبداً ؛ وإن يوم الحساب يوم شديد الهول ، لا يستطيع أحد أن يدفع عن أحد فيه شراً ، فالله سبحانه وتعالى هو الذى يحكم في عباده بما يشاء .

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

نزلت بمكة وآياتها ٣٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٧ من سورة المطففين

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ،
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ -١-
كَلَّا ! إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَنِي سَجِينٍ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ؟
كِتَابٌ مَرْقُومٌ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ : الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ
بِیَوْمِ الدِّينِ ، وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا سُكُلٌ مُّعْتَدٍ أَثِيمٌ ، إِذَا مُتَلَّى
عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، كَلَّا ! بَلْ رَانَ عَلَى
قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ -٢- . كَلَّا ! إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمَحْجُوبُونَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ، ثُمَّ يُقَالُ : هَذَا الَّذِي
كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
وَيْلٌ	عذابٌ شديدٌ .
للمطففين	للذين يظلمون الناس في الكيل والوزن .
اكتالوا على الناس	أخذوا من الناس بالكيل .
يستوفون	يأخذون الكيل وافياً .
كالوهم	أعطوهم شيئاً بالكيل .
وزنوهم	أعطوهم شيئاً بالوزن .
يُخسرون	ينقصون الكيل والوزن .
ألا يظن ؟	ألا يعلم ؟
مبعوثون	محاسبون .
ليوم عظيم	في يوم القيامة .
يقوم الناس	يقومون من قبورهم .
كلاً	حقاً .
كتاب الفُجَّار	صحف أعمال الفجار ، جمعُ فاجر ، وهو العاصي .
سجين	منزلة منحطة .
مرفوم	واضح الكتابة .
أثيم	مذنب .
أساطيرُ الأولين	أقايصصُ مكذوبةٌ .

الألفاظ	شرحها
رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ لُحْجُوبِينَ لِصَالُو الْجَحِيمِ	غلبَ عليها . لمنوعُونَ من رؤية الله . لداخِلُونَ النَّارَ ، ومُقاسُونَ حرَّها .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

١- إنَّ عَذَابَ اللَّهِ يَقَعُ عَلَى الَّذِينَ إِذَا كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ عِنْدَ أَحَدٍ اسْتَوْفَوْهُ كَامِلًا ، وَإِذَا كَانَ لِأَحَدٍ شَيْءٌ عِنْدَهُمْ أُعْطِيَهِ نَاقِصًا ، وَلَوْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ وَمَحَاسِبُونَ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ ، مَا فَعَلُوا ذَلِكَ .

٢- إنَّ الَّذِينَ يَعصُونَ اللَّهَ ، نَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُحُفَ أَعْمَالِهِمْ الْخَبِيثَةَ فِي مَنْزِلَةٍ مَنحُطَةٍ ، لَا تَسَاوَى عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمُ الْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ ، بِسَبَبِ عَصْيَانِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ ، وَادْعَائِهِمْ أَنْ الْقُرْآنَ أَقَاصِيصٌ وَضَعَهَا السَّابِقُونَ ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ ، وَلَمْ يَدْرِكُوهُ لِأَنَّ الْكُفْرَ أَضَلَّهُمْ عَنِ مَعْرِفَتِهِ .

٣- هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ يُحْجَبُونَ عَنِ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَيَدْخُلُونَ النَّارَ يُقَاسُونَ حَرَّهَا وَشِدَّتْهَا ، وَيَقَالُ لَهُمْ : هَذَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ لَا تَصَدِّقُونَ بِوُقُوعِهِ وَأَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا .

(٢)

من الآية ١٨ من سورة المطففين إلى آخر السورة

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَنِي عَلِيَيْنَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ ؟
كِتَابٌ مَرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ . إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنِي نَعِيمٍ ،
عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ،
يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ، خِتَامُهُ مِسْكَ ، وَفِي ذَلِكَ
فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ؛ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ : عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
الْمُقَرَّبُونَ - ١- . إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
يَضْحَكُونَ ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى
أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا : إِنَّ هَؤُلَاءِ
لَضَالُّونَ ، وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ - ٢- . فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ، عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ، هَلْ تُؤِيبُ
الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ؟ - ٣- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
المطيعين .	الأبرار
منزلة رقيقة .	عليين
وما أعلمك ؟ .	وما أدراك ؟
يراهُ الملائكةُ .	يشهدُهُ المقربونَ
مقاعد منجدة ، ذات مُتكات .	الأرائك
بهجة التمتع وحسنه .	نَضْرَةَ النعيم
من شراب خالص لا غش فيه .	من رَحِيق
لهُ ختامٌ ، أى عاقبةٌ .	مختوم
عاقبتهُ رَاحَةُ المسك .	ختامه مسكٌ
ما يخلطُ به ذلكَ الشرابُ .	ومزاجه
من عَيْنٍ مُرتفعة يتدفق منها الماء بسهولة .	من تسنيم عينا
يشربُ منها .	يشربُ بها
كفروا .	أجرَموا
يستهنونَ بالمؤمنين .	من الذين آمنوا يضحكون
يشيرونَ إليهم استهزاءً .	يتغامزونَ
رجعوا ضاحكينَ ساخرينَ من المؤمنين .	انقلبوا فكهينَ
منحرفونَ عن الحق .	ضالتونَ
شاهدينَ بهدایتهم أو ضلالهم .	حافظينَ
جوزى .	ثوبَ

مجمل المعنى

١ - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لا يضيعُ عملُهم ، بل هو محفوظٌ في كتاب رقيق المنزلة ، يراه المقربون إلى الله ، وهؤلاء يدخلون الجنة ، ويتمتعون بنعيمها وراحتها : يجلسون على مقاعد منجدة ذات متكآت ، في مقاصير مزينة ، وينظرون ما أمامهم من أنواع الجمال ، ويضحكون ويستبشرون ويشربون شرباً خالصاً ، تفوح منه رائحة المسك بعد شربه ، ومن يرد مزجه بماء يأتي من عين عالية يشرب منها الأبرار ، يخرج من صنابير أو نحوها .

٢ - إن الكفار كانوا يسخرون من المؤمنين في الدنيا ، وإذا مروا بهم أشاروا إليهم استهزاء ، وإذا رجعوا إلى أهلهم الكفار ، رجعوا ضاحكين من المؤمنين ، ورموهم بالضلال ، والانحراف عن الحق ، مع أنهم غير مكلفين هدايتهم أو ضلالهم ، أو مراقبتهم .

٣ - وفي يوم القيامة تنعكس القضية ، ويسخر المؤمنون من الكافرين ، الذين يعاقبون بكفرهم ، ويدخلون النار .

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٥ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وُحُوتٌ ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وُحُوتٌ .
يَأْيُهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ، فَمَلَأْتَهُ : فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَصْلِي سَعِيرًا ، إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ، لِيَلَى ، إِنْ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا -١- . فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ، لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ، فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ؟ وَإِذَا قَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ !؟ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرحها
أذنتُ	استمعتُ . فأطاعتُ وانقادَتُ .
حُقَّتْ	كان انقيادها أمراً لازماً .
الأرضُ مُدَّتْ	نُسِيفَتْ جبالها ، فانبسطَ سطحها .
أَلَقْتُ ما فيها	أَخْرَجْتُ ما في باطنها من أمواتٍ ونيرانٍ وَمَعادِنَ .
وَتَخَلَّتْ	لَمْ يَبْقَ في باطنها شيءٌ .
كَادَحٌ	مُجِدِّدٌ في طلب الدنيا .
أَوْقَى كِتابَهُ بيمينه	تَقَدَّمَ بِصَحيفَةِ أَعْمالِهِ الطيبة .
يسيراً	لَيْسَ سَهلاً .
يَنْقَلِبُ	يَرْجِعُ .
أهلُه	فَرِيقُ الْمُؤْمِنِينَ .
أَوْقَى كِتابَهُ وراءَ ظَهْرِهِ	تَقَدَّمَ بِصَحيفَةِ أَعْمالِهِ السيئة .
يَدْعُو نُبُوراً	يَتَمَنَّى المَوْتَ فَراراً مِنْ مَوقِفِهِ .
سَعيراً	ناراً مُسْتَعْرَةً .
أهلُه	أهل الدنيا .
لَنْ يَجُورَ	لَنْ يَرْجِعَ حَيًّا لِلْحِسابِ .

الألفاظُ	شرحها
بصيراً	علماً .
الشفق	الحمرة التي تظهرُ في الأفق الغربيّ ، بعيد الغروب .
وسقَ	جمع كل المخلوقات تحت ظلمته .
انسقَ	تمّ وكمل .
لتركبُنْ	لتقاسُنْ .
طبقاً عن طبق	حالة بعد حالة ، وشدة بعد شدة .
فألم لا يؤمنون ؟	فلماذا لا يؤمن الكافرون ، وقد علموا أن آخرتهم سيئة ؟
يسجدون	يخضعون .
يوعون	يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب .
فبشرهم	فأنذرهم .
ممنون	مقطوع .

مجمل المعنى

١ - حينما ينتهى أمر الدنيا ، ويأتى أمر الآخرة ، يختل نظام الكون ، ثم يبعثُ الناسُ ؛ وقد تقدّم كلّ منهم بما عمله في الدنيا من خير وشرّ : فأما المؤمنُ فإنه يحاسبُ حساباً يسيراً ، ويدخلُ الجنةَ ، وأما الكافرُ فإنه يحاسبُ حساباً عسيراً ، ويدخلُ النارَ ، بعد أن كان متمتعاً بلذات الدنيا ، ظانّاً أنه لن يبعثَ بعد الموت للحساب .

٢- يؤكدُ اللهُ سبحانه وتعالى للكافرينَ أنهمُ سيبعثونَ بعدَ الموتِ ،
فلماذا لا يؤمنونَ ؟ ولماذا لا يخضعونَ لأوامر القرآن ونواهيهِ؟ مثلُ هؤلاءِ لهمُ في
الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ ، أما المؤمنونَ فلهمُ ثوابٌ دائمٌ . ونعيمٌ مقيمٌ .

سُورَةُ الْبُرُوجِ

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٢ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ -١- .
قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ : النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ -٢- . إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ، فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ،
وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ -٣- .
إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ، إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ -٤- . وَهُوَ الْغَفُورُ

الْوَدُودُ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ، فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ -٥- . هَلْ أَتَاكَ
 حَدِيثُ الْجُنُودِ : فَرِعَوْنَ وَثَمُودَ ؟ -٦- . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
 تَكْذِيبٍ ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ، بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ،
 فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ -٧- .

شرح الألفاظ

شرحها	الألفاظ
منازل الكواكب والشمس والقمر . يوم القيامة . الله .	البروج اليوم الموعود شاهد
الإنسان الذي تشهد عليه جوارحه يوم القيامة . لعن .	مشهود مقتل
الشق في الأرض ، وأصحاب الأخدود : قوم باليمن ، كانوا ذوى بأس وقوة . أصحاب النار . حضور .	الأخدود النار شهود
وما عابوا وأنكروا عليهم . اختبروهم بالإحراق .	وما تقموا منهم فتنوا المؤمنين

الألفاظ	شرحها
بطش رَبِّكَ	أخذَه الكفار بشدة .
يبدى وَيُعِيدُ	يخلقُ الخلقَ ثمَّ يبعثهم .
الودَّودُ	الحب لمن أطاع .
ذُو العرش	صاحبُ السلطان والملك .
'محيط'	علمٌ بكلِّ شئٍ .
مجيد	عظيم .
مُحْفَوظٌ	لا يحصلُ فيه تغييرٌ ولا تبديلٌ .

مجمل المعنى

١ - يؤكد الله سبحانه وتعالى ، أن بعض المؤمنين من الأمم السابقة ، ابتلاهم الله ببطش أعدائهم وإيذائهم ، حتى حفروا لهم في الأرض حفراً ، وملئوها نيراناً ، وألقوهم فيها ، فانقم الله للمؤمنين ، لأنهم صبروا على أذى أعدائهم ، فعلى المؤمنين أن يصبروا على أذى الكفار ، فإن الله سينقم لهم ، كما انتقم من أصحاب الأخدود .

٢ - أصحاب الأخدود قومٌ قساءٌ كافرون ، عاشوا قبل الإسلام ، وغازتهم إيمان قوم مؤمنين ، فحملوهم على الكفر ، فأبوا ، فشقوا لهم أخدوداً ، وأضرموا فيه ناراً شديدةً ، ثم جاءوا بالمؤمنين واحداً بعد واحد ،

وَأَلْقَوْهُمْ فِي النَّارِ ، وَقَعِدُوا عَلَى جِوَانِبِهَا ، يَنْظُرُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ يَحْتَرِقُونَ ،
وَلَا ذَنْبَ لَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ .

٣ — هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ عَذَّبُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، لَنْ يُفْلِتُوا مِنْ عَذَابِ
اللَّهِ ، وَسَيَأْخُذُهُمُ اللَّهُ بِعَمَلِهِمْ أَخْذًا شَدِيدًا ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ .

٤ — يَهْدِدُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْكَافِرِينَ ، بِأَنَّ عِقَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيَكُونُ
شَدِيدًا ، لِأَنَّهُ قَادِرٌ ، وَدَلِيلُ قُدْرَتِهِ أَنَّهُ يُخْلِقُ النَّاسَ أَوْلًا ، ثُمَّ يَعِيدُهُمْ
ثَانِيًا .

٥ — يَغْفِرُ اللَّهُ لِلتَّائِبِ ذَنْبَهُ ، وَيُحِبُّ مَنْ يَخْلَصُ لَهُ الطَّاعَةَ ، وَهُوَ
صَاحِبُ الْعِظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

٦ — هَلْ بَلَغَكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ الْأُمِّ الطَّاعِيَةِ : مِثْلَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ،
وَتَمُودَ وَقَبِيلَتِهِ ؟ لَقَدْ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، فَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ،
وَأَهْلَكَ تَمُودَ .

٧ — فَالْكَافِرُونَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ الْأَنْبِيَاءَ ، لَنْ يَجِدُوا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مَهْرَبًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَلَا يَحْزُنُكَ تَكْذِيبُ قَوْمِكَ لَكَ ، وَلَا جُنْتُ بِهِ مِنْ
الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ كِتَابٌ رَفِيعُ الْمَنْزِلَةِ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ ، وَلَا يَدَانِيهِ الْخَطَأُ .

سُورَةُ الطَّارِقِ

نزلت بمكة ، وآياتها ١٧ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ، وَالطَّارِقِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ؟ : النَّجْمُ الثَّاقِبُ ،
إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ -١- . فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ؟ :
خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ، إِنَّهُ
عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ، فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا
نَاصِرٍ -٢- . وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ، إِنَّهُ
لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ -٣- . إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ،
وَأَكِيدُ كَيْدًا ، فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ : أَمَهُلُهُمْ رُويًا -٤-

شرح الألفاظ

الألفاظُ	شرحها
الطارق	النجم .
الثاقب	المضى .

شرحها	الألفاظ
ما كل نفس .	إنَّ كُلُّ نَفْسٍ
إلا عليها .	لَمَّا عَلَيْهَا
رَقِيبٌ ، وَهُوَ اللَّهُ .	حَافِظٌ
منْ أَى شَىءٍ خُلِقَ ؟	مِمَّ خُلِقَ ؟
منصب .	دافق
ظهر الرجل ، أو ما يقال : له سلسلة الظهر .	الصلب
عظام الصدر من المرأة ، حيث تكون القلادة .	الترائب
بعثه بعد موته .	رجعه
تختبرُ وتكشف .	تُبلَى
الضمايرُ .	السرائرُ
ليس للإنسان قوة .	فما له من قوة
المطر يرجعُ إلى الأرض ، بعد أن يخرج منها بخاراً .	الرجع
التي تنشق فيخرجُ النباتُ .	ذات الصدع
قول يفصل بين الحق والباطل .	قولُ فصلٌ
باللعب والباطل .	بالهزل
يدبرون المكاييد .	يكيدون

الألفاظ	شرحها
وأكيدُ	وأدبِرُ .
مهلٌ	لا تستعجلُ .
رُويداً	إمهالاً يسيراً .

مُجملُ المعنى

١ — يؤكدُ اللهُ سبحانه وتعالى أن كلَّ نفسٍ عليها رقيبٌ في الدنيا .
يراقبُ أعمالها وأرزاقها وآجالها ، وهو اللهُ سبحانه وتعالى .

٢ — إن كنتم لا تصدقونَ أن قدرةَ اللهِ تحيطُ بكم وبأعمالكم ،
فتأملوا قدرتهُ في خلقكم ، فإنه أوجدكم من ماء ، وأنشأكم خلقاً كاملاً
عاقلاً ، مدركاً قادراً ؛ ومن كان قادراً على خلقكم ، فإنه أقدرُ على إعادتكم
بمدِّ الموت ، ليحاسبكم على أعمالكم ، في يوم لا يستطيعُ أحدٌ منكم أن
يدفعَ فيه عن نفسه ، ولا أن يجدَ أحداً يدفعُ عنه .

٣ — يؤكدُ اللهُ سبحانه وتعالى أن ما جاء به محمدٌ ، هو القولُ الحقُّ
الذي لا شكَّ فيه .

٤ — إن الذين لا يصدقونك يا محمدُ ، ويحاولونَ أن يخذعوا الناسَ ،

ويريدون بكَ السوءَ ، لن ينالوا منك ما يبتغون ، فدعهم يدبروا المكائد ،
فإن الله سيطلُّ تدبيرهم ، ويرُدُّ كيدهم إلى نحورهم ، فتمهل عليهم قليلا ،
ولا تستعجل عقاب الله لهم ، فإنه لا بد أن يحل بهم .

سُورَةُ الْأَعْلَى

نزلت بمكة ، وآياتها ١٩ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَّرَ
فَهَدَى ، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى -١- . سُنُقِرْتُكَ
فَلَا تَنْسَى ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى -٢- .
وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى ، فذَكَرْهُ إِن نَفَعْتَ الذِّكْرَى ، سَيَذَكِّرْهُ
مَنْ يَخْفَى ، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ، الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ،
ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ
اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى -٣- . بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ
وَأَبْقَى ، إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى : صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ فَسَوَّى قَدْرَ	مَجَّدَ وَنَزَّهَ رَبَّكَ الْعَظِيمَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ . أَوْجَدَ الْعَالَمَ فِي أَبِيهِ صُورَةَ . وَأَتَمَّ خَلْقَهُ . قَدَرَ لِكُلِّ حَيْثُ مَا يُصْلِحُهُ .
فَهْدَى أَخْرَجَ الْمَرْعَى غَثَاءَ	فَعَرَّفَهُ طَرِيقَ مَا يُصْلِحُهُ . أَنْبَتَ النَّبَاتَ . بِالْيَأْ هَشِيمًا .
أَحْوَى سَنَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى	مُخَضَّرًا يَمِيلُ إِلَى السَّوَادِ . سَيَقْرَأُ جِبْرِيلُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ مَرَّاتٍ . لِتَأْمَنَ النَّسِيانَ .
الْجَهْرَ يَخْفَى وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى	الإِعْلَانَ . يَسْتَتِرُ فِي الضَّمَائِرِ . وَتَوْفِيقَكَ لِعَمَلِ الْخَيْرِ .
ذَكَرٌ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُ الْأَشْقَى النَّارَ الْكُبْرَى	أَبْلَغَهُمْ رِسَالَتِكَ . يَخَافُ اللَّهَ . وَلَا يَتَعَطَّى الشَّقِيَّ الْكَافِرُ . نَارَ الْآخِرَةِ .

الألفاظ	شرحها
وَلَا يَجِيءُ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى تَوَثَّرُونَ الصَّحْفِ الْأُولَى	وَلَا يَجِيءُ حَيَاةً طَيِّبَةً . وَذَكَرَ صِفَاتِ اللَّهِ فَخَشَعَ . تَفْضَلُونَ . الْكَتَبِ الْمُنزَلَةِ قَبْلَ الْقُرْآنِ .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ - يجبُ علينا أن نعظمَ اللهَ ونعجدهُ ، لأنَّ لهُ نعماً كثيرةً علينا ، فهوَ الذى أوجدَ العالمَ فى أحسنِ صورةٍ ، وأتمَّ خَلْقَهُ ، ويسرَّ لكلِّ حىٍّ ما يصلحُه ، وبَيَّنَّ لهُ طريقَ الخيرِ وطريقَ الشرِّ ، وأخرجَ لهُ النباتَ لينتفعَ بهُ ، ثمَّ حَوَّلَ ذلكَ النباتَ بالجفافِ واليبوسةِ وتغييرِ اللونِ ، وكذلك الدنيا بعد نضارتها وازدهارها تزول وتفتنى ، فلا يعتبر الكافر بما يناله منها

٢ - وعدَ اللهُ نبيهُ أنهُ سينزلُ عليه القرآنَ ، ليقراهُ ويحفظهُ ، فلا ينسى شيئاً منه ، إلا إذا أراد الله ذلكَ ، فاللهُ يعلمُ ما ظهرَ من أحوالِ الناسِ وما خفى منها ، وهو الذى يهدى إلى عملِ الخيرِ .

٣ - ليسَ على النبيِّ إلا أنْ يبلغَ الناسَ رسالتهُ ، ويذكرهمُ
(١)

واجبهم^٥ الله ، فلا يحزُّنه انصرافُ بعض الناس عن^٦ دعوته : فأما الذين يخافون الله ، فإنهم^٧ يؤمنون به ، ويصدقون برسالته ، وأما من^٨ غلب عليهم الشقاء ، فإنهم^٩ يكذبون برسالته ، ولا يصدقون دعوته ، فيدخلون النار في الآخرة ، ولا يموتون فيها فيستريحوا : ولا يحيون حياة سعيدة^{١٠} فيهنثوا ،

٤ - إن الذين لا يؤمنون إيماناً صادقاً ، يتغلغل في صدورهم ، وتطمئن به قلوبهم^{١١} ، يفضلون الدنيا على الآخرة ، مع أن الآخرة أفضل^{١٢} من الدنيا ، وهذا شيء^{١٣} بيَّنه الله تعالى في الكتب ، التي نزلها على إبراهيم وموسى .

سُورَةُ الْفَاشِيَةِ

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٦ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ ، وَجُودُ يَوْمِئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ،
تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً ، تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
ضَرِيحٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ، وَجُودُ يَوْمِئِذٍ نَاعِمَةٌ ،
لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا الْأَعْيَةَ ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ،
فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ،

وَزَرَّابِي مَبْثُوثَةٌ -١- . أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى
السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ
كَيْفَ سُطِحَتْ ١٢-٢- فَذَكَرْ ، إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ
بُعْصِيطِرٌ ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ، فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ .
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الغاشية	القيامة .
خاشعة	ذليلة .
عاملة ناصبة	عملت في الدنيا ما أتعبها في الآخرة .
تصلى	تقاسى وتذوق .
عين آنية	ينبوع ماء شديد الحرارة .
ضرب	طعام ردىء شائك ، غير مفيد .
ناعمة	ذات بهجة وجمال .
لاغية	أحاديث لا فائدة فيها ، أو تؤذى سمعك .
عين جارية	ينبوع ماء جار .

الألفاظ	شرحها
نمارقُ	مخدّاتُ .
وزرانيُّ مبيّثة	وبسطُ مفروشة لها خملٌ ، وهي الطنافس .
نصبتُ	أقيمتُ .
سطحتُ	مهدتُ .
بمصيبر	بمتسلط .
تولى وكفر	أعرض وأنكر الحق .
لأياهم	رجوعهم .

مجمل المعنى

١ - هل سمعتَ قصّة ذلك اليوم العظيم؟ : يوم القيامة الذى ينقسم فيه الناسُ قسمين : -

(أ) قسماً ذليلاً ، تبعاً بما عملَ فى الدنيا ، ويعذبُ بسببه فى نار شديدة ، وإذا عطشَ لا يجدُ إلا ماءً حارّاً لا يطفىءُ ظمأً ، وإذا جاعَ لا يجدُ طعاماً يسمتهُ أو يغيثه ، وهؤلاء هم الكافرون .

(ب) وقسماً يظهرُ على وجهه البشرُ ، مطمئناً إلى حاله ، يدخلُ الجنة ، فلا يسمعُ كلاماً يؤذى سمعه ، وتتوافرُ له أسبابُ النعيم : مياهٌ جاريةٌ ،

وسررٌ عاليةٌ، وأكوابٌ على حافةِ الماءِ ، ومِخْدَاتٌ وطنافس ، وهؤلاء هم المؤمنونَ .

٢- إنّ الذي لا يؤمنُ بالله ، وينكرُ نعمتهُ عليه ، يجبُ أنْ ينظرَ إلى ما بينَ يديه منَ المخلوقاتِ : كالإبلِ وخلقها ، والسماءِ ورفعها ، والجبالِ وإقامتها ، والأرضِ وبسطها ، ليعلمَ كمالَ قدرةِ الله .

٣- ذكرَ الناسَ يا مُحمَّدُ ، ووجهَ نظرهمُ إلى ما يغفلونَ عنه ، فأنتَ غيرُ مالكِ قلوبهمُ ، ولكنك داعيهمُ إلى الإيمانِ ، واللهُ هوَ المتسلطُ عليهم ، فالذي لا يؤمنُ يعذبهُ في الآخرةِ . ولا مفرَّ لهُ منُ ذلك ؛ لأنّ مرجعهُ إلى الله وحده ، فيحاسبهُ .

سُورَةُ الْفَجْرِ

نزلت بمكة ، وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ؟ -١- أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ؟ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ؟ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ؟ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ

رَبُّكَ سَوَّطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ -٢- فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا
 مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ، فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ، فَيَقُولُ : رَبِّي أَكْرَمَنِ .
 وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ، فَيَقُولُ : رَبِّي أَهَانَنِ -٣- .
 كَلَّا ! بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ
 الْمَسْكِينِ ، وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا
 جَمًّا -٤- كَلَّا ! إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ
 صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ، يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ،
 وَأَنَّىٰ لَهُ الذُّكْرَىٰ ؟ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ، فَيَوْمَئِذٍ
 لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ، وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدًا ، يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
 الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ؛ فَادْخُلِي فِي
 عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي -٥- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الفجر	فجر يوم الأضحى .
ليال عشر	{ من أول شهر ذى الحجة ، إلى نهاية يوم الأضحى ، وهي الأيام التي تُقام فيها مناسك الحج .

شُرْحُهَا	الألفاظ
<p>مناسك الحج . يُؤدى بعضها زوجاً ، وبعضها فرداً . يسرى : يجيء ويقبل . عقل .</p>	<p>الشفع والوتر يسر حجر</p>
<p>عاد : قبيلة من العرب القُدَامى ، مسكنها جنوبي جزيرة العرب . وإرام : لقب القبيلة . صاحبة القوة . مثل عاد في قوتها .</p>	<p>بعاد إرام ذات العماد مثلها</p>
<p>قبيلة من العرب ، كان مسكنها بين الحجاز والشام . قطعوه وتحتوه . بالوادي الذي كانوا يُقيمون فيه .</p>	<p>ثمود جابوا الصخر بالوادي</p>
<p>ملك مصر الذي كان في زمن سيدنا موسى . الأبنية العظيمة . تجاوزوا الحد في الظلم . أنزل عليهم . عذاباً شديداً .</p>	<p>فرعون الأوتاد طغوا فصّب عليهم</p>
<p>رقيب على عباده . اختبره بالغنى والفقير . ضيق عليه رزقه . لا تحسنون إليه .</p>	<p>سوط عذاب بالمرصاد ابتلاه قدّر عليه رزقه</p>
<p>ولا يحث بعضكم بعضاً . وأصلها : تتحاضون .</p>	<p>لا تكرمون اليتيم ولا تتحاضون</p>

الألفاظ	شرحها
التراث	الميراث .
لماً	شديداً .
جماً	كثيراً .
دُكَّتْ الأَرْضُ	دقت جبالها ومرتفعاتها ، حتى استوت مع وجه الأرض .
جاء رَبِّكَ	ظهر سلطانه وعظمته
صَقًّا صَقًّا	صُفُوفاً مُتتَابِعَةً
وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ	أُظْهِرَتْ لِلْكَافِرِينَ .
يَتَذَكَّرُ	يَتَنَبَّهُ وَيَتَزَوَّلُ عَنْهُ الْغَفْلَةُ .
وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ؟	وَلَا تَنْفَعُهُ الْمَوْعِظَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ .
قَلَمْتُ لِحَيَاتِي	عَمَلْتُ عَمَلًا طَيِّبًا .
عَذَابُهُ	عَذَابَ اللَّهِ .
لَا يُوْتَقُ	لَا يَشُدُّ وَيُرْبِطُ .
المطمئنة	المؤمنة .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ - يؤكدُ اللهُ سبحانه وتعالى أن الكافرين سيُعذبون .

٢ - أَلَسْتَ تَذَكَّرُ يَا مُحَمَّدُ مَا فَعَلَ اللهُ بِقَبِيلَةِ عَادِ . الْمَلْقَبَةِ بِإِرْمٍ ، الَّتِي كَذَبَتْ نَبِيَّهَا هُودًا . وَكَانُوا فِي زَمَنِهِمْ أَقْوَمَى النَّاسِ وَأَشَدَّهُمْ ؟ وَكَذَلِكَ مَا فَعَلَ بِقَبِيلَةِ ثَمُودَ ، الَّتِي كَذَبَتْ نَبِيَّهَا صَالِحًا . وَكَانُوا مِمَّا تَزِينُ بِالْقُوَّةِ ، فَاتَّخَذُوا مِنَ الْجِبَالِ بِيوتًا ؟

وكذلك ما فعلَ بفرعونَ صاحب الجاه والعظمة ، وقد كذبَ نبيه موسى ؟ هؤلاء جميعاً طغوا وبغوا ، وأفسدوا وكذبوا أنبياءهم ، فعذبهم اللهُ وأهلكهم .

٣ - الإنسانُ إذا اختبره اللهُ ، فيسرَ له رزقهُ ، ووسعَ عليه - ظنَّ أنهُ مِيزهُ عن غيرهِ من خلقهِ بالنعم ، وإذا ضيَّقَ اللهُ عليه رزقهُ غضبَ ، وظنَّ أنهُ أهانهُ ، وليسَ الغنى والفقْرُ دليلَ الكرامةِ أو الإهانةِ عندَ اللهُ ، ولكنهُ يجازي كلَّ إنسانٍ بعملهِ .

٤ - إذا كانَ الإنسانُ يظنُّ أنَّ الغنى والثروةَ مظهرَ كرامتهِ عندَ اللهُ ، ودليلَ إحسانهِ إليه ، وأنَّ مظهرَ تحقيره وإهانتهِ عندهُ الفقرُ والحاجةُ ، فما لهذا الإنسانِ لا يعطفُ على اليتيمِ ، ولا يطعمُ المسكينَ ! بل إنَّ طمعهُ يحملهُ على الاستيلاء على حقوقِ اليتامى ، ويبلغُ به حبَّ المالِ درجةً عظيمةً ، تمنعهُ من السخاءِ والإحسانِ .

٥ - في يومِ القيامةِ يستوى على الأرضِ وسافلها ، وتصطفَ الملائكةُ ، وتظهرُ جهنمُ ، كلُّ ذلكَ بأمرِ اللهُ ، وحينئذٍ يتذكرُ الإنسانُ ما فعلهُ في دنياهُ ، حيثُ لا تنفعهُ الذكري ، فيندمُ ندماً شديداً ، لأنهُ لمْ يقدمْ في الدنيا عملاً ينفعهُ في الآخرةِ ، ويومئذٍ يتولى اللهُ عذابهُ فلا يعذبُ كعذابِ اللهُ أحدَ ، ولا يوثقُ كوثاقِ اللهُ أحدَ . وأما المؤمنونَ إيماناً صحيحاً ، فهمُ إلى ربِّهم راجعونَ ، وفي جنتهِ خالدونَ .

سُورَةُ الْبَلَدِ

نزلت بمكة ، وآياتها عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ، وَوَالِدٍ
وَمَا وُلَدٍ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ -١- . أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ
عَلَيْهِ أَحَدٌ ؟ يَقُولُ : أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ، أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ
أَحَدٌ ؟ أَلَمْ نَجْمَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ؟ -١- .
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟ فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ
فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ؛
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ،
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ، عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
البلد	مكة .
حل ^١	مقيم .
والد وما ولد	آدم وذريته .
كبد	تعب ومشقة .
أهلكتُ مالا	أنفقتهُ في غير وجهه .
كُبدًا	كثيراً .
النجدين	طريق الخير والشر .
اقتحم	دخل بشدة .
العقبة	الأمر الشاق .
فك رقبة	إعتاق عبد .
مسغبة	مجاعة .
مقرّبة	قراية .
مترّبة	شدة فقر
تواصوا	أوصى بعضهم بعضاً .
المرحمة	الرحمة .
أصحابُ الميمنة	السعداء ، من اليُمن وهو البركة .
أصحابُ المشامة	الأشقياء ، من الشؤم .
مؤصّدة ^٢	محيطة مغلقة عليهم .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ - يقسمُ اللهُ بِمَكَّةَ : البلدِ الحرامِ ، وبآدَمَ وذريته ، أنَ الإنسانَ مخلوقٌ في تعبٍ ومشقةٍ ، لأنه يقاسى في الدنيا أحوالها ، وفي الآخرة أحوالها .

٢ - هل يُظنُّ الإنسانُ المغرورُ بقوته ، أنه لا يقدرُ أحدٌ عليه ، فيضيِّعُ ماله الكثيرَ كلهُ ، في غيرِ وجوهِ الخيرِ ، كأنه يُظنُّ أنَ اللهَ لا يطلعُ عليه ، وهو الذي خلقَ له ما يتمتعُ به ، من بصرٍ ونطقٍ ، وعقلٍ يميزُ به الخيرَ من الشرِّ .

٣ - لو تبصَّرَ الإنسانُ فيما وهبَ له اللهُ ، لوجبَ عليه أنْ يسارعَ إلى عملِ الخيرِ : فيحرِّرَ العبيدَ ، ويعطفَ على اليتيمِ ، وبخاصَّةٍ إذا كانتْ تربطُهُ به قرابةٌ ، ويطعمَ المسكينَ ، ثمَّ هو معَ ذلكَ يستمسكُ بالإيمانِ ، والصبرِ والرحمةِ ، والدعوةَ إلى هذه الفضائلِ ، ومن يفعلُ ذلكَ في الدنيا فهو السعيدُ في الآخرةِ ، ومن لم يفعلهُ فهو في نارِ جهنمَ ، يلقي فيها أشدَّ العذابِ .

سُورَةُ الشَّمْسِ

نزلت بمكة ، وآياتها ١٥ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها ، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ،
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ، وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ،
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا -١- كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ،
إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ : نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا -٢- .
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ، فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ ، فَسَوَّاهَا ،
وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ضُحَاهَا	ضياؤها إذا أشرقت .
تَلَاها	تبعها في الضياء والنور .
جَلَّاهَا	أظهرها .
يَغْشَاهَا	يسترها فتُظلمُ الآفاق .

شرحها	الألفاظ
الكوْنُ الذي فيه الشمسُ والقمرُ وسائر الكواكب .	السماء
بسطها ومهدّها .	طحّاها
خلقها في أحسن صورَة .	سوّاها
أعلمها وأشعرّها .	ألهمّها
معصيتها .	فُجورّها
طاعتها .	تقواها
فازَ .	أفلحَ
نمّاها وطهرّها بالطاعة .	زكّاها
خسِرَ .	خابَ
أفسدها بالمعصية .	دسّاها
قبيلةٌ من العرب القُدّامي .	ثمودُ
بطغيانها ومجاوزتها الحد في العصيان .	بطغواها
أسرَعَ .	انبعث
الرجلُ الذي عقرَ الناقةَ .	أشقاها
صالحٌ عليه السلامُ .	رَسُولُ اللَّهِ
احذروا ناقةَ الله فلا تمسوها بسوء .	ناقةَ اللَّهِ
شربها في اليوم المعد لها .	سُقياها
فذبّجوها .	فَعقروها
فأهلكهم اللهُ بصّاعقة ، دَمَرَتْ بيوتهم .	فَدَمَدَمَ
بتكذيبهم رَسولهم ، وعقرهم الناقةَ .	بذنبهم
} جعلَ الهلاكَ سواءَ بينهم ، فلمْ يُفْلِتْ منهمْ } أحدٌ . والضميرُ لقبيلةِ ثمود .	فسوّاها

الألفاظ	شرحها
ولا يخاف عقباها	{ لا يبالي اللهُ عاقبةَ أعماله كما يبالي الناسُ ، لأنهُ حرّ التصرف في ملكه .

مُجملُ المعنى

١ - يُقسمُ اللهُُ بمخلوقاته الدالة على قدرته : وهى الشمسُ والقمرُ وضياؤهما ، والنهار والليلُ ، وسائرُ ما فى الكونِ من كواكب ، والنفوسُ التى خلقها فى أحسن صُورة ، ومنحها العقولَ التى تميز الخيرَ من الشرِّ - يقسمُ أن المفلحَ الناجى من عقابِ الله ، هو من طهَّرَ نفسه بالطاعات ، وأن الحاسرَ من أفسدَها بالمعاصى .

٢ - كانتْ ثمودُ قبيلةً من قبائل العربِ الأولين . فبعثَ اللهُ هدايتهمُ نبياً منهم ، وهو صالحٌ عليه السلامُ ؛ ولما طابَ منه قومهُ أن يأتهمُ بدليلٍ يدلُّ على صدقه ، قالَ لهمُ : هذه الناقةُ هى البيّنةُ الدالةُ على أنى نبيُّ مرسلٌ هدايتكمُ من عندِ الله ، فاجعلوا لها نصيباً من الماءِ تشربهُ فى وقت معلوم ، ولكمُ أنتمُ نصيبٌ آخرُ منه ، واحذروا أن تمسوها بسوء ، فياخذكمُ عذابُ أليمٌ .

٣- ولكنّ القومَ لم يصدّقوا صالحاً وخالفوه ، وترصدوا الناقة ،
وأسرع إليها أشقاهم فذبحها ، فأهلكهم الله جميعاً بمعصيتهم وذنوبهم .

سُورَةُ اللَّيْلِ

نزلت بمكة ، وآياتها ٢١ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَى ، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى -١- فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى ، فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ، وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى ، فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ، وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى -٢- .
إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ، وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ؛ فَأَنْذَرْتُكُمْ
نَارًا تَلَظَّى ، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ،

وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتَقَى : الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ
مِنْ نِعْمَةٍ يُجْزَى ، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ، وَلَسَوْفَ
يَرْضَى -٣-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يغشى	يخفي بظلمته ضوء النهار .
تجلى	ظهر .
وما خلقت	وخلقت .
سعيكم	عملكم .
لشئ	لمختلف .
بالجسي	بأن الحصال الطيبة أحسن من غيرها .
فسيسره لليسرى	فسنهيته لدخول الجنة .
فسيسره للعسرى	فسنهيته لدخول النار .
تردى	سقط فهلك .
أذرتكم	خوفتكم وحذرتكم .
تلظى	تلهب .
لا يصلاحها	لا يقاسى عذابها .

الألفاظ	شرحها
يتزكى تُجزى ابتغاء	يقصدُ وجهَ الله . يكافأُ بها . طلب .

مُجْمَلُ المعنى

١ - يقسمُ اللهُ بالليل إذا أظلمَ ، وبالنهار إذا ظهرَ ، وبخلقه أصنافَ الذكور ، وأصنافَ الإناث ، التي يتوقف عليها وجودُ الكائنات الحية ، أنْ عملَ الناس في الحياة مُختلفٌ : فمنهم الطائعُ ، ومنهم العاصي ، ومنهم المحسنُ ، ومنهم المسيءُ .

٢ - فالناسُ صنفان : صنفٌ محسنٌ ، ينفقُ ماله في سبيل الخير ، ويفعلُ ما أمرَ اللهُ به ، ويحْتَنِبُ ما نهى عنه ، ويتصفُ بالصفات الحميدة ، فيهبتهُ اللهُ للخير ، ويدخله الجنةَ ؛ وصنفٌ يبخلُ بماله على الناس ، ويستغنى به ، فيتركُ عبادةَ رَبِّه ، ولا ينكفُ عما نهى عنه ، ولا يتصفُ إلا بالصفات الذميمة ، فيهبتهُ اللهُ للشرِّ ، ويدخله النارَ فيعذبُ فيها ، ولا ينفعه ماله إذا مات ، وصارت جهنمُ مأواه .

٣ - ولقد لطفَ اللهُ بعباده ، فوهبَ لهم عقولا يميزون بها الخيرَ من الشرِّ ، وبينَ لهم طريقَ الضلالِ وطريقَ الهدى ، وجعلَ التصرفَ في أمور الدنيا والآخرة لحكمته وقدرته ، وخوفَ العصاة العذابَ في ناره الشديدة ، وأبعدَ

عنها الأنقياء الصالحين ، الذين ينفقون أموالهم ، يرجون بها ثواب الله ، لأنه لا يكافئ بثوابه إلا المخلصين ، الذين يقصدون بأعمالهم الطيبة وجه الله ورضاه .

سُورَةُ الضُّحَا

نزلت بمكة ، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَا ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ، وَمَا قَلَى ،
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى - ١ - . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ؟ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ؟
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ؟ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ
فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ - ٣ - .

شرح الألفاظ .

الألفاظ	شرحها
الضحَا سَجَى	الوقت الذي ترتفع فيه الشمسُ أوَّلَ النهارِ . أظلمَ وسكنَ .

الألفاظ	شرحها
ودَّعَكَ	تَرَكَكَ .
قَلَى	أَبْغَضَ وَكَرِهَ .
الْآخِرَةَ	نَهَايَةَ الْأَمْرِ .
الْأُولَى	بَدَايَتَهُ .
أَوَى	أَسْكَنَ وَرَعَى .
ضَالًّا	غَيْرَ مَهْتَدٍ .
عَائِلًا	فَقِيرًا .
لَا تَقْهَرُ	لَا تَظْلِمُهُ فِي مَالِهِ .
لَا تَنْهَرُ	لَا تَرْجُرُ .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

١ - انقطع الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم مدةً ، فاستولى على نفسه قلقٌ وهمٌّ ، لشدة اشتياقه إلى الوحي ، فأقسم الله بالليل والنهار ، أنه ما ترك نبيته ولا جفاه ، من وقت وجوده في الدنيا ، وأن الوحي سيتوارد نزوله عليه ، فتكون نهايته خيراً من بدايته ، وستولى عليه نعم الله : من قرآن ، وهدى للناس ، ورفع ذكر ، وإعلاء كلمة ، حتى يرضى .

٢ - ثم ذكر نعمه عليه ، بأن آواه ، وتولاه بعطفه وهو يتيمٌ ، وهداه وهو حائرٌ في أمر قومه ، لعدم استجابتهم لدعوته ، فوقفهم الله بعد ذلك إلى الإسلام ، ودخلوا في دين الله أفواجاً ، وأغناه بعد فقر .

٣- ولقد أمر الله نبيه أن يقابل هذه النعم بما يليق بها من الشكر :
فيرعى اليتيم ، ويحافظ على ماله ، ويحسن لقاء من قصده ليطلب منه
علماً أو مالا أو مساعدة ، وأن يتحدث بنعم الله عليه في الدين والدنيا ليظهرها ،
اعترافاً بفضل الله عليه .

سُورَةُ الْإِنشِرَاحِ

نزلت بمكة ، وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ
ظَهْرَكَ ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ؟ -١- . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ،
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا -٢- . فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ، وَإِلَى رَبِّكَ
فَارْتَبْ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نشرح كك صدرك	نوسعه ، ونذهب الضيق عنه .
وزرك	حملك الثقيل .
أنقض ظهرك	أثقله .
العسر	الصعوبة والشدة .
اليسر	التسهيل .
انصب	اتعب .
ارغب	ارفع إليه طلبك .

مجمل المعنى

١ - كان النبي صلى الله عليه وسلم يشعر بضيق الصدر ، وانقباض النفس ، لإعراض قريش عن إجابة دعوته ، ولحيرته على هداية قومه ، فلما دخل الناس في دينه أفواجاً، سرت نفسه ، وانشرح صدره ، فذكره الله بنعمته عليه ، فقال : قد أذهبنا عنك ضيق الصدر ، وما كنت تشعر به من هم ثقيل عليك .

٢ - وفي بلوغ النبي غايته بعد ضيق نفسه ، أوضح دليل على أن

الإنسان يجب أن يتذرع بالصبر ، لينجح في عمله ، فإن الضيق يأتي بعده الفرغ ، واليأس يكون بعده الرجاء .

٣- فإذا فرغ الإنسان من عمل وصله بأخر ، وتعب فيه ، حتى يحصل على غايته ، ويطلب من الله التوفيق والنجاح في عمله .

سورة التين

نزلت بمكة ، وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين -١- .
لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم -٢- . ثم رددناه أسفل
سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير
ممنون -٣- . فما يكذبك بعد بالدين ؟ أليس الله بأحكم
الحاكمين -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
التين والزيتون طور سينين	المرادُ بهما : موضعان في بلاد الشام . الجبل الذي يشبه جزيرة سيناء .

الألفاظ	شرحها
البلد الأمين	مكة .
أحسن تقويم	أجمل صورة ، وأحسن شكل .
أسفل سافلين	جعلناه من أهل النار ، الذين هم أسفل من كل سافل .
ممنون	مقطوع ومنقوص .
الدين	الجزء .

مَجْمَلُ الْمَعْنَى

١ - أقسمَ اللهُ بهذه الأماكن العظيمة ، التي كانت مهبطَ الوحي على عيسى وموسى ومحمد ، عليهمُ الصَّلَاةُ والسلام ، وكانت مبعثَ الرِّسَالَةِ والهُدَايَةِ لبني الإنسان ، ففي الشام ظهرَ السيدُ المسيحُ ، وعلى الطور في سيناءَ كلمَ اللهُ سيدنا موسى ، وفي مكة بعثَ اللهُ محمداً صَلَّى اللهُ عليه وسلم .

٢ - أقسمَ اللهُ بهذه الأماكن المقدسة ، أنه خَلَقَ الإنسانَ في أحسن صورة ، وخصهُ دونَ سائر الحيوان بالعقل والتفكير .

٣ - وكانَ الناسُ في إجابة الأنبياء فريقين : فمنهم من جحدَ نعمة

الله فلم يتبع رسالة أنبيائه ، فجعل النار جزاءه ، ومنهم من اتبع رسالة أنبيائه ، وعمل الطيبات ، فجعل جزاءه النعيم الدائم .

٤ - فمن يقدر على تكذيبك بيوم الجزاء ، بعد ما ظهر للناس من قدرة الله ؟ ، وهو الذى خلقهم ، فأحسن خلقهم ، وهل هناك من ينكر قدرته ، وحكمته فى خلقه وتدبيره ؟ !

سُورَةُ الْعَلَقِ

نزلت بمكة ، وآياتها ١٩ آية ، وهي أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اِقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ -١-
كَلَّا ! إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى ، أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْغَى ، إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى -٢- .
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ؟ ! أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ،
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ؟ ! أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ؟ ! أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ
يَرَى ؟ -٣- . كَلَّا ! لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لِنَسْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ،
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ، كَلَّا ! لَا تَطِعُهُ ، وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ -٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
عَلَّقَ	دم جامد .
الأَكْرَمُ	الزائدُ في الإكرام .
لَيَطْفِي	ليجاوزُ الحدَّ في العصيان .
الرُّجْعِي	المرجع .
تَوَلَّى	أعرَضَ عن العمل الطيب .
لنَسْفَعن	لنجدبهُ بشدة .
النَّاصِيَة	شعر مقدَّم الرأس .
نَادِيَهُ	أهل مجلسه .
الزَّبَانِيَة	هُم جنودُ أشداء ، يدفعون المجرمين إلى النار .
وَأَقْرَبُ	وتقربُ إلى ربك بالعبادة .

مجمل المعنى

١- اتلُ ما أوحى إليك من الكتاب يا مُحمدُ، وإن كنت أمياً ، فإن الذى خلقَ جميعَ الكائنات ، وخلقَ الإنسانَ العاقلَ من دم جامد ، وزادَ في التفضلِ عليه . فعلمَ بالقلم - وهو آلةُ صماءُ - قادرٌ على أن يعينكَ على حفظ القرآن .

٢ - وإذا كان الله قد تفضل على الإنسان فخلقه وعلمه ، فليتردع عن ضلّاله وغروره ، ولا يخرج عن حدود الله إن رأى نفسه غنياً بالمال والقوة ؛ ألا يعلم أن ثروته وحياته زائلة ، وأن مرجعه إلى الله ، يحاسبه على ما قدمت يداه ؟

٣ - ما أشنع أن يجترئ مثل هذا الإنسان ، فينبى عبداً من عبيد الله عن الصلاة والخضوع له ! أما كان الأحقّ يمثل هذا العاصي أن يؤدي حقوق الله ، ويأمر بطاعته ، اعترافاً بنعمه عليه ؟ ألا يرى أن من يكذبُ النبيين ، ويعرضُ عن صالح الأعمال ، ستكونُ عاقبته سيئةً ؟ هل يجهل أن الله عالمٌ بأمره ، مطلعٌ على أعماله ؟

٤ - ليرتدع هذا المغرور عن طغيانه ، فأقسمُ لئن لم يرجع لناخذتهُ أخذَ عزيز مقتدر ، ولنذيقنهُ عذاباً شديداً ، ولنذلينَّ صاحبَ هذه الناصية الكاذبَ بغروره ، الخاطيُّ بطغيانه ، فلن ينفعهُ أعوانه الذين يشدون أزره ويناصرونه ، حين ندعو له جنوداً أشداءً ، يجرّونه على وجهه إلى النار ، وإياك أن تسمع لقوله في نهيه لك عن الصلاة ، فداوم عليها ، وتقرب إلى الله بطاعته .

سُورَةُ الْقَدْرِ

نزلت بمكة ، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ
فِيهَا يَأْذَنُ رَبَّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ؛ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أنزلناه	ابتدأنا إنزال القرآن الكريم على محمد .
ليلة القدر	ليلة الشرف ، بإنزال الوحي على محمد في رمضان .
ما أدراك ؟	ما الذي أعلمك ؟
تنزل الملائكة	تمثلت للنبى الملائكة فرآهم فيها ، وأصلها : تنزل .
الروح	هو جبريل المرسل بالوحي .
أمر	حكمم فيه نفع للناس .
سلام هي	هي سالمة من الشر والأذى .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

بدأ اللهُ سبحانه وتعالى نزولَ القرآن الكريم ، على سيدنا محمد صلى اللهُ عليه وسلم ، في ليلة سَمَّاهَا ليلةَ القدر ، من ليالى شهر رمضان ، وهي ليلةٌ عظيمةُ الشرف ، فضَّلها اللهُ ، وجعلها خيراً من ألف شهر ، لأنه اختارَ فيها سيدَ المرسلين ، لهداية الناس أجمعين ، وأنزلَ عليه الملائكةَ المكرِّمين ، ومعهم جبريلُ الأمينُ ، يحملُ رسالةَ الله الى النبيِّ محمد صلى اللهُ عليه وسلم ، وأوامرهُ التي فيها هدايةٌ للناس ونورٌ ، وفضلُها وعظم قدرُها ، جعلها اللهُ أمناً وسلاماً للناس ، من مبدئها حتى طلوع الفجر ؛ والتعبير بالمضارع في قوله : « تنزلُ الملائكة » ، يشير إلى أن ما ابتدأ فيها يستمر في مستقبل الزمان .

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

نزلت بالمدينة ، وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ، رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ، فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ - ١ - . وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ - ٢ - . وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، وَذَلِكَ دِينٌ

الْقِيَمَةِ - ٣- . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
 فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ، جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، خَالِدِينَ فِيهَا
 أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ - ٤- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كفروا	جحدوا دين الله .
أهل الكتاب	اليهود والنصارى .
المشركين	الذين يعبدون الأوثان .
منفكين	راجعين عما هم فيه .
البيئنة	الحجة والدليل الواضح .
رسول من الله	محمد صلى الله عليه وسلم .
صُحُفًا	قرآنًا .
مطهرة	نقية من البدع والباطل .

الألفاظ	شرحها
قيِّمة	مستقيمة على الحق .
حنفاء	مائلين عن الضلال إلى الهدى .
القيِّمة	الأمة المستقيمة على الحق .
خالدين فيها أبداً	لا يخرجون منها أبداً .
البرية	الخلق .
عدن	إقامة .

مجل المعنى

١ - إن الذين جحدوا عبادة الله ، وخالفوا دينه من اليهود والنصارى وعبادة الأوثان - لم يرجعوا عن ضلالهم حتى جاءهم بالهدى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليهم قرآناً مترهاً عن الباطل والخرافات والبدع ، لأن جميع سوره مشتملة على الهدى والحق .

٢ - وليس عجباً أن يجحد كثير من اليهود والنصارى دين محمد ، وهو الدين الحق ؛ فإن أنبياءهم قد جاءوهم بدين من عند الله ، مشتمل

على الخير والسعادة لهم ، ففترقوا فيه شيعاً ومذاهب ، وأخذَ بعضها يُبطلُ بعضاً ، حتى ضاعت حقيقة دينهم الذي جاءت به أنبياءهم .

٣- ولم يأمر الله اليهود والنصارى أن يختلفوا في الدين على حسب أهوائهم . ولكن أمرهم أن يخلصوا الدين له ، فلا يشركوا بعبادته أحداً ، وأن يقيموا صلاته خاشعين لله خاضعين ، وأن يؤدوا الزكاة للفقراء والمساكين وسائر المستحقين .

٤- إن الذين يمجدون دين الله ، جزاؤهم يوم القيامة عذاب دائم في نار جهنم ، لأنهم شرّ الخلق . أما الذين يُصدقون بدين الله ، ويعملون بما جاء به ، فهم خير الخلق . ولذلك أعدّ الله لهم خيراً عظيماً ، ونعماً مقيماً ، في جنات يشملهم فيها الرضا ، لأنهم خافوا ربهم ، وأطاعوه فأحسن جزاءهم .

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

نزلت بالمدينة ، وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
وَقَالَ الْإِنْسَانُ : مَا لَهَا ؟ -١- يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ، بِأَنَّ رَبَّكَ

أَوْحَىٰ لَهَا - ٢ - يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ : فَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا ، يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا ، يَرَهُ - ٣ - .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
زلزلت	اهتزت اهتزازاً عنيفاً .
أثقالها	المعادن والنيران والأموات التي في جوفها .
ما لها ؟	ما الذي حدث لها ؟
يومئذ	في ذلك الوقت .
أوحى لها	أمرها .
يصدُرُ الناسُ	يخرجون بعد بعثهم .
أشتاتاً	متفرقين مختلفين .
ليُرَوْا أَعْمَالَهُمْ	ليريهم اللهُ جزاء أعمالهم .
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ	مقدار .
ذرة	{ الواحدة من الهباء الذي يرمى في ضوء الشمس ، إذا دخلت من نافذة ، أو الجزء الذي لا يتجزأ
خيراً	من الخير .

مُجَلُّ الْمَنَى

١ - حينما ينتهى أمرُ الدنيا ، ويأتى أمرُ الآخرة - تهترّ الأرضُ اهتزازاً عنيفاً ، وتتشقق ، فيخرجُ من جوفها ما فيه من كنوز ومعادن ، ونيران وأموات ، ويحصل الدّهشُ ، لما وقعَ بها من انقلاب وخراب .

٢ - حينئذ يتساءلُ الناسُ ذاهلين : ما الذى حدثَ للأرض ، حتى وقعَ فيها ما لم نرهُ من قبل ؟ فيدلّ ما هي عليه من الثورة والعنف والتصدّع ، على أن الله أمرها بذلك ، وتحدثك الأرضُ أحاديثها بأن الله قال لها : كوني خراباً .

٣ - ثم يخرجُ الموتى من قبورهم متفرقين ، فيريهم الله جزاء أعمالهم في الدنيا ، فمن عملَ خيراً ولو يسيراً كوفى عليه ، ومن ارتكبَ شراً ولو قليلاً عوقبَ عليه .

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

نزلت بمكة ، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ، فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا ، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ،
فَأَثَرُنَّ بِهِ تَقَمُّعًا ، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ

لَكَنُودٌ، وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ -١- .
 أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ! -٢- . إِنَّ
 رَبَّهُمْ بِمِيزَانٍ يُوزِنُهُمْ يَوْمَئِذٍ لِّخَيْرٍ -٣- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
العاديات	الخيل التي تجرى مسرعة في الغزو .
ضَبْحًا	مخرجة من أفواهها - وهي تتنفس - صوتاً صادراً من جوفها .
الموريات قدحاً	الخيل التي تخرج النار بجوافرها وهي تعدو ، ضاربة الحجارة بجوافرها ، فتخرج شرراً .
المغيرات	الخيل التي تهجم على العدو .
أثْرَنَ	هجن وحركن في عدوهم .
نقعاً	غباراً .
فوسطن به	فدخلت الخيل بالغبار وسط الأعداء .
جمعاً	جماعة الأعداء .
كنود	كافر بنعمة ربه ، جاحد لها .

الألفاظ	شرحها
الخير	المال .
لشديد	لشديد الحب له ، فلذلك يبخلُ به .
بُعْثُ	أخرجَ وبُعْثَ .
حُصِّلَ ما في الصدور	ظهرت أسرارُ الصدور من خيرٍ وشرِّ .
خيرٌ	علمٌ بحال الناس .

معجم المعنى

١- يُقسمُ اللهُ بالخيل التي تجرى مسرعةً لغزو الأعداء ، فتخرجُ من أفواها زفيراً عالياً ، وتضربُ الأرضَ بحوافرها ، فتخرجُ ناراً من شدةِ عدوها ، وتفاجئُ الأعداءَ بالمهجوم عليهم صباحاً وهم غافلون ، فتشيرُ الغبارَ ، وتدخلُ وسطَ الأعداءِ بغبارها ، فتشتتهم وتهزمهم - يُقسمُ اللهُ أن الإنسانَ مع توالى نعم الله عليه ، كافرٌ بهذه النعم ؛ وأنه ليشهدُ على نفسه بكفرانه نعمَ الله ، لمنعه الخيرَ عن عباده ، وأنه لِيُحبَّ المالَ حباً جماً ، فيجدت في طلبه وتحصيله ، ويبخلُ به بخلاً شديداً على المحتاجين .

- ٢- ألا يعلمُ ذلكَ الجحودُ البخيلُ أن عاقبتهُ سيئةٌ يومَ القيامةِ ، حينَ يخرجُ الناسُ من قبورهم للحساب ، ويظهرُ ما تكنهُ صُدورهم .
- ٣- إنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى ليجازي يومئذ كلَّ امرئٍ بما قدمتهُ يدهُ ، من خيرٍ أو شرٍّ ، لأنهُ عالمٌ بأحوالهم ، مطلعٌ على خفايا صُدورهم .

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

نزلت بمكة ، وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ ؟ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ -١- يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْفُوشِ -٢- . فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ،
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ؟
نَارٌ حَامِيَةٌ -٣- .

شرحها	الألفاظ
القيامةُ .	القارعةُ
أي شيء هي ؟	ما القارعة ؟
وأى وَصْفٍ يَحِيطُكَ عِلْمًا بِهَا ؟	وما أدراك ما القارعةُ ؟
ما يتهافتُ في ضَوْءِ السَّرَّاجِ .	الفرَّاشِ
المنتشر .	المبثوث
الصفوف الذي تُنفس .	العِهْنُ المنفوش
زادَتْ حسناته بالفضائل والأعمال الصالحة .	ثقلت موازينه
في حياة تمتع ولذة .	في عيشة راضية
نقصت حسناته لقلّة فضائله ، وكثرة رذائله .	خفت موازينه
مقره جهنمُ ، يأوى إليها كما يأوى الولد إلى أمه .	أمه هاوية
أى شيء يعلمك مقدار هول جهنم وشدتها ؟	ما أدراك ماهيه ؟
ملتبهة .	حامية

مُجَمِّلُ المعنى

- ١ - إنّ القيامةَ شديدةُ الهول ، تفرع قلوب الناس بشدتها ، ولا يحيطُ علمُ الإنسان بوصفها ، لشدة ما فيها من الفزع .
- ٢ - إنها ستكونُ في يوم يُرى فيه الناس حيارى ، في اضطراب وضعف وذلة ، كأنهم البصوضُ المنتشرُ ، الذي يترامى على المصباح في غير نظام ،

وترى في هذا اليوم الجبال الراسخة قد تفتتت ، فأصبحت كالصوف المنفوش ، الذي تتطاير شعراته في الهواء .

٣- وفي هذا اليوم ، ترى الذين قدّموا الأعمال الصالحة في الدنيا راضين متمتعين ، وترى الذين اكتسبوا السيئات والرزائل يُرمون في حفرة سحيقة ، ومهواة بعيدة القرار ، أتدري ما تكون هذه الحفرة ؟ هي نارٌ ملتهبة ، يذوقون فيها جزاء ما كانوا يعملون

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

نزلت بمكة ، وآياتها ثمانى آيات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

أَلْهَاكُمْ التَّكْوِيْنُ ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ -١- . كَلَّا ! سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا ! سَوْفَ تَعْلَمُونَ -٢- . كَلَّا ! لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ -٣- لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَ ؛ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ -٤- . ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ -٥-

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أهلناكم	شغلكم .
التكاثر	التفاخرُ بكثرة الأموال والأولاد .
كَلَامًا	ارتدعوا وكفّوا عن هذا العمل .
علم اليقين	العلم المبني على الحقيقة .
الجحيم	جهنم .
لتروثها عين اليقين	لتروثها رؤية حقيقية تشاهدُ بالعين ، وتُدركُ بالحواس .
النعيم	التمتع بالملاذ : من مأكَل ومَشرب ، ومال وجاه .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ - شغلكمُ التفاخرُ بكثرة الأموال والأولاد ، عن السعي في صالح الأعمال ، حتى انقضت أعماركم في هذا الباطل ، فتمم وأصبحتم من أهل القبور .

٢- فاردعوا أنفسكم عن التشاغل بهذا الفخر الكاذب ، فإنكم لو تعلمون حقيقة ما يجلبه عليكم من الشقاق في الدنيا ، وغضب الله في الآخرة - لا تمتنعتم عن هذا التكاثر ، وانصرفتم إلى عمل ما تصلح به أحوال دينكم ودنياكم .

٣ - ارتدعوا ، فإنكم لو فكرتم في عاقبة ما أنتم فيه من اللهو بالتفاخر والتكاثر ، لعلمتم أنه وهم باطل ، وظل زائل ؛ والجدير بأن يسمى علما ، هو اليقين بالبعث والجزاء ، فهو الذي يدفعكم إلى ما يصلح ظواهركم وسرائركم ، وينأى بكم عما يؤدي إلى سوء العاقبة ؛ وجواب لو محذوف .

٤- إن دار العذاب حق لا ريب فيها ، ولترونها بأعينكم رؤية حقيقية ، ولتشاهدنها بحواسكم مشاهدة يقينية ، فاجعلوا صورها ماثلة في أذهانكم ، لعلها تدفعكم إلى ما هو خير لكم .

٥- ويسأل الله عبادَهُ يومَ القيامة عن نعم الدنيا ، من أموال وأولاد وطيبات من الرزق ، فإن لم يكونوا أدوا حقوق الله فيها ، وعملوا بأحكامه في التمتع بها ، عاقبهم أشد العقاب .

سُورَةُ الْعَصْرِ

نزلت بمكة ، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُنُودٌ -١- . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ ، وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
العصر	الدهر .
خُسْر	ضَلال وهلاك .
آمنوا	{ اعتقدوا بالله ؛ وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .
الصالحات	{ الأعمال التي تنفع الإنسان والأهل والوطن ، ولا تضر أحداً .
تواصوا	وصى بعضهم بعضاً .
الحق	الخير كله .
الصبر	{ قوة النفس على احتمال المشقة في العمل الصالح ، ومنعها من الشر .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ - يُقَسَمُ اللهُ بِالدهر ، وهو زَمَنُ مَرُورِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى أَكْمَلِ تَرْتِيبِ وَنِظَامٍ ، وهو وَقْتُ الضُّوءِ وَالظُّلَامِ ، وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَفِيهِ تَقَعُ أَعْمَالُ

الإنسان من خير وشرّ - أن الإنسان ضالٌ خاسرٌ ، ليليه إلى الشرّ ، واتباعه هوئى نفسه ، وليس لهذا الدهر دخلٌ فى ضلاله وخسرانه .

٢- ولا ينجو من هذا الضلال والهلاك إلا الذين يصدقون بالله ، ويؤمنون بكتبه ورسله ، ويعملون الأعمال الصالحة التى تنفعهم ولا تضرّ غيرهم ، ويدعو بعضهم بعضاً إلى اتباع الحقّ ، وعمل الخير ، وإلى تعويد النفس تحمل المشقات فى عمل الطيبات ، واحتمال المكروه فى منعها من الشهوات والسيئات .

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

نزلت بمكة ، وآياتها تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ -١- . كَلَّا ! كَيْنَبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ؟ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ، إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ، فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ويلٌ	هلاكٌ وعذابٌ .
هُمَزَةٌ لُحْمَزَةٌ	عيابٌ يطعنُ في أعراض الناس ، مَشَاءٌ بالنميمة بينهم .
وعدده	عدّة مرة بعد أخرى ، تلذذا بإحصائه .
أخلده	حفظ له حياته ، فهو لا يفارقها إلى حياة أخرى .
كَلَا	ليس الأمرُ كما يظن .
ليُنْبَذَنَّ	ليُرْمَى .
الْحَطْمَةُ	النار الشديدة .
وما أدراك ما الحطمة؟	لا يمكنك أن تصوّر شدة هذه النار .
تطلعُ على الأفئدة	تصلُ إلى القلوب .
مُؤَصَّدَةٌ	مطيقةٌ مغلقةٌ .
عمدٌ ممددة	أعمدةٌ طويلة .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١- أعدّ الله العذاب للعيّابين ، الذين يكثرُون الطعن في أعراض الناس ، ويتغامزون عليهم ، ويمشون بينهم بالنميمة ، تحقيراً لهم ؛ لقد

اغترّ هؤلاء بأموالهم ، حتى أصبحوا يعملون عمل من يظنّ أنه لا يموت ،
وأنهم لا يعاقبون على أعمالهم السيئة .

٢ - ليس الأمر كما ظنوا ، لأنهم سيُرمون محترقين في نار شديدة ،
تحرق أجسامهم ، وتصل إلى قلوبهم ، وموضع شعورهم باحتقار الناس ؛
وستُطبق عليهم هذه النار ، ويشدّون إلى أعمدة طويلة ، لا يقدرّون معها أن
يتحركوا ، حتى يذوقوا أشدّ العذاب .

سُورَةُ الْفِيلِ

نزلت بمكة ، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . ؟ أَلَمْ
يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ؟ ! وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ،
تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ
مَأْكُولٍ !

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
كيدَهُمْ	مكرهم وخذاعهم .
تضليل	تضييع وإبطال .
أبائيل	جماعات متفرقة .
سجّيل	طين متحجر .
كعصف	كورق زرع .
مأكول	أكل ما فيه من حب .

قصة أصحاب الفيل

١ - كان على اليمن ملكٌ يسمى أبرهةً ، قد بنى بمدينة صنعاء كنيسةً عظيمةً ، وزينها بالحجارة المنقوشة بالذهب ، وأراد أن يهدم الكعبة ، ليصرف الناس عن الحج إليها ، ويرغبهم في الحج إلى كنيسته ، فجهز جيشاً كبيراً ، وسار به إلى مكة ليهدم فيها الكعبة ، وكان معه فيلٌ قويٌ عظيمٌ .

٢ - فلما قرب الجيشُ من مكةَ ، أمرَ أبرهةُ أنْ تنهبَ أموالَ العربِ وإبلها ، وكانَ فيها إبلُ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمِ جدِ النبي ، وهو يومئذُ سيدُ قريشِ .

٣ - بعدَ ذلكَ ذهبَ عبدُ المطلبِ إلى أبرهةَ ، فلما دخلَ عليه ، رآه أبرهةُ وسياً جميلاً ، عليه الهيبةُ والوقارُ ، فأكرمهُ وأجلسهُ بجواره ، وسألهُ عن حاجتهِ .

٤ - فقالَ عبدُ المطلبِ : حاجتي أنْ يرُدَّ عليَّ الملكُ إيلي ، فقالَ لهُ أبرهةُ : أتكلمني في الإبلِ ، وترُكُ الكعبةَ ، وقد جئتُ لهدمها ؟ فقالَ عبدُ المطلبِ : أنا ربُّ الإبلِ ، وإنَّ للبيتِ ربًّا يحميه ؛ فرَدَّ عليه أبرهةُ الإبلَ ، وعزَمَ على هدمِ الكعبةِ .

٥ - وفي الصُّباحِ وجهَ أبرهةُ الجيشُ نحوَ الكعبةِ ، وأمامهُ الفيلُ ، فلما قُربَ منها ، رجَعَ الفيلُ خائفاً مذعوراً ، وحاولَ الجندُ أنْ يوجهوهُ نحوَ الكعبةِ فما استطاعوا .

٦ - ثمَّ أرسلَ اللهُ عليهمَ جماعاتَ من الطيرِ ، تحملُ أحجاراً صغيرةً ، فيها جراثيمُ أبلجدرى والحصبه ، فأخذتْ تلقيها على أبرهةَ وجنوده ، حتى أهلكتهم ، ونجى اللهُ البيتَ الحرامَ من شرِّ أعدائه الظالمينَ .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

قد علمت يا محمد حال أصحاب الفيل ، الذين جاءوا من
اليمين إلى مكة لهدم الكعبة ، وهى بيت الله الحرام ، فأبطل الله كيدهم ،
وقلبه شراً عليهم ، فأرسل عليهم جماعات من الطير ، تحمل فى مناقيرها
ومخالبها أحجاراً صغيرةً صلّبةً ، أخذت ترميها على رؤوسهم ، حتى أهلكتهم ،
وتركت أجسامهم خاوية ، كالحبّ الذى يؤكل ويبقى قشره .

سُورَةُ قُرَيْشٍ

نزلت بمكة ، وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِيْلَافِهِمْ ؛ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ -١- .
فَلْيَمْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَأَمَّنَّهُمْ
مِنْ خَوْفٍ -٢- .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الإيلافُ	المعاهدةُ والمصالحة .
قريش	قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم .
رحلة	سفر .
البيت	الكمبة .
آمنهم	نجأهم وسلّمهم .

قصة الإيلاف

١ - كانَ عبدُ منافَ زعيمَ قريش ، وكانَ لهُ أربعةُ أولادِ عظماء ، همُ : هاشمٌ أبو عبدِ المطلبِ جدُّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وعبدُ شمس ، والمطلبُ ، ونوفلٌ ؛ وقدْ عقدَ كلُّ واحدٍ منْ هؤلاءِ الإخوةِ إيلافاً - أيْ معاهدةَ تجارة - معَ مملكةٍ منَ الممالكِ التي حوّلَ جزيرةَ العربِ ؛ فعقدَ هاشمٌ معاهدتهُ معَ ملكِ الرومِ ، وعقدَ عبدُ شمسٍ معاهدتهُ معَ ملكِ الحبشة ، وعقدَ المطلبُ معاهدتهُ معَ ملكِ اليمنِ ، وعقدَ نوفلٌ معاهدتهُ معَ ملكِ الفرسِ .

٢ - ولقد أصبح لقريش بفضل هذه المعاهدات ، التي عقدها الإخوة الأربعة - حرية التجارة . والسفر إلى هذه البلاد صيفاً وشتاءً ، فكانوا يسافرون آمنين ، ويعودون رابحين .

مجل المعنى

١ - إن إيلاف قريش من نعم الله الحليلة عليهم ، لأنه نجاهم من الخوف ، والأذى الذي يتعرض له المسافر في رحلاته إلى بلد بعيد ، وكفاهم شرّ الجوع والقحط في جزيرة العرب ، لما كانوا يحنونه من ربح وافر من هذا السفر ، في رحلتهم صيفاً وشتاءً

٢ - وإذا كان الله تعالى قد أنعم على قريش بنعمة الأمن والسلامة ، وكفاهم شرّ الجوع - فقد وجب عليهم أن يعبدوه ، وهو ربّ الكعبة التي يقدسونها : وأن يتركوا عبادة الأوثان ، لأنها لا تذهب الخوف ، ولا تمنع الجوع ، بل هي لا تضر ولا تنفع .

سُورَةُ الْمَاعُونِ

ثلاث الآيات الأولى مكية ، والبقية مدنية ، وآياتها سبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ؟ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ،
وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ : الَّذِينَ هُمْ عَنْ
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ .

شَرْحُ الْأَلْفَاظِ

الألفاظ	شرحها
أَرَأَيْتَ ؟	هل عرفت ؟
الدين	الجزاء والحساب .
يدع اليتيم	يدفعه ويزجره زَجْرًا عَنِيفًا .
لا يخض	لا يبحث الناس .
ويل	هلاك وعذاب .
ساهون	غافلون لاهون .
يراءون	يظهرون غير ما يخفون .
الماعون	الشيء النافع .

مجمل المعنى

هل عرفت الذى لا يصدق بحساب الله وجزائه يوم القيامة ، فلا يتبع ما أمر الله به ، ولا يجتنب ما نهى عنه ؟ إنه كل إنسان اتصف بإحدى الصفات الآتية : -

- ١ - من يزجر اليتيم والضعيف ، إذا جاءه طالباً منه شيئاً .
- ٢ - ومن لا يطعم الفقراء والمساكين ، ولا يبحث الناس على إطعامهم .
- ٣ - ومن يصلي بلسانه وأعضائه ، وقلبه ساه لاه عما يقول ويفعل .
- ٤ - ومن يظهر للناس الخير ، ويضمرون الشر ، ويمنعون عنهم ، كل ما فيه منفعة لهم .

سورة الكوثر

نزلت بمكة ، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الكوثر	خير الدنيا والآخرة .
فصل لربك	اجعل صلواتك لله .
وأنحر	واذبح .
شانتك	مبغضك ، الكاره لك .
الأبر	المقطوع الذي لا يبقى أثره ، ولا يحسن ذكره .

مجمل المعنى

قد أعطيناك يا محمد الخير الكثير ، من نبوة ودين ، وعلم وهدى ، وكثرنا من آمن برسالتك ، فاشكر الله على هذه النعم بإدامة الصلاة ، ونحر الذبائح ، وإطعام الفقراء من لحومها ، وسيبقى دائماً ذكرك الحسن ، وآثارك الطيبة . أما الذين يكرهونك فسيذهب ذكرهم ، وينمحي أثرهم .

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

نزلت بمكة ، وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ : يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الكَافِرُونَ	المعانِدونَ الجاحِدونَ .
لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ	لَا أَعْبُدُ آلِهَتِكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا .
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ	لَسْتُمْ بِعَابِدِينَ إِلَهِي .
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ	لَا أَعْبُدُ عِبَادَتِكُمُ الْمُؤَسَّسَةَ عَلَى الشِّرْكَ بِاللَّهِ .
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ	وَلَا تَعْبُدُونَ عِبَادَتِي الْمَبْنِيَةَ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ .
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ	لَكُمْ عِبَادَتِكُمْ وَلِيَ عِبَادَتِي .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

قُلْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُعَانِدِينَ الْجَاهِلِينَ ، الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ،
وَيَدْعُونَ أَنَّهَا شَفَعَاءُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ : إِنَّ الْإِلَهَ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنْكُمْ
تَعْبُدُونَهُ ، وَيُظْهِرُ فِي صُورَةِ أَمَامِكُمْ ، لَيْسَ كَالْإِلَهِ الَّذِي أُعْبَدُهُ ، لِأَنَّ إِلَهِي
لَا يَتَّصِفُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَعِبَادَتِي خَالِصَةٌ لِلَّهِ وَحْدَهُ : فَهِيَ تَخَالِفُ
عِبَادَتِكُمْ الَّتِي يَخَالِفُهَا الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ، فَدِينِكُمْ مُخْتَصٌّ بِكُمْ ، وَدِينِي خَاصٌّ
بِي ، وَلَا عِلَاقَةَ بَيْنَهُمَا .

سُورَةُ النَّصْرِ

نزلت بمضى في حجة الوداع ، وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ
اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نصرُ الله	تغلبُ دين الله .
الفتحُ	فتحُ قلوب الناس لقبول الإسلام .

الألفاظ	شرحها
دين الله	الدين الإسلامى .
أفواجاً	جماعات .
فسبح بحمد ربك	اذكر ربك الذى حقق وعدهُ بنصرك ، واشكرهُ على هداية الناس لدين الإسلام .
استغفره	أسألهُ الصفحَ عنك وعن أصحابك ، الذين قلبت نفوسهم لتأخر انتصارهم .
تواباً	كثير القبول للتوبة من عباده .

مجمَل المعنى

إذا تحقق ما وعدك اللهُ به من النصر على الأعداء ، وتغلبت حنت على باطلهم . وانفتحت قلوبُ الناس لقبول الدعوة إلى الإسلام . فدخروا فيه جماعات كثيرةً — فاذا ذكر الله الذى حقق ما وعدك من النصر . وحمده على هداية الناس لدينه . واطلب منه الصفح عما حدثت بنفوس بعضكم . من القلق عند تأخر النصر . والله عظيم المغفرة ، يقبل التوبة من عباده .

سُورَةُ اللَّهَبِ (أَوْ الْمَسَدِ)

نزلت بمكة ، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ،
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ؛ فِي جِيدِهَا
حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ .

شَرْحُ الْأَلْفَاظِ

الألفاظُ	شرحها
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ	دُعَاءٌ عَلَى أَبِي لَهَبٍ ، بَهْلَاكِ نَفْسِهِ وَخَسْرَانِهِ .
وَتَبَّ	وَهُوَ قَدْ هَلَكَ وَخَسِرَ بِالْفِعْلِ .
مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ	لَمْ يَفِدْهُ مَالُهُ شَيْئًا .
وَمَا كَسَبَ	وَمَا عَمَلَ فِي مُعَادَاةِ النَّبِيِّ .
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ	سَيَحْتَرِقُ بِنَارٍ شَدِيدَةٍ .
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ	السَّاعِيَةَ فِي الْفَسَادِ بَيْنَ النَّاسِ .
جِيدِهَا	عُنُقِهَا .
مَسَدٍ	لِيفٍ .

قصة أبي لهب

١- أبو لهب : هو عبد العزى بن عبد المطلب ، وكان عمّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأشدّ الناس عداوةً وإيذاءً له .

٢- وكان إذا ذهب النبي إلى قبائل العرب ، ليدعوهم إلى الإسلام ، سار وراءه ، وهزيئ به ، وكذبته .

٣- وكان لأبي لهب امرأة تسمى أمّ جميل - وهي أخت أبي سفيان بن حرب - تسعى بالنميمة والفساد بين النبي وبين القبائل ، حتى لا يصدقوه إذا دعاهم إلى الإسلام ، فأهلك الله أبا لهب وزوجته ، وجعلهما عبرة لكل من يعادى النبي ، أو يحارب دينه .

مجمل المعنى

اللهم أهلك أبا لهب ، وقد هلك بالفعل . ولم يغن عنه ماله وإيذاؤه النبي شيئاً ، وسيحرقه الله بنار شديدة ، ويحرق معه امرأته الواشية النمامة ، التي كانت توقد نار الفتن بين النبي وبين العرب ، فكانت كأنها تحمل الحطب وتشده إلى عنقها بحبل من الليف الحشن ، - والعرب تسمى من يسعى بالنميمة بحامل الحطب - فيعود عليها وبسال سوء فعلها .

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

نزلت بمكة ، وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
اللهُ	الإله الذي تعبدُهُ .
أحدٌ	وَأَحَدٌ لَا رَبَّ غَيْرُهُ .
الصمدُ	السيدُ الذي يقصدُهُ الخلقُ في حوائجهم .
لم يلد	ليسَ لَهُ أبٌ وَلَا بِنْتُ .
لم يولد	ليسَ لَهُ أبٌ وَلَا أُم .
كُفُوًا	مكافئًا ومماثلًا .

مجمل المعنى

بلغ الناسَ يا مُحَمَّدُ ، أَنَّ الإلهَ الذي تعبدُهُ . واحدٌ لا شريكَ لَهُ ،
وهو رَبُّ الخلقِ كلِّهم ، يحتاجونَ إليه ، ويقصدونهُ في كلِّ مطالبهم ، وهو

لا يحتاجُ إلى أحد ، ولا يطلبُ المساعدةَ من أحد ، وليس له بين ولا بنت .
وليس له أبٌ ولا أمٌ ، ولا يمثله أحدٌ في الوجود .

سُورَةُ الْفَلَقِ

نزلت بمكة ، وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ : أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ، وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أعوذ	أعتصم وأستجير .
رب	بمربي ومصلح .
الفلق	جميع المخلوقات .
من شر ما خلق	من أذى مخلوقاته .
غاسق إذا وقب	ليل إذا دخل ظلامه .
النفاثات في العقد	من يخذعون الناس بالحيل فيضرونهم (١) ،
حاسد إذا حسد	من يسره زوال النعم عن الناس ، ويحاول إزالتها

(١) والنفاثات : جمع نفائة ، والتاء التأكيد المبالغة .

مجمل المعنى

بأمرنا الله أن نلجأ إليه ، ونستجير به ، لأنه ربّ الخلق أجمعين ،
ليحفظنا من شرّ مخلوقاته : من الإنس والجنّ ، والسباع والحشرات ، والنار
وغيرها ، وأنّ ينجينا من الأذى الذى يقع فى الليل المظلم ، لأنّ الشرّ يكثر
فيه ، وأنّ يمنعنا من شرّ النفوس التى تخدع الناس بالحيل والسحر ، فتؤثر
فيها بالمرض أو الحسارة ، وأنّ يبعد عنا شرّ كلّ حاسد ، يحسدّ الناس على
ما آتاهم الله من نعمه ، ويحاول السعى فى إزالتها .

سُورَةُ النَّاسِ

نزلت بمكة ، وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ : أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ، مِنْ
شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ،
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ .

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
رَبَّ النَّاسِ	مُرَبِّهِمْ وَمُصْلِحِهِمْ .
مَلِكِ النَّاسِ	مَالِكِهِمْ وَمُدَبِّرِ أَمْرِهِمْ .
إِلَهِ النَّاسِ	مَعْبُودِهِمْ .
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ	الشَّهَوَاتِ الْمَكْنُونَةَ فِي النَّفْسِ .
يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ	يُحَدِّثُهُمْ بِعَمَلِ الشَّرِّ .
مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ	مِنَ جِهَةِ الْجَنَّةِ ، وَمِنَ جِهَةِ النَّاسِ .

مجمل المعنى

نلجأ إلى الله ربنا ، ومالك أمرنا ومعبودنا ، أن يحفظنا من الشهوات المستكنة في نفوسنا ، التي تحدثنا بعمل الشر ، وذلك بأن نظن أن الجن يضرّون وينفعون ، وتوهم أن الناس يعلمون الغيب بالتنجيم والكهانة فنصدقهم ؛ وهذا شر نستعيد بالله منه ، لأن الله وحده هو الذي يضرّ وينفع .

فهرس

الصفحة	السورة	الصفحة	السورة
٣	مقدمة	٦١	سورة الشمس
٥	سورة النبأ	٦٤	» الليل
٥	الدرس الأول	٦٧	» الضحا
٧	» الثاني	٦٩	» الانشراح
٩	» الثالث	٧١	» التين
١١	سورة النازعات	٧٣	» العلق
١١	الدرس الأول	٧٦	» القدر
١٣	» الثاني	٧٧	» البينة
١٦	» الثالث	٨٠	» الزلزلة
١٨	سورة عبس	٨٢	» العاديات
١٨	الدرس الأول	٨٥	» القارعة
٢٢	» الثاني	٨٧	» التكاثر
٢٤	سورة التكوير	٨٩	» العصر
٢٨	سورة الانفطار	٩١	» الهمزة
٣١	» المطففين	٩٣	» الفيل
٣١	الدرس الأول	٩٦	» قريش
٣٤	» الثاني	٩٩	» الماعون
٣٧	سورة الانشقاق	١٠٠	» الكوثر
٤٠	» البروج	١٠٢	» الكافرون
٤٤	» الطارق	١٠٣	» النصر
٤٧	» الأعلى	١٠٥	» الذهب
٥٠	» الغاشية	١٠٧	» الإخلاص
٥٣	» الفجر	١٠٨	» الفلق
٥٨	» البلد	١٠٩	» الناس

مطابع تكوير للإكاديمية

تليفون : ٨٨٣٤٥٤ ص . ب : ٣٥٥ الدوحة - قطر